كتابُ الأغاني

تأليف

أبي الفَرَج الأصفَهاني

الجزء الثامن

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
الخندق الغميق - ص.ب: ١١/٨٣٥٥
تلفاكس: ٦٥٥٠١٥ - ٦٣٢٦٧٣ - ٦٥٩٨٧٥ ١ ٠٠٩٦١
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
بوليفار نزيه البزري - ص.ب: ٢٢١
تلفاكس: ٧٢٠٦٢٤ - ٧٢٩٢٥٩ - ٧٢٩٢٦١ ٧ ٠٠٩٦١
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر

حقوق التأليف والاعداد محفوظة لدار ابن الأثير/جامعة الموصل

لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com

ISBN - 978 - 614 - 414 - 599 - 9

نسب جرير وأخباره

نسبه من قبل أبويه:

جَرير بن عطيَّة بن الخَطَفَي، والخَطَفَي لقبٌ، واسمه حُذيفة بن بَدْر بن سَلمة بن عَوْف بن كُليب بن يَربوع بن حَنظَلة بن مالك بن زيد مَناة بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار. ويُكنى أبا حَزْرة. ولُقِب الخَطَفي لقوله:

يَرْفَعنَ للَّيل إذا ما أسْدَفا[١] أعناقَ جِنَّان[٢] وهامًا[٣] رُجَّفا
وَعَنقاً[٤] بعد الكَلال خَيْطَفا[٥]

[الرجز]

ويُروى: خَطفَى.

وهو والفَرزدقُ والأخطل المقدَّمون على شُعَراء الإسلام الذين لم يُدركوا الجاهلية جميعاً. ومختلَفٌ في أيُّهم المتقدّمُ، ولم يَبقَ أحد من شعراء عصرهم إلا تعرَّض لهم فافتَضح وسقَط وبَقُوا يتصاولون؛ على أن الأخطل إنما دخل بين جرير والفردزق في آخر أمرهما وقد أَسَنَّ ونفِد أكثرُ عمره. وهو وإن كان فضلُه وتقدُّمه ليس نَجْره من نِجار هذين في شيء؛ وله أَخبار مفردة عنما ستُذكر بعد هذا مع ما يُغنّى من شعره.

أَخبرني أَبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب الجُمَحيّ قال: حدّثنا محمد بن سَلَّام الجُمَحي، وأَخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ وعليّ بن سليمان الأخفش قالا: حدّثنا أبو سَعيد السُّكَّرِيّ عن محمد بن حَبيب وأبي غسَّان دَماذا وإبراهيم بن

(١) أسدف: أسدف الرجل يعني نام، والليل أظلَمَ.
(٢) جنّان: حيات كحلاء الأعين لا تؤذي وهي كثيرة في الدور.
(٣) الهام: الهامة من الشخص رأسه والجمع هَامٌ.
(٤) العَنَق: سَيْر الإبل والدابة، وطول في العُنُق.
(٥) الخيطفى: سرعة الانجذاب في السير في اتجاه ما، كأنه ينساق سوقاً.

سَعدان عن أبيه جميعاً عن أَبي عُبيدة مَعمَر بن المثنَّى، بنسب جرير على ما ذكرتُه وسائرِ ما أذكره في الكتاب من أخباره فأحكِيه عن أَبي عُبيدة أو عن محمد بن سَلَّام. قالوا جميعاً:

وأمّ جَرير أمّ قَيس بنتُ مُعَيد بن عُمَير بن مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيب بن يَربُوع. وأُمّ عطيَّة النَّوار بنت يَزيد بن عبد العُزَّى بن مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيب.

جرير وطبقته من الشعراء:

قال أَبو عُبيدة ومحمد بن سَلَّام ووافقهما الأصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبَّة عنه:

إتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة: جريرٌ والفرزدق والأخطل، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض. قال محمد بن سَلَّام: والراعي معهم في طبقتهم ولكنَّه آخرهم، والمخالِف في ذلك قليل. وقد سمعتُ يونسَ يقول: ما شهدت مَشهَداً قط قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أَهلُ المجلس على أحدهما. وكان يونس فَرَزدقيّاً.

قال ابن سَلَّام: وقال ابنُ دأْب: الفرزدق أشعرُ عامّةً وجرير أشعرُ خاصّةً. وقال أَبو عُبيدة: كان أَبو عمرو يشبِّه جريراً بالأعشى، والفردزقَ بزُهَير، والأخطل بالنابغة. قال أَبو عبيدة: يحتجّ منَ قدّم جريراً بأنه كان أَكثرَهم فنونَ شعر، وأسهلَهم أَلفاظاً، وأَقلَّهم تكلّفاً، وأرقَّهم نَسيباً[1]، وكان ديِّناً عفيفاً. وقال عامر بن عبد الملك: جرير كان أشبَههما وأنسبَهما.

ونسختُ من كتاب عمرو بن أَبي عمرو الشَّيبانيّ: قال خالد بن كُلثوم: ما رأيت أشعر من جرير والفرزدق؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين، قال:

عجبتُ لعِجْلٍ إذ تُهاجِي عبيدها كما آلُ يَرْبُوعٍ هَجَوْا آل دارِم

[الطويل]

يَعني بعبيدها بني حَنيفة. وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة:

إن الفرزدق والبَعيث وأمَّه وأَبا البَعيث لشَرُّ ما إستارِ

[الكامل]

(١) النسيب: يقال نسَّبَ الشاعر بالمرأة أي عَرَّض بهواها وحبّها، والنسيب هنا بمعنى الغزل.

قال: وقال جرير: لقد هجوتُ التَّيمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنّ شاعر شاعراً قبلي، قلتُ:

مـــن الأصـــلاب يَـــنـــزِل لـــؤمُ تَـــيـــمٍ وفـــي الأرحـــام يُـــخـــلـــق والـــمَـــشـــيـــم

[الوافر]

وقال محمد بن سَلَّام: قال العَلاء بن جرير العَنبريّ، وكان شيخاً قد جالس الناس: إذا لم يجئ الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيت[1]، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيتاً، وجرير يجيء سابقاً ومُصلِّياً[2] وسكَّيتاً. قال محمد بن سلَّام. ورأيت أعرابيّاً من بني أَسَد أعجبني ظَرْفُه وروايته، فقلت له: أَيُّهما عندكم أشعرُ؟ قال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومَديح وهجاء ونَسيب، وفي كلِّها غَلب جرير؛ قال في الفخر:

إِذا غـــضِـــبـــتْ عـــلـــيـــكَ بـــنـــو تَـــمـــيـــمٍ حـــسِـــبـــتَ الـــنـــاسَ كـــلَّـــهـــمُ غِـــضـــابَـــا

[الوافر]

والمديح:

أَلَـــسـتُـــم خـــيـــرَ مـــن ركـــب الـــمـــطـــايـــا وأَنـــدى الـــعـــالَـــمـــيـــن بـــطـــونَ راح

[الوافر]

والهجاء:

فـــغُـــضَّ الـــطَّـــرْفَ إنـــك مـــن نُـــمَـــيـــرٍ فـــلا كَـــعْـــبـــاً بـــلـــغـــتَ ولا كِـــلابَـــا

[الوافر]

والنَّسيب:

إِنّ الـــعـــيـــون الـــتـــي فـــي طَـــرْفـــهـــا حَـــوَرٌ قـــتـــلْـــنـــنـــا ثـــم لـــم يُـــحـــيِـــيـــن قَـــتْـــلانَـــا

[البسيط]

قال أَبو عبد اللَّه محمد بن سَلَّام: وبيتُ النَّسيب عندي:

فـلـمـا الـتـقـى الـحـيَّـانِ أُلـقـيـتِ الـعـصـا ومـات الـهـوى لـمـا أُصـيـبـتْ مَـقـاتِـلُـهْ

[الطويل]

قال كَيسان: أَمَا واللَّه لقد أوجعكم (يعني في الهجاء) فقال: يا أحمق! أَودَ ذاك يمنعه أن يكون شاعراً!

فضَّله عبيدة بن هلال على الفرزدق:

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال: حدّثني عمر بن شَبَّة قال: قال أَبَو عُبيدة،

---

(١) سُكَّيت: مصغَّر التخفيف أكثر من التثقيل: العاشر من خيل السباق وهو آخرها.

(٢) مُصلياً: تقال للفرس الذي بعد السابق في الحلبة.

وأخبرنا أبو خَليفة قال: حدّثني محمد بن سَلَّام الجُمَحيّ قال: حدّثني أَبانُ بن عثمان البَلْخِيّ قال:

تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلَّب، فارتفعا إليه وسألاه؛ فقال: لا أقول بينهما شيئاً ولكنّي أدلُّكما على من يَهُون عليه سُخطُهما: عُبيدةَ بن هِلال اليَشكُري ـ وكان بازائه مع قَطَري[١] وبينهما نهر. وقال عمر بن شَبَّة: في هؤلاء الخوارج من تَهُون عليه سِبالُ[٢] كلّ واحد منهما ـ فأمَّا أَنا فما كنتُ لأُعرِّض نفسي لهما. فخرج أحد الرجلين وقد تراضَيا بحكم الخوارج؛ فبدَر من الصفّ ثم دعا بعُبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه. فقال: إني أَسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه؛ فقال: وما هو؟ عليكما لعنة اللَّه. قال: فأيّ الرجلين عندك أشعرُ: أجريرٌ أم الفرزدق؟ فقال: لعنكما اللَّه ولعن جريراً والفرزدق! أمثلي يُسأل عن هذين الكلبين! قالا: لا بدّ من حكمك. قال: فإِني سائلُكم قبل ذلك عن ثلاث. قالوا: سَلْ. قال: ما تقولون في إِمامكم إذا فَجر؟ قالوا: نُطيعه وإِن عصى اللَّه عزّ وجلّ. قال: قبَحكم اللَّه! فما تقولون في كتاب اللَّه وأحكامه؟ قالوا: نَنبِذه وراء ظهورنا ونُعطِّل أحكامه. قال: لعنكم اللَّه إِذاً! فما تقولون في اليتيم؟ قالوا: نأكل ماله وننيك أمّه. قال: أَخزاكم اللَّه إِذاً! واللَّه لقد زِدتُموني فيكم بَصيرة. ثم ذهب لينصرف؛ فقالوا له: إِن الوفاء يَلْزَمك، وقد سألتَنا فأخبرناك ولم تُخبرنا؛ فرجع فقال: من الذي يقول:

إِنَّا لَنَذْعَر يا قُفَيرُ[٣] عدوَّنا ... بالخيل لاحقةَ[٤] الأَياطِلِ[٥] قُودَا[٦]

وتَحوطُ حَوْزَتَنا وتَحمِي سَرْحَنا[٧] ... جُرْدٌ تَرى لِمُغارِها[٨] أُخْدُودَا

---

(١) قطري: هو قطري بن الفجاءة، شاعر، وهو أحد أبطال الخوارج ومتقدميها.

(٢) سِبَال: ما على الشارب من الشعر، أو طرفه أو مجتمع الشاربين، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها. مفردها سبلة.

(٣) قَفير: الذئب المنسوب إلى القفر، وهي أم الفرزدق الشاعر.

(٤) لاحقة: إسم للفرس.

(٥) الأياطل: الخواصر مفردها أيطل.

(٦) قود: القصاص وطول الظهر والعُنق.

(٧) سرح: شجر عظام طوال.

(٨) مُغار: لون ليس بناصع الحمرة، أو أشقر بكدرة مفردها مُغرة.

أجْـرى قـلائـدَهـا وقـدَّد لـحـمَـهـا أَلّا يَـذُقْـنَ مـع الـشَّـكـائـمُ[١] عُـودا
وطَـوَى القِـيادُ[٢] مع الـطِّراد[٣] مُـتونَـها طَـيَّ الـتِّـجـار بِـحـضْـرَمَـوْتَ بُـرودا
[الكامل]

قالا: جريرٌ؛ قال: فهو ذاك، فانصرفا.

حديث الأصمعيّ وغيره عنه:

أَخبرني عمّ أَبي عبدِ العزيز بن أَحمد قال: حدّثنا الرِّياشيّ قال: قال الأصمعيّ وذكر جريراً فقال:

كان يَنهَشُه ثلاثة وأربعون شاعراً فيَنبِذُهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً، ومنهم من كان يَنفَحه فيرمي به، وثَبت له الفرزدقُ والأخطل. وقال جرير: واللَّه ما يهجوني الأخطل وحدَه وإنه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلُّهم غريزٌ ليس بدون الأخطل، وذلك أنه كان إذا أَراد هجائي جَمعهم على شراب، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً، وينتحل هو القصيدةَ بعد أن يُتمِّموها.

قال ابن سَلَّام: وحدَّثني أَبو البَيداء الرِّياحيّ قال: قال الفرزدق: إِنّي وإِيّاه لنغترفُ من بحر واحد وتضطرب دِلاؤه عند طول النهر.

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أَبيه قال: حدّثني زيرك بن هُبَيرة المنانيّ قال:

كان جريرٌ مَيدانَ الشعر، من لم يَجرِ فيه لم يَرْوِ شيئاً، وكان من هاجى جريراً فغَلبه جرير أرجحَ عندهم ممن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغلَب.

أخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلَّام قال: تذاكروا جريراً والفرزدق في حَلْقة يونس بن معاوية بن أَبي عمرو بن العَلاء وخَلَف الأحمر ومِسمَع وعامر ابنا عبد الملك المِسمَعِيَّان، فسمعت عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول: كان جرير واللَّه أنسبَهما وأسبّهما وأشبَههما.

سمع الراعي شعره فأقرّ بأنه جدير بالسبق:

قال ابن سَلَّام: وحدّثني أبو البَيدات قال: مرّ راكبٌ بالراعي وهو يغنّي بيتين لجرير، وهما:

---

(١) الشكائم: مفردها الشكيمة في لجام الفرس هي الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفأس.
(٢) القياد: الرماح.
(٣) الطِّراد: ما طردت من صيد أو غيره، وهي أيضاً قصبة فيها حُزَّة توضع على المغازل والقداح.

وعـاوٍ عَـوى مـن غـيـر شـيء رمـيـتُـه بِـقـارعـةٍ[١] أَنـفـاذُهـا تَـقـطُـرُ الـدَّمـا
خَـــروجٍ بـــأفـــواه الـــرُّواةِ كـــأنَّـــهـــا قَـــرا هُـــنـــدُوانِـــيٍّ[٢] إذا هُـــزّ صَـــمَّـــمـــا

[الطويل]

فأَتبَعه الراعي رسولاً يسأله لمن البيتان؟ قال: لجرير. قال: لو اجتمع على هذا جميع الجنّ والإِنس ما أغنَوْا فيه شيئاً. ثم قال لمن حضر: ويَحكم أَأُلام على أن يغلِبني مثلُ هذا!.

رثاؤه ابنه:

قال ابن سَلَّام: وسألت بَشَّاراً المرغَّث: أيُّ الثلاثةِ أشعر؟ فقال: لم يكن الأخطل مثلهما ولكنّ رَبيعة تعصَّبتْ له وأَفرطتْ فيه. قلت: فهذان؟ قال: كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق، ولقد ماتت النَّوار فقاموا ينوحون عليها بشعر جرير. فقلتُ لبشَّار: وأَيُّ شيء لجريرٍ من المَراثي إِلّا التي رثى بها امرأَتَه! فأنشدني لجرير يَرثي ابنَه سَوادةَ ومات بالشام:

قـالـوا نَـصـيـبَـك مـن أجـرٍ فـقـلـتُ لـهـم كـيـف الـعَـزاءُ وقـد فـارقـتُ أشـبـالِـي
فـارقـتَـنـي حـيـن كَـفّ الـدهـرُ مـن بَـصَـري وحـيـن صِـرتُ كـعـظـم الـرِّمَّـة الـبـالـي
أَمـسـى سَـوادةُ يَـجـلـو مُـقـلَـتـيْ لَـحِـمٍ[٣] بـازٍ يُـصَـرصِـرُ فـوق الـمَـرْبـإِ الـعـالـي
قـد كـنـتُ أعـرفـه مـنّـي إذا غَـلِـقَـتْ رُهْـنُ الـجِـيـاد ومَـدّ الـغـايـةَ الـغـالـي[٤]
إِنّ الـثَّـوِيّ[٥] بـذي الـزَّيـتـون فـاحـتـسـبـي قـد أَسـرعَ الـيـوم فـي عـقـلـي وفـي حـالـي
إِلّا تَـكُـنْ لـكَ بـالـدَّيـرَيـن مُـعـوِلَـةٌ فـرُبَّ بـاكـيـةٍ بـالـرَّمْـل مِـعـوال
كـأمّ بَـوٍّ عَـجُـولٍ عـنـد مَـعَـهـدِه حَـنَّـتْ إلـى جَـلَـدٍ مـنـه وأوصـال
حـتـى إذا عـرَفـتْ أن لا حـيـاةَ بـه رَدَّتْ هَـماهِـم[٦] حَـرَّى الـجـوفِ مِـثـكـال
زادت عـلـى وَجْـدِهـا وَجـداً وإِن رَجـعـتْ فـي الـصـدر مـنـهـا خُـطـوبٌ ذاتُ بَـلـبـال[٧]

[البسيط]

---

(١) قارعة: الشديدة من شدائد الدهر وهي الداهية.
(٢) هندواني: الهندي، أي المنسوب إلى الهند.
(٣) لَحِمَ: من باب طَرِبَ، اشتهى اللحم.
(٤) الغالي: الرامي بالسهم إلى أبعد ما يقدر عليه.
(٥) الثوي: يقال ثوى البصري أي أقام بها والثوي هو المقيم.
(٦) الهماهم: جمع همهمة، وهو ترديد الصوت في الصدر من الهم.
(٧) بلبال: الهم ووسواس الصدر.

أَخبرني عبد الواحد بن عُبيد عن قَعْنَب بن المُحرِز الباهليّ عن المُغيرة بن حَجْناء وعمارة بن عُقيل قالا:

خرج جرير إلى دِمَشق يَؤُمُّ الوَليد، فمرض ابن له يقال له سَوادة، وكان به مُعجَباً، فمات بالشام؛ فجزِع عليه ورثاه جرير فقال:

أَوْدَى سَوادةُ يَجلُو مُقلَتي لَجِمٍ بازٍ يُصَرصِرُ فوق المَربإِ العالِي

[البسيط]

حديث الفرزدق عنه:

أَخبرني يَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثني أَحمد بن معاوية قال: حدّثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال: حدّثني أبو نصر اليَشكُريّ عن مولًى لبني هاشم قال:

إمترى[1] أَهلُ المجلس في جرير والفرزدق أَيُّهما أشعرُ، فدخلتُ على الفردزق فما سألني عن شيء حتى قال: يا نَوار، أدركتْ بَرْنِيَّتُكِ؟ قالت: قد فعلتْ أو كادتْ. قال: فابعثي بدرهم فاشتري لحماً، ففعلتْ وجعلت تشرِّحه وتُلقيه على النار ويأكل. ثم قال: هاتِي بَرْنِيَّتَكِ، فشرب قَدَحاً ثم ناولني، وشرب آخرَ ثم ناولني. ثم قال: هاتِ حاجتَكَ يا ابنَ أخي. فأخبرتُه؛ قال: أعَنِ ابنِ الخَطفَى تَسألني! ثم تنفَّس حتى قلتُ: انشقَّتْ حَيازيمه[2]؛ ثم قال: قاتلَه اللَّه! فما أَخشنَ ناحيتَه وأَشْرَد قافيتَه! واللَّه لو تركوه لأبكَى العجوزَ على شبابها، والشابّةَ على أحبابها، ولكنهم هَرُّوه فوجدوه عند الهِراش[3] نابحاً وعند الجِراء[4] قارِحاً، وقد قال بيتاً لأَنْ أكون قلتُه أحبُّ إليّ مما طلعتْ عليه الشمس:

إِذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميم حسِبتُ الناسَ كلَّهمُ غِضابَا

[الوافر]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن أبي عُبَيدة، قالا:

نزل الفردزق على الأحوص حين قدِم المدينةَ. فقال الأحوص: ما تَشتهي؟

---

(١) امترى: جلب الميرة.

(٢) حيازيم: جمع حيزوم، وهو من أعلى الصدر إلى أسفل البطن.

(٣) الهراش: الإفساد بين الناس. (٤) الجراء: الجري بمحازاته ومسابقته.

قال: شِواء وطِلاء[١] وغِناء. قال: ذلك لك؛ ومضى به إلى قَيْنة[٢] بالمدينة؛ فغنَّته:

صـوت

أَلَا حَـيِّ الـديـارَ بـسُـعْـدَ[٣] إنّـي ... أُحِـبُّ لـحـبِّ فـاطـمـةَ الـدّيـارَا
إذا مـا حَـلّ أَهـلُـكِ يـا سُـلَـيـمـى ... بـدارةِ صُـلْـصُـلٍ[٤] شـحَـطـوا مَـزارا
أراد الـظـاعـنـون لـيَـحـزُنُـونـي ... فـهـاجُـوا صَـدْعَ قـلـبـي فـاسـتـطـارا

[الوافر]

ـ غنَّاه ابن مُحرِز خفيفَ ثقيلٍ أول بالبنصر ـ فقال الفرزدق: ما أَرَقَّ أَشعاركم يا أهلَ الحجاز وأملَحَها! قال: أو ماً تَدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا واللَّه. قال: فهو واللَّه لجريرٍ يهجوك به. فقال: وَيلُ ابنِ المَراغة[٥]! ما كان أَحوَجه مع عفافه إلى صلابة شعري، وأَحْوَجني مع شَهَواتي إلى رِقَّة شعره!

أخبرني أحمد قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاقَ المَوصليّ، وأَخبرني محمد بن مَزْيد عن حَمَّاد عن أبيه قال: قال إسحاق بن يحيى بن طلحة:

قدِم علينا جريرٌ المدينةَ فحشَدْنا له. فبَيْنا نحن عنده ذات يوم إذ قام لحاجته، وجاء الأَحوص فقال: أين هذا؟ فقلنا: قام آنفاً، ما تريد منه؟ قال: أُخزِيه، واللَّه إن الفرزدق لأشعر منه وأشرف. فأقبل جريرٌ علينا وقال: مَن الرجلُ؟ قلنا: الأحوصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلَح. قال: هذا الخبيث ابنُ الطيِّب. ثم أقبل عليه فقال: قد قلتَ:

يَـقَـرُّ بـعَـيـنـي مـا يَـقَـرُّ بـعـيـنـهـا ... وأحـسـنُ شـيء مـا بـه الـعـيـنُ قَـرَّتِ

[الطويل]

فإنه يَقَرّ بعينها أن يدخلَ فيها مثلُ ذراع البَكْر، أفيَقَرُّ ذلك بعينك؟ ـ قال: وكان الأحوصُ يُرمى بالأُبنة ـ فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة. وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخَّر البيت وأَشعبُ عند الباب فأقبل أشعبُ يسأله؛ فقال له جرير: واللَّه إنك لأقبَحُهم وجهاً ولكنّي أراك أطولَهم حَسَباً، وقد أَبرمتَني. فقال: أنا واللَّه أنفعُهم لك. فانتبه جريرٌ فقال: كيف؟ قال؛ إني لأُملِّح شعرَك؛ واندفع يغنِّيه قولَه:

---

(١) طلاء: هو الدم، ويطلق على الخمر. (٢) قينة: الأمة المغنية.
(٣) سعر: موضع بنجد. (٤) صلصل: موضع بنجد من أرض الحجاز.
(٥) المُراغة: الأتان التي لا تمتنع عن الفحولة، يقصد بها (أم جرير) لقبها الفرزدق بهذا اللقب أي مرَّاغة للرجال.

صـــوت

يـا أخـتَ نـاجِـيـةَ الـسـلامُ عـلـيـكُـم قـبـلَ الـفـراق وقـبـل لَـوْم الـعُـذّلِ[١]
لـو كـنـتُ أعـلـم أن آخـرَ عـهـدكـم يـوم الـفـراق فـعـلـتُ مـا لـم أفـعـل
[الكامل]

قال: فأدناه جريرٌ منه حتى أَلصق ركبتَه بركبته وجعله قريباً منه؛ ثم قال: أَجل! واللَّه إنك لأنفعُهم لي وأحسنُهم تزييناً لشعري، أَعِد؛ فأعاده عليه وجرير يبكي حتى اخضلَّت لِحْيته، ثم وَهب لأشعبَ دراهمَ كانت معه وكساهُ حُلَّةً من حُلَل الملوك. وكان يُرسِل إليه طولَ مُقامه بالمدينة فيغنِّيه أشعبُ ويُعطيه جريرٌ شعرَه فيغنّي فيه. قال: وكان أشعبُ من أحسنِ الناس صوتاً. قال حماد: والغناء الذي غنَّاه فيه أشعبُ لابن سُرَيج.

أخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثنا أَبو سَعيد السُّكَّريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: وذكر المغيرةُ بن حَجْناء قال: حدّثني أَبي عن أبيه عن جدّه يحيى بن أَعْيَن، وذكر ذلك هشامُ بن الكَلْبيّ قال: حدَّثني النَّهشَليّ من بني مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعِيّ بن سَلْمى بن جَندَل قال: حدّثني مِسحَل بن كُسَيب بن عِمران بن عَطاء بن الخَطَفى، وأمّه الرَّبْداءُ بنتُ جرير ـ وهذا الخبر وإِن كان فيه طولٌ مُحتَوٍ على سائر أخبار مَنْ ناقَض جريراً أو اعْتَنَّ[٢] بينه وبين الفرزدق وغيرِه، فذكرتُه هنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار: ـ

أنّ جريراً قدِم على الحَكَم بن أَيوب بن يحيى بن الحَكَم بن أبي عُقَيل، وهو خليفة للحَجَّاج يومئذٍ، فمدحه جرير فقال:

أَقـبـلـتُ مـن ثَـهْـلانَ أَو جَـنْـبَـيْ خِـيَـمْ عـلـى قِـلاصٍ مـثـلِ خِـيـطـانِ الـسَّـلَـمْ
[الرجز]

ـ ثَهْلانُ: جبلٌ كان لباهِلةَ ثم غلَبتْ عليه نُمَيْرٌ. وخِيَم: جبلٌ يُناوِحُه من طَرف الأقصى فيما بين رُكْنِه الأقصى وبين مَطلعِ الشمس، به ماء ونخل ـ.

قـد طُـوِيـتْ بـطـونُـهـا طَـيَّ الأدَمْ[٣] يَـبـحـثـنَ بـحـثـاً كـمُـضِـلَّاتِ الـخَـدَمْ[٤]
إِذا قَـطـعـنَ عَـلَـمـاً بَـدا عَـلَـمْ حـتـى تـنـاهَـيـنَ إلـى بـاب الـحَـكَـم

(١) العُذَّل: مفردها عُذَلَة وهو الذي يقبل الملامة.
(٢) اعتنَّ: آذى غريمه وتشدَّد. (٣) الأدم: الجلود.
(٤) الخَدَم: حلقة الحلقوم، أو الخلخال مفردها خَدَمة.

خـلـيـفـةِ الـحَـجَّـاجِ غـيـرِ الـمُـتَّـهَـمْ فـي مَـعـقِـدِ[١] الـعَـزّ وبُـؤْبُـوء الـكَـرَم
بـعـد انـفِـضـاجِ[٢] الـبُـدْنِ والـلـحـمُ زِيَـمْ[٣]

[الرجز]

فلما قدم عليه استنطقه فأعجبه ظَرْفُه وشعره؛ فكتَب إلى الحَجَّاج: إنه قدِم عليَّ أعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين. فكتب إليه أن ابعثْ به إليّ، ففعل. فقدم عليه فأكرمه الحجَّاج وكساه جُبَّة صَبَرِيَّةً وأنزله فمكث أَياماً. ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا: أَجِبِ الأمير؛ فقال: أَلبس ثيابي؛ فقالوا: لا! واللَّه لقد أمرَنَا أن نأتيه بك على الحال التي نجدُك عليها؛ ففزِع جرير وعليه قميصٌ غليظ ومُلاءة صَفْراء. فلما رأى ما به رجلٌ من الرُّسُلِ دنا منه وقال: لا بأسَ عليك، إنما دَعاك للحديث. قال جرير: فلما دخلتُ عليه قال: إيه يا عدوَّ اللَّه! عَلامَ تشتُم الناسَ وتظلِمُهم؟ فقلتُ: جعلني اللَّه فداءَ الأمير، واللَّه إني ما أظلِمهم ولكنَّهم يظلِموني فَأَنْتَصِر. ما لي ولابنِ أمّ غَسَّان! وما لي وللبَعيث! وما لي وللفرزدق! وما لي وللأخطل! وما لي وللتَّيمِيّ! حتى عَدّدهم واحداً واحداً. فقال الحجاج: ما أَدري ما لك ولهم! قال: أُخبِرُ الأميرَ أعزّه اللَّه: أمّا غسَّانُ بن ذُهَيل فإنه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عشيرتي وكان شاعراً. قال: فقال: لك ماذا؟ قال: قال لي:

لـعَـمـرِي لـئـن كـانـت بَـجـيـلـةُ زانَـهـا جَـريـرٌ[٤] لـقـد أَخـزى كُـلَـيـبـاً جَـريـرُهَـا
رمـيـتَ نِـضـالاً[٥] عـن كُـلَـيـبٍ فـقَـصَّـرتْ مَـرامِـيـكَ حـتـى عـاد صِـفْـراً جَـفـيـرُهـا[٦]
ولا يَـذبَـحـون الـشـاةَ إلا بـمَـيـسِـرٍ[٧] طـويـلٌ تَـنـاجِـيـهـا صِـغـارٌ قُـدُورُهـا[٨]

[الطويل]

قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

أَلا لـيـتَ شِـعـري عـن سَـلِـيـطٍ[٩] ألـم تَـجـدْ سَـلِـيـطٌ سِـوى غَـسَّـانَ جـاراً يُـجـيـرُهَـا
فـقـد ضـمَّـنـوا الأحـسـابَ صـاحـبَ سَـوْءَةٍ يُـنـاجِـي بـهـا نـفـسـا خـبـيـثـاً ضـمـيـرُهـا

(١) مَعقِد: موضع العقد. (٢) انفضاح: يقال انفضح بدن الناقة أي تخدَّد لحمها.
(٣) زيم: متفرق، مشتت.
(٤) جرير: قصد به جريراً البجلي من الكوفة.
(٥) النِّصال: مفردها النَّصل، حديدة السهم والرمح والسيف ما لم يكن له مقبض.
(٦) الجُفير: جعبة من الجلود لا خشب فيها.
(٧) الميسر: القمار. (٨) القدور: آنية يطبخ فيها. مفردها قِدْر.
(٩) السليط: الشديد، واللسان الطويل، والرجل الطويل اللّسان.

كأنّ سَليطاً في جَواشِنِها[١] الخُصى[٢] إذا حَلّ بين الأمْلَحَينِ[٣] وَقِيرُها[٤]
أَضِجُّوا الرَّوايا[٥] بالمَزادِ[٦] فإنّكم ستُكفَونَ رَكْضَ الخيلِ تَدمى نحورُها[٧]
كأنّ السَّلِيطِيَّاتِ مَجْناةُ[٨] كَمْأَةٍ لأوّلِ جانٍ بالعصا يَستثيرها[٩]
عَضارِيطُ[١٠] يَشوُون الفَراسِن[١١] بالضُّحى إذا ما السَّرايا[١٢] حَثّ رَكْضاً مُغِيرهَا[١٣]
فما في سَليطٍ فارسٌ ذو حَفيظةٍ ومَعقِلُها يومَ الهِياجِ جُعُورها[١٤]
عجِبتُ من الدّاعي جُحَيشاً[١٥] وصائداً[١٦] وعَيساءُ[١٧] يسعى بالعِلاب[١٨] نَفِيرُها[١٩]

[الطويل]

قال: ثم مَن؟ قال: البَيعث. قال: ما لك وله؟ قال: اعترض دونَ ابنِ أمّ غَسَّان يفضِّله عليّ ويُعينه. قال: فما قال لك؟ قال: قال لي:

كُلَيبٌ لئامُ الناسِ قد تَعْلمونه وأَنتَ إذا عُدَّتْ كُلَيبٌ لئيمُهَا
أَترجو كُلَيبٌ أن يجيء حديثُها بخيرٍ وقد أَعيا كُلَيباً قديمُها

[الطويل]

---

(١) الجواشن: مفردها جوشن، هو الصدر.
(٢) الخصى: هي عظام الصدر وما يختص به.
(٣) الأملحان: الماءان (هي لغة لا تُنكر وإن كانت قليلة).
(٤) الوقير: الغنم فوق الاثنين وبينهما حمير ولو حمار واحد، ولا تسعى وقيراً إلا إذا كان بين الغنم حمير.
(٥) أضجّوا: ألحُّوا.
(٦) الرَوَايا: الإبل التي تستعمل للري والسقاية.
(٧) المِزَاد: جمع مِزادة، وهي القربة التي تستخدم للري.
(٨) النّحور: مفردها نحر، ما بين الحلقوم إلى الصدر.
(٩) مجناة: مِحْصَدَة.
(١٠) عضاريط: مفردها عضروط، العروق التي في الإبل بين اللحمتين، وتطلق على الأتباع.
(١١) الفراسن: مفردها فرسن، وهو حافر الدَّابة.
(١٢) السرايا: مفردها سرية، قطع من الجيش سميت كذلك لأنها تسري خفية.
(١٣) المغير: السريع في المشي، الشديد في القتال.
(١٤) الجعور: مفردها جعر، وهي ما يبس من العذرة في الدبر.
(١٥) جحيش: مستبد برأيه لا يشاور الناس ولا يخالطهم وهنا يريد جحيش بن زبيد.
(١٦) صائد: مؤذي.
(١٧) عيساء: الأنثى من الجراد. وأراد بها جدَّة غسان بن ذهيل.
(١٨) العِلاب: قدح من جلود الإبل أو من الخشب يحلب فيها.
(١٩) نفيرها: النفير هم القوم الذين يتنافرون في القتال، أو الجماعة الذين يتقدمون في الأمر.

قال: فما قلت له؟ قال: قلت:

ألـم تـرَ أنّـي قـد رمـيـتُ ابـنَ فَـرْتـنـى[١] بـصـمّـاءَ[٢] لا يـرجـو الـحـيـاةَ امِـيـمُـهَـا[٣]
لـــه أُمّ سَـــوْءٍ بـــئـــس مـــا قَـــدَّمـــتْ لـــه إذا فَـرَطُ[٤] الأحـسـابِ عُـدّ قـدِيـمُـهـا

[الطويل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: الفرزدقُ. قال: وما لك له؟ قلتُ: أعان البعيثَ عليّ. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

تـمـنَّـى رجـالٌ مـن تَـمـيـم لـيَ الـرَّدى وما ذادَ[٥] عـن أحـسـابِـهـم ذائـدٌ مِـثـلِـي
كـأنَّـهـمُ لا يـعـلـمـون مَـواطـنـي وقد جرَّبوا أني أَنا السابقُ المُبلي[٦]
فـلـو شـاء قـومـي كـان حِـلـمـي فـيـهـمُ وكـان عـلـى جُـهَّـالِ أَعـدائـهـم جَـهْـلـي
وقـد زعَـمـوا أنّ الـفـرزدقَ حَـيَّـةٌ وما قَـتَـل الـحـيَّـاتِ مـن أحـدٍ قَـبـلـي

[الطويل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: الأخطل. قال: ما لك وله؟ قلتُ: رَشاه محمد بن عُمَير بن عُطارِد زِقّاً من خمر وكَساه حُلَّةً على أَن يفضِّل عليّ الفرزدق ويَهجوني. قال: فما قال لك؟ قال: قال:

إخْـسَـأْ إلـيـكَ كُـلَـيـبُ إنّ مُـجـاشِـعـاً وأَبـا الـفـوارس نَـهـشَـلاً أخـوانِ
وإذا ورَدْتَ الـمـاءَ كـان الـدارِم جُـمَّـاتُـه[٧] وسُـهـولـةُ الأعـطـان[٨]
وإذا قَـذَفْـتَ أَبـاك فـي مـيـزانِـهـم رجَـحُـوا وشَـالَ[٩] أُبـوك فـي الـمـيـزان

[الكامل]

قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

يـا ذا الـعَـبـاءةِ إنّ بِـشـراً قـد قـضـى ألّا تَـجـوزَ حـكـومـةُ الـنَّـشـوانِ[١٠]

---

(١) فرتنى: الأمة، المرأة الزانية.
(٢) الصمَّاء: النَّاقة السمينة.
(٣) الأميم: الذي شُجَّ في أمّ (مقدمة) رأسه.
(٤) فرط: سَبَق وتقدَّم.
(٥) ذاد: دافع.
(٦) المبلي: الباذل روحه في سبيل تحقيق الهدف المنشود.
(٧) الجمة: المكان الذي تتجمَّع فيه الماء (مستنقع الماء).
(٨) الأعطان: جمع عطن، هو المكان التي تنيخ فيه الإبل.
(٩) شال: شالت الناقة إذا نقص لبنها والتصق بطنها بظهرها، وقصد لا قيمة له.
(١٠) النشوان: السكران.

فدَعُوا الحكومةَ لَستُمُ من أَهلِها إنّ الحكومةَ في بني شَيبان
قَتلوا كُلَيْبَكُمُ بِلقحةِ[١] جارِهم يا خُزْرَ تَغلِبَ لستُمُ بهِجان[٢]
[الكامل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: عمر بن لَجَأ التَّيميّ، قال: ما لك وله؟ قال: قلت بيتاً من شعر فقبَّحه وقاله على غيرِ ما قلتُه؛ قلت:

لَقَوْمِيَ أَحْمى للحقيقة منكمُ وأَضرَبُ للجَبَّار وَالنَّقْعُ ساطِعُ
وأوثقُ عند المُرهَفاتِ[٣] عشيَّةً لَحاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامع
[الطويل]

فزعم أنّي قلتُ:

وأَوثَقُ عند المُردَفات عشيَّةً لَحاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامعُ
[الطويل]

فقال: لحِقتُهنّ عند العَشيّ وقد أُخِذنَ غُدوةً، واللَّه ما يُمسِينَ حتى يُفضَحنَ. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلت:

يا تَيمُ تَيمَ عَدِيّ لا أبا لكم لا يُوقِعنَّكمُ في سَوءةٍ عُمَرُ
خَلِّ الطريقَ لمن يَبني المنارَ به وَابرُزْ ببرَزةَ حيثُ اضطرَّك القَدَر
[البسيط]

حتى أَتى على الشعر. قال: ثم مَن؟ قلتُ: سُراقةُ بن مِرادس البارِقيّ. قال: ما لك وله؟ قال: قلت: لا شيء، حَمله بِشر بن مَروان وأكرهه على هجائي، ثم بَعث إليّ رسولاً وأمرني أن أُجيبَه. قال: فما قال لك؟ قال: قال:

إنّ الفَرزدق بَرَّزتْ أعراقُه عَفواً وغُودِر في الغُبار جريرُ
ما كنتَ أولَ مِحمَرٍ[٤] قعدتْ به مَسعاتُه إنّ اللئيم عَثور[٥]
هذا قضاءُ البارِقيّ وإنه بالمَيْل في ميزانكم لبَصير
[الكامل]

---

(١) اللقحة: الناقة التي تقبل اللقوح.
(٢) هجان: الأبيض والبيضاء من الإبل.
(٣) المرهفات: خامصات البطن، متقاربات الضلوع.
(٤) مِحمَر: الذي لا يعطي إلا على الكد، اللئيم.
(٥) عثور: هو الذي تتعثر به راحلته فيسقط.

قال: فما قلت له؟ قال: قلت:

يـا بِـشـرُ حَـقَّ لـوجـهـك الـتـبـشـيـرُ هَـلَّا غَـضِـبـتَ لـنـا وأَنـت أَمـيـرُ
بِـشـرٌ أَبـو مَـروانَ إِن عـاسَـرْتَـه عَـسِـرٌ وعـنـد يَـسـاره مَـيـسـور
إِنّ الـكـريـمـةَ يـنـصُـر الـكـرمَ ابـنُـهـا وابـنُ الـلـئـيـمـةِ لـلـئـام نَـصُـور
قـد كـان حـقُّـك أن تـقـول لـبـارقٍ يـا آلَ بـارقَ فِـيـمَ سُـبَّ جَـرِيـر
وكـسَـحْـتَ بـاسـتِـك لـلـفَـخَـار وبـارِقٌ شَـيـخـانِ أَعـمـى مُـقـعَـدُ وكَـسـيـر

[الكامل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: البَلْتَع وهو المُستنيرُ بن سَبرَة العَنبريّ. قال: ما لكَ وله؟ قلتُ: أعان عليّ ابن لَجَأ. قال: فما قال لك؟ قلت: قال:

إِنَّ الـتـي رَبَّـتـكَ لـمـا طُـلِّـقـتْ قَـعـدتْ عـلـى جَـحْـشِ الـمَـراغـةِ[1] تَـمـرَغُ
أَتَـعِـيـبُ مَـن رضـيـتْ قـريـشٌ صِـهـرَه وأبـوك عـبـدٌ بـالـخَـوَرنَـقِ[2] أَذلَـغ[3]

[الكامل]

قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

فـمـا مـسـتـنـيـرُ الـخُـبـثِ إِلا فَـراشـةٌ هَـوَت بـيـن مُـؤتَـج[4] الـحَـريـقَـيـن سـاطِـعِ
نـهـيـتُ بـنـاتِ الـمـسـتـنـيـرِ عـن الـرُّقـى وعـن مـشـيـهـنّ الـلـيـلَ بـيـن الـمَـزارع

[الطويل]

ويروى:

. . . . بـيـن مـؤتـجٍّ مـن الـنـار سـاطـع

قال: ثم مَن؟ قلتُ: راعِي الإِبل. قال: ما لكَ وله؟ قلتُ: قدِمْتُ البصرةَ وكان بلغني أنه قال لي:

يـا صـاحـبـيَّ دنـا الـرَّواحُ فـسِـيـرَا غَـلَـب الـفـرزدقُ فـي الـهـجـاء جَـريـرَا

[الكامل]

وقال أيضاً:

---

(١) المراغة: الأتان التي لا تمتنع عن الفحول وقد لقب الأخطل أم جرير بهذا اللقب.
(٢) خورنق: كفدوكس، قصر النعمان الأكبر معرَّب خورنكاه، موضع للأكل ونهر بالكوفة.
(٣) أذلغ: الغليظ الشفتين، والمنسوب إلى بني عامر أيضاً فهم يوصفون بالنكاح.
(٤) مؤتج: قُرب اللّوى.

رأيتُ الجَحش جحشَ بني كُليبٍ تَيَمَّم حوضَ دِجلةَ ثم هابَا
[الوافر]

فقلت: يا أَبا جَندل، إنك شيخُ مُضَرَ وشاعرُها، وقد بلغني أنك تُفضِّل عليّ الفرزدقَ، وأنت يُسمع قولُك، وهو ابنُ عمِّي دونك؛ فإن كان لا بدّ من تفضيلٍ فأنا أحقُّ به لمدحي قومَك وذكرِي إيَّاهم. قال: وابنه جَندَلق على فرسٍ له، فأقبل يسيرُ بفرسه حتى ضرب عَجُزَ دابّتي وأنا قائم فكاد يقطَع أصبعَ رِجلي وقال: لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كُليب؛ فمضى، وناديته: أنا ابن يربُوع! إنَّ أهلَك بعثوك مائراً[1] من هَبُّود[2] وبئس المائرُ، وإنما بعثني أهلي لأقعدَ على قارِعة هذا المِرْبَدِ فلا يَسُبُّهم أحدٌ إلا سبَبتُه، وإنّ عليّ نذراً إن جعلتُ في عيني غُمْضاً حتى أُخزِيَك. قال: فما أصبحتُ حتى هجوتُه فقلت:

فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابَا
[الوافر]

قال: فَغَدَوْتُ عليه من الغَدِ فأخذتُ بعنانه، فما فارقتُه حتى أنشدتُه إيَّاها. فلما مررتُ على قولي:

أَجندَلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ إذا ما الأَيرُ في استِ أَبيك غابَا
[الوافر]

قال: فأرسَل يَدِي وقال: يقولون واللَّه شرّاً.

قال: ثم مَن؟ قلتُ: العباس بن يزيدَ الكِنديّ قال: ما لك وله؟ قال لمَّا قلتُ:

إذا غَضِبتْ عليكَ بنو تَميم حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابَا
[الوافر]

قال:

أَلا رَغِمَتْ أُنوفُ بني تَميمٍ فُساةِ التمرِ إن كانوا غضابَا
لقد غضِبتْ عليك بنو تميمٍ فما نَكَأَتْ بغَضبتِها ذُبابا
لو اطَّلع الغرابُ على تَميمٍ وما فيها من السَّوءات شابا
[الوافر]

قال: فتركتُه خمسَ سنينَ لا أهجوه، ثم قدِمتُ الكوفةَ فأتيتُ مجلسَ كنْدةَ،

(١) مائر: جالب الميرة، أي جالب الطعام من بلد لآخر.
(٢) هبّود: اسم موضع ببلاد بني نمير.

فطلبتُ إليهم أَن يكفُّوه عنّي؛ فقالوا: ما نَكُفُّه وإِنه لشاعرٌ وأَوعدوني؛ فقلت:

أَلَا أَبـلِـغ بـنـي حُـجْـرِ بـن وَهْـبٍ بـأنّ الـتـمـرَ حُـلْـوٌ فـي الـشـتـاءِ
فَـعـودوا لـلـنَّـخـيـل فـأبِّـرُوهـا[١] وعِـيـثـوا بـالـمُـشَـقَّـر فـالـصَّـفـاءِ

[الوافر]

قال: فمكثتُ قليلاً، ثم بعثوا إِليّ راكباً فأخبروني بمثالِبه وجِوارِه في طَيِّئٍ حيث جاور عَتَّاباً، وحَبَّل أختَه هُضَيبةَ حيث حَبِلتْ. قال: فقلتَ ماذا؟ قال: قلتُ:

إِذا جـهِـل الـشَّـقِـيُّ ولـم يُـقـدِّرْ لـبـعـضِ الأمـرِ أَوشـكَ أن يـصـابَـا
أَعـبْـداً حَـلَّ فـي شُـعَـبـى غـريـبـاً أَلُـؤمـاً لا أَبـا لـكَ واغـتـرابـا
فـمـا خَـفِـيـتْ هُـضـيـبـة حـيـنَ جُـرَّتْ ولا إِطـعـامُ سَـخـلَـتِـهـا[٢] الـكِـلابـا
تُـخـرِّقُ بـالـمَـشـاقِـصِ[٣] حـالِـبَـيـهـا وقـد بَـلَّـتْ مَـشـيـمَـتُـهـا الـتـرابـا
فـقـد حـمَـلـتْ ثـمـانـيـةً وأَوْفـتْ بـتـاسـعِـهـا وتَـحـسَـبُـهـا كـعَـابـا[٤]

[الوافر]

قال: ثم من؟ قلت: جَفْنة الهِزّانِيّ بن جعفر بن عَبايةَ بن شَكْس من عَنزة. قال: وما لك وله؟ قال: أَقبلَ سائلاً حتى أَتاني وأَنا أمدُر[٥] حوضاً لي، فقال: يا جَرير، قُمْ إِليّ هاهنا؛ قلت: نعم. ثم أتيتُه فقلتُ: ما حاجتُك؟ قال: مدحتُك فاستمعْ منّي. قلتُ: أَنشِدني فأَنشد؛ فقلتُ: قد واللَّهِ أحسنتَ وأجملتَ؛ فما حاجتُك؟ قال: تَكسوني الحُلَّةَ التي كَساكَها الوليدُ بن عبد الملك العامَ. فقلت: إِنّي لم أَقِف فيها بالموسم، ولا بدَّ من أَن أَقفَ فيها العامَ، ولكنّي أَكسوك حلَّة خيراً منها كان كَسَانيها الوليدُ عاماً أَولَ. فقال: ما أَقبلُ غيرَها بعينها. فقلت: بَلى، فاقبل وأَزيدُك معها دنانيرَ نفقةً. فقال: ما أَفعل؛ ومضى فأتى المَرَّارَ بنَ مُنقِذ أَحَدَ بني العَدَويَّةِ، فحمَله على ناقةٍ له يقال لها القَصواءُ. فقال جَفنة:

لَـعَـمـرُك لَـلْـمَـرَّارُ يـومَ لَـقِـيـتُـهُ عـلـى الـشَّـحـطِ[٦] خـيـرٌ مـن جـريـرٍ وأَكـرمُ

[الطويل]

---

(١) أَبَّر: أصلحه وقام عليه.
(٢) السخلة: ولد الشاة ذكراً كان أو أنثى جمعها سَخْلٌ وسِخَالٌ.
(٣) المشاقص: مفردها مِشْقَص. وهو السهم أو النصل العريض والطويل يرمى به الوحش.
(٤) كعابا: المرأة الكاعب التي برز نهداها بشكل واضح.
(٥) مَدَرَ: قام بسَدِّ خصائص حجارته بقطع طين يابسة.
(٦) الشحط: زرق الطائر، والاضطراب في الدم.

قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

لقد بَعثتْ هِزّانُ جَفنةَ مائراً ... فآبَ وأَحذى[١] قومَه شَرَّ مَغنَمِ
فيا راكبَ القَصواءِ ما أَنت قائلٌ ... لِهزَّانَ إذا أَسلَمتَها شَرَّ مسلَمِ
أَظنُّ عِجان[٢] التَّيس هِزَّانَ طالباً ... عُلالة[٣] سَبَّاقِ الأَضاميم[٤] مِرجَم[٥]
كأنّ بني هِزَّانَ حينَ رَدَيتُهم ... وِبارق[٦] تَضاغَتْ[٧] تحتَ غارٍ مهدَّم
بَني عَبدِ عمرٍو قد فَرَغتُ إليكمُ ... وقد طال زَجري لو نَهاكُمْ تقدُّمي
ورَصعاءَ[٨] هِزَّانِيَّةٍ[٩] قد تَحفَّشت[١٠] ... على مِثلِ حِرْباءِ الفَلاة المعمَّم

[الطويل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: المَرَّارُ بن مُنقِذ. قال: ما لكَ وله؟ قلتُ: أعان عليّ الفرزدقَ. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

بَني مُنقِذٍ لا صُلحَ حتى تَضُمُّكم ... من الحربِ صَمَّاءُ القَناةِ زَبونُ
وحتى تَذُوقوا كأسَ مَن كان قبلَكم ... ويَسلَحَ منكم في الجِبال قَرين
فإن كنتم كَلْبَى[١١] فعندي شفاؤكم ... وللجنِّ إن كان اعتراكَ جنونُ

[الطويل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: حَكيم بن مُعَيَّةَ من بني ربيعة بن مالك بن زيد مَناةَ بن تَميم. قال: وما لك وله؟ قلتُ: بلغني أنه أعان عليّ غَسَّاناً السَّليطيّ. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

إذا طلَع الرُّكبانُ نَجداً وغَوَّروا ... بها فأرجُز يا بَنيْ مُعيَّةَ أَو دَعَا
أَتسمَنُ أستاهُ المَجَرِّ[١٢] وقد رأوْا ... مَجرّاً بوَعْساوَيْ رُماحَ[١٣] مصرَّعا

---

(١) أحذى: أعطى مما أصاب من دون مقابل.
(٢) عِجَان: القفا، الدبر.
(٣) غلالة: تتابع السير أو تتابع الجري.
(٤) الأضاميم: جماعات الخيل.
(٥) مرجم: شديد.
(٦) وبار: هي دابة صغيرة جداً، طحلاء اللون لا ذنب لها تتواجد كثيراً في الدور.
(٧) تضاغت: أصدرت صوتاً كأنه النحيب والبكاء.
(٨) الرصعاء: المرأة التي لا إسكتان لها، أو لا عجيزة لها.
(٩) هزانية: أصلها من الجوهر.
(١٠) تحفَّشت: تقال للمرأة إذا أقامت على زوجها ولزمته وأكبَّت عليه بشدّة.
(١١) كلبى: أصابهم داء الكَلَب.
(١٢) المجر: قوم من بني ربيعة إحدى قبائل العرب.
(١٣) رماح: مكان بالدهناء.

ألا إنّـمـا كـانـت غَـضـوب[١] مُـحـامـيـاً غَداةَ اللِّوى لـم تَدفَع الضِّيمَ[٢] مدفَعا

[الطويل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: ثَور بن الأشهب بن رُمَيلة النَّهشَليّ. قال: وما لكَ وله؟ قلتُ: أعان عليّ الفرزدق. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

سيَـخـزى إذا ضَـنَّـتْ حَـلائـبُ مـالـكٍ ثُـوَيـرٌ ويَـخـزى عـاصِـمٌ وجـمـيـعُ
وقَـبـلـك مـا أَعـيـا الـرُّمـاةَ إذا رَمَـوْا صَـفـاً لـيـس فـي قـاراتـهـن[٣] صُـدوع[٤]

[الطويل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: الدَّلَهمَسُ أَحدُ بني رَبيعةَ بنِ مالك بن زيد مَناة. قال: ما لكَ وله؟ قلتُ: أَعان عليّ الفرزدقَ. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

لـقـد نَـفَـخَـت مـنـكَ الـوَريـدَيـنِ عِـلـجَـةٌ[٥] خَـبـيـثـةُ رِيـح الـمَـنـكِـبـيـنِ[٦] قَـبـوعُ[٧]
ولـو أَنـجَـبـتْ أُمُّ الـدَّلَـمَـسِ لـم يَـعِـبْ فَـوارِسَـنـا لاعـاش وهـو جـمـيـعُ
أَلـيـس ابـنُ حَـمـراءِ الـعِـجـانِ كـأَنَّـمـا ثـلاثـةُ غِـربـانٍ عـلـيـه وُقـوعُ
فـلا تُـدنِـيـا رَحْـلَ الـدَّلَـهـمَـسِ إنـه بَـصـيـرٌ بـمـا يـأتـي الـلـئـامُ سَـمـيـعُ
هـو الـنَّـخـبـةُ[٨] الـخَـوَّار[٩] مـا دونَ قـلـبِـه حِـجـابٌ ولا حـولَ الـحـجـابِ ضُـلـوعُ

[الطويل]

قال: ثم مررتُ على مجلس لهم فاعتذرتُ إليهم فلم يقبلوا عذري، وأنشدوني شعراً لم يُخبروني من قاله:

غـضِـبـتَ عـلـيـنـا أَن عَـلاكَ ابـنُ غـالـبٍ فـهَـلَّا عـلـى جَـدّيـكَ فـي ذاكَ تـغـضَـبُ
هُـمـا إذ عَـلا بـالـمـرءِ مَـسـعـاةُ قـومِـه أَنـاخَـا فـشَـدّاكَ الـعِـقـالُ الـمـؤرَّبُ[١٠]

[الطويل]

---

(١) غضوب: الحية الخبيثة، والعبوس من النساء والنوق وقصد بها امرأة من بني المجر شاعرة.
(٢) الضيم: الظلم جمعها ضُيوم.
(٣) عِلجة: مفردها عِلج، الرجل الضخم من كفار العجم، والعرب يطلقون العلج على الكافر مطلقاً.
(٤) المنكبين: الكتفين.
(٥) قبوع: قبع القِربة: ثنى فمها إلى داخلٍ فشرب منها فهي قبوع.
(٦) النخبة: الجبان، الضعيف الذي لا خير فيه.
(٧) الخوَّار: الضعيف.
(٨) المؤرَّب: المُداهي.
(٩) خباء: سمة في موضع خفي من الناقة النجيبة.
(١٠) قفر: الخلاء من الأرض.

قال: فعلمتُ أنه شِعر قَبْضة الكلب. قال: فجمعتُهم في شعري فقلت:

وأكثرُ ما كانت رَبيعةُ أنها ... خِباءانِ[1] شَتَّى لا أَنِيسٌ ولا قَفَرُ[2]
مُحالِفُهم فَقْرٌ شديدٌ وذِلَّةٌ ... وبئس الحَليفانِ المَذَلَّةُ والفَقر
فصَبراً على ذُلِّ رَبيعَ بنَ مالكٍ ... وكلُّ ذليلٍ خيرُ عادِته الصبر

[الطويل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: هُبيرَةُ بن الصَّلْتِ الرَّبَعيّ من ربيعةَ بن مالكٍ أَيضاً، كان يَروي شعرَ الفرزدق. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

يَمشي هُبَيرةُ بعد مَقتَل شَيخِه ... مَشي المُراسِل أُوذِنَتْ بطَلاقِ
ماذا أردتَ إِليص حين تحرَّقتْ ... نارِي وشُمِّر مِئزَري عن ساقي
إنّ القِرافَ بمَنخَرَيكَ لَبيِّنٌ ... وسواد وجهِك يا ابنَ أمِّ عِفاق
سِيرُوا فرُبَّ مُسبِّحينَ وقائلٍ ... هذا شَقاً لبني ربيعةً باقي
أَبني ربيعةَ قد أَخَسُّ بحظِّكُمْ ... لؤمُ الجُدودِ ودِقَّة الأخلاق

[الكامل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: عِلْقَةُ والسَّرَندي من بني الرِّبابِ كانا يُعِنان ابنَ لَجَأ. قال: فما قلتَ لهما؟ قال: قلتُ:

عَضَّ السَّرَندي على تَثليم[3] ناجِذه[4] ... من أمّ عِلقَّةَ بَظْراً غَمّهْ الشَّعَرُ
وعَضّ عِلقَّةُ لا يَأْلُوا بعُرعُرَةٍ[5] ... من بَظْرِ أُمّ السَّرَندي وهو منتصِرُ

[البسيط]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: الطُّهَويّ، كان يَروي شعر الفرزدق. قال: ما قلتَ له؟ قال: قلتُ:

أَتَنسَونَ وَهْباً يا بَني زَبَدِ استِها ... وقد كنتمُ جيرانَ وَهب بنِ أَبجرَا

---

(١) المراسل: المرأة التي فارقها زوجها، أو أسنَّت ومات عنها زوجها، أو أحسَّت منه الطلاق فهي تتزين لرجل آخر وتراسله.
(٢) القِراف: مفردها قِرفة، وهي المخاط الذي يبس بالأنف ولزق به.
(٣) تثليم: تكسير، يقال ثلم أنف فلان أي كُسِر أنفه.
(٤) ناجذ: جمعها نواجذ، وهي أقصى الأضراس.
(٥) عُرعُرة: رأس كل شيء وأعلى ما فيه.

فـمـا تَـتَّـقـون الـشـرَّ حـتـى يُـصـيـبَـكـم ولا تَـــعـــرِفِـــون الأمـــر إلا تـــدبُّـــرا
ألا رُبَّ أَعـشـى ظـالـمٍ مـخـتـمِّـطٍ[١] جـعـلـتُ لـعـيـنـيـه جِـلاءً[٢] فـأَبـصـرا

[الطويل]

قال: ثم مَن؟ قلتُ: عُقْبة بن السُّنَيع الطُّهَويّ وكان نذَر دَمي. قال: فما قلتَ له؟ قال: قلت:

يـا عُـقـب يـا ابـنَ سُـنَـيـع لـيـس عـنـدكُـم مَـأوى الـرِّفـاقِ ولا ذو الـرايـةِ الـغـادِي
يـا عُـقـب يـا ابـنَ سُـنَـيـعٍ بـعـضَ قـولِـكُـم إِن الـوِثـابَ لـكـم عـنـدي بـمِـرصـاد
مـا ظَـنُّـكـم بـبَـنـي مَـيْـثَـاءَ إِن فَـزِعِـوا لـيـلاً وشَـدّ عـلـيـهـم حَـيَّـةُ الـوادي
يَـغـدو عـلـيّ أَبـو لـيـلـى لـيـقـتـلَـنـي جَـهـلاً عـلـيّ ولـم يَـثـأر بـشـدّاد!
إِرْوُوا عـلـيّ وأرضُـوا بـي صـديـقَـكُـم واسـتـسـمِـعـوا يـا بَـنـي مَـيـثـاءَ إِنـشـادي

[البسيط]

مَيثاءُ هي بنت زُهَير بن شَدَّاد الطُّهَويّ وهي أم عَوْف بن أَبي سُود بن مالك بن حَنظلة.

وقال أيضاً لبني مَيثاء:

نُـبِّـئـتُ عُـقـبـةَ خَـصَّـافـاً[٣] تَـوَعَّـدَنـي يـا رُبَّ آدَرَ[٤] مـن مَـيـثـاءَ مَـأْفُـونِ[٥]
لَـوفـي طُـهَـيَّـةَ أَحـلامٌ لـمـا اعـتـرضـوا دون الـذي كـنـتُ أَرمِـيـه ويَـرمِـيـنـي

[البسيط]

قال: ثم مَن؟ قلت: سُحمةُ الأعورُ النَّبهانِيّ، كانت له امرأَة من طَيِّئ وُلِدت في بَني سَلِيط فأعطَوه وحَمَلوه عليّ. فسألني فاشتَطَّ[٦]، ولم يكن عندي فحرَمْتُه، فقال:

أَقـول لأصـحـابـي الـنَّـجـاءَ فـإِنـه كَـفـى الـذَّم أَن يـأتـي الـضـيـوفَ جَـريـرُ
جَـريـرُ ابـنَ ذاتِ الـبَـظـرِ هـل أَنـت زائـلٌ لِـقـدْرِك دون الـنـازلـيـن سُـتـور
وهـل يُـكـرِم الأضـيـافَ كـلـبٌ لـكـلـبةٍ لـهـا عـنـد أَطـنـابِ الـبـيـوت هَـرِيـر

(١) متخمّط: القهار الغلَّاب، الشديد الغضب له جلبة من شدَّة غضبه.
(٢) جِلاء: الكحل.
(٣) خصَّاف: كذاب، شديد الكذب. (٤) آدر: صفة للمصاب بمرض في خصيتيه.
(٥) مأفون: القليل الرأي والعقل، والممدوح بما ليس عنده.
(٦) اشتَّط: إلتهب غضباً، تعني غضِبَ غضباً شديداً.

فلو عندَ غَسَّانَ السَّليطيّ غَرَّسَتْ رَغا[١] قَرَنٌ[٢] منها كاسَ عَقير[٣]
فَتًى هو خيرٌ منكَ نفساً ووالداً عليكَ إذا كان الجِوار يُجِير
[الطويل]

فقال جرير:

وَجَدْنا بَني نَبهانَ أَذنابَ طيِّئ ولِلناسِ أذنابٌ تُرى وصُدورُ
تَغنّى ابنُ نَبهانِيَّةٍ طال بَظرُها وباعُ ابنِها عند الهِياج قَصير
وأَعورَ من نَبهانَ أمَّا نَهارُه فأَعمى وأَمّا ليلُه فبَصِير
ستأتي بَني نَبهانَ منّي قصائدٌ تَطالَعُ من سَلمى وهنّ وُعُور[٤]
تَرى قَزَمَ[٥] المِعزى مُهورَ نسائهم وفي قَزَمِ المِعزى لهنّ مُهور
[الطويل]

قال: وطلع الصبحُ فنهض ونهَضتُ. قال: فأخبرني من كان قاعداً معه أَنه قال: قاتله اللَّه أعرابيّاً! إنه لجِرْوُ هِراش.

قصته مع الراعي وابنه جندل:

أَخبرني عليّ بن سليمان قال: حدّثنا أَبو سَعيد السُّكَّريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال: وذكر المُغِيرة بن حَجناء قال: حدّثني أَبي عن أَبيه قال:

كان راعي الإِبل يَقضي للفرزدق على جرير ويفضِّله، وكان راعي الإِبل قد ضخم أمرُه وكان من شعراء الناس. فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال؛ هَلَّا تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومَه وأَنا أمدحهم! قال جرير: فضرَبتُ رأيي فيه. ثم خرج جرير ذاتَ يوم يمشي ولم يركب دابّتَه، وقال: واللَّهِ ما يسرُّني أن يعلم أَحد. وكان لراعي الإِبلِ والفرزدقِ وجلسائهما حَلقةٌ بأعلى المِرْبَد بالبصرة يجلسون فيها. قال: فخرجتُ أتعرّضُ له لألقاه من حِيالٍ حيثُ كنت أَراه يمرّ إذا انصرف من مجلسه، وما يسرُّني أَن يعلم أَحد، حتى إذا هو قد مَرّ على بغلةٍ له وابنُه جَندَلُ يَسير وراءه على مُهرٍ له

(١) رغاء: يقال رغت الناقة أي صوتت وضجَّت رغا صوَّت.
(٢) قَرَن: أي جمع بين اثنين من الإبل، فهما مقرونان.
(٣) عقير: المعقور، الإبل التي لا تلد.
(٤) وعور: مفردها وعر، فيها من الخشونة والغلظة.
(٥) قزم: الدناءة، والقماءة، وهي صغر الأخلاق في الناس.

أَحوى[١] محذوفِ[٢] الذَّنَبِ وإِنسانٌ يمشي معه يسأله عن بعض السبب، فلما استقبلتُه قلتُ: مَرحباً بك يا أَبا جَندل! وضربتُ بشِمالي على معرفة بغلتِه، ثم قلت: يا أَبا جَندل! إِن قولَك يُستمع وإِنك تُفضِّل الفرزدقَ عليّ تفضيلاً قبيحاً وأنا أَمدح قومَك وهو يهجوهم وهو ابن عمي، ويَكفيكَ من ذاك هيّنٌ: إِذا ذُكِرنا أن تقول كِلاهما شاعرٌ كريم، ولا تحتملُ مني ولا منه لائمةً. قال: فبَينا أنا وهو كذاكَ واقفاً عليّ وما رَدّ عليّ بذلك شيئاً حتى لَحِق ابنُه جَندلٌ، فرفَع كَرمانيَّةً معه فضرَب بها عَجُزَ بغلتِه ثم قال: لا أَراك واقفاً على كلبٍ من بني كُلَيب كأنك تَخشى منه شَرّاً أو ترجو منه خيراً! وضرَب البغلةَ ضربةً، فَرَمَحتني رَمحةً وقعتْ منها قَلَنسُوتي، فواللَّه لا يعرِّج عليّ الراعي لقلتُ سَفيهٌ غَوى ـ يَعني جَندلاً ابنَه ـ ولكن لا واللَّهِ ما عاج عليّ، فأخذتُ قَلَنسُوَتي فمسحتُها ثم أَعَدتُها على رأسي ثم قلتُ:

أَجَـنـدلُ مـا تـقـول بـنـو نُـمَـيـرٍ إِذا مـا الأيـر فـي اسـتِ أبـيـك غـابَـا

[الوافر]

فسمعتُ الراعيَ قال لابنه: أَما واللَّهِ لقد طرحتَ قَلَنسُوَتَه طَرْحةً مشؤومة. قال جريرٌ: ولا واللَّهِ ما القلنسوةُ بأَغيظِ أمرِه إليّ لو كان عاجَ عليّ. فانصرف جرير غضبانَ حتى إِذا صلَّى العِشاءَ بمنزله في عِلِّيَّةٍ له قال: ارفَعوا إِليّ باطِيَة[٣] من نبيذ وأَسرجِوا لي، فأَسرَجوا له وأَتَوه بباطِيةٍ من نبيذ. قال: فجعل يُهَمهِم؛ فسمعتْ صوتَه عجوزٌ في الدار فاطلَعَتْ في الدَّرَجَةِ حتى نظرتْ إليه، فإِذا هو يَحبو على الفراش عُرياناً لما هو فيه، فانحدرتْ فقالت: ضيفُكم مجنون! رأيت منه كذا وكذا! فقالوا لها: اذهبي لِطيَّتِك[٤]، نحن أعلم به وبما يُمارِس. فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ، ثم إِذا هو يكبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُمير. فلما ختمها بقوله:

فـغُـضَّ الـطَّـرْفَ إِنّـكَ مـن نُـمـيـرٍ فـلا كَـعـبـاً بـلـغـتَ ولا كِـلابَـا

[الوافر]

كَبَّر ثم قال: أَخزيتُه وربِّ الكَعبة، ثم أَصبح، حتى إِذا عرَف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبَد، وكان يعرِف مجلسَه ومجلسَ الفرزدق، دعا بدُهنٍ فادَّهَنَ

(١) أحوى: شديد الخضرة المائل إلى السواد.
(٢) محذوف: الشيء المقطوع عن طرفه، يقال حذف ذنب فرسه إذا قطعه.
(٣) باطية: كلمة معرَّبَة تعني الزجاجة.
(٤) الطِيَّة: الساعة من الليل، أو المكان الذي تطوي فيه فراشها.

وكَفّ رأسَه، وكان حسنَ الشَّعر، ثم قال: يا غلام، أَسرِجْ لي، فأَسرَجَ له حِصاناً، ثم قصد مجلسَهم؛ حتى إذا كان بموضِع السلام قال: يا غلامُ ـ ولم يسلِّم ـ قل لعَبيدٍ: أبعَثك نِسوَتُك تَكسِبُهنّ المالَ بالعراق! أما والذي نفسُ جريرٍ بيده لتَرْجِعنّ إليهنّ بمَيرٍ يَسوءهن ولا يَسرّهنّ! ثم اندفع فيها فأنشدها. قال: فنكَس الفرزدقُ وراعي الإبل وأَرَمّ[١] القومُ، حتى إذا فرَغ منها سار، وثبَت راعي الإبل ساعةً ثم ركب بغلَته بشَرٍّ وعُرٍّ وخَلَّى المجلسَ حتى ترَقى إلى منزله الذي ينزله، ثم قال لأصحابه: رِكابَكم رِكابَكم فليس لكم هاهنا مُقام، فَضَحكُم واللَّه جرير! فقال له بعض القوم: ذاك شؤمُك وشؤمُ ابنِك. قال: فما كان إلا ترُّحلُهم. قال فسِرْنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد، وهُمْ بالشُّرَيفِ وهو أعلى دارِ بني نُمَيرٍ. فيحلفُ باللَّه راعي الإبل إنَّا وجَدنا في أهلنا:

فـغُـضّ الـطَّـرْفَ إنـك مـن نُـمـيـرٍ

وأقسَم باللَّه ما بلَّغَه إنسِيٌّ قَطّ، وإنّ لجريرٍ لأشياعاً من الجِنّ. فتشاءمتْ به بنو نُمير وسَبُّوه وابنَه، فهم يتشاءمون به إلى الآن.

أخبرني أحمد بن عُبَيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفَليّ عن أبيه قال: حدّثني مَولًى لبني كُلَيب بن يَربوع كان يبيع الرُّطَبَ بالبصرة أُنسِيتُ اسمَه قال:

كنت أجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأَرويَه. فجاءني ليلةً فقال: إن راعيَ الإبل النُّمَيريَّ قد هجاني، وإنّي آتيك الليلةَ فأَعِدَّ لي شِواءً[٢] رَشراشاً[٣] ونبيذاً مخفِساً[٤]؛ فأَعددتُ له ذلك. فلما أَعتَمَ جاءني فقال: هَلُمّ عَشاءَك فأتيتُه به، فأكل ثم قال: هَلُمّ نبيذَك، فأتيتُه به، فشرب أقداحاً ثم قال: هات دواةً وكَتِفاً؛ فأتيتُه بهما، فجعل يُملي عليّ قولَ:

أَقِـلِّـي الـلـومَ عـاذِلَ والـعـتـابَـا وقُـولـي إن أَصَـبـتُ لـقـد أَصـابَـا

[الوافر]

حتى بلَغ إلى قولِه:

فـغُـضَّ الـطَّـرْف إنـكَ مـن نُـمـيـرٍ

(١) أرَمَّ: سكتوا حتى لا يسمع لهم صوت النفس.
(٢) شواء: لحم مشوي، أو كل ما يشوى على النار.
(٣) رشراش: خضل، ندي، طري، يقطر من شدَّة دسومته.
(٤) مَخسِف: السريع الإنكسار.

فجعل يردِّده ولا يزيد عليه حتى حَمَلتني عيني، فضربتُ بذَقَني صدْري نائماً، فإذا به وقد وثَب حتى أصاب السَّقفَ رأسُه وكبَّر ثم صاح: أخزيتُه واللَّه! أُكتُبْ:

فـلا كَـعـبـاً بَـلَـغْـتَ ولا كِـلابَـا

[الوافر]

غَضَضتُه وقدّمتُ إخوتَه عليه! واللَّه لا يُفلِح بعدها أبداً. فكان واللَّه كما قال ما أفلح هو ولا نُميرِيّ بعدها.

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا أَبو غسَّان دَماذ عن أَبي عُبيدة قال:

أَقبل راكبٌ من اليمامة؛ فمرّ بالفرزدق وهو جالس في المِرْبَد[1]؛ فقال له: من أين أقبلتَ؟ قال: من اليمامة. فقال: رأيت ابن المَراغة؟ قال: نعم. قال: فأيَّ شيء أَحدث بعدي؟ فأنشده:

هـاجَ الـهـوى لـفـؤادك الـمُـهـتـاج

فقال الفرزدق:

فـانـظُـر بـتُـوضِـحَ بـاكِـرَ الأحـداجِ[2]

فأنشده الرجل:

هـذا هَـوًى شـغَـف الـفـؤادَ مـبـرِّحٌ[3]

فقال الفرزدق:

ونَـوًى تَـقـاذَفُ غـيـرُ ذاتِ خِـلاجِ[4]

فأنشده الرجل:

إِن الـغـراب بـمـا كـرِهـتَ لـمُـولَـعٌ

فقال الفرزدق:

(١) المِرْبَد: هو موقف الإبل، وهو أيضاً موضع بالمدينة.
(٢) الأحداج: الأحمال، ومراكب النساء.
(٣) مبرِّح: شديد.
(٤) خِلاج: لا يخالطه الشك، مقطوع بيقينه.

بِـنـوى الأحـبَّـةِ دائـمُ الـتَّـشـحـاجِ[1]

[الكامل]

فقال الرجل: هكذا واللَّهِ، قال: أفسمعتَها من غيري؟ قال: لا! ولكن هكذا ينبغي أن يقال؛ أوما علمت أن شيطاننا واحد! ثم قال: أَمَدَحَ بها الحَجَّاجَ؟ قال: نعم. قال: إياه أراد.

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيع قال: حدّثنا محمد بن إسحاق بن عبد الرحمٰن قال: حدّثني إسحاق بن إبراهيم المَوْصِليّ قال: حدّثني أَبو عُبَيدة قال:

إلتقى جريرٌ والفرزدقُ بمنًى وهما حاجّانِ؛ فقال الفرزدقُ لجرير:

فـإنـك لاقٍ بـالـمـنـازل مـن مـنًـى فـخـاراً فـخـبِّـرْنـي بـمـن أنـت فـاخـرُ

[الطويل]

فقال له جريرٌ: بلَبَّيكَ اللهم لبيك. قال إسحاق: فكان أصحابُنا يستحسنون هذا الجوابَ من جرير وَيعجَبون منه.

هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم:

أخبرني أَبو خَليفةَ عن محمد بن سَلَّام، وأخبرني وَكيعٌ عن محمد بن إسماعيل عن ابن سَلَّام قال: حدّثنا أَبو الخطَّاب عن أبيه عن حَجناء بنِ جَرير قال:

قلت لأبي: يا أَبتِ، ما هجوتَ قوماً قطُّ إلا أفسدتَهم سِوى التَّيمِ. فقال: إني لم أجد حَسَباً أَضَعُه، ولا بِناء أهدِمُه.

حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء:

قال ابن سَلَّام أخبرني أبو قيس عن عِكرِمةَ بن جَرير قال: قلت لأبي: يا أَبَتِ، من أشعرُ الناس؟ فقال: أَلجاهلية تريد أم الإسلامَ؟ قلْتُ: أَخبِرني عن الجاهلية. قال: شاعرُالجاهلية زُهَير. قلت: فالإسلام؟ قال: نَبعة الشعر الفرزدق. قلت: فالأخطل؟ قال: يُجيد صفة الملوك ويُصيب نَعْتَ الخمر. قلت: فما تركتَ لنفسك؟ قال: دَعْني فإني نَحرتُ الشعرَ نَحرا.

أَخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني الحَسن بن عُلَيل قال: حدّثني محمد بن عبد اللَّه العَبديّ عن عُمارة بن عُقَيل عن جدِه قال:

(١) التَّشحاجِ: تقال لصوت الغراب، نعيبُه.

وقف الفرزدقُ على أبي بِمرْبَد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الراعي؛ فلما بلغ إلى قوله:

فـغُـضَّ الـطَّـرفَ إنـك مـن نُـمـيـرٍ فـلا كَـعْـبـاً بـلـغـتَ ولا كـلابَـا

[الوافر]

أقبل الفرزدقُ على راويتِه فقال: غَضَّه واللَّهِ فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلِح بعدها. فلما بلغ إلى قوله:

بـهـا بَـرَصٌ[1] بـجـانـبِ إسـكَـتَـيـهَـا[2]

وضع الفرزدقُ يَدَه على فيه وغطَّى عَنفَقتَه[3]؛ فقال أبي:

كـعَـنْـفَـقـةِ الـفـرزدقِ حـيـن شـابَـا

[الوافر]

فانصرف الفرزدق وهو يقول: اللهم أَخزِه! واللَّه لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غيرَ هذا، ولكن طَمِعتُ ألَّا يَأبَهَ فغطَّيتُ وجهي، فما أغناني ذلك شيئاً. قال العَنزيّ حدّثني مسعود بن بِشر عن أبي عُبيدة قال: قال يُونس: ما أُرى جَريراً قال هذا المِصراعُ إلا حينَ غطَّى الفرزدقُ عَنفقتَه، فإنه نبَّهه عليه بتغطيته إيَّاها.

سئل الفرزدق عمن يجاريه في الشعر فلم يعترف إلا به:

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا المَدائنيّ عن أَبي بَكر الهُذَليّ قال:

قال رجل من بني دارِم للفردزق وهو بالبصرة: يا أبا فِراس، هل تعلم اليوم أحداً يَرمِي معك؟ فقال: لا! واللَّه ما أعرف نابحاً إلا وقد استكان ولا ناهشاً إلا وقد انجحَر إلا القائلَ:

فإن لـم أجدْ في القُربِ والبعدِ حاجتي تـشَـأمّـتُ أَو حَـوّلـتُ وجـهـي يـمـانـيَـا
فـرُدِّي جِـمـالَ الـحـيِّ ثـم تَـحَـمَّـلـي فـمـا لَـكِ فـيـهـم مـن مُـقـامٍ ولا لِـيـا
فـإنّـي لـمـغـرورٌ أُعـلَّـل بـالـمُـنـى لـيـالـيَ أرجـو أنّ مـا لَـكَ مـا لـيـا
وقـائـلـةٍ والـدمـعُ يَـحـدُر كُـحـلَـهـا أبـعْـدَ جـريـر تُـكـرِمـون الـمَـوالِـيـا

(١) بَرَص: داء يصاب به الجلد.
(٢) الإسكتان: جانبا الفرج.
(٣) العنفقة: الشعيرات بين وسط الشفة السفلى والذقن.

بأيِّ نِجادٍ[1] تحمِل السيفَ بعدما قطعتَ القُوى من مِحمَلٍ كان باقيا
بأيِّ سِنانٍ تطعُنُ القَرْمَ بعدما نزِعْتَ سناناً من قَناتِك ماضيا
لساني وسيفي صارمانِ كلاهما وللسَّيفُ أشوى[2] وقَعةً من لسانيا
[الطويل]

قال: وهذا الشعر لجرير.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدّثني محمد بن يَزيد عن عُمارةَ بن عقيل عن أبيه قال:

قال جرير: وفدتُ إلى يزيدَ بنِ معاوية وأنا شابٌّ يومئذٍ؛ فاستُؤذن لي عليه في جملة الشعراء؛ فخرج الحاجب إليّ وقال: يقول لك أمير المؤمنين: إنه لا يَصِلُ إلينا شاعر لا نعرفه ولا نسمع بشيء من شعره، وما سمعنا لك بشيء فنأذنَ لك على بَصيرة. فقلت له: تقولُ لأمير المؤمنين: أَنا القائل:

وإنّي لَعَفُّ الفقر مُشتَرَكُ الغِنى سريعٌ إذا لم أرضَ داري انتقاليَا
جريءُ الجَنانِ لا أَهاب مِن الرَّدى إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنانيا
وليس لسيفي في العظامِ بَقيَّةٌ وللسَّيفُ أَشوى وقعةً من لسانيا
[الطويل]

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ؛ ثم خرج إليّ وأَذِن لي، فدخلت وأنشدته وأخذت الجائزةَ مع الشعراء؛ فكانت أولَ جائزة أخذتُها من خليفة، وقال لي: لقد فارق أبي الدنيا وما يظنّ أبياتَك التي توسَّلتَ بها إليّ إلا لي.

موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق:

أخبرني عمي قال: حدّثني الكُرانيّ قال: حدّثنا العُمَريّ عن الهَيثَم بنِ عَدِيّ عن حَمَّاد الراوية قال:

أتيتُ الفرزدق فأنشدني، ثم قال لي: هل أتيتَ الكلبَ جريراً؟ قلت: نعم. قال: فأنا أشعر أو هو؟ فقلت: أنت في بعض الأمر وهو في بعض. فقال: لم تُناصِحْني. فقلت: هو أشعرُ إذا أرخِي من خِناقه، وأنت أشعر منه إذا خِفتَ أو رجوتَ. فقال: وهل الشعر إلا في الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ!

(١) نَجاد: يقال رجل نجاد أي خابط للأمور.
(٢) أشوى: أي أصاب شواه لا مقتله.

حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته :

أخبرني عمي قال: حدّثني أحمد بن الحارث قال: حدّثنا المَدائنيّ عن يحيى بن عَنبَسة القُرَشيّ وعَوانةَ بنِ الحَكَم:

أنّ جريراً والفرزدق اجتمعا عند بِشر بن مَروان؛ فقال لهما بِشر: إنكما قد تقارضتُما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار وتقاولتُما الفخرَ وتهاجيتُما. فأمّا الهجاء فليست بي إليه حاجة، فجدِّدا بين يَدَيّ فخراً ودَعاني مما مضى. فقال الفرزدق:

نحن السَّنامُ والمَناسِمُ[1] غيرُنا فمَن ذا يُساوي بالسَّنامِ المناسمَا!

[الطويل]

فقال جرير:

على موضع الأستاهِ أنتم زعمتُمُ وكلُّ سَنامٍ تابعٌ للغلاصِم[2]

فقال الفرزدق:

على مَحرَثٍ للفَرث[3] أنتم زعمتُمُ أَلَا إنّ فوق الغَلْصَمات الجَماجِمَا

فقال جرير:

وأنبأتُمونا أنكم هامُ قومِكم ولا هامَ إلا تابِعٌ للخراطِم[4]

فقال الفرزدق:

فنحن الزِّمامُ القائدُ المقتدى به من الناس، ما زِلنا ولسنا لَهازِما[5]

فقال جرير:

فنحن بَني زيد قطعنا زِمامَها فتاهت كسارٍ طائِش الرأسِ عارِم[6]

فقال بشر: غلبتَه يا جريرُ بقطعِك الزِّمام وذَهابِك بالناقة. وأحسن الجائزةَ لهما وفضَّل جريراً.

---

(١) المناسم: مفردها منسم، وهي طرف خف البعير.
(٢) الغلاصم: مفردها غلصمة، وهي رأس الحلقوم.
(٣) الفرث: السِّرجين في الكرش.
(٤) الخراطم: خراطيم القوم ساداتهم.
(٥) اللهازم: مفردها لهزمة، واللهزمتان هما ما تحت الأذنين من أعلى اللحين والخدين.
(٦) عارم: الشديد الشرس.

جرير وسكينة بنت الحسين:

قال المدائنيّ وحدّثني عَوانة بن الحَكَم قال:

جاء جرير إلى باب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له، وخرجت إليه جاريةٌ لها فقالت: تقول لك سيّدتي: أنت القائل:

طَرَقتْكَ صائدةُ القلوب وليس ذا حينَ الزيارةِ فارْجعي بسلام

[الكامل]

قال: نعم، قالت: فالّا أخذتَ بيدها فرحّبْت بها وأدنيت مجلسها وقلتَ لها ما يقال لمثلها! أنت عفيفٌ وفيك ضعف، فخذ هذين الألفي الدرهم فالحقْ بأهلِك.

تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق:

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدّثني أبو يعقوب الثَّقفيّ عن الشَّعبيّ: أنّ الفرزدق خرج حاجّاً؛ فلما قضى حجَّه عدَل إلى المدينة فدخل إلى سُكينة بنت الحسين عليهما السلام، فسلَّم. فقالت له: يا فرزدق، مَن أشعر الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ! أشعرُ منك الذي يقول:

بنفسي مَنْ تَجنُّبُه عزيزٌ عليّ ومَن زِيارتُه لِمَامُ
ومَن أُمسي وأُصبِح لا أَراه ويطرُقُني إِذا هجَع النِّيامُ

[الوافر]

فقال: واللَّه لو أذنتِ لي لأسمعتُكِ أحسن منه. قالت: أقيموه فأُخرج. ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها؛ فقالت: يا فرزدق، من أشعرُ الناس؟ قال: أنا. قالت: كذبتَ! صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول:

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ولَزُرتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ
كانت إذا هجَر الضَّجيعُ[1] فِراشَها كُتِمَ الحديثُ وعَفَّت الأسرارُ
لا يَلبَثُ القُرَنَاءُ أن يتفرّقوا ليلٌ يَكُرّ عليهمُ ونهارُ

[الكامل]

فقال: واللَّه لئن أذنتِ لي لأسمعنَّك أحسنَ منه، فأمرت به فأُخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحَولها مولَّداتٌ لها كأنهنّ التماثيل؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ فأُعْجِبَ بها وبُهِت ينظُر إليها. فقالت له سُكَينة: يا فرزدق، مَن أشعرُ الناس؟ قال:

(١) الضجيع: المضاجع، الحليل.

أنا. قالت: كذبتَ! صاحبُك أشعر منك حيث يقول:

إنّ العيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ قتلْنَنا ثم لم يُحيِينَ قَتلانَا
يَصرَعنَ ذا اللُّبِ حتى لا حَراكَ به وهنّ أضعفُ خَلقِ اللَّه أركانا
أَتبعتُهم مُقلةً إنسانُها غَرِقٌ هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا

[البسيط]

فقال: واللَّه لئن تركتني لأسمعنَّك أحسنَ منه؛ فأمرت بإخراجه. فالتفت إليهما وقال: يا بنت رسول اللَّه ـ ﷺ ـ إنّ لي عليكِ حقّاً عظيماً. قالت: وما هو؟ قال: ضربتُ إليكِ آباطَ الإبل من مكةَ إرادةَ التسليم عليكِ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطَردي وتفضيلَ جرير عليّ ومنعَكِ إيَّاي أن أُنشِدَكِ شيئاً من شعري، وبي ما قد عِيلَ منه صبري، وهذه المَنايا تَغدو وتَروح، ولعلِّي لا أفارق المدينةَ حتى أموت؛ فإذا أنا متُّ فمُري بي أَن أُدرَج في كَفَني وأُدفَنَ في حِرِ هذه (يَعني الجاريةَ التي أعجبتُه). فضحكتْ سكينة وأمرتْ له بالجارية، فخرج بها آخذاً برَيْطَتِها؛ وأمرت الجواري فدَفَعن في أَقفِيتهما، ونادتُه: يا فرزدقُ احتفظ بها وأحسِن صحبتَها فإني آثرتُك بها على نفسي.

قال المَدائنيّ في خبره هذا وحدّثني أَبو عِمرانَ بنُ عبد الملك بن عُمَير عن أبيه، وحدّثنيه عَوانَةُ أَيضاً قالا:

صنع عبدُ الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأَطاب ودعا إليه الناسَ فأكلوا. فقال بعضهم: ما أطيبَ هذا الطعامَ! ما نَرى أَن أحداً رأى أكثرَ منه ولا أكل أطيَبَ منه. فقال أعرابيّ من ناحية القوم أمَّا أكثرُ فلا، وأمّا أَطيبُ فقد واللَّهِ أَكلتُ أطيبَ منه، فطفِقوا يضحكون من قوله. فأشار إليه عبد الملك فأُدنيَ منه؛ فقال: ما أَنت بمُحِقٍّ فيما تقول إلّا أن تُخبرني بما يَبِينُ به صدقُك. فقال: نعم يا أَميرَ المؤمنين؛ بَينا أَنا بهَجَر[١] في بَرْثٍ[٢] أَحمر في أقصى حَجْر[٣]، إذا تُوُفي أَبي وترك كَلّا[٤] وعِيالاً، وكان له نحل، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظُر إلى مثلِها، كأن تمرها أَخافُ الرِّباع[٥] لم يُرَ تمرٌ قطُّ أغلظُ ولا أصلب ولا أصغرُ نَوًى ولا أَحلى حلاوةً منه. وكانت تَطرُقها أَتانٌ

(١) هجر: موضع بالبحرين يشتهر بكثرة أنواع التمر.
(٢) بَرْث: الأرض السهلة المنبسطة.
(٣) حَجْر: ناحية، وأقصى حجر يقصد بها أبعد مكان.
(٤) الكَلّ: الأولاد التي تحتاج لمن يعيلها.
(٥) الرِّباع: جمع رُبَع، الفصيل الذي ينتج في أول الربيع.

وَحشِيَّةٌ قد أَلِفتْها تأوي الليلَ تحتها، فكانت تُثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتَعطُو[١] بِفِيها فلا تترك فيها إلا النبيذ والمتفرِّقَ؛ فأعظَمَني ذلك ووقَعَ منّي كلَّ موقع، فانطلقتُ بقوسي وأسهُمي وأَنا أظنّ أَني أرجع من ساعتي؛ فمكثتُ يوماً وليلةً لا أَراها، حتى إذا كان السَّحَرُ أقبلتْ، فتهيأتُ لها فرَشقتُها فأصبتُها وأَجهزتُ عليها، ثم عمَدتُ إلى سُرَّتها فقَدَدتُها ثم عمَدتُ إلى حطب جَزْل فجمعتُه إلى رَضْفٍ[٢] وعمَدْت إلى زَندي فقدَحتُ وأضرمتُ النارَ في ذلك الحطب، وألقيتُ سُرَّتَها فيه؛ وأدركني نوم الشباب فلم يُوقِظْني إلّا حَرُّ الشمس في ظهري؛ فانطلقتُ إليها فكشفتُها وألقيتُ ما عليها من قَذًى وسواد ورَماد، ثم قلبتُ منها مثلَ الملاءة البيضاء، فألقتيُ عليها من رُطَبِ تلك النخلةِ المُجَزّعة والمُنَصِّفةَ، فسمعتُ لها أَطِيطاً[٣] كتَداعي عامرٍ وغَطَفان، ثم أَقبلتُ أَتناول الشَّحمة واللحمة فأضعُها بين التمرتين وأَهوي إلى فمِي، فيما أحلِف أني ما أكلتُ طعاماً مثلَه قَطُّ. فقال له عبد الملك: لقد أكلتَ طعاماً طيّباً، فمن أَنت؟ قال: أنا رجل جانبْتني عَنعنةُ تَمِيم وكَشكَشةُ[٤] أسد وكسكسة رَبيعةَ وحُوشِي[٥] أَهل اليمن وإِن كنتُ منهم. فقال: مِن أيِّهم أنت؟ قال: من أخوالِك من عُذرَة. قال: أولئك فصحاءُ الناس؛ فهل لك علمٌ بالشعر؟ قال: سَلني عمَّا بدا لكَ يا أَمير المؤمنين. قال: أَيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح؟ قال: قول جرير:

ألستم خيرَ مَنْ ركِب المَطايا وأَنْدى العالمين بطونَ راحِ

[الوافر]

قال: وكان جرير في القوم، فرفع رأسَه وتَطاول لها. ثم قال: فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر؟ قال: قولُ جرير:

إِذا غضبت عليك بنو تَميم حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابَا

[الوافر]

قال: فتحرّك لها جريرٌ. ثم قال له: فأيُّ بيتٍ أَهجى؟ قال: قولُ جرير:

فغُضَّ الطَّرفَ إِنك من نُميرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابَا

[الوافر]

---

(١) تعطو: تتناول.
(٢) رضف: الحجارة التي تسخن من حر الشمس.
(٣) أطيط: صوت.
(٤) كشكشة وكسكسة: لهجتان من لهجات العرب البائدة.
(٥) حوشي: الكلام السريع الذي لا يفهم.

قال: فاستَشرَف لها جريرٌ. قال: فأيُّ بيتٍ أَغزَل؟ قال: قول جرير:

إِن العيون التي في طَرْفِها مَرَضٌ قَتَلْنَنا ثم لم يُحيِين قَتلانَا

[البسيط]

قال: فاهتزَّ جريرٌ وطرِب. ثم قال له: فأيُّ بيتٍ قالته العرب أحسن تشبيهاً؟ قال: قولُ جرير:

سَرى نحوَهم ليلٌ كأنّ نجومَه قَناديلُ فيهنّ الذُّبال[1] المفتَّلُ

[الطويل]

فقال جرير: جائزتي للعُذريّ يا أَمير المؤمنين. فقال له عبد الملك: وله مثلُها من بيت المال، ولك جائزتك يا جرير لا تُنتَقَصُ منها شيئاً. وكانت جائزةُ جريرٍ أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الحُملان والكُسوة. فخرج العُذْريّ وفي يده اليمنى ثمانيةُ آلاف درهم وفي اليسرى رِزمةُ ثياب.

تفضيل عبيدة بن هلال لجرير على الفرزدق:

أَخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا المَدائنيّ عن أَبي عبد الرحمٰن عن عبد اللّه بن عَيَّاش الهَمْدانيّ قال:

بَينا المهلَّبُ ذاتَ يوم أو ليلةٍ بفارسَ وهو يقاتل الأزارِقَة إِذ سمع في عسكره جَلَبَةً[2] وصِياحاً؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: جماعةٌ من العرب تَحاكموا إليكَ في شيء. فأَذِن لهم فقالوا: إِنَّا اختلفنا في جرير والفرزدق؛ فكلّ فريقٍ منَّا يزُعم أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر، وقد رَضينا بحكم الأمير. فقال: كأنكم أردتم أن تُعرِّضوني لهذين الكلبين فيمزِّقا جِلدتي! لا أحكُم بينهما، ولكني أدُلكم على من يهون عليه سِبالُ جرير وسِبال الفرزدق، عليكم بالأزَارقة، فإنهم قومٌ عربٌ يُبصِرون بالشعر ويقولون فيه بالحق. فلما كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هِلال اليَشكُريّ ودعا إلى المبارزةِ، فخرج إليه رجل من عسكر المهلَّب كان لقَطَريٍّ صديقاً، فقال له: يا عُبيدة، سألتُك اللَّهَ إِلَّا أَخبرتَني عن شيء أسألُك عنه. قال: سَلْ. قال: أوَ تُخبرُني؟ قال: نعم إِن كنتُ أعلمه. قال: أجريرٌ أشعرُ أم الفرزدق؟ قال: قبحَك اللّه! أتركتَ القرآنَ والفقه وسألتَني عن الشعر! قال: إِنا تشاجرنا في ذلك ورَضِينا بك. فقال من الذي يقول:

---

(١) الذُّبال: الفتيل الذي يوضع في القنديل يوضع فيه الزيت ليستضاء به.

(٢) جلبة: ضجَّة.

وطَوى الطِّرادُ مع القِيادِ بطونَها طَيَّ التِّجارِ بحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا
[الكامل]

فقال: جرير. قال: هذا أشعرُ الرجلين.

أَخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال:

قال جرير: ما عشِقتُ قَطُّ، ولو عشقت لنَسَبْتُ نَسيباً تَسمَعه العجوز فتَبكي على ما فاتها من شبابها، وإِني لأُرِي من الرَّجَزِ أمثالَ آثارِ الخيلِ في الثَّرى، ولولا أَني أَخاف أَن يَستفرغِني لأكثرتُ منه.

جرير في ضيافة عبد العزيز بن الوليد:

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وعمي قالا: حدّثنا ابن الأعرابيّ قال: حدّثنا عبد الرحمٰن بن سعيد بن بَيهَس بن صُهَيب الجَرْميّ عن عامر بن شِبْل الجَرْميّ قال:

قدِم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدَير مُرَّانَ؛ فكنا نغدو إليه بَكَراً، فيخرج إلينا ويجلس في بُرْنُس خَزٍّ له لا يكلِّمنا كلمةً حتى يجيءَ طَبَّاخُ عبد العزيز إليه بقدَحٍ من طِلاءٍ مسخَّن يَفُور وبكُتْلةٍ من سمن كأنها فنّ، ويُنشدنا لنفسه ولغيره، حتى يحضرَ غَداء عبد العزيز فنقومَ إليه جميعاً. وكان يختِم مجلسَه بالتسبيح فيُطيل. فقال له رجل: ما يُغني عنك هذا التسبيحُ مع قَذْفك للمُحصَنات! فتبسَّم وقال: يا ابنَ أخي (خَلَطوا عملاً صالحاً وآخرَ سيّئاً عَسى اللَّه أن يَتوبَ عَليهم) إِنهم واللَّه يا ابنَ أخي يَبدَأوني ثم لا أَحلُم.

أَخبرني عمي قال: حدثنا ابن أَبي سَعد قال: حدّثني إِبراهيم بن عبد الرحمٰن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمد بن موسى قال: حدّثني الأخفش عن أبي مَحذورةَ الوَرَّاق عن أَبي مالكٍ الراويةِ قال: سمعت الفرزدق يقول، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حدّثني إِبراهيم بن محمد الطائفيّ قال: حدّثني محمد بن مَسعَدةَ الأخفش عن أَبي مَحذورةَ الورّاق عن أَبي مالك الراوية قال:

سمعتُ الفرزدقَ يقول: أَبَقَ[1] غلامانِ لرجلٍ منا يقال له الخَضِرُ، فحدّثني قال: خرجتُ في طلبهما وأنا على ناقةٍ لي عَيساءَ[2] كَوماءَ[3] أريد اليمامة؛ فلما صِرتُ في ماءٍ لبني حَنيفةَ يقال له: الصَّرصَرانُ ارتفعتْ سحابةٌ فرعَدتْ وبرَقتْ وأَرخَتْ

(١) أَبَقَ: هرب.
(٢) عيساء: الناقة التي يميل لونها إلى الأدمة.
(٣) كوماء: الناقة عظيمة السنام طويلته.

عَزالِيَها[١]؛ فعدَلتُ إلى بعض ديارهم وسألتُ القِرى[٢] فأجابوا؛ فدخلتُ داراً لهم وأَنختُ الناقةَ وجلستُ تحت ظُلَّةٍ لهم من جَريد النخل، وفي الدار جُويريةٌ لهم سَوداءُ، إذ دخلتْ جاريةٌ كأنها سَبيكةُ فضة وكأن عينيها كوكبان دُرِّيَّانِ؛ فسألتِ الجاريةَ: لمن هذه العَيساءُ؟ (تَعني ناقتي) فقالت: لضيفِكم هذا. فعدَلتْ إليّ فقالت: السلام عليكم، فرددتُ عليها السلام. فقالت لي: ممن الرجل؟ فقلت: من بني حَنظَلةَ. فقالت: من أيِّهم؟ فقلت: من بني نَهشَل. فتبسَّمتْ وقالت: أنت إذاً ممن عَناه الفرزدقُ بقوله:

إن الـذي سـمَـك الـسـمـاءَ بَـنـى لـنـا ... بـيـتـاً دعـائـمـه أعـزُّ وأطـولُ
بـيـتـاً بـنـاه لـنـا الـمـلـيـكُ ومـا بَـنـى ... مَـلِـكُ الـسـمـاءِ فـإنـه لا يُـنـقَّـل
بـيـتـاً زرارةُ مُـحـتَـبٍ بـفـنـائـه ... ومُـجـاشِـعٌ وأَبـو الـفـوارِس نَـهـشَـل

[الكامل]

قال: فقلت: نعم جُعِلتُ فِداكِ! وأَعجبني ما سمعتُ منها. فضحكت وقالت: فإن ابنَ الخَطَفي قد هدَم عليكم بيتَكم هذا الذي فَخرتم به حيث يقول:

أَخـزى الـذي رَفـع الـسـمـاءَ مُـجـاشِـعـاً ... وبَـنـى بِـنـاءَك بـالـحَـضـيـض الأسـفـلِ
بـيـتـاً يُـحـمِّـم[٣] قَـيـنُـكـم بـفِـنـائـه ... دَنِـسـاً مَـقـاعِـدُه خـبـيـثَ الـمَـدخَـلِ

[الكامل]

قال: فوجَمْتُ. فلما رأتْ ذلك في وجهي قالت: لا عليكَ؛ فإن الناس يُقال فيهم ويقولون. ثم قالت: أين تَؤُمُّ؟ قلت: اليمامةَ. فتنفَّسَتِ الصُّعَداءَ ثم قالت: ها هي تلك أمامَك؛ ثم أنشأت تقول:

تُـذكِّـرُنـي بـلاداً خـيـرُ أهـلـي ... بـهـا أهـلُ الـمـروءة والـكـرامـهْ
أَلَا فَـسـقـى الإلٰـهُ أَجَـشَّ صَـوبـاً ... يَـسُـحُّ بـدَرِّه بـلـدَ الـيـمـامـه
وحَـيَّـا بـالـسـلام أَبـا نُـجَـيـدٍ ... فـأهـلٌ لـلـتـحـيَّـة والـسـلامـه

[الوافر]

قال: فأَنِستُ بها وقلت لها: أذاتُ خِدْنٍ[٤] أم ذاتُ بَعلٍ؟ فأنشأتْ تقول:

---

(١) العزالي: جمع عزلاء، وهو مصبّ الماء من الراوية. وقصد الشاعر بها المطر المنهمر بغزارة.
(٢) القِرَى: الضيافة، الطعام.
(٣) يحمّم: يُسَخّن، يقال أصابته الحمى أي أصابته السخونة.
(٤) الصاحب، ومن يخادلك في كل أمر ظاهر وباطن.

إذا رقَـد الـنِّـيـامُ فـإن عـمـرواً تـؤرِّقـه الـهـمـومُ إلـى الـصـبـاحِ
تُـقـطِّـع قـلـبَـه الـذِّكـرى وقـلـبـي فـلا هـو بـالـخَـلِـيّ ولا بِـصـاح
سـقـى الـلَّـهُ الـيـمـامـةَ دار قـوم بـهـا عـمـروٌ يَـحِـنُّ إلـى الـرَّواح
[الوافر]

فقلتُ لها: من عمرو هذا؟ فأنشأتْ تقول:

سـألـتَ ولـو عـلـمـتَ كـفَـفـتَ عـنـه ومـن لـكَ بـالـجـوابِ سِـوى الـخـبـيـرِ
فـإن تَـكُ ذا قَـبـولٍ إن عَـمـرواً هـو الـقَـمَـرُ الـمُـضـيءُ الـمـسـتـنـيـر
ومـا لـي بـالـتـبـعُّـلِ مُـسـتـراحٌ ولـو رَدّ الـتـبـعُّـلُ لـي أَسـيـري

قال: ثم سكتتْ سكتةً كأنها تتسمَّع إلى كلامٍ، ثم تهافتت وأنشأت تقول:

يـخـيَّـل لـي هَـيَـا عـمـرُو بـنَ كَـعـبٍ كـأنـك قـد حُـمِـلـتَ عـلـى سـريـرِ
يَـسـيـر بـك الـهُـوَيْـنـى الـقـومُ لـمـا رَمـاك الـحـبُّ بـالـعَـلَـق[1] الـعـسـيـرِ
فـإن تَـكُ هـكـذا يـا عَـمـرُو إنـي مُـبـكِّـرةٌ عـلـيـك إلـى الـقـبـورِ
[الوافر]

ثم شَهقتْ شَهقةً فخرَّت ميّتةً. فقلتُ لهم: من هذه؟ فقالوا: هذه عَقيلة بنتُ الضحَّاك بن عمرو بن مُحرِّق بن النُّعمان بن المُنذِر بن ماء السماء. فقلت لهم: فمن عمروٌ هذا؟ قالوا: ابنُ عمّها عمرو بن كعب بن محرِّق بن النعمان بن المنذر؛ فارتحلتُ من عندهم. فلما دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا فإذا هو قد دُفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت.

قصته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه:

أَخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدّثنا سليمان بن أَبي شَيخ قال: حدّثنا محمد بن الحَكم، وأَخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبّة قال: حدّثنا أَبو الهَيثم بدر بن سعيد العَطَّار قال: حدّثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال:

لمَّا استُخلِف عمرُ بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يَصِلون إليه؛ فجاء عَوْن بن عبد اللَّه بن عُتْبة بن مسعود وعليه عِمامة قد أَرخى طرَفيها فدخل؛ فصاح به جرير:

(١) العلق: هو تعلق الرجل بالمرأة.

يـا أَيُّـهـا الـقـارئُ الـمُـرخـي عِـمـامـتَـه هـذا زمـانُـك إِنـي قـد مـضـى زَمـنـي
أَبـلِـغ خـلـيـفـتَـنـا إِن كـنـتَ لاقـيَـه أنّي لَدى البابِ كالمَصفودِ[1] في قَرَنِ
[البسيط]

قال: فدخل على عمر فاستأذن له، فأدخله عليه. وقد كان هيأ له شِعراً، فلما دخل عليه غيَّره وقال:

إِنـا لـنـرجـو إذا مـا الـغـيـثُ أَخَـلَـفَـنـا مـن الـخـلـيـفـةِ مـا نـرجـو مـن الـمـطـرِ
نـال الـخـلافـةَ إِذ كـانـت لـه قَـدَراً كـمـا أَتـى ربَّـه مـوسـى عـلـى قـدَر
أأذكـر الـجَـهـدَ والـبَـلـوى الـتـي نـزلـتْ أم تَـكـتـفـي بـالـذي بُـلِّـغـتَ مـن خَـبـري
مـا زِلـتُ بـعـدكَ فـي دارٍ تَـعَـرَّقُـنـي قـد طـال بـعـدك إِصـعـادي ومُـنـحـدَري
لا يـنـفَـع الـحـاضـرُ الـمـجـهـود بـادِيَـنـا ولا يـجـود لـنـا بـادٍ عـلـى حَـضَـر
كـم بـالـمـواسـم مـن شَـعـثـاءَ أَرمَـلـةٍ ومـن يـتـيـم ضـعـيـفِ الـصـوتِ والـبـصـر
يـدعـوك دعـوةَ مـلـهـوفٍ كـأنّ بـه خَـبـلاً مـنَ الـجِـنّ أو مَـسّـاً مـن الـنُّـشَـر
مـمـن يَـعُـدُّك تـكـفـي فَـقـدَ والـدِه كـالـفَـرْخ في العُشِّ لم يَنهَض ولم يَطِر
[البسيط]

قال: فبكى عمرُ ثم قال: يا ابنَ الخَطفَى، أمِن أبناءِ المهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم، أم من أبناءِ الأنصار فيَجِبَ لكَ ما يجبُ لهم، أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحبَ صدقاتِ قومِك فَيصلَكَ بمثل ما يَصِلُ به قومَك؟ فقال: يا أَمير المؤمنين، ما أَنا بواحدٍ من هؤلاء، وإِني لمن أكثرِ قومي مالاً، وأحسنِهم حالاً، ولكني أسألك ما عَودَّتَنِيه الخلفاءُ: أربعةَ آلافِ درهم وما يَتبعها من كُسوةٍ وحُملانٍ. فقال له عمر: كلُّ امرئ يَلقى فعلَه، وأمّا أنا فما أَرى لك في مال اللَّه حقّاً، ولكن انتظرْ، يَخرُجُ عَطائي، فأَنظُرُ ما يَكفي عيالي سنةً منه فأدَّخِرُه لهم، ثم إِن فضَل فَضْلٌ صرَفناه إليك. فقال جرير: لا بل يوفَّر أَميرُ المؤمنين ويُحمَد وأخرجُ راضياً؛ قال: فذلك أحبُّ إِليّ؛ فخرج. فلما ولّى قال عمر: إِن شَرّ هذا ليُتَّقى؛ رُدّوه إليّ، فردّوه. فقال: إِن عندي أربعين ديناراً وخِلعتين إذا غُسِلتْ إِحداهما لبِستُ الأخرى، وأنا مُقاسِمُك ذلك، على أن اللَّه جَلّ وعزّ يعلم أن عمر أَحوجُ إلى ذلك منك. فقال له: قد وَفّرك اللَّه يا أمير المؤمنين وأَنا واللَّهِ راض. قال: أمّا وقد حلَفتَ فإِن ما وَفَّرتَه عليّ ولم تضيِّق به معيشتَنا آثرُ في نفسي من المدح، فامضِ مُصَاحَباً؛ فخرج. فقال له أَصحابه وفيهم

(١) المصفود: المقيَّد بالأصفاد.

الفرزدقُ: ما صَنع بك أَميرُ المؤمنين يا أَبا حَزرةَ؟ قال: خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراءَ ويُباعِد الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ؛ ثم وضع رِجلَه في غَرْزِ راحلتِه وأَتى قومَه. فقالوا له: ما صنع بك أَميرُ المؤمنين أَبَا حَزْرة؟ فقال:

تـركـتُ لـكـم بـالـشـام حَـبـلَ جـمـاعـةٍ أَمِـيـنَ الـقُـوى مُـسـتَـحـصِـدَ الـعَـقْـدِ بـاقـيَـا
وجـدتُ رُقـى الـشـيـطـانِ لا تـسـتـفِـزُّه وقـد كـان شـيـطـانـي مـن الـجِـنّ راقـيَـا

[الطويل]

هذه رواية عمر بن شَبَّة. وأما اليزيديّ فإنه قال في خبره: فقال له جريرٌ: يا أمير المؤمنين، فإني ابنُ سَبيل. قال: لك ما لأبناء السبيل، زادُكَ ونفقةٌ تبلِّغكَ وتُبَدَّل راحلتُك إن لم تحملك. فألَحَّ عليه؛ فقالت له بنو أميَّة: يا أَبا حَزرَة، مَهلاً عن أمير المؤمنين، ونحن نُرضِيكَ من أَموالنا عنه، فخرج. وجَمعت له بنو أميَّة مالاً عظيماً؛ فما خرَج من عند خليفةٍ بأكثرَ مما خرج من عند عمر.

رؤيا أَمه وهي حامل به:

أَخبرني محمد بن مَزْيَد بن أَبي الأزهر قال: حدّثنا حَمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه عن أَبي عُبيدة قال:

رأتْ أمُّ جَريرٍ وهي حاملٌ به كأنها ولدتْ حَبْلاً من شَعَرٍ أسود، فلما سقَط منها جعل يَنزُو فيقع في عُنُقِ هذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ، فانتبهتْ فَزِعةً فأَوّلتِ الرُّؤيا فقيل لها: تَلِدينَ غلاماً شاعراً ذا شَرٍّ وشِدَّةِ شَكيمةٍ وبلاءٍ على الناس. فلما ولدتْه سمّتْه جَريراً باسم الحبل الذي رأت أنه خرج منها. قال: والجرير: الحبل.

قال إِنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه وهو دنيء:

قال إِسحاق وقال الأصمعيّ حدّثني بِلال بن جرير ـ أَو حُدِّثتُ عنه: ـ

أَنّ رجلاً قال لجرير: من أشعرُ الناس؟ قال له: قُمْ حتى أعرِّفكَ الجواب؛ فأخذ بيده وجاء به إلى أَبيه عطيَّةَ وقد أخذ عَنزاً له فاعتقلها وجعل يَمَصُّ ضَرعَها، فصاح به: اخرجْ يا أَبَتِ؛ فخرج شيخٌ دَميمٌ رَثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العَنز على لِحْيته؛ فقال: أَلَا تَرى هذا؟ قال: نعم. قال: أَوَ تعرفُه؟ قال: لا. قال: هذا أَبي، أفتَدري لِمَ كان يشرب من ضَرْع العَنز؟ قلت: لا. قال: مَخافةَ أَن يُسمع صوتُ الحَلب فيُطلبَ منه لبن. ثم قال: أشعرُ الناس مَنْ فاخَر بمثل هذا الأَبِ ثمانين شاعراً وقارَعهم به فغلَبهم جميعاً.

إخوته:

حدّثني عمي قال حدّثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال: حدّثني عبد اللَّه بن محمد بن موسى مولى بني هاشم قال: حدّثني عُمارة بن عُقَيل عن المُغِيرة بن حجناءَ عن أَبيه قال:

وُلد جريرٌ لسبعةِ أَشهر؛ فكان الفرزدقُ يعيّره ذلك، وفيه يقول:

وأَنـت ابـنُ صُـغـرى لـم تَـتـمَّ شـهـورُهَـا

قال وولَد عطيَّةُ جريراً ـ وأمّه أمُّ قَيس بنتُ مُعَيد من بني كُلَيب ـ وعَمْراً وأبا الوَرْد. فأمّا الورد فكان يحسُد جريراً؛ فذهبتْ لجريرٍ إبلٌ فشَمِتَ به أَبو الورد فقال له جريرٌ:

أَبـا الـوَرْدِ أَبـقـى الـلَّـهُ مـنـهـا بَـقـيَّـةً كَـفَـتْ كـلَّ لَـوَّامٍ خَـذولٍ وحـاسِـد

[الطويل]

وأما عمرٌو فكان أَكبر من جرير، وكان يُقارِضُه الشعرَ. فقال له جريرٌ:

وعـمـرو قـد كَـرِهْـتُ عـتـابَ عـمـرٍو وقـد كـثُـر الـمَـعـاتِـبُ والـذُّنـوبُ
وقـد صَـدّعـتُ صـخـرةَ مَـن رمـاكـم وقـد يُـرمـى بـيَ الـحـجـرُ الـصَّـلـيـب[1]
وقـد قـطَـع الـحـديـدَ فـلا تُـمـارُوا فِـرنِـدٌ[2] لا يُـفَـلّ ولا يَـذُوب

[الوافر]

قال: وأَول شعر قاله جرير في زمن معاوية، قاله لابنه:

فـرُدِّي جِـمـالَ الـبَـيـنِ ثـم تَـحـمَّـلـي فـمـا لـكِ فـيـهـم مـن مُـقـامٍ ولا لِـيَـا
لـقـد قـادَنـي الـجِـيـرانُ يـومـاً وقُـدْتُـهـم وفـارقـتُ حـتـى مـا تَـصُـبُّ جِـمـالـيـا
وإِنّـي لـمـغـرورٌ أُعـلَّـلُ بـالـمُـنـى لـيـالـيَ أرجـو أن مـالـكَ مـالـيـا
بـأيّ سِـنـانٍ تَـطـعَـنُ الـقَـرْمَ بـعـدمـا نَـزَعـتَ سِـنـانـاً مـن قَـنـاتِـك مـاضـيـا
بـأيّ نِـجـادٍ تـحـمِـل الـسـيـفَ بـعـدمـا قـطـعـتَ الـقُـوى مـن مِـحـمَـلٍ كـان بـاقـيـا

[الطويل]

قال: وكان يزيد بن معاوية عاتَب أَباه بهذه الأبيات ونسَبها إلى نفسه؛ لأن جريراً لم يكن شعرُه شُهر حينئذٍ. فقدِم جرير على يزيد في خلافته فاستُؤْذِن له مع الشعراء،

(١) الصليب: الشديد الصلابة. (٢) الفِرنِد: السيف وجوهره.

فأمَر يزيدُ أَلَّا يدخلَ عليه شاعر إِلّا من عَرَف شعرَه؛ فقال جرير: قولوا له: أَنا القائل:

فـرُدِّي جِـمـالَ الـحـيِّ ثـم تَـحـمَّـلـي فـمـا لـكِ فـيـهـم مـن مُـقـامٍ ولا لـيَـا

[الطويل]

فأمر بإِدخاله. فلمَّا أَنشده قال يَزيد: لقد فارق أَبي الدنيا وما يحسب إِلَّا أَنّي قائلها، وأمَر له بجائزة وكُسوة.

استعار من أبيه فحلاً يطرقه في إبله:

أَخبرني أَبو الحسن الأَسَديّ قال: حدّثنا محمد بن صالح بن النطَّاح قال: قال أَبو عُبيدة قال أبو عمرو:

استعار جرير من أَبيه فحلًا يُطرقِه في إِبلِه، فلما استغنى عنه جاءه أَبوه في بَتٍ[1] خَلَقٍ يَستردُّه؛ فدفَعَه إليه وقال: يا أبتِ، هذا «تُرَدّ إلى عطيَّةَ تُعتَلُ». يعرِّض بقول الفرزدق فيه:

لـيـس الـكـرامُ بـنـاحِـلِـيـكَ[2] أبـاهُـم حـتـى تُـرَدَّ إلـى عَـطـيَّـةَ تُـعـتَـلُ[3]

[الكامل]

اتعاظه بجنازة مرت عليه:

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا الرِّياشيّ وعمر بن شَبّة قالا: حدّثنا الأصمعيّ قال: أخبرنا أَبو عَمرو بن العَلاء قال:

جلس جرير يُملي على رجل قوله:

وَدِّع أُمـامـةَ حـانَ مـنـكَ رحـيـلُ إِنّ الـوَداعَ لـمـن تـحـبّ قـلـيـلُ

[الكامل]

فمرّوا عليه بجنازة؛ فقطع الإِنشادَ وجعل يَبكي، ثم قال: شيبتْني هذه الجنازة. قال أَبو عمرو: فقلت له: فعَلامَ تَقذِف المُحصَنات منذ كذا وكذا! فقال: إنهم يَبدأونَني ثم لا أَعفو.

أَخبرني عمي قال: حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ قال: حدّثنا عبد اللَّه بن المُعَذّلِ قال:

كان أَبي وجماعةٌ من علمائنا يقولون: إِنما فُضِّل جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ،

---

(١) البت: الطيلسان من خزٍّ ونحوه.

(٢) الناحل: الرقيق، وناحليك أباهم بمعنى مسلموك إياه.

(٣) تعتل: جرَّه عنيفاً فحمله وساقه قسراً.

وأفضل شعرٍ قاله جرير:

حَيِّ الـهِـدَمـلَـةَ[١] مـن ذات الـمَـواعِـيـسِ[٢]

هجا بني الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد في مسجدهم:

أَخبرني أَبو خليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلَّام قال: حدّثنا أَبو الغَرّاف قال:

أتى الفرزدقُ مجلسَ بني الهُجَيم في مسجدهم فأنشدهم؛ وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغدِ ليُنشِدَهم كما أَنشدهم الفرزدق. فقال له شيخ منهم: يا هذا اتَّقِ اللَّه! فإنّ هذا المسجد إنما بُني لذكرِ اللَّه والصلاة. فقال جرير: أقررتُم للفرزدق ومنعتموني! وخرج مُغضَباً وهو يقول:

إنّ الـهُـجَـيـمَ قـبـيـلـةٌ مـلـعـونـةٌ حُـص[٣] الـلِّـحـى مـتـشـابـهـو الألـوانِ

هـم يـتـركـون بَـنـيـهـمُ وبـنـاتـهـم صُـعـر[٤] الأنـوفِ لـريـح كـلِّ دُخـان

لـو يَـسـمـعـون بـأكـلـةٍ أَو شَـرْبـةٍ بـعُـمـانَ أصـبـح جَـمـعُـهـم بـعُـمـان

[الكامل]

قال: وخفَّة اللِّحى في بني هُجَيم ظاهرة. وقيل لرجل منهم: ما بالكم يا بني الهُجَيم حُصُّ اللِّحى؟ قال: إن الفحل واحد.

أَخبرني محمد بن عِمرانَ الصَّيرفيّ قال: حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال: حدّثني محمد بن عبد اللَّه بن آدم قال: سمعت عُمارةَ بن عُقَّيل يحدِّث عن أَبيه عن جدّه قال:

قال عبد الملك أَو الوليد ابنه لجرير: مَن أشعر الناس؟ قال: فقال: ابنُ العِشرين. قال: فما رأيك في ابني أَبي سُلمى؟ قال: كان شعرهما نَيِّراً يا أَمير المؤمنين. قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتَّخذ الخبيثُ الشعر نَعلين، وأُقسم باللَّه لو أدركته لرفعتُ ذَلاذِلَه[٥]. قال: فما تقول في ذِي الرُّمَّة؟ قال: قَدَر من ظريفِ الشعر وغريبه وحَسَنِه على ما لم يقدِر عليه أحد. قال: فما تقول في الأخطل؟ قال: ما أخرج لسانُ ابنِ النَّصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في

---

(١) الهدملة: الرملة الشديدة الشجر.

(٢) المواعيس: روابي الرمل التّي يصعب فيها المشي.

(٣) حص: جمع أحص وهو قليل شعر اللحية.

(٤) صُعْر: مُصابين بداء في الوجه وهو ميل في الوجه أو في أحد الشقين.

(٥) ذلاذل: ما يلي الأرض من الإزار، وأراد بها الملازمة والخدمة.

الفرزدق؟ قال: في يده واللَّه يا أَمير المؤمنين نَبعةٌ من الشعر قد قَبض عليها. قال: فما أَراك أبقيتَ لنفسك شيئاً! قال: بلى واللَّهِ يا أَمير المؤمنين! إِنّي لَمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود، نسبتُ فأطربتُ، وهجوتُ فأرديتُ، ومدحتُ فسنَّيت[1]، وأَرملتُ فأغزرت، ورجَزتُ فأَبحرت؛ فأنا قلت ضروبَ الشعر كلَّها، وكلُّ واحد منهم قال نوعاً منها. قال: صدقتَ.

طلبت جارية له أن يبيعها فعيره الفرزدق ذلك:

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدّثنا عبد اللَّه بن أَبي سعد قال: حدّثنا عليّ بن الصبَّاح عن ابن الكلبيّ قال:

كانت لجرير أَمَةٌ وكان بها معجَباً، فاستخفَّتِ المَطعَم والمَلبس والغِشيانَ[2] واستقلَّتْ ما عنده، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد، أَهلُ خصب ونَعمة، فسامتْه أن يبيعها وألَحَّت في ذلك؛ فقال فيها:

تكلِّفُني معيشةَ آلِ زيدٍ ... ومَن لي بالمُرَقَّقِ[3] والصِّنابِ[4]
تقول أَلا تضُمّ كضَمِّ زيدٍ ... وما ضَمِّي وليس معي شبابي

[الوافر]

فقال الفرزدق يعيّره ذلك:

فإِن تُفقِرْك عِلجةُ آلِ زيدٍ ... ويُعجِزْك المرقَّقُ والصِّنابُ
فقِدْماً كان عيشُ أَبيك مُرّاً ... يَعيشُ بما تعيش به الكلابُ

[الوافر]

قصته مع ذي الرمة عند المهاجر بن عبد اللَّه:

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدّثنا العباس بن مَيمون قال: حدّثنا التَّوَزِيّ عن أَبي عُبيدة عن أَيّوب بن كُسَيب قال:

دخل جرير على المهاجر بن عبد اللَّه وهو والي اليَمامة وعنده ذو الرُّمّة يُنشِده. فقال المهاجِر بن عبد اللَّه لجرير: كيف تَرى؟ قال: لقد قال وأما أَنعم. فغضب ذو الرُّمَّة ونهَض وهو يقول:

---

(١) سنَّى: سهل.
(٢) الغشيان: يقال غشي أغمي عليه، وقصد بها المجامعة.
(٣) المرقق: الأرغفة الكبيرة الواسعة الرقيقة (المرقوق).
(٤) الصِناب: أدم يتخذ من الزبيب والخل معروف عند العرب.

أَنـا أَبـو الـحـارِث واسـمـي غَـيـلان

فنَهض جرير وقال:

إِنّي امرؤٌ خُلِقتُ شَكساً[١] أَشوَسا[٢] إِن تَضرِساني[٣] تَضرِسا مُضرَّسا
قد لَبِس الدهرَ وأَبى مَلبَسا مِن شاء مِن نارِ الجَحيم اقتبسا

[الرجز]

قال: فجلَسَ ذو الرُّمة وحاد عنه فلم يُجِبه.

أَخبرني أَبو الحَسَن الأَسَديّ قال: حدّثنا ابن النَّطَّاح عن أَبي عُبيدة قال:

كان ذو الرُّمة ممن أعان على جرير ولم يُصحِر[٤] له؛ فقال جرير فيه:

أقول نَصاحةً لبني عَدِيٍّ ثيابَكُمُ ونَضحَ دمِ القتيل

[الوافر]

وهي قصيدة. قال: وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصحِرون له.

حديثه مع ذي الرمة وهشام المرئيّ:

أَخبرنا أَبو خَليفة الفَضل بن الحُباب قال: حدّثنا محمد بن سَلَّام قال: حدّثني أَبو الغَرَّاف قال:

قال الفرزدق لذي الرُّمّة: ألهاكَ البكاءُ في الديار وهذا العبد يَرجُز بك (يَعني هشاماً المَرَئِيَّ) بمَقبُرة بَني حِصن. قال: وكان السبب في الهجاء بين ذي الرّمة وهشام أن ذا الرّمة نزل بقرية لبني امرئ القيس يقال لها: مَرأَةٌ، فلم يَقرُوه ولم يَعْلِفوا له، وهو يقول:

نزلنا وقد طال النهارُ وأَوْقدتْ علينا حَصى المِعزاء[٥] شمسٌ تَنالُها
أَنَخنا فظَلَّلنا بأَبرادِ[٦] يُمنَةٍ[٧] رِقاقٍ وأسياف قديمٍ صِقالُها[٨]
فلمَّا رآنا أهلُ مَرأَةَ أَغلَقوا مَخادِع[٩] لم تُرفَع لخيرٍ ظِلالُها
وقد سُمِّيتْ باسم امرئ القَيس قَرْيةٌ كِرامٌ صَوادِيها[١٠] لئامٌ رجالُها

(١) الشكس: الصعب المِرَاس.
(٢) الأشوس: الجريء على القتال والنِزال الشديد.
(٣) الضَرْس: العضّ القوي بالأضراس.
(٤) يُصحر: يبرز له.
(٥) المعزاء: الأرض الصلبة ذات الحصى الكثيرة.
(٦) الأبراد: مفردها برد، وهو الثوب.
(٧) يمنة: نوع من أثواب اليمن.
(٨) صقال: صنعة الفرس وصيانته.
(٩) المخادع: مفردها مَخدَع، المكان الذي يتخذ للراحة داخل البيت.
(١٠) الصوادي: مفردها صادية، النخلة التي لا تُسقى وإنما تشرب بعروقها الماء من جوف الأرض.

يَظلُّ الكرامُ المُرمِلون[١] بجوّها سواءٌ عليهم حَملُها وحِيالُها[٢]
ولو وُضِعتْ أكوارُها[٣] عند بَيهَسٍ على ذاتِ غسلٍ لم تُشمَّسْ رِحالُها
[الطويل]

فقال جرير لهشام، وكان يتَّهم ذا الرُّمة بهجائه التَّيمَ وهم إِخوة عَدِيّ: عليك العبدَ (يعني ذا الرّمة). قال: فما أصنع يا أَبا حَزْرة وهو يقول القَصيدَ وأنا أَقول الرَّجَزَ، والرجز لا يقوم للقصيد؟ فلو رَفَدتَني! قال: قل له:

عَجِبتَ لِرَحْلٍ من عَدِيٍّ مُشمَّسٍ وفي أَيّ يوم لم تُشمَّس رِحالُها
وفِيمَ عَدِيٌّ عند تَيم من العُلا وأَيامِنا الّلاتي يُعَدّ فَعالُها
مدَدتَ بكفٍ من عديٍّ قصيرةٍ لِتُدرِكَ من زيد يداً لا تنالُها
وضَبَّةُ عَمِّي يا ابن جَلٍّ فلا تَرُم مساعيَ قوم ليس منك سِجالُها
يُماشِي عَدِيّاً لؤمُها ما تُجِنُّه من الناس ما ماشتْ عَدِيّاً ظِلالُها
فقل لعَدِيٍّ تَستعِن بنسائها عليَّ فقد أَعيا عَدِيّاً رجالُها
إِذَا الرُّمُ قد قَلَّدْتُ قومَك رُمّةً بطيئاً بأيدي المُطلِقين انحلالُها
تَرى اللؤم ما عاشتْ عديٌّ مُخلَّداً سَرابيلُها منه ومنه نِعالُها
[الطويل]

قال: فلَجَّ[٤] الهجاءُ بين ذي الرمّة وهشام. فلما أَنشد المَرَئيُّ هذه الأبيات وسمعها ذو الرّمّة قال: كذبَ العبدُ السَّوءُ! ليس هذا الكلام له، هذا كلامٌ نَجدِيٌّ حَنظَليّ، هذا كلام ابنِ الأتان. قال: ولم يزل ذو الرّمة مستعلياً على هشام حتى لقيه جرير فوفَده هذه الأبياتَ.

أَخبرني محمد بن مَزْيَد قال: حدّثنا حَمَّاد بن إِسحاق عن أبيه عن أبي عَدنان قال: حدّثني أَبو صَخر من ولد حَجناءَ بنِ نُوح بن جَرير قال: سمعت أَبي يحدّث عن أَبيه قال:

أتى هشامُ بن قيس المَرَئيّ أَبي (يعني جريراً) فاسترفَده على ذي الرمّة، وقد كانا تهاجيا دهراً، وكان سبب ذلك أنّ ذا الرُّمّة نزل على أَهل قرية لبني امرئ القيس فلم

(١) المُرمِلون: مفردها مُرمِل، هم الذين فَنِي زادهم.
(٢) الحِيال: خيط يشد من بطان البعير إلى حقبه لئلا يقع الحقب على ثبله.
(٣) الأكوار: ملتقى دار بني ربيعة ودار نُهيك.
(٤) لجّ: خاصم.

يُدخِلوا رحله، فذَّمهم في القِرى، ومدح بَيهَساً صاحبَ ذات غِسل ـ وهو مَرَئيّ. وذات غِسل: قرية له ـ فقال ذو الرُّمّة:

ولـمَّـا وردّنـا مَـرْأةَ الـلُّـؤمِ أُغـلِـقـتْ دساكِـرُ[1] لـم تُـفـتَـح لـخـيـرٍ ظِـلالُـهَـا
ولـو عُـرِّيـتْ أصـلابُـهـا[2] عـنـد بَـيـهَـسٍ عـلـى ذات غِـسـلٍ لـم تُـشـمَّـس رِحـالُـهـا
إِذا مـا امـرؤ الـقـيـس ابـنُ لـؤمٍ تَـطـمَّـعـتْ بـكـأسِ الـنـدامـى خَـبَّـثـتْـهـا سِـبـالُـهـا
[الطويل]

فقال جرير للمَرَئيّ: قل له:

عَـجِـبـتَ لـرَحـلٍ مـن عـديٍّ مُـشـمَّـسٍ وفـي أيِّ يـومٍ لـم تُـشـمَّـس رحـالُـهَـا
[الطويل]

وذكر الأبيات الماضية المذكورة في رواية أبي خَليفة. قال: فلقي ذو الرُّمّة جريراً فقال له: تعصَبتَ للمَرَئيّ وأنا خالُك! قال: حين قلتُ ماذا؟ قال: حين قلتَ له أَن يقول لي:

عـجـبـتُ لـرَحْـلٍ مـن عَـدِيٍّ مـشـمَّـسِ

فقال له جرير: لا! بل أَلهاك البكَاءُ في دار مَيَّة حتى أُبيحت مَحارمُك. قال: وكان قد بلغ جريراً ميلُ ذي الرُّمّة عليه، فجعل يعتذر إليه ويحلِف له. فقال له جرير: اذهب الآن فقل للمَرَئيّ:

يَـعُـدّ الـنـاسـبـون إلـى تَـمـيـم بـيـوتَ الـمـجـدِ أربـعـةً كِـبـارَا
يَـعُـدُّون الـرِّبـاب وآلَ سَـعـدٍ وعَـمـراً ثـم حَـنـظـلـةَ الـخِـيـارا
ويَـهـلِـكُ بـيـنـهـا الـمَـرَئـيُّ لَـغـواً كـمـا أَلـغـيـتَ فـي الـدِّيـةِ الـحِـوارا[3]
[الوافر]

فقال ذو الرمّة قصيدتَه التي أوّلها:

نَـبَـتْ عـيـنـاك عـن طَـلَـلٍ بـخُـروى عَـفَـتـه الـرِّيـحُ وامـتُـنِـحَ الـقِـطـارَا
[الوافر]

وأَلحقَ فيها هذه الأبياتَ. فلما أَنشدها وسمعها المَرَئيّ جعل يلطِم رأسه ووجهه ويدعو بوَيله وحَرَبِه ويقول: مالي ولَجرير! فقيل له: وأينِ جريرٌ منك! هذا رجل يُهاجِيك وتُهاجِيه! فقال: هيهات! لا واللَّهِ ما يُحسِن ذو الرمّة أَن يقول:

(١) دساكر: مفردها دسكرة، وهي القرية والصومعة وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي.
(٢) الأصلاب: مفردها صلب، وهو عظم من لدن الكاهل إلى عجب الذنب.
(٣) الحوار: ولد الناقة.

ويـذهَـب بـيـنـهـا الـمَـرَئـيّ لَـغـواً كـمـا ألـغـيـتَ فـي الـدِّيَـة الـحِـوارَا

[الوافر]

هذا واللَّه كلام جرير ما تعدَّاه قطّ. قال: ومرّ الفرزدق بذي الرمّة وهو يُنشد هذه القصيدة؛ فلما أَنشد الأبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق: أعِدْ يا غَيلان، فأعاد؛ فقال له: أأنت تقول هذا؟ قال: نعم يا أبا فِراس. قال: كذَب فُوكَ! واللَّه لقد نَحلَكَها أشدُّ لَحيَينِ منك، هذا شعر ابن الأتان[1]، قال: وجاء المَرَئيُّون إلى جرير فقالوا: يا أبا حَزرة، قد استعلى علينا ذو الرمّة، فأعِنَّا على عادتِك الجميلة. فقال: هيهات! قد واللَّه ظلمتُ خالي لكم مرَّةً وجاءني فاعتذر وحلَف، وما كنتُ لأُعِينكم عليه بعدها. قال: ومات ذو الرُّمّة في تلك الأيام.

أَخبرني عمي قال: حدّثني الكُرانيّ قال: حدّثني العُمَريّ عن لَقِيط قال: حدّثني أبو بكر بن نَوفَل قال: حدّثني من سأل النُّصَيبَ قال: قلت له: يا أَبا مِحجَن، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ، فأُحِبّ أن تخبرني أيُّكم فيه أشعرُ؟ قال: وما هو؟ قلتُ: قولُك:

أضَـرَّ بـهـا الـتـهـجـيـرُ حـتـى كـأنـهـا أكَـبّ عـلـيـهـا جـازِرٌ[2] مُـتَـعَـرِّقُ[3]

[الطويل]

وقال جميل:

أضَـرَّ بـهـا الـتـهـجـيـرُ حـتـى كـأنـهـا بـقـايـا سُـلالٍ[4] لـم يَـدَعـهـا سُـلالُـهـا

[الطويل]

وقال جرير:

إذا بـلـغـوا الـمـنـازلَ لـم تُـقـيَّـدْ وفـي طُـول الـكَـلالِ[5] لـهـا قـيـودُ

[الوافر]

فقال نُصَيب: قاتل اللَّه ابنَ الخَطَفى! ما أشعرَه! قال: فقال له الرجل: أمّا أنتَ فقد فضلتَه؛ فقال: هو ما أقول لك.

قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس:

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدّثنا عبد اللَّه بن أبي سعد قال: حدّثني عبد الرحمٰن بن القاسم العِجليّ قال: حدّثني الحسن بن علي المِنقَّريّ قال: قال مسعود بن بِشر:

---

(١) ابن اتان: لقب لجرير الشاعر. (٢) جازر: البعير.
(٣) المتعرق: الذي أزيل ما على العظم من اللحم من جسده.
(٤) سُلال: داء السِّل. (٥) كَلال: من لا ولد له ولا والد.

قلت لابن مُناذر بمكة: مَن أشعرُ الناس؟ قال: من إذا شئتَ لَعِب، وإذا شئتَ جَد؛ فإذا لعب أطمعك لَعِبُه فيه، وإذا رُمْتَه بَعُد عليك؛ وإذا جدّ فيما قصَد له أيأسَك من نفسه. قلتُ: مثلُ مَن؟ قال: مثل جرير حين يقول إذا لَعِب:

إنَّ الـذيـن غَـدَوْا بـلُـبِّـك غـادروا وَشَـلاً بـعـيـنـك مـا يـزال مَـعـيـنَـا

[الكامل]

ثم قال حين جَدّ:

إنَّ الـذي حَـرَم الـمَـكـارِمَ تَـغـلِـبـاً جـعـل الـخـلافـةَ والـنـبـوَّةَ فـيـنَـا
مُـضَـرٌ أبـي وأبـو الـمـلـوكِ فـهـل لـكـم يـا آلَ تَـغـلِـبَ مـن أبٍ كـأبـيـنـا
هـذا ابـنُ عـمـي فـي دمـشـقَ خـلـيـفـةً لـو شـئـتُ سـاقـكُـم إلـيَّ قَـطِـيـنـا[1]

[الكامل]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني الرِّياشيّ قال: حدّثنا الأصمعي عن أَبي عمرو قال:

لمَّا بلغ عبدَ الملك قولُ جَرير:

هـذا ابـن عـمـي فـي دمـشـقَ خـلـيـفـةً لـو شـئـتُ سـاقـكُـم إلـيّ قَـطـيـنَـا

[الكامل]

قال: ما زاد ابنُ المَراغة على أن جعلني شُرطِيّاً! أمَا إنّه لو قال:

لـو شـاء سـاقـكـم إلـيّ قـطـيـنَـا

لسقتُهم إليه كما قال.

فضله بشار على الأخطل وعلى الفرزدق:

أخبرني أبو خَليفة قال: حدّثنا محمد بن سَلَّام قال:

سألت بشَّاراً العُقَيليّ عن الثلاثة فقال: لم يكن الأخطلُ مِثلَهما، ولكنَّ رَبيعةَ تعصَّبتْ له وأفرطتْ فيه. قلت: فجريرٌ والفرزدقُ؟ قال: كان جريرٌ يُحسِن ضروباً من الشعر لا يُحسنها الفرزدق، وفضَّل جريراً عليه.

موازنة بينه وبين الأخطل والفرزدق:

وقال ابن سَلَّام: قال العَلاء بن جَرير ـ وكان قد أدرك الناسَ وسمع ـ: كان

(١) القطين: الإماء والحشم الأفراد والحشم المماليك وأهل الدار.

يقال: الأخطلُ إذا لم يُجئْ سابقاً فهو سُكَّيت، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً فهو بمنزلة المصلِّي أبداً، وجرير يجيء سابقاً ومصلِّياً وسُكَّيتاً. قال ابن سَلَّام: وتأويل قوله: إن للأخطل خمساً أَو ستّاً أو سبعاً طِوالاً روائعَ غُرَراً جِياداً هو بهنّ سابق، وسائرُ شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السُّكَّيت ـ والسكَّيت: آخر الخيل في الرِّهان ـ والفرزدق دونَه في هذه الروائع وفوقَه في بقيَّة شعره، فهو كالمصلِّي أبداً ـ وهو الذي يجيء بعد السابق وقبل السكّيت ـ وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق، وأوساطٌ هو بهنّ مصلّ، وسَفسافات[1] هو بهنّ سُكَّيت.

مناقضة بينه وبين الفرزدق:

أَخبرنا أَبو خَليفة قال: حدثني محمد بن سَلَّام قال: حدثني حاجِب بن زيد بن شَيبان بن عَلقة بن زُرارة قال:

قال جرير بالكوفة:

لقد قادَني من حُبِّ ماوِيّةَ الهوى ... وما كنتُ تَلقاني الجَنيبةُ أَقَودَا[2]
أُحِبُّ ثَرى نَجدٍ وبالغَورِ حاجةٌ ... فغارَ الهوى يا عبدَ قَيسٍ وأَنجدا
أقول له يا عبدَ قَيسٍ صَبابةً ... بأيِّ تَرى مستوقِد النارِ أَوقدا
فقال أَرى ناراً يُشَبُّ وُقُودها ... بحيثُ استفاض الجِزع شِيحاً وغَرقَدا[3]

[الطويل]

فأعجبتِ الناسَ وتناشدوها. قال: فحدّثني جابر بن جَندل قال: فقال لنا جريرٌ: أعجبتْكم هذه الأبياتُ؟ قالوا: نعم. قال: كأنكم بابنِ القَين[4] وقد قال:

أَعِدْ نظراً يا عبدَ قَيسٍ لعلَّما ... أَضاءت لك النارُ الحِمارَ المقيَّدَا

[الطويل]

قال: فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده:

حمارٌ بمَرُّوتِ[5] السُّحَامَةِ[6] قاربتْ ... وَظيفيْه حَولَ البيتِ حتى تَردَّدَا

(١) السفساف: رديء الأمر وأراد بها رديء الشعر ودنيئه.
(٢) الجنيبة: التي تجنب مع الآخر.
(٣) الغرقد: من شجر اليهود كبار الحجم.
(٤) ابن القَين: لقب للفرزدق.
(٥) المروت: موضع لبني حمان بن عبد العزى بن كعب بن أسد.
(٦) السحامة: ماءة لقوم بني كليب.

كُـلَـيـبـيَّـة لـم يـجـعـل الـلَّـهُ وجـهَـهـا كـريـماً ولـم يَـسـنَـح بـهـا الـطـيـرُ أَسـعُـدَا

[الطويل]

قال: فتناشدها الناسُ. فقال الفرزدق: كأنكم بابنِ المَراغةِ قد قال:

ومـا عِـبـتَ مـن نـارٍ أضـاء وُقُـودُهـا فِـراسـاً وبِـسـطـامَ بـنَ قَـيـسٍ مـقـيَّـدَا

[الطويل]

قال فإذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه:

وأَوقـدتَ بـالـسـيِّـدانِ[1] نـاراً ذَلـيـلـةً وأُشـهِـدْتَ من سَوءاتِ جعثِنَ[2] مَشهدا

[الطويل]

جرير والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان:

أَخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال: حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن آدَم بن جُشَم عن عمارة بن عُقَيل عن أَبيه قال:

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطلُ داخلٌ عنده، وقد كانا تَهاجيَا ولم يَرَ أحدٌ منهما صاحبَه، فلما استأذنوا عليه لجرير أذِن له فدخل فسلَّم. ثم جلس وقد عرفه الأخطل، فطمَح طَرْفُ جريرٍ إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومَك وتهضَّمتُ[3] قومَك. فقال له جرير: ذلك أَشقى لك كائناً من كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال: مَن هذا يا أَمير المؤمنين؟ جعلني اللَّه فداءَك! فضحك ثم قال: هذا الأخطلُ يا أَبا حَزْرة. فرَدّ عليه بصرَه ثم قال: فلا حَيَّاك اللَّه يا ابنَ النصرانية! أمّا منعُك نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك. وأما تهضُّمُك قومي فكيف تَهضَّمُهم وأَنت ممن ضُرِبتْ عليه الذِّلَّة وباء بغضبٍ من اللَّه وأدّى الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغِر. وكيف تتهضَّم لا أُمّ لكَ قوماً فيهم النبوَّة والخلافةُ وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم. ثم أقبل على عبد الملك فقال: ائذنْ لي يا أميرَ المؤمنين في ابنِ النَّصرانية؛ فقال: لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي.

أَخبرني أَبو خَليفة قال: حدثنا محمد بن سَلَّام قال: حدثني أَبو يحيى الضَّبِّيّ قال: نازَع جريرٌ بني حِمَّان[4] في رَكِيَّةٍ[5] لهم؛ فصاروا إلى إبراهيم بن عَدِيّ باليَمامة يتحاكمون إليه؛ فقال جرير:

---

(١) السيدان: موضع بأبيورد.

(٢) جعثن: أخت الشاعر الفرزدق.

(٣) تهضَّم: دفعه عن موضعه.

(٤) بني حمان: قوم من بني تميم.

(٥) ركيَّة: البئر معها ركايا.

أَعُـوذ بـالأمـيـر غـيـرِ الـجَـبَّـارْ مـن ظُـلـم حِـمَّـانَ وتـحـويـلِ الـدار
مـا كـان قـبـلَ حَـفـرِنـا مـن مِـحـفـارْ وضَـربـيَ الـمِـنـقـار[1] بـعـدَ الـمِـنـقـار
فـي جَـبَـلٍ أصـمَّ غـيـرِ خَـوَّارْ يَـصـيـحُ بـالـجُـب[2] صِـيـاحَ الـصَّـرَّار[3]
لـه صَـهـيـلٌ كـصَـهـيـلِ[4] الأمـهـارْ فـاسـأل بـنـي صَـحْـبٍ ورَهْـطَ الـجَـرَّار
والـسَّـلَـمِـيّـيـن الـعِـظـامَ الأخـطـارْ والـجـارُ قـد يُـخـبِـر عـن دار الـجـار

[الرجز]

فقال الحِمَّانيّ:

مـا لِـكُـلَـيـبٍ مـن حِـمَّـى ولا دارْ غـيـرُ مُـقـامـه أُتُـنٍ[5] وأَعـيـارْ[6]
قُـعْـسِ[7] الـظـهـورِ داميـاتِ الأثـفـارْ[8]

[الرجز]

قال: فقال جرير: فعن مُقامِهنّ، جُعِلتُ فِداك، أُجادِك. فقال ابن عَدِيّ للحِمَّانيّ: قد أَقررتَ لخصمك؛ وحكم بها لجرير.

نزل ببني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم:

قال ابن سَلَّام وأَخبرني أَبو يحيى الضَّبِّيّ قال:

بينا جريرٌ يسير على راحلته إِذ هجمَ على أَبياتٍ من مازِن وهِلال ـ وهما بطنان من ضَبَّة ـ فخافهم، لسوء أَثَرِه في ضَبَّة، فقال:

فـلا خـوفٌ عـلـيـكِ ولـن تُـراعـي بـعَـقـوةِ[9] مـازِنٍ وبـنـي هِـلالِ
هـمـا الـحَـيَّـانِ إِن فَـزِعـا يَـطـيـرا إِلـى جُـرْدٍ كـأمـثـال الـسّـعـالـي[10]
أمـازِنُ يـا ابـنَ كـعـبٍ إِنّ قـلـبـي لـكـم طـولَ الـحـيـاة لَـغـيـرُ قـالـي

(١) المنقار: خشبة تُنقَر وينبذ فيها. (٢) الجُبّ: البئر.
(٣) الصَّرار: نوع من الخنافس يصدر صوتاً في الصحارى من أول الليل إلى طلوع الصبح.
(٤) صهيل: صوت الخيل. (٥) أتن: جمع أتان وهي أنثى الحمار.
(٦) أعيار: جمع عير، الحِمار الوحشي والأهلي أيضاً.
(٧) قعس: جمع أقعس وقعساء، وهو خروج الصدر ودخول الظهر وهو عيب خلقي.
(٨) الأثفار: مفردها ثفر، للسباع وكل ذي مخلب بمنزلة الحياء للناقة وربما استعير لغيرها.
(٩) العقوة: ساحة الدار.
(١٠) السعالي: نبات يفجر ورقة الدَّبيلات ويُحلِّلها وطريَّة يقلع الجَرَب، وهو أفضل دواء للسعال.

غَـطـارِيـفٌ[١] يَـبِـيـتُ الـجـارُ فـيـهـم قـريـرَ الـعـيـن فـي أهـل ومـال
[الوافر]

قال: أجَل يا أَبا حَزْرة فلا خوف عليك.

جرير والفرزدق في مسجد دمشق:

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شَبَّة قال: قال شُعَيب بن صخر حدثني هارون بن إبراهيم قال:

رأَيت جريراً والفرزدق في مسجد دمشق وقد قَدِماها على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ واحد على جرير: قيس وموالي بني أمية يسلّون عليه ويسألونه كيف كنت يا أَبا حَزْرة في مَسيرك، وكيف أهلُك وأسبابُك. وما يُطِيف بالفرزدق إِلَّا نفَرٌ من خِندِف جلوسٌ معه. قال شُعيبٌ: فقلت لهارون: ولم ذلك؟ قال: لمدحه قَيساً وقوله في العجم:

فـيـجـمـعُـنـا والـغُـرَّ أَولادَ سـارَةٍ أبٌ لا نُـبـالـي بـعـدَه مـن تـعـذَّرَا
[الطويل]

قال شُعيب: بلغني أنه أُهدِيتْ له يومئذٍ مائةُ حُلَّة، أهداها إليه الموالي سوى غيرهم. وأَخبرني بهذا الخبر أَبو خليفة عن محمد بن سَلَّام عن شُعيب بن صَخْر، فذكر نحواً من حكاية أَبي زيدِ، إِلا أنها أتمُّ من حكاية ابن سَلَّام. وقال أَبو خليفة في خبره: سمعت عُمارة بن عُقَيل بن بِلال يقول: وافتْه في يومه ذلك مائةُ حلّة من بني الأحرار.

رأى الأحوص في قباء فعرّض به لئلا يعين عليه:

أخبرني جعفر بن قُدامة قال: حدثني أَحمد بن الهَيثم الفِراسِيّ قال: بينا جريرٌ بقُباءَ إِذ طلع الأحوصُ وجريرٌ يُنشِد قولَه:

لـولا الـحـيـاءُ لـعـادنـي اسـتـعـبـارُ ولـزُرْتُ قـبـرَكِ والـحـبـيـبُ يُـزارُ
[الكامل]

فلما نظر إلى الأحوص قطع الشعرَ ورفع صوتَه يقول:

عَـوى[٢] الـشـعـراءُ بـعـضُـهـمُ لـبـعـضٍ عـلـيّ فـقـد أصـابـهـمُ انـتـقـامُ

(١) غطاريف: مفردها غطريف، وهو السيد الشريف والسخي السَّدى.

(٢) عوى: العواء هو صوت الذئب حين يعوي لأصحابه فيجتمعون حوله، وأراد بها أن الشعراء تداعوا عليه واجتمعوا مع بعضهم للرد عليه.

إذا أرسلتُ قافيةً شَروداً رأوْا أخرى تحرِّق فاستداموا[1]
فمُصطَلَم[2] المَسامِع أو خَصيٌّ وآخرُ عظمُ هامتِه حُطام
[الوافر]

ثم عاد من حيث قطَع. فلما فرَغ قيل له: ولم قلتَ هذا؟ قال: قد نهيتُ الأحوص أن يُعين عليّ الفرزدق، فأنا واللَّه يا بني عمرو بن عَوْف ما تعوّذتُ من شاعر قطُّ، ولولا حقُّكم ما تعوّذت منه.

أوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد وأوصاه به:

أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا الحسن بن الحسين السكَّريّ قال: قال عمارة بن عُقَيل حدثني أبي عن أبيه:

إن الحَجّاج أوفد ابنَه محمدَ بن الحجَّاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصَّاه به وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه. فلما وردوا استأذن له محمد على عبد الملك، فلم يأذَنْ له، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا يأذن لهم، لأنهم كانوا زُبَيريّةً[3]. فلما استأذن له محمد على عبد الملك ولم يأذَن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأله في أمره ويقول: إنه لم يكن ممن والى ابنَ الزبير ولا نصَره بيده ولا لسانه، وقال له محمد: يا أميرَ المؤمنين، إنّ العرب تتحدث أنّ عبدَك وسيفك الحجَّاج شفَع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلتَه ثم ردَدتَه؛ فأذِن له فدخل فاستأذن في الإنشاد؛ فقال له: وما عساكَ أن تقول فينا بعد قولك في الحجَّاج! ألستَ القائلَ:

من سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفاق عليكُم أم من يَصول كصوْلةِ الحجاج
[الكامل]

إن اللَّه ينصرني بالحجّاج وإنما نصر دينه وخليفته. أولست القائل:

أم مَن يَغارُ على النساء حَفيظةً إذ لا يَثِقنَ بغَيرةِ الأزواج
[الكامل]

يا عاضَّ كذا وكذا من أمّه! واللَّه لَهَمَمتُ أن أَطير بك طَيرةً بَطيئاً سُقوطُها، أُخرُجْ عنّي، فأُخرِج بشَرٍّ. فلما كان بعد ثلاثٍ شفَع إليه محمدٌ لجرير وقال له: يا أميرَ

(١) استدام: انتظر.
(٢) مصطلم: مقتطع، لأن الاصطدام هو القطع.
(٣) الزُّبيرية: اتباع عبد اللَّه بن الزبير.

المؤمنين، إني أدّيت رسالةَ عبدِك الحجَّاج وشفاعتَه في جرير، فلما أذِنتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأشمتَ به عدوَّه، ولو لم تأذن له لكان خيراً له مما سمع. فإن رأيتَ أن تَهَب كلَّ ذنب له لعبدك الحجَّاج وَلِي فافعل، فأذِن له. فاستأذنه في الإنشاد؛ فقال: لا تُنشِدني إلَّا في الحجَّاج، فإنما أنت للحجّاج خاصَّةً. فسأله أن يُنشِده مديحَه فيه، فأبى وأقسم ألّا يُنشِده إلَّا من قوله في الحجَّاج؛ فأنشده وخرج بغير جائزة. فلما أزِف الرَّحيلُ قال جرير لمحمد: إن رَحلتُ عن أمير المؤمنين ولم يَسْمَع منّي ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدهر، ولست بارحاً بابه أو يأذنَ لي في الإنشاد. وأمسك عبد الملك عن الإذن له. فقال جرير: إرحَل أنت وأقيم أنا. فدخل محمد على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له وسأله أن سمع منه وقبَّل يدَه ورجلَه، فأذِن له. فدخل فاستأذنه في الإنشاد، فأمسك عبد الملك. فقال له محمد: أنشِد وَيحك! فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

ألستُم خيرَ من ركب المطايا وأندى العالَمين بطون راحِ

[الوافر]

فتبسَّم عبد الملك وقال: كذلك نحن وما زِلنا كذلك. ثم اعتمد على ابن الزُّبير فقال:

دعوتَ المُلحَدِينَ أَبا خُبَيبٍ جِماحاً هل شُفِيتَ من الجِماحِ[1]
وقد وجدوا الخليفةَ هِبْرِزِيّاً[2] ألَفَّ العِيصِ[3] ليس من النَّواحي
وما شجراتُ عِيصِكَ في قريشٍ بعَشَّاتِ[4] الفُروع ولا ضَواحي[5]

[الوافر]

قال: ثم أنشده إيَّاها حتى أتى على ذكر زوجته فيها فقال:

تَغزَّتْ أمُّ حَزرةَ ثم قالت رأيتُ المُورِدين ذوي لِقاحِ
تُعلِّل وهي ساغبةٌ بَنيها بأنفاسٍ[6] من الشَّبِم[7] القَراحِ[8]

[الوافر]

---

(١) الجماح: اعتز بفارسه وغلب.
(٢) هبرزي: الاسوار من أساورة الفرس، والذهب الخالص.
(٣) العيص: الأصل، المنبت. (٤) العشة: الشجرة الدقيقة السيقان اللئيمة المنبت.
(٥) الضواحي: مفردها ضاحية، وهي البوادي.
(٦) الأنفاس: مفردها نفس، وهي جرعة الماء.
(٧) الشبم: البارد اللذيذ. (٨) القراح: الخالص.

فقال عبد الملك: هل تُرويها مائة لِقْحة؟ فقال: إن لم يُروِها ذلك فلا أَرواها اللَّه! فهل إليها ـ جعلني اللَّه فِداكَ يا أمير المؤمنين ـ من سبيل؟ فأمر له بمائة لِقْحة وثمانيةٍ من الرِّعاء. وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب؛ فقال له جرير: «يا أميرَ المؤمنين، تأمرُ لي بواحدة منهنّ تكون مِحلَباً؟ فضحك وندَس[1] إليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال: خذها لا نفعتْك! فأخذها وقال: بَلى واللَّه يا أَمير المؤمنين ليَنفعنّي كلُّ ما منحْتَنيه، وخرج من عنده. قال: وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال يمدح يزيدَ بنَ عبد الملك:

أعطَوْا هُنَيدةَ يَحدُوها ثمانيةٌ ... ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

[البسيط]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدثنا دَماذُ أَبو غَسَّانَ عن أَبي عُبيدة قال:

بذل محمد بن عُمَير بن عُطارِد بن حاجِب بن زُرارةَ أربعةَ آلافِ درهم وفرساً لمن فضّل من الشعراء الفرزدقَ على جرير، فلم يُقدِم عليه أحد منهم إلا سُراقة البارِقيّ فإنه قال يفضل الفرزدق:

أَبلِغ تَمِيماً غثَّها وسَمِينَها ... والحكم يَقصِد مرَّةً ويَجورُ

أنّ الفرزدقَ بَرّزَتْ أعراقُه ... سَبْقاً وخُلِّف في الغُبار جَريرُ

ذهب الفرزدق بالفضائل والعُلا ... وابن المَراغةِ مُخلَفٌ محسور

هذا قضاءُ البارِقيّ وإنني ... بالمَيل في ميزانهم لبَصير

[الكامل]

قال أَبو عُبَيدة فحدثني أَيّوب بن كُسَيب قال: حدثني أَبي قال: كنتُ مع جرير، فأتاه رسول بِشْر بن مَروان فدفع إليه كتابَه، وقال له: إنه قد أمرني أن أُوصلَه إليك ولا أبرحَ حتى تُجيب عن الشعر في يومك إن لقيتُه نهاراً أَو ليلتِك إن لقِيتُك ليلاً، وأَخرج إليه كتابَ بِشْر وقد نسَخ له القصيدة وأمره بأن يُجيب عنها. فأخذها ومكث ليلَته يجتهد أَن يقول شيئاً فلا يمكنه؛ فهتَف به صاحبُه من الجنّ من زاوية البيت فقال له: أزعمتَ أَنك تقول الشعر! ما هو إلّا أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحسِن أن تقول شيئاً! فهلَّا قلتَ:

يا بِشْرُ حَقّ لوجهِك التبشيرُ ... هَلَّا قضيتَ لنا وأَنت أَميرُ

[الكامل]

فقال له جرير: حَسبُك كُفِيتُكَ. قال: وسمع قائلاً يقول لآخر: قد أنار الصبحُ؛

(١) ندس: طعن طعناً خفيفاً.

فقال جرير:

يـا صـاحـبـيَّ هـل الـصـبـاحُ مُـنـيـرُ أم هـل لـلـومِ عـواذلـي تَـفـتـيـرُ[١]

إلى أَن فَرغ منها. وفيها يقول:

قـد كـان حَـقُّـكَ أَن تـقـول لـبـارقٍ يـا آل بـارِقَ فِـيـمَ سُـبَّ جـريـرُ

يُـعـطـى الـنـسـاءُ مـهـورَهـنّ كَـرامـةً ونـسـاءُ بـارقَ مـا لـهـنّ مُـهـورُ

[الكامل]

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بِشْر، فقُرئتْ بالعراق وأُفحِم سُراقةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُناقضتِه.

مناقضته عمر بن لجأ:

أَخبرني أَبو خَليفة قال: حدثني محمد بن سَلَّام قال: حدثني أَبو يحيى الضَّبِّيّ قال:

كان الذي هاج الهجاءَ بين جرير وعمرَ بنِ لَجَأ أن عمر كان يُنشِد أُرجوزةً له يصف فيها إبِلَه وجريرٌ حاضرٌ، فقال فيها:

قـد ورَدتْ قـبـل إِنَـا[٢] ضَـحـائِـهـا تُـفـرِّسُ الـحَـيَّـاتِ فـي خِـرْشـائِـهَـا[٣]

[الرجز]

جَـرّ الـعَـجـوزِ الـثِّـنـيَ مـن رِدائِـهَـا

فقال له جرير: أَخفقتَ. فقال: كيف أَقول؟ قال تقول:

جَـرّ الـعَـرُوسِ الـثِّـنـيَ مـن رِدائِـهَـا

[الرجز]

فقال له التَّميميّ أَنت أسوأُ قولاً منّي حيث تقول:

وأَوثـقُ عـنـد الـمُـرْدَفـاتِ عَـشـيَّـةً لَـحـاقـاً إذا مـا جَـرّد الـسـيـفَ لامِـعُ

[الطويل]

فجعلتَهنّ مُردفاتٍ غُدوةً ثم تَداركتَهنّ عَشيَّةً. فقال: كيف أَقول؟ قال: تقول:

وأَوثَـقُ عـنـد الـمُـرهَـفـاتِ عَـشـيَّـةً

(١) تفتير: اللين والسكون.
(٢) الإنا: الوقت، يقال آن الأوان يعني حان الوقت.
(٣) الخِرشاء: جلد الحيَّة.

فقال جرير: واللَّه لهذا البيتُ أحبُّ إليّ من بِكرِي حَزرَةَ، ولكنك مُجلِبٌ[١] للفرزدق. وقال فيه جرير:

هَـلَّا سِـوانـا ادَّرَأْتـم يـا بَـنـي لَـجَـإٍ شـيـئـاً يُـقـارَبُ أَو وَحـشـاً لـهـا غِـرَر[٢]
أحـيـنَ كـنـتُ سِـمـامـاً يـا بَـنـي لَـجَـإٍ وخـاطـرتْ بـيَ عـن أحـسـابـهـا مُـضَـرُ!
خَـلِّ الـطـريـقَ لـمـن يَـبـنـي الـمَـنـارَ بـه وابـرُزْ بـبَـرْزَةَ حـيـث اضـطـرَّك الـقـدَرُ
أَنـت ابـنُ بَـرزةَ مـنـسـوبـاً إلـى لـجـإٍ عـنـد الـعُـصـارةِ والـعـيـدانُ تُـعـتـصَـرُ
[البسيط]

ويروى:

أَلـسـتَ نَـزوةَ خَـوَّارٍ عـلـى أَمَـةٍ عـنـد الـعُـصـارةِ والـعِـيـدانُ تُـعـتـصَـرُ

فقال ابن لَجَأ يردّ عليه:

لـقـد كـذَبـتَ وشَـرُّ الـقـولِ أَكـذَبُـه مـا خـاطـرتْ بـكَ عـن أَحـسـابـهـا مُـضَـرُ
بـل أَنـت نَـزوةُ خَـوّارٍ عـلـى أَمَـةٍ لا يَـسـبِـقُ الـحَـلَـبـاتِ الـلـؤمُ والـخَـوَرُ
مـا قـلـتَ مِـن هـذه إلا سـأنـقُـضُـهـا يـا ابـنَ الأتـانِ بـمـثـلـي تُـنـقَّـضُ الـمِـرَرُ
[البسيط]

وقال عمر بن لجأ:

عـجـبـتُ لـمـا لاقـتْ رِيـاحٌ مـن الأذى ومـا اقـتـبـسـوا مـنّـي ولـلـشـرِّ قـابِـسُ
غِـضـابـاً لـكـلـبٍ مـن كُـلَـيـبٍ فَـرَسـتُـه هَـوى ولـشَـدَّاتِ الأُسـودِ فَـرائِـس
إذا مـا ابـنُ يَـربُـوعٍ أَتـاكَ لـمـأكـلٍ عـلـى مـجـلـسٍ إن الأكـيـلَ مُـجـالِـس
فـقـل لابـنِ يَـربـوع أَلَـسـتَ بـراحـضٍ[٣] سِـبـالَـكَ عـنَّـا إنـهـنَّ نَـجـائِـس
تُـمـسِّـحُ يَـربـوعُ[٤] سِـبـالاً لـئـيـمـةً بـهـا مـن مَـنـيّ الـعـبـدِ رَطْـبٌ ويـابـس
[الطويل]

قال: ثم اجتمع جرير وابن لجإٍ بالمدينة وقد ورَدها الوليدُ بن عبد الملك، وكان يتألَّه[٥] في نفسه، فقال أَتَقذِفان المُحصَناتِ وتُغضِبانهنّ! ثم أمر أَبا بكر محمد بن حَزْم

(١) المُجلِبْ: المعين والمساعد. (٢) غِرَز: مفردها غرزة، حلقات.
(٣) راحض: رحضه أي منعه وراحض تعني مانع.
(٤) يربوع: هو يربوع بن حنظلة بن مالك: أبو حي من تميم.
(٥) يتأله: يتعبد، يزهد ويتنسَّك.

الأنصاريّ ـ وكان والياً له بالمدينة ـ بضربهما، فضربهما وأقامهما على البُلْسِ[١] مقرونيْن، والتَّيميُّ يومئذٍ أَشبُّ من جرير، فجعل يَشولُ[٢] بجريرٍ وجريرٌ يعول وهو المَشولُ به:

فلستُ مُفارِقاً قَرَنَيَّ حتى يَطولَ تصعُّدي بكَ وانحدارِي

[الوافر]

فقال ابن لَجَأ:

ولمَّا أن قُرِنتُ إلى جريرٍ أَبى ذو بَطنِه إلا انحدارَا

[الوافر]

فقال له قُدامةُ بنُ إبراهيمَ الجُمَحيّ: وبِئسما قلتَ! جعلت نفسَك المقرونَ إليه! قال: فكيف أقول قال تقول:

ولمَّا لُزَّ في قَرَنِي جريرٌ

فقال: جُزيتَ خيراً، لا أقوله واللَّه أبداً إلا هكذا.

الأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان:

حدثني محمد بن عِمرانَ الصَّيرفِيّ قال: حدثنا العَنزيّ قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه العَبديّ قال: حدثني عُمارة بن عُقَّيل عن أَبيه قال:

وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطل داخل عنده، وقد كانا تَهاجَيا ولم يَلقَ أحدُهما صاحبَه. فلما استأذنوا لجرير أذِن له فسّلم وجلس، وقد عرَفه الأخطل، فطمَح بصرُ جرير إليه فقال له: من أنت؟ فقال: أنا الذي منعتُ نومَك وهضَمتُ قومك. فقال له جريرٌ: ذاك أَشقى لك كائناً مَن كنتَ. ثم أقبل على عبد الملك فقال: مَن هذا يا أَمير المؤمنين؟ فضحِك وقال: هذا الأخطلُ يا أَبا حَزْرةَ. فرَدّ بصرَه إليه وقال: فلا حَيَّاك اللَّه يا ابنَ النصرانية! أمَّا منعُك نومي فلو نِمتُ عنك لكانْ خيراً لك. وأما تهضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأنت ممن ضُرِبتْ عليهم الذِّلَّة والمَسكنة وباءوا بغضبٍ من اللَّه إيذَن لي يا أَميرَ المؤمنين في ابن النصرانية. فقال: لا يكون ذلك بين يديّ. فوثَب جريرٌ مُغضَباً. فقال عبد الملك: ثم يا أَخطل واتبَع صاحبَك؛ فإنما قام غضباً علينا فيك؛ فنَهض الأخطلُ. فقال عبد الملك لخادم له: انظر ما يَصنَعان إذا برَز له الأخطل. فخرج جرير فدعا بغلام

(١) البلس: كلمة معرَّبة وهو الغرائز الكبار يوضع فيها التبن والشعير.
(٢) يشول: يرتفع به.

له فقدّم إليه حِصاناً له أَدهَم فركبه وهدَر والفرسُ يهتزُّ من تحته، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتَوارى خَلفَه، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير. فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره؛ فضحك وقال: قاتل اللَّه جريراً! ما أَفحله! أمَا واللَّه لو كان النصرانيّ برزَ إليه لأكله.

أَخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثنا الرِّياشيّ قال: حدّثنا الأصمعيّ عن أَبي عمرو قال:

سُئل جرير أيُّ الثلاثةِ أشعرُ؟ فقال: أمَّا الفرزدق فيتكلَّف منّي ما لا يطِيقه؛ وأمَّا الأخطلُ فأشدُنا اجتراءً وأَرمانا للغرض؛ وأما أنا فمدينةُ الشعر. وقد حدثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شَبَّة عن الأصمعيّ فذكر نحو ما ذكره الرِّياشيّ، وقال في خبره: وأما الأخطل فأَنعتُنا للخمر وأَمدحُنا للملوك.

فضله أبو مهدي على جميع الشعراء:

أَخبرنا عمي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثنا العُمَريّ عن عَطاء بن مُصعَب قال:

قلت لأبي مَهديّ الباهِليّ وكان من علماء العرب: أيّما أشعرُ أجريرٌ أم الفرزدق؟ فغضب ثم قال: جريرٌ أشعرُ العربِ كلِّها؛ ثم قال: لا يزال الشعراءُ موقوفين يوم القيامة حتى يجيء جرير فيحكمَ بينهم.

هجا بني طهية في قصيدة الراعي:

أَخبرني هاشم بن محمد قال: حدثني العباس بن مَيمون قال: سمعت أَبا عثمان المازنيّ يقول:

قال جرير: هجوتُ بني طُهيَّة أَنواعَ الهجاءِ، فلم يَحفِلوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي:

كأنّ بني طُهَيَّةَ رهطَ سَلمى حجارةُ خارئٍ يَرمِي كلابَا

[الوافر]

فجرِعوا حينئذٍ ولاذُوا بي.

كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له:

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدثنا أَحمد بن الحارث الخرَّاز قال: حدثنا المَدائنيّ قال:

كان جرير من أَعَقِّ الناسِ بأبيه، وكان بلالٌ ابنُه أعقَّ الناسِ به. فراجع جريرٌ

بلالاً الكلامَ يوماً؛ فقال له بلال: الكاذب منّي ومنكَ ناك أُمَّه. فأقبلتْ أمّه عليه وقالت له: يا عدوّ اللَّه! أتقول هذا لأبيك! فقال جرير: دَعِيه، فواللَّه لكأنه سمِعها منّي وأنا أَقولها لأبي.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حدثنا أحمد بن الهَيثَم قال: حدّثنا العُمَريّ عن لَقيط قال:

كان عمر بن يزيد بن عُمَير الأسديّ يتعصَّب للفرزدق على جرير. فتزوّج امرأة من بني عُدُسِ بنِ زيد بن عبد اللَّه بن دارِم؛ فقال جرير:

نكحتَ إلى بني عُدُسِ بن زيدٍ ... فقد هَجَّنت[1] خيلَهمُ العِرابَا
أَتنسى يومَ مَسكِنَ إذ تُنادِي ... وقد أَخطأْتَ بالقَدَمِ الرِّكابا

[الوافر]

وهي قصيدة، فاجتمعوا على عمر بنِ يزيد. ولم يزالوا به حتى خلَعوا المرأة منه.

أَخبرني محمد بن خَلَف قال: حدثني محمد بن الهَيثم قال: حدثني عمي أَبو فِراس قال: حدثني وَدْقَةُ بنُ معروف قال:

نزل جريرٌ على عَنبَسةَ بن سعيد بواسِط، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلا بإذن الحَجَّاج. فلما دخل على عَنبسةَ، قال له: وَيحك! لقد غَرّرتَ بنفسك! فما حَمَلك على ما فعلتَ؟ قال: شعرٌ قلتُه اعتَلَجَ في صدري وجاشتْ به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأمير. قال: فعنَّفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال: لا تُطلِعنّ رأسَك حتى ننظرَ كيف تكونُ الحِيلة لك. قال: فأتاه رسول الحَجَّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظٍ، وهو قاعدٌ في الخَضراء وقد صُبّ فيها ماء استَنقع في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٌّ موضوعٌ ناحيةً. قال عَنبَسة: فقعدتُ على الكرسيّ، واقبل عليّ الحجَّاج يحدّثني. فلما رأيتُ تطلُّقَه وطِيبَ نفسِه قلتُ: أصلح اللَّه الأميرَ! رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه، فاستخفّه عَجَبُه به حتى دعاه إلى أن رَحل إليك ودخل مدينتَك من غير أن يُستَأذن له. قال: من هو؟ قلت: ابن الخَطَفى. قال: وأين هو؟ قلت: في المنزل. قال: يا غلام! فأقبل الغِلمانُ يتسارَعون. قال: صِفْ لهم موضعَه من دارك؛ فوصفتُ لهم البيتَ الذي هو فيه، فانطلقوا حتى جاءوا به، فأدخل عليه وهو مأخوذٌ بضَبعَيه حتى رُمي به في الخَضراء، فوقع على وجهه في الماء ثم قام [كما] يتنفَّش الفَرْخ. فقال له: هِيه! ما أقدمَك علينا بغير إِذننا لا أمّ لك؟ قال: اصلح اللَّه الأمير! قلت في الأمير شعراً

(١) هجنّت: ابيضَّت.

لم يقل مثلَه أحدٌ، فجاش به صدري وأحببتُ أن يسمعه منّي الأمير، فأقبلت به إليه. قال: فتطلَّق الحَجَّاجُ وسكن، واستنشده فأنشده. ثم قال: يا غلام! فجاءوا يسعَون. فقال: عليَّ بالجارية التي بَعث بها إلينا عاملُ اليمامة؛ فأُتِي بجارية بيضاءَ مَديدةِ القامةِ. فقال: إنْ أصبتَ صفتَها فهي لك. فقال: ما اسمُها؟ قال: أُمامة؛ فأنشأ يقول:

وَدِّعْ أُمامةً حانَ منك رحيلُ ... إنّ الوَداعَ لمن تُحِبّ قليلُ
مثلُ الكَثيبِ تهيَّلتْ أعطافُه ... فالريحُ تَجْبُر مَتنَه وتَهِيل
تلك القلوبُ صواديا تيَّمْتِها ... وأَرى الشفاءَ وما إليه سبيل

[الكامل]

فقال: خذ بيدها. فبكت الجارية وانتحبَت. فقال: ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورِحالها.

أخبرنا أبو خَليفة قال: حدثنا محمد بن سَلَّام قال: حدثني أَبو الغَرّاف قال:

قال الحَجَّاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بخَرِيز البصرة: ائتياني في لباس آبائكما في الجاهليَّة. فلبِس الفرزدقُ الدِّيباجَ والخَزَّ وقعد في قُبَّة. وشاور جريرٌ دهاة بني يَربوع فقالوا له: ما لباسُ آبائنا إلا الحديد؛ فلبِس جرير دِرْعاً وتقلَّد سيفاً وأخذ رُمحاً وركِب فرساً لعَبَّاد بن الحُصين يقال له المِنحازُ وأَقبل في أربعين فارساً من بني يَربوع، وجاء الفرزدقُ في هيئته؛ فقال جرير:

لَبِستُ سلاحي والفرزدقُ لُعبةٌ ... عليه وِشاحَا كُرَّبجٍ وجَلاجِلُهْ
أَعِدُّوا مع الحَلي المَلاب[1] فإنما ... جريرٌ لكم بَعلٌ وأنتم حَلائِلُهْ

[الطويل]

ثم رجعا، فوقف جرير في مَقبُرة بني حِصْن ووقف الفرزدق في المِربَد. قال: فأخبرني أَبي عن محمد بن زِياد قال: كنتُ أختلف إلى جرير والفرزدق، وكان جريرٌ يومئذٍ كأنه أصغرهُما في عيني.

هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك:

أخبرني أَبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سَلَّام قال: حدثنا أَبو اليقَظان عن جُوَيرِيَة بنِ أسماء قال:

قدِم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجِرُ بنُ عبد اللَّه الكِلابيّ فقال: لو دخلتُ على

(١) المِلاب: نوع من الطيب، وهو عطر الزعفران.

هذا فأصبتُ منه شيئاً ولم يعلمْ بي جرير! فلم تستقرص به الدارُ حتى قال جرير:

رأيتُك إذا لم يُغنِكَ اللَّهُ بالغِنى ... رجعتَ إلى قيسٍ وخَدُّك ضارعُ
وما ذاك إن أَعطى الفرزدقُ باستِه ... بأوّل ثَغرٍ ضيّعَته مُجاشِعُ

[الطويل]

فلما بلغ ذلك الفرزدقَ قال: لا جَرَمَ واللَّهِ لا أدخل عليه ولا أرزَؤُه شيئاً ولا أُقيم [في] اليمامة، ثم رَحل.

انتصار الفرزدق له على التيمي ثم صلحه مع التيمي:

أَخبرنا أَبو خَليفة قال: حدثنا محمد بن سَلَّام قال: قال أَبو البَيداءَ:

لقي الفرزدقُ عمرو بن عطيَّة أخا جرير، وهو حينئذٍ يُهاجِي ابنَ لَجَأ فقال له: ويَلَك! قل لأخيك: ثَكَلَتك أُمُّك! إيتِ التَّيميَّ مِنْ عَلُ كما أصنَع أَنا بك. وكان الفرزدقُ قد أَنِفَ لجريرٍ وحَمِيَ من أَن يتعلَّق به التيميُّ. قال ابنَ سَلَّام: فأنشدني له خَلَفٌ الأحمرُ يقوله للتَّيميّ:

وما أَنت إن قَرْما[1] تَميم تَسامَيا ... أَخا التَّيم إلا كالوَشيظةِ[2] في العَظْمِ
فلو كنتَ مَولى العِزّ أو في ظلالِه ... ظُلِمتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظلمِ

[الطويل]

فقال له التَّيميّ:

كذَبتَ أَنا القَرْمُ الذي دَقّ مالكاً ... وأَفناءَ يَربُوعٍ وما أنت بالقَرْمِ

[الطويل]

قال ابن سَلَّام فحدّثني أَبو الغَرّاف: أن رجال تَمِيم مشتْ بين جريرٍ والتَّيمي وقالوا: واللَّه ما شعراؤنا إلا بَلاءٌ علينا ينشُرون مساوينا ويَهجون أَحياءَنا ومَوتانا؛ فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلَّظة ألّا يَعودا في هجاء. فكَفّ التَّيميّ، وكان جريرٌ لا يزال يَسُلُّ الواحدة بعد الواحدة فيه؛ فيقول التَّيميّ: واللَّه ما نقَضتُ هذه ولا سمعتُها؛ فيقول جرير: هذه كانت قبل الصلح.

قال ابن سَلَّام فحدثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمٰن بن حَرْملةَ قال: لمَّا ورَد علينا هجاءُ جرير والتَّيميّ، قال لي سعيد بن المُسَيب تَرَوَّ شيئاً مما قالا؛ فأتيتُه

(١) قرْما: اشتهيا اللحم بشدَّة.
(٢) الوشيظة: قطعة زائدة في صميم العظم.

وقد استقبل القبلةَ يريد أَن يكبِّر، فقال لي: أرَوَيتَ؟ قلتُ: نعم. فأقبل عليّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيميّ وهو يقول: هِيهِ هِيهِ! ثم أَنشدتُه، فقال: أَكَلَه أَكَلَه!.

لم يؤثر هجاؤه في التيم للؤمهم:

قال ابن سَلَّام وحدثني الرازِيّ عن حَجناء بنِ جرير قال: قلتُ لأبي: يا أبتِ، ما هجوتَ قوماً قَطُّ إِلا فضحتَهم إِلا التَّيم. فقال: يا بُنَيّ، لم أَجد بناءً أهدِمُه ولا شرفاً أضَعُه. وكانت تَيمٌ رِعاءَ غنم يَغدُون في غنمِهم ثم يَرُوحون، وقد جاء كلُّ رجل منهم بأبيات فينتحلُها ابنُ لَجَأ. فقيل لجرير: ما صنعتَ في التَّيم شيئاً؛ فقال: إِنهم شعراءُ لِئامٌ.

أَخبرنا أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: حدثني ابن النطَّاح قال: حدثني أَبو اليَقظان قال:

قال جرير لرجل من بني طُهَيَّةَ أَيُّما أشعرُ أنا أم الفرزدقُ؟ فقال له: أنت عند العامة والفرزدقُ عند العلماء. فصاح جرير: أنا أَبو حَزْرةَ! غلَبتُه وربّ الكعبة! واللَّه ما في كل مائة رجل عالمٌ واحد.

هو وعديّ بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك:

حدثنا أحمد بن عَمَّار قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال: حدثني ابن النطَّاح قال، وحدثني أَبو الأخضر لمُخارِق بن الأخضر القَيسيّ قال: إِني كنتُ واللَّه الذي لا إِلٰه إِلا هو أخصَّ الناسِ بجرير، وكان ينزل إذا قدِم على الوليد بن عبد الملك عن سَعيد بن عبد اللَّه بن خالد بن أَسِيد، وكان عَدِيّ بن الرِّقاع خاصّاً بالوليد مَدّاحاً له، فكان جريرٌ يجيء إلى باب الوليد فلا يُجالس أحداً من النِّزارِيّة ولا يجلس إِلا إلى رجل من اليَمَنِ بحيثُ يقرُب من مجلس ابنِ الرِّقاع إلى أن يأذَن الوليدُ للناس فيدخلَ. فقلت له: يا أبا حَزْرة، اختصصتَ عدوّكَ بمجلسك! فقال: إِني واللَّه ما أجلس إليه إِلا لأُنشِدَه أَشعاراً تُخزِيه وتُخزي قومَه. قال: ولم يكن يُنشِده شيئاً من شعره، وإِما كان يُنشِدُه شعرَ غيره ليُذِلَّه ويخوّفَه نفسَه. فأذِن الوليدُ للناس ذاتَ عشيَّة فدخلوا ودخلنا، فأخذ الناسُ مجالسَهم، وتخلَّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم واطمأنُوا فيها. فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثَل بين السِّماطَين يقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمةُ اللَّه، إِن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لي في ابن الرِّقاع المتفرِّقةِ أُؤلِّفُ بعضَها إلى بعض! ـ قال: وأنا جالسٌ أسمع ـ فقال الوليد: واللَّه لهمَمْتُ أن

أُخرِجَه على ظهرك إلى الناس. فقال جرير وهو قائم كما هو:

فإن تَنهَني عنه فسمعاً وطاعةً وإلا فإني عُرضَةٌ للمَراجِم[1]

[الطويل]

قال: فقال له الوليد: لا كثَّر اللَّهُ في الناس أمثالَك. فقال له جرير: يا أَمير المؤمنين، إنما أنا واحدٌ قد سَعَرتُ الأمّةَ، فلو كثُر أمثالي لأكلوا الناسَ أكلاً. قال: فنظرتُ واللَّه إلى الوليد تبسَّم حتى بدتْ ثَناياه تعجُّباً من جرير وجَلَدِه. قال: ثم أمره فجلس.

أَخبرني ابن عَمَّار قال: حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: حدثنا ابن النطّاح عن أَبي عُبَيدة قال:

كان جرير عند الوَليد وعَدِيُّ بن الرِّقاع يُنشِده. فقال الوليد لجرير كيف تسمع؟ قال: ومن هو يا أميرَ المؤمنين؟ قال: عَدِيُّ بنُ الرِّقاع. قال: فإن شَرّ الثيابِ الرِّقاعُ، ثم قال جرير: (عامِلةٌ ناصِبةٌ تصلى ناراً حامِيةً)؛ فغضِب الوليدُ وقال: يا ابنَ اللَّخْناء[2]! ما بقي لك إلا أَن تتناول كتابَ اللَّه! واللَّه ليَرْكبنَّك! يا غلام أَوكِفْه[3] حتى يركبَه. فغمَز عمرُ بن الوليد الغلامَ الذي أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف. فلما سكَن غضبُ الوليد قام إليه عمرُ فكلّمه وطلَب إليه وقال: هذا شاعرُ مُضَر ولسانُها، فإن رأى أَميرُ المؤمنين أَلّا يَغُضّ منه! ولم يزل به حتى أَعفاه، وقال له واللَّه لئن هجوتَه أو عرّضتَ به لأفعلنّ بك ولأفعلنّ! فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها:

أَقصِرْ فإن نزَاراً لن يفاخرَها فرعٌ لئيمٌ وأَصلٌ غيرُ مغروسِ

[البسيط]

وذكر وقائعَ نِزارٍ في اليمن؛ فعلِمنا أَنّه عَناه. ولم يُجِبه الآخر بشيء.

حدثني عمّي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثنا العُمَريّ عن العُتَبِيّ قال:

قال هشام بن عبد الملك لشَبَّة بن عِقال وعنده جرير والفرزدق والأخطل، وهو يومئذٍ أَميرٌ: أَلَا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضَهم وهتَكوا أستارَهم وأَغروْا بين عَشائرهم في غير خير ولا بِرّ ولا نفع أيُّهم أشعرُ؟ فقال شَبَّة: أَما جرير فيَغرِف من بحر، وأما الفرزدق فيَنحَت من صخر، وأما الأخطل فيُجيد المدح والفخر، فقال

(١) المراجم: الكلمات البذيئة والقبيحة.

(٢) اللخناء: التي لم تختتن.

(٣) أوكف: أوكف الدابة أي وضع عليها البرذعة.

هشام: ما فسَّرتَ لنا شيئاً نحصِّلهن. فقال: ما عندي غيرُ ما قلت. فقال لخالد بن صَفوان: صِفهم لنا يا ابنَ الأهتَم؛ فقال: أما أعظمُهم فخراً، وأبعدُهم ذكراً، وأحسنُهم عذراً؛ وأَسيرَهُم مَثَلاً، وأَقلُّهم غَزَلاً، وأَحلاهم عِلَلاً؛ الطامي إذا زَخَر، والحامي إذا زأَر، والسامي إذا خطَر؛ الذي إن هدَر قال، وإن خطَر صال؛ الفصيحُ اللسان، الطويلُ العِنان؛ فالفرزدق. وأما أحسنُهم نَعتاً، وأمدحُهم بَيتاً، وأقلُّهم شِعراً، وأَهتَكهُم لعدوِّه سِتراً؛ الأَغَرُّ الأبلَق، الذي إن طَلَب لم يُسبق، وإن طُلِب لم يُلحَق؛ فجرير. وكلُّهم ذَكِيّ الفؤاد، رفيع العِماد، وارِي الزِّناد. فقال له مَسلَمةُ بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالدُ في الأولين ولا رأينا في الآخِرين؛ وأشهَد أنك أحسنُهم وصفاً، وأليَنُهم عِطفاً؛ وأعطُّهم مَقالاً، وأكرمُهم فَعالاً. فقال خالد: أَتَمَّ اللَّهُ عليكم نِعَمَه، وأَجزَل لديكم قِسَمَه؛ وآنَسَ بكم الغُربة، وفرَّج بكم الكُربة. وأنت، واللَّهِ ما علمتُ أيها الأميرُ، كريمُ الغِراس، عالمٌ بالناس؛ جَوادٌ في المَحْل، بَسَّامٌ عند البَذْل؛ حَليمٌ عند الطَّيش، في ذِروة قُرَيش؛ ولُبابِ عبد شَمْس، ويومُك خيرٌ من أَمس. فضحك هشامٌ وقال: ما رأيت كتخلُّصِكَ يا ابنَ صَفوان في مدح هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم جميعاً وسلِمتَ منهم.

أَخبرني محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال: حدثنا أَبو أَيّوب المَدينيّ قال: حدثني مُصعَب الزُّبَيرِيّ قال: حدثني إبراهيم بن عبد اللَّه مَولى بني زُهرةَ قال:

حضرتُ عمرَ بن لَجَأ وجريرَ بن الخَطَفى موقوفيْن للناس بسُوق المدينة لمَّا تَهاجَيا وتَقاذَفَا وقد أمَر بهما عمرُ بن عبد العزيز فقُرِنا وأُقِيما. قال: وعمرُ بن لَجَأ: شابٌّ كأنه حِصان وجريرٌ شيخٌ قد أَسَنّ وضعُف. قال فيقول ابنُ لَجَأ:

رأوْا قَمَراً بساحتِهم مُنيراً وكيف يُقارِنُ القمرُ الحِمارَا

[الوافر]

قال: ثم يَنزُو به وهما مقرونانِ في حَبلٍ فيسقُطان إلى الأرض، فأمَّا ابن لَجَأ فيقع قائماً، وأما جرير فيَخِرُّ لركبتيه ووجهِه، فإذا قام نفَض الغُبارَ عنه. ثم قال بغُنَّتِه قولاً يُخرِج الكلامَ به من أنفه ـ وكان كلامُه كأنّ فيه نُوناً: ـ

فلستُ مفارِقاً قَرَنَيّ حتى يَطولَ تصعُّدي بكَ وانحدارِي

[الوافر]

قال: فقال رجل من جُلَساء عمرَ له حين حضَر غَداؤه: لو دعا الأميرُ بأسيريه فغدّاهما معه! ففعل ذلك عمر. وإنما فعله بهما لأنهما تَقاذَفَا، وكان جريرٌ قال له:

تـقـول والـعـبـدُ مِـسـكِـيـنٌ يُـجـرِّرُهـا أُرفُـقْ فَـدَيـتُـك أنـت الـنـاكـحُ الـذَّكَـرُ
[البسيط]

قال: وهذه قصيدتُه التي يقول فيها:

يـا تَـيـمُ تَـيـمَ عَـدِيّ لا أَبَـا لـكُـم لا يُـوقِـعـنَّـكـمُ فـي سَـوءةٍ عـمـرُ
[البسيط]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدثني علي بن محمد النَّوفليّ قال: حدثني أَبي قال:

كنت باليمامة وأَنا والِيها فكان ابنٌ لجريرٍ يُكثِر عندي الدخولَ وكنت أُوثِرُه فلم أقل له قَطُّ أنشدْني أجودَ شعرٍ لأبيك إِلا أنشدني الداليّةَ:

أَهـوًى أَراكَ بـرامَـتَـيـنِ وُقُـودَا أم بـالـجُـنَـيـنـةِ مـن مَـدافِـع[1] أُودَا[2]
[الكامل]

فأقولُ له: وَيحكَ! لا تَزِيدُني على هذه!؟ فيقولُ: سألتَني عن أجود شعر أَبي وهذه أجودُ شعره، وقد كان يقدّمها على جميعه.

ذهب إلى الشام ونزل على نميري فأكرمه:

حدثني ابن عَمَّار قال: حدثني النَّوفليّ قال: حدثني علي بن عبد الملك الكَعْبِيّ من ولد كَعْب مَولى الحَجَّاج قال: حدثني فلانٌ العَلَّامةُ التَّميميّ يَروِيه عن جَرير قال:

ما ندِمتُ على هجائي بني نُميرٍ قَطُّ إِلا مرّة واحدة، فإِنّي خرجت إلى الشام فنزلت بقوم نُزُولٍ في قَصرٍ لهم في ضَيعة من ضِياعهم، وقد نظرتُ إليه من بين القصور مشيَّداً حَسَناً، وسألتُ عن صاحبه فقيل لي: هو رجل من بني نُمَير. فقلت: هذا شَآم وأَنا بَدَويٌّ لا يعرفُني، فجئت فاستضعتُ. فلما أَذِن لي ودخلتُ عليه عرَفني فقَراني أَحسنَ القِرى ليلتين، فلما أصبحتُ جلستُ، ودعا بُنَيَّةً له فضمَّها إليه وتَرَشَّفَها، فإذا هي أحسنُ الناسِ وجهاً نَشْرٌ[3] لم أَشَمَّ أطيبَ منه. فنظرتُ إلى عينيها فقلتُ: تاللَّهِ ما رأيتُ أحسنَ من عينيْ هذه الصبيَّة ولا من حَوَرِها قَطّ، وعَوَّذتُها. فقال لي: يا أَبا حَزْرةً، أَسَوداءُ المَحاجِرِ هي؟ فذهبتُ أَصِفُ طِيبَ رائحتها. فقال: أَصَنٌّ وَبْرٍ هي؟ فقلت: يَرحَمُك اللَّه! إِنّ الشاعر ليقولُ، وواللَّه لقد ساءني ما قلتُه، ولكن صاحبكم بَدَأَنِي فانتصرتُ، وذهبتُ أعتذر.

---

(١) مدافع: مفردها مدفع، وهو مجرى السيل.
(٢) أود: موضع في ديار تميم.
(٣) نشر: ريح فم المرأة وأعطافها بعد النوم.

فقال: دَعْ ذا عنك أَبَا حَزْرة، فواللَّه ما لك عندي إلا ما تحبّ. قال: وأَحسنَ واللَّهِ إليّ وزوَّدَني وكَساني، فانصرفتُ وأَنا أَندمُ الناسِ على ما سلَف منّي إلى قومه.

أَخبرني عمِّي قال: حدّثنا عبد اللَّه بن أَبي سَعْد قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه بن يعقوب بن داود قال: حدثني ابنُ أبي عَلْقَةَ الثَّقَفيّ قال:

كان المفضَّل يقدِّم الفرزدق، فأنشدتُه قولَ جرير:

حَيِّ الهِدَملةَ من ذاتِ المَواعِيسِ فالجِنْوُ أَصبَح قَفراً غيرَ مأنوسِ

[البسيط]

وقلتُ: أَنشدْني لغيرِه مثلَها فسكَت. قال: وكان الفرزدق إذا أُنشِدَها يقول: مِثلَها فلْيَقُلِ ابنُ اللَّخناء.

رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه:

أَخبرنا أَبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب قال: حدثنا محمد بن سَلَّام قال: حدثني عبد الجَبَّار بن سَعيد بن سُليمان المُساحِقيّ عن المُحرَّر بن أَبي هُرَيرة قال:

إني لفي عسكرِ سليمانَ بن عبد الملك وفيه جريرٌ والفرزدقُ في غَزاةٍ، إذ أَتانا الفرزدقُ في غَداةٍ، ثم قال، اشهدوا أنّ محمد ابن أَخي، ثم أنشأ يقول:

فبِتُّ بدَيرَيْ أَرْيَحاءَ بلَيلةٍ خُدارِيَّةٍ يزدادُ طُولاً تَمامُها
أكابِدُ فيها نفسَ أَقربِ مَن مَشَى أَبوه بأمٍّ غاب عنها نِيامُها
وكنَّا نَرى من غالبٍ في محمد شمائلَ تَعلو الفاعلين كِرامُها
وكان إذا ما حلَّ أَرضاً تزيَّنَتْ بزينتِها صحراؤها وإِكامُها[1]
سَقى أَرَيحاءَ الغيثُ وهي بَغيضةٌ إلينا ولكن بي لتُسقاه هامُها

[الطويل]

قال: ثم انصرف. وجاء جرير فقال: قد رأيتُ هذا وسمعت ما قال في ابن أخيه؛ وما ابنُ أَخيه فَعل اللَّهُ به وفعَل! قال: ومضى جرير، فواللَّه ما لبثْنا إلا جُمْعاً حتى جاءنا جريرٌ فقام مقامَه ونعى ابنَه سَوادةَ فقال:

أَوْدى سَوادةُ يَجلو مُقلتيْ لحم بازٍ يُصرِصرُ فوقَ المَرْبَإِ العالِي
فارقتَني حين كَفَّ الدهرُ من بَصَري وحينَ صِرتُ كعَظْم الرِّمّةِ البالي

(١) الإكام: الهضاب.

إِلَّا تَـكُـن لـكَ بـالـدَّيـرَيـن بـاكـيـةٌ فـرُبَّ بـاكـيـةٍ بـالـرَّمْـل مِـعـوال
قـالـوا نَـصـيـبَـك مـن أجرٍ فـقـلـتُ لـهـم كـيـف الـعَـزاءُ وقـد فـارقـتُ أَشـبـالـي
[البسيط]

أَخبرنا أَبو خَليفة قال: حدثنا محمد بن سَلَّام قال: حدثني حاجب بن زيد وأَبو الغَرَّاف قالا:

تزوّج الفرزدقُ حَدْراءَ بنتَ زِيق[١] بن بسطام بن قَيس على حُكم أَبيها، فاحتَكم مائةً من الإِبل. فدخل على الحَجَّاج يسأله ذلك؛ فعذله وقال له: أَتتزوَّج امرأَةً على حكمها! فقال عَنبَسةُ بن سَيد وأَراد نفعَه: إِنما هي من حَواشي إِبل الصَّدَقة، فأمر له الحَجَّاج بها. فوثَب جريرٌ فقال:

يـا زِيـقُ قـد كـنـتَ مـن شَـيـبـانَ فـي حَـسَـبٍ يـا زِيـقُ وَيـحـكَ مَـنْ أَنـكـحـتَ يـا زِيـقُ
أَنـكـحـتَ وَيـحـكَ قَـيـنـاً بـاسـتِـه حَـمَـمٌ يـا زِيـقُ وَيـحـك هـل بـارتْ بـك الـسُّـوق
غـاب الـمُـثـنـى فـلـم يَـشـهَـد نَـجـيَّـكُـمـا والـحَـوفَـزانُ[٢] ولـم يَـشـهَـدْك مَـفـروق[٣]
يـا رُب قـائـلـةٍ بـعـد الـبِـنـاء بـهـا لا الـصِّـهـرُ راضٍ ولا ابـنُ الـقَـيـنِ مـعـشـوق
أَيـن الأُلـى اسـتـنـزَلـوا الـنُّـعـمـانَ ضـاحـيـةً أَمْ أَيـن أَبـنـاءُ شَـيـبـانَ الـغَـرانِـيـق[٤]
[البسيط]

قال: فلم يُجبه الفرزدقُ عنها. فقال جرير أَيضاً:

فلا أَنا مُعطي الحكم عن شِفٍّ[٥] مَنصِبٍ ولا عـن بَـنـاتِ الـحَـنْـظَـلِـيِّـيـنَ راغـبُ
وهُـنّ كـمـاءِ الـمُـزْنِ يُـشـفـى بـه الـصَّـدى وكـانـت مِـلاحـا[٦] غـيـرَهـنّ الـمَـشـاربُ
فـلـو كـنـتَ حُـرّاً كـان عَـشْـراً سِـيـاقُـكـم[٧] إِلـى آل زِيـقٍ والـوَصـيـف[٨] الـمُـقـارب[٩]
[الطويل]

---

(١) زيق: القميص، وهو ابن بسطام بن قيس الشيباني.
(٢) الحوفزان: اسم الحارث بن شريك الشيباني.
(٣) مفروق: هو النعمان بن عمرو الشيباني.
(٤) الغرانيق: مفردها غرنوق، وهو الشاب الجميل الناعم.
(٥) شفّ: نقص.
(٦) ملاح: ضد العزب وتعني الأجاج.
(٧) السياق: هو ما يسوقه الرجل للمرأة عند الزواج، وقصد بها المهر.
(٨) الوصيف: الغلام دون سن المراهقة.
(٩) المقارب: القريب.

فقال الفرزدق:

فَنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم لُمْهُمُ عَلى دارِميٍّ بين لَيلى وغالِبِ
همُ زوَجوا قبلي لَقيطاً وأَنكَحوا ضِراراً وهم أَكفاؤنا في المَناسِب
ولو قبِلوا منّي عَطيَّةَ سُقتُه إلى آل زِيقٍ من وَصِيفٍ مُقارِب
ولو تُنكِحُ الشمسُ النجومَ بَناتها إذاً لنكحناهن قبل الكواكب

[الطويل]

قال ابن سَلَّام فحدثني الرّازِيّ عن أَبيه قال: ما كانت امرأَة من بني حَنظلةَ إلا تَرفَعُ لجريرٍ اللَّوِيَّة في عظمِها لتُطرِفَه بها لقوله:

وهُنّ كماءِ المُزْنِ يُشفى به الصَّدى وكانت مِلاحاً غيرَهنّ المَشارِبُ

[الطويل]

فقلت للرَّازِيّ: ما اللَّوِيّة؟ قال: الشَّريحة من اللحم، أَو الفِدرة من التمر، أَو الكَبَّة من الشحم، أو الحَفنة من الأَقِط؛ فإِذا ذهب الألبانُ وضاقت المعيشةُ كانت طُرْفةً عندهم.

قال: وقال جرير أَيضاً في شأن حَدْراءَ:

أثائرةٌ حَدراءُ مَن جُرَّ بالنَّقا وهل لأبي حَدراءَ في الوِتْرِ طالبُ
أَتَثأرُ بِسطاماً إذا ابتلَّتِ استُها وقد بَوّلتْ في مِسمعَيه الثعالبُ

[الطويل]

قال ابن سَلَّام: والنَّقا الذي عَناه جريرٌ هو الموضع الذي قَتَلتْ فيه بنو ضَبَّةَ بِسطاماً، وهو بِسطام بن قَيس. قال: فكرهتْ بنو شَيبانَ أَن يَهتِكَ جريرٌ أعراضَهم. فلما أَراد الفرزدقُ نقلَ حَدراء اعتلُّوا عليه وقالوا له إِنها ماتت. فقال جرير:

فأُقسِمُ ما ماتتْ ولكنما التَوى بحَدراءَ قومٌ لم يَرَوْك لها أَهلَا
رأوْا أنّ صِهرَ القَينِ عارٌ عليهم وأنّ لبِسطامٍ على غالبٍ فَضلَا

[الطويل]

مدح قوماً عادوه في مرضه:

أَخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدثنا ابن أَبي سَعد. قال: حدثنا محمد بن إِدريسَ اليَمامِيّ قال: حدثنا عليّ بن عبد اللَّه بن محمد بن مُهاجِر عن أَبيه عن جدّه قال:

دخلنا على جرير في نَفَرٍ من قريش نَعُوده في عِلَّته التي مات فيها، فالتفت إلينا فقال:

أهـلاً وسـهـلاً بـقـوم زيّـنـوا حَـسَـبـي ... وإن مَـرضِـتُ فـهـم أهـلـي وعُـوَّادِي
إن تَـجـرِ طَـيـرٌ بـأمـرٍ فـيـه عـافـيـةٌ ... أو بـالـفـراق فـقـد أحـسـنـتُـم زادي
لـو أن لـيـثـاً أَبـا شِـبـلَـيـن أَوعَـدَنـي ... لـم يُـسـلِـمـونـي لـلـيـثِ الـغـابـة الـعـادي

[البسيط]

نعي الفرزدق إليه فشمت به ثم رثاه:

أَخبرني أَبو الحسن الأَسَديّ قال: حدثنا محمد بن صالح بن النطَّاح قال: حدثني أَبو جَناح أَحد بني كَعْب بن عمرو بن تَميم قال:

نُعي الفرزدقُ إلى المهاجِر بن عبد اللَّه وجريرٌ عنده فقال:

مـات الـفـرزدقُ بـعـدمـا جـدَّعـتُـه ... لـيـت الـفـرزدقَ كـان عـاش قـلـيـلا

[الكامل]

فقال له المهاجر: بئسَ لَعمرُ اللَّهِ ما قلتَ في ابن عمِّك! أتَهجو ميّتاً! أمَا واللَّهِ لو رَثَيتَه لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرَها. فقال: إن رأى الأميرُ أَن يكتُمَها عليّ فإنها سَوءة؛ ثم قال من وقتِه:

فـلا وضَـعَـتْ بـعـد الـفـرزدقِ حـامـلٌ ... ولا ذاتُ بَـعْـلٍ مـن نِـفـاسٍ تَـعـلَّـتِ
هـو الـوافـدُ الـمـيـمـونُ والـراتِـقُ[1] الـشَّأَى[2] ... إذا الـنـعـلُ يـومـاً بـالـعَـشـيـرة زَلَّـتِ

[الطويل]

وفـاتـه:

قال: ثم بكى ثم قال: أمَا واللَّه إني لأعلم أني قليلُ البقاء بعده، ولقد كان نجمُنا واحداً، وكل واحد منا مشغول بصاحبه، وقلَّما مات ضدّ أَو صديق إلا تبعه صاحبه. فكان كذلك ومات بعد سنة. وقد زاد الناس في بيتيْ جريرٍ هذين أَبياتاً أَخَر، ولم يقل غيرَهما وإنما أضيف إلى ما قاله.

---

(١) الراتق: يقال رتق الثوب أي عمل على إصلاحه وخاطه.
(٢) الشأى: الفتق وآثار الجروح.

صـــوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

رحـل الـخَـلـيـطُ جِـمـالَـهـم بـسَـوادِ وَحـدا عـلـى إِثْـر الـبَـخـيـلـة حـادِي
مـا إِن شَـعَـرتُ ولا عـلِـمـتُ بـبَـيـنـهـم حـتـى سـمـعـتُ بـه الـغـرابَ يُـنـادي

[الكامل]

الشعر لجميل. والغناء لإِبراهيمَ، ولحنُه المختارُ من الثقيل الأول بإِطلاق الوتر في مجرى الوُسطى.

نسب جميل وأخباره

هو جَميل بن عبد اللَّه بن مَعمَر بن الحارث بن ظَبيان وقيل ابن مَعمَر بن حُنّ بن ظَبيان بن قَيس بن جَزءِ بن رَبيعة بن حَرام بن ضِنَّة بن عَبد بن كثير بن عُذْرة بن سَعد ـ وهو هُذَيم، وسمِّي بذلك إضافة لاسمه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه ـ ابن زيد بن سُود بن أَسلَم بن الحاف بن قُضاعة. والنسَّابون مختلفون في قُضاعة، فمنهم من يزعُم أن قضاعة بن مَعَدّ هو أخو نِزار بن مَعَدّ لأبيه وأمّه، وهي مُعانة بنت جَوْسَم بن جُلهُمة بن عامر بن عَوف بن عَدِيّ بن دُبّ بن جُرْهُم؛ ومنهم من يزعُم أَنهم من حِميَر. وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب مَعَدِّيّاً فقال:

أَنا جميلٌ في السَّنامِ من مَعَدّ في الأُسْرَةِ الحَصداءِ والعِيصِ الأَشَدّ

[الرجز]

وقال راجز من قُضاعةَ ينسُبهم إلى حِمْيَر:

قُضاعةُ الأثرَونَ خيرُ مَعشَرِ قضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حِمْيَرِ

[الرجز]

ولهم في هذا أراجيزُ كثيرةٌ. إلّا أَنّ قُضاعة اليومَ تُنسب كلُّها في حِمْيَر، فتزعُم أَن قضاعةَ بنُ مالك بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِميَر بن سَبَأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحطان. وقال القَحذَميّ: اسم سَبَأ عامر؛ وإنما قيل له سَبَأ لأنه أولُ من سَبى النساءَ. وكان يقال له عَبُ الشمس[1]، أَي عَديل الشمس؛ سمِّي بذلك لحسنه. ومَن زعم مِن هؤلاء أنّ قُضاعة ليس ابنَ مَعَدّ ذكَر أن أمُّه عُكبُرة (امرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل، فخَلفه عليها مَدُّ بن عَدنانَ، فولَدت قُضاعةَ على فراشه. وقال: مُؤَرِّخٌ بن عمرو: هذا قول أحدثوه بعدُ وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصحِّحوا هذا القول، وهو:

يا أيُّها الدَّاعي ادعُنا وأبشِرِ وكُنْ قُضَاعِيّاً ولا تَنزَّرِ
قضاعةُ الأَثرَونَ خيرُ مَعَشرِ قضاعةُ بن مالك بنِ حمير

(١) عَبُّ الشمس: ضوؤها وأشعتها.

النسبُ المعروفُ غيرُ المُنكَر

[الرجز]

قال مؤرِّجُ: وهذا شيء قيل في آخر أَيام بني أُميَّة. وشعراءُ قُضاعة في الجاهلية والإِسلام كلها تنتمي إلى مَعَدّ. قال جميل:

وأَيُّ مَعَدّ كان فَيْءُ[1] رِماحِهِمْ كما قد أَفأْنا والمُفاخِرُ مُنصِفُ

[الطويل]

وقال زِيادة بن زيد يهجو بني عمه بني عامر رَهْطَ هُدْبةَ بن خَشرَم:

وإذا مَعَدٌّ أَوقدتْ نِيرانَها للمجدِ أغضَتْ عامرٌ وتضعضعوا[2]

[الكامل]

وجميل شاعر فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية، كان راوية هُدْبةَ بنِ خَشرَم، وكان هُدْبةُ شاعراً راويةً للحُطَيئة، وكان الحطيئةُ شاعراً راويةً لزُهَير وابنه. وقال أَبو مُحلِّم: آخِرُ مَن اجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر، وكان راويةَ جَميل، وجميلٌ راوية هُدْبةَ، وهُدبةُ راوية الحطيئة، والحطيئة راوية زهير.

نسب بثينة عشيقته:

أَخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحذَمِيّ قال: كان جميلٌ يهوى بُثينة بنت حَبَأ بن ثَعلبة بن الهَوذ بن عمرو بن الأَحَبِّ بن حُنّ بن ربيعة تلتقي هي وجميل في حنّ من ربيعة في النسب.

كان كثيّر راويته يقدمه على نفسه:

حدثني أَبو الحسَن أَحمد بن محمد الأَسَديّ وهاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخُزاعي قالا: حدثنا الرِّياشيّ قال: حدثنا الأَصمعيّ عن ابن أَبي الزِّناد قال:

كان كُثَيِّر راويةَ جميل، وكان يقدّمه على نفسه ويتَّخذه إِماماً، وإِذا سئل عنه قال: وهل عَلَم اللَّهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إِلا منه!

أَخبرني محمد بن مَزيَد عن حَمَّاد عن أَبيه عن صَباح بن خاقان عن عبد اللَّه بن معاوية الزُّبيريّ قال:

كان كُثَيِّر إذا ذُكِر له جميلٌ قال: وهل علّم اللَّه ما تسمعون إِلا منه

(١) الفيء: الغنيمة بغير قتال.

(٢) تضعضع: خضع وذل وافتقر.

أَخبرني الحَرميّ بن أَبي العَلاء قال: حدثنا الزُّبَير بن بَكَّار قال: حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمران عن المِسوَر بن عبد الملك عن نُصَيب مَولى عبد العزيز بن مَروان قال:

قَدِمتُ المدينةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر، فقيل لي: الوليد بن سعيد بن أَبي سِنان الأسلَميّ، فوجدتُه بشِعْب سَلْع مع عبد الرحمٰن بن حَسَّان وعبد الرحمٰن بن أزهر. فإنَّا لجلوسٌ إذ طلَع علينا رجلٌ طويلُ بينِ المَنكِبينِ طُوالٌ يقود راحلةً عليها بِزّةٌ حسنة. فقال عبد الرحمٰن بن حسَّان لعبد الرحمٰن بن أَزهر: يا أَبا جُبَير، هذا جميلٌ، فادعُه لعلّه أن يُنشِدَنا. فصاح به عبد الرحمٰن: هَيَا جميلُ هَيَا جميل! فالتفت فقال: مَن هذا؟ فقال: أَنا عبد الرحمٰن بن أزهر. فقال: قد علمتُ أنه لا يجترىء عليّ إلا مثلُك. فأتاه فقال له أنشِدنا فأنشدهم:

نحنُ مَنَعنا يومَ أَوْلٍ نساءَنا ... ويومَ أُفَيٍّ والأسِنَّةُ تَرعُفُ
ويومَ رَكايا[1] ذِي الجَذاةِ ووقعةٍ ... بِبَنيان كانت بعضَ ما قد تسلَّفُوا
يحبّ الغَواني البِيض ظِلَّ لِوائنا ... إذا ما أَتانا الصارخُ المُتلَقِف
نَسيرُ أَمامَ الناس والناسُ خَلفَنا ... فإن نحن أَومَأْنا إلى الناس وَقَّفوا
فأيُّ مَعَدٍّ كان فَيْءُ رِماحِهِ ... كما قد أفأْنا والمُفاخِرُ يُنصِفُ
وكنَّا إذا ما مَعشَرٌ نَصَبوا لنا ... ومرَّت جَواري طَيرِهم وتعيَّفوا[2]
وضَعنا لهم صاعَ القِصاصِ رهينةً ... بما سوف نُوفيها إذا الناسُ طفّفوا
إذا استبق الأقوامُ مجداً وجدتَنا ... لنا مِغرَفاً مَجدٍ وللناسِ مِغرفُ

[الطويل]

قال: ثم قال له: أنشِدنا هَزَجاً. قال: وما الهَزَج؟ لعله هذا القصير؟ قال: نعم، فأنشده ــ قال الزُّبير: لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهَزَج سوى بيتين، وأنشدَنا باقِيها بُهلُول بن سليمان بن قِرضاب البَلَريّ: ــ

صوت

رَسم دارٍ وقفتُ في طَلَلِهْ ... كِدتُ أقضي الغَداةَ من جَلَلِهْ

(١) ركايا: مفردها ركيّة، وهي البئر ذات الماء.
(٢) تعيفّ: كره الطعام والشراب فأمسك.

مُوحِشاً ما تَرى به أحداً تَنتسِجُ الريحُ تُرْبَ مُعتدِلِه

وصَريعاً من الثُّمام[١] تَرى ... عارِماتِ[٢] المَدَبِ[٣] في أَسلِه[٤]
بين عَلياءِ وابِشٍ[٥] فبُلِيٍّ[٦] ... فالغَميمِ[٧] الذي إلى جَبَلِه
واقفاً في ديار أُمِّ جُسَيرٍ ... من ضُحى يَومِه إلى أُصُلِه
يا خليلَيَّ إن أُمَّ جُسَيرٍ ... حين يدنو الضجيعُ من غَلَلِه[٨]
روضةٌ ذاتُ حَنوةٍ[٩] وخُزامى[١٠] ... جاد فيها الربيعُ من سَبَلِهِ[١١]
بينما هنّ بالأراكِ معاً ... إذا بدا راكبٌ على جَمَلِه
فتأطَّرن[١٢] ثم قلن لها ... أَكرِمِيهِ حُيِّيتِ في نُزُلِه[١٣]
فظَلِلْنا بنَعمةٍ واتّكأنا ... وشَرِبنا الحلالَ من قُلَلِه
قد أَصُون الحديثَ دونَ خليلٍ ... لا أخاف الأذاة من قِبَلِه
غيرَ ما بِغضَةٍ ولا لاجتنابٍ ... غير أَني أَلَحتُ من وَجَلِهْ
وخليلٍ صاقَبْتُ مُرتضياً ... وخليلٍ فارقتُ من مَلَلِه

[الخفيف]

قال: فأنشده إياها حتى فرَغ منها ثم اقتاد راحلتَه مولِّياً. فقال ابن الأزهر: هذا أشعر أهل الإسلام. فقال ابن حَسَّان: نعم واللَّهِ وأشعرُ أهلِ الجاهليَّة، واللَّه ما لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نَسيبه. فقال عبد الرحمٰن بن الأزهر: صدقتَ. قال نُصَيب: وأنشدتُ الوليد فقال لي: أنت أشعر أَهل جِلْدتك، واللَّه ما زاد عليها. فقلت: يا أَبا مِحجَن، أَفرَضِيتَ منه بأَن تكون أشعرَ السُّودان؟ قال: وَدِدتُ واللَّهِ يا ابنَ أَخي أنه أَعطاني أَكثرَ من هذا، ولكنه لم يفعل، ولست بكاذبِك.

---

(١) الثمام: نبات ضعيف له خوص.
(٢) عارمات: القوية الشديدة مفردها عارمة.
(٣) المدَب: مجرى السيل.
(٤) الأسل: مفردها أسَلَة، نبات له أغصان كثيرة.
(٥) وابش: جبل بين وادي القرى والشام.
(٦) بُلَيّ: تل قريب من ذات عرق بالحجاز.
(٧) الغميم: موضع بالحجاز.
(٨) الغلل: شدة العطش، أو حرارة الجوف وهذا مقصد الشاعر.
(٩) حنوة: نبات طيب الريح حلو المنظر.
(١٠) خُزامى: نبات بري، زهره أطيب الأزهار نقحةً والتبخير به يذهب كل رائحة مُنتنة.
(١١) السَبَل: المطر.
(١٢) تأطَّر: تثنَّى، انحنى إجلالاً.
(١٣) النُزُل: ما تُعَدُّ للضيف من أجل أن ينزل عليه.

أَخبرني أَبو خَليفة عن محمد بن سَلَّام قال:

كان جميل صادق الصبابة والعشق:

كان لكثيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر، وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب؛ وكان كثيِّر راوية جميل، وكان جميل صادقَ الصبابة والعشق، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنه كان يتقوّل. وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر في النسيب:

أُريـد لأنـسـى ذكـرَهـا فـكـأَنَّـمـا تَـمَـثَّـلُ لـي لـيـلـى بـكـلِّ سـبـيـلِ

[الطويل]

قال: ورأيت من يفضِّل عليه بيتَ جميل:

خـلـيـليّ فـيـمـا عِـشـتُـمـا هـل رأيـتُـمـا قَـتـيـلاً بَـكـى مـن حـبّ قـاتـلِـه قَـبـلـي

[الطويل]

قال ابن سَلَّام: وهذا البيت الذي لكثيِّر أخذه من جميل حيث يقول:

أريـد لأنـسـى ذكـرَهـا فـكـأَنّـمـا تَـمَـثَّـلُ لـي لـيـلـى عـلـى كـلّ مَـرقَـبِ

[الطويل]

أَخبرني الحَرميّ بن أَبي العَلاء قال: حدثنا الزُّبير بن بَكَّار عن محمد بن إِسماعيل عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن عبد العزيز عن أَبي شِهاب عن طَلحة بن عبد اللَّه بن عَوف قال:

لقي الفرزدق كثيِّراً بقارعة البَلاط وأنا وهو نمشي نريد المسجد؛ فقال له الفرزدق: يا أبا صَخر، أَنت أنسبُ العرب حين تقول:

أُريـد لأنـسـى ذكـرَهـا فـكـأَنّـمـا تَـمَـثَّـلُ لـي لـيـلـى بـكـلّ سـبـيـلِ

[الطويل]

يعرِّض له بسرقته من جميل. فقال له كثيِّر: وأَنت يا أَبا فِراس أَفخرُ الناس حين تقول:

تَـرى الـنـاسَ مـا سِـرنـا يَـسـيـرون خَـلـفَـنـا وإِن نـحـن أَومَـأْنـا إلـى الـنـاس وَقَّـفُـوا

[الطويل]

ـ قال عبد العزيز: وهذا البيت أيضاً لجميل سرَقه الفرزدق ـ فقال الفرزدق لكثيِّر: هل كانت أُمُّك مَرَّتْ بالبصرة؟ قال: لا! ولكن أَبي، فكان نَزيلاً لأمِّك. قال طَلحَةُ بن عبد اللَّه: فوالذي نَفسي بيده لَعَجِبتُ من كثيِّر وجوابه، وما رأَيتُ أحداً قَطُّ أحمقَ منه، رأَيتُني دخلت عليه يوماً في نَفرٍ من قريش وكنَّا كثيراً ما نتهزَّأ به، فقلنا: كيف تَجدُك يا أَبا صَخر؟ قال: بخيرٍ، أَمَا سمعتم الناسَ يقولون شيئاً؟ قلنا: نعم، يتحدثون أنك الدجَّال.

فقال: واللَّه لئن قلتم ذاك إِني لأجد في عيني هذه ضَعفاً منذ أَيام.

أَخبرني الحَرميّ قال: حدثنا الزبير قال: كتب إليّ أَبو محمد إِسحاقُ بن إِبراهيم يقول: حدثني أبو عُبيدة عن جُوَيرِيةَ بنِ أَسماء قال:

كان أَبو صَخر كثيِّر صديقاً لي، وكان يأتيني كثيراً، فقلَّما استنشدتُه إِلا بدأ بجميل وأَنشد له ثم أنشد لنفسه، وكان يفضِّله ويتَّخذه إِماماً.

قال الزبير وكتب إِليّ إِسحاقُ يقول: حدثني صَباح بن خاقان عن عبد اللَّه بن معاوية بن عاصم بن المُنذِر بن الزبير قال:

ذُكِر جميلٌ لكثيِّر، فقالوا: ما تقول فيه؟ فقال: منه علَّم اللَّه عزّ وجلّ.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا: حدثنا عمرُ بن شَبَّة قال: حدثني أَبو يحيى الزُّهريّ عن إِسحاق بن قَبيصةَ الكوفيّ عن رجل سمَّاه قال:

سألت نُصيباً: أَجميلٌ أَنسبُ أم كثيِّر؟ فقال: أَنا سألت كثيِّراً عن ذاك فقال: وهل وَطَّأ لنا النسيبَ إلّا جَميل!

قال عمر بن شَبَّة وقال إِسحاق: حدثني السَّعيدي عن أَبي مالك النَّهديّ قال:

جلس إلينا نُصيب فذكرنا جميلاً، فقال: ذاك إِمامُ المحبِّين، وهل هَدى اللَّهُ عزّ وجلّ لما تَرى إِلّا بجميل.

أَخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا دَماذ عن أَبي عُبيدة عن جُوَيرِيَةَ بن أسماء قال: ما استنشدتُ كثيِّراً قَطّ إِلا بدأ بجميل وأنشدني له ثم أَنشدني بعده لنفسه، وكان يفضِّله ويتخذه إِماماً.

أول عشقه بثينة:

أَخبرني الحَرميّ بن أَبي العَلاء قال: حدثنا الزبير بن بَكَّار قال: حدثني بُهلُول بن سليمانَ بن قِرضاب البَلَويّ قال:

كان جميل يَنسُب بأمّ الجُسير، وكان أَولَ ما علِق بُثينةَ أنه أقبل يوماً بإِبلِه حتى أَوردها وادياً يقال له بَغيض، فاضطجع وأرسل إِبلَه مُصعِدةً، وأهلُ بثينة بذَنَبِ الوادي؛ فأَقبلتْ بثينةُ وجارةٌ لها واردَتين الماءَ، فمرّتا على فِصالٍ له بُرُوكٍ فعرَمَتهنّ بثينةُ ـ يقول: نَفَّرَتهنّ ـ وهي إِذ ذاك جُوَيرِيةٌ صغيرة؛ فسبَّها جميلٌ، فافترتْ عليه، فملُح إليه سِبابُها فقال:

وأولُ مـا قـاد الـمـودّةَ بـيـنـنـا بـوادي بَـغـيـضٍ يـا بُـثَـيـنَ سِـبـابُ
وقـلـنـا لـهـا قَـولاً فـجـاءت بـمـثـلـه لـكـلّ كـلامٍ يـا بُـثَـيـنَ جـوابُ
[الطويل]

قال الزبير: وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نُبَيه بن الأسود العُذْريّ ـ وكانت بثينةُ عند أبيه نُبيه بن الأسود، وإياه يَعني جَميلٌ بقوله:

لـقـد أَنـكَـحـوا جَـهـلاً نُـبَـيـهـاً ظَـعـيـنـةً لَـطـيـفـةَ طَـيِّ الـكَـشـحِ ذاتَ شَـوًى خَـدْلِ
[الطويل]

ـ قال الزبير: وحدثني أيضاً الأسباطُ بن عيسى بن عبد الجَبَّار العُذريّ أن جميلَ بنَ مَعمَر خرج في يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزينن ويَبدو بعضُهن لبعض ويَبدون للرجال، وأن جميلاً وقف على بُثينة وأختها أمِّ الجُسير في نساء من بني الأحَبّ وهنّ بناتُ عمّ عُبيد اللَّه بن قطبة أخي أبيه لَحّاً، فرأى منهنّ منظراً وأَجبنه وعشِق بُثينةَ وقعد معهنّ، ثم راح وقد كان معه فِتيانٌ من بني الأحَبّ، فعلم أنّ القوم قد عَرفوا في نظره حبَّ بُثينة ووجَدوا عليه، فراح وهو يقول:

عَـجِـل الـفِـراقُ ولَـيـتَـه لـم يَـعـجَـلِ وجـرتْ بـوادرُ دَمـعِـك الـمُـتـهـلِّـلِ
طَـرَبـاً وشـاقـكَ مـا لَـقـيـتَ ولـم تَـخـفْ بَـيـنَ الـحـبـيـبِ غـداةَ بُـرقـةِ مِـجـوَل
وعـرفـتَ أنـك حـيـن رُحـتَ ولـم يـكـن بـعـدُ الـيـقـيـنُ ولـيـس ذاك بـمُـشـكِـل
لـن تَـسـتـطـيـع إلـى بـثـيـنـة رَجْـعـةً بـعـد الـتـفـرُّق دون عـامٍ مُـقـبِـل
[الكامل]

قال: وإنّ بُثينة لمَّا أُخبرتْ أن جميلاً قد نَسب بها حلفَتْ باللَّه لا يأتيها على خَلاءٍ إلَّا خَرَجتْ إليه ولا تَتوارى منه، فكان يأتيها عند غَفَلاتِ الرجال فيتحدث إليها ومع أخواتها، حتى نُمِيَ إلى رجالها أنه يتحدث إليها إذا خلا منهم، وكانوا أَصلافاً[1] غُيُراً ـ أو قال غَيارى ـ فرصَدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضعةَ عَشَرَ رجلاً وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بُثينةَ وأمِّ الجُسَير وهما يحدِّثانه وهو يُنشِدُهما يومئذٍ:

حـلـفـتُ بـربِ الـراقـصـاتِ إلـى مِـنًـى هُـوِيَّ الـقَـطَـا يَـجـتَـزنَ بـطـنَ دَفـيـنِ
لـقـد ظَـنّ هـذا الـقـلـبُ أن لـيـس لاقـيـاً سُـلَـيـمـى ولا أمَّ الـجُـسَـيـرِ لـحِـيـن
فـلـيـت رجـالاً فـيـكِ قـد نـذَرُوا دَمـي وهَـمُّـوا بـقَـتـلـي يـا بُـثـيـنَ لَـقـونـي
[الطويل]

(١) أصلافاً: يتكلمون بما يكره غيرهم مفردها صلف.

فبينا هو على تلك الحال إذا وثَب عليه القومُ فرماهم بها فسبقَت به وهو يقول:

إذا جمع الإثنان جمعاً رميتُهم بأركانها حتى تُخلَّى سبيلُهَا

[الطويل]

فكان هذا أَولَ سببَ المُهاجاةِ بينه وبين عُبيد اللَّه بن قُطبة.

واعدت بثينة جميلاً أن يلتقيا فمنعها أهلها:

أَخبرني الحَرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا بُهلول بن سليمان عن مَشيخَة من عُذرة:

أَن بُثينة واعدتْ جميلاً أن يلتقيا في بعض المواضع فأتى لوعدها. وجاء أعرابيٌّ يستضيف القومَ فأنزلوه وقرَوه؛ فقال لهم: قد رأيتُ في بطن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَرٍ متفرِّقين مُتوارين في الشجر، وأنا خائف عليكم أَن يسلُبوا بعضَ إِبلكم؛ فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرَسوا بُثينة ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أسفر له الصبحُ انصرف كئيباً سيّئَ الظنّ بها ورجع إلى أهله؛ فعل نساء الحيّ يُقرِّعنه بذلك ويقلن له: إِنما حصلتَ منها على الباطل والكذب والغَدر، وغيرُها أولى بوَصلك منها، كما أنّ غيرَك يحظى بها. فقال في ذلك:

صوت

أبُثَين إِنّك قد مَلَكتِ فأَسجِحِي[1] وخُذي بحظك من كريم واصلِ
فأجبتُها في القول بعد تَستُّرٍ حُبِّي بثينةَ عن وِصالِكِ شاغِلي
فلربَّ عارضةٍ علينا وَصلَها بالجِدّ تخلِطه بقول الهازل
لو كان في صدري كقَدرِ قُلامةٍ فَضلاً وصلتُكِ أَو أَتتكِ رسائلي

[الكامل]

الغناء ليحيى المكّي ثقيل أول بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه:

صوت

ويَقُلن إِنكَ قد رَضِيتَ بباطلٍ منها فهل لكَ في اجتنابِ الباطلِ
ولَباطِلٌ مما أُحِبُّ حديثَه أشهى إِليّ من البَغيض الباذل

(١) أسجح: سهل ولان.

لِـيُـزلِـنَ عـنـك هـوايَ ثـم يَـصِـلـنـنـي وإذا هَـوِيـتُ فـمـا هـوايَ بـزائـلِ

ـ الغناء لسُلَيم رَمّلٌ بالوسطى عن عمرو، وذكر في نسخته الثانية أنه ليزيدِ حَوراء. وروى حَمَّاد عن أبيه في أخبار ابن سُرَيج أنّ لابن سُرَيج فيه لحناً ولم يجنِّسه: ـ

صـادتْ فـؤاد يـا بُـثـيـن حِـبـالـكُـم يـومَ الـحَـجُـونِ وأخـطـأْتـكِ حـبـائـلِـي
مَـنَّـيـتِـنـي فـلَـوَيـتِ مـا مَـنَّـيـتِـنـي وجـعـلـتِ عـاجـلَ مـا وعـدتِ كـآجـل
وتـثـاقـلـتْ لـمَّـا رأت كَـلَـفـي بـهـا أَحـبِـب إلـيّ بـذاكَ مـن مـتـثـاقـل
وأطـعـتِ فـيَّ عـواذِلاً فـهـجـرتـنـي وعـصَـيـتُ فـيـكِ وقـد جَـهَـدنَ عـواذلـي
حـاولـنَـنـي لأبُـتَّ حـبـل وِصـالـكـم مـنّـي، ولـسـتُ وإن جَـهَـدنَ بـفـاعـل
فـرددتُـهـن وقـد سَـعـيـنَ بـهـجـرِكـم لـمَّـا سَـعَـيـنَ لـه بـأفـوَقَ[1] نـاصِـل[2]
يَـعـضَـضـنَ مـن غـيـظٍ عـلـيّ أنـامـلاً ووددتُ لـو يَـعـضَـضـنَ صُـمَّ جَـنـادِل
ويـقـلـن إنـكِ يـا بُـثَـيـن بـخـيـلـةٌ نـفـسـي فـداؤكِ مـن ضَـنـيـنٍ بـاخـل

[الكامل]

قالوا: وقال جميل في وَعد بثينةَ بالتَّلاقي وتأخُّرِها قصيدةً أوّلها:

يـا صـاحِ عـن بـعـض الـمَـلامـةِ أَقـصِـرِ إنّ الـمُـنـى لِـلـقـاء أُمِّ الـمِـسـوَر

[الكامل]

فمما يغنّى فيه منها قوله:

صـوت

وكـأنّ طـرقَـهـا عـلـى عَـلَـل الـكَـرى[3] والـنـجـمُ وَهـنـاً قـد دنـا لـتـغَـوُّر
يَـسـتـاف[4] ريـحَ مُـدامـةٍ مـعـجـونـةٍ بـذَكِـيِّ مِـسـكٍ أو سَـحـيـقِ الـعـنـبـر

[الكامل]

الغناء لابن جامع ثقيلٌ أول بالبنصر من رواية الهِشاميّ. وذكر عمرو بن بانةَ أنه لابن المكيّ.

---

(١) أفوق: يقول سهم أفوق أي به انكسار في إحدى زنمتيه.
(٢) ناصل: السهم أو الرمح الذي ليس له مقبض.
(٣) الكَرى: الحفر والتغوير.
(٤) يستاف: يشم.

ومما يغنّى فيه منها قوله:

صــوت

إِنــي لأحــفــظُ غَــيــبَــكــم ويــســرُّنــي إِذ تَــذكُــريــنَ بــصــالــح أن تَــذكُــرِي
ويــكــون يــومٌ لا أرى لــكِ مُــرسَــلاً أن نَــلــتــقــي فــيــه عــلــيّ كــأشــهُــر
يــا لــيــتــنــي ألــقــى الــمــنــيَّــةَ بــغــتــةً إِن كــان يــومُ لــقــائــكــم لــم يُــقــدَر
أو أســتــطــيــعُ تَــجــلُّــداً عــن ذكــركــم فــيُــفــيــقَ بــعــضُ صــبــابــتــي وتــفــكُّــري

[الكامل]

الغناء لابن مُحرِز خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن الهِشاميّ. وفيه يقول:

لــو قــد تُــجِــنّ كــمــا أُجِــنّ مــن الــهــوى لــعَــذَرَتْ أَو لــظــلــمــتَ إِن لــم تَــعــذِرِ
والــلَّــه مــا لــلــقــلــبِ مــن عــلــم بــهــا غــيــرُ الــظــنــون وغــيــر قــول الــمُــخــبــر
لا تــحــسَــبــي أنــي هــجــرتُــكِ طــائــعــاً حَــدَثٌ لــعــمــرُكِ رائــعٌ أَن تُــهــجــري
فَــلــتَــبــكِــيَــنَّ الــبــاكــيــاتُ وإِن أَبُــحْ يــومــاً بــســرِّكِ مُــعــلِــنــاً لــم أُعــذر
يــهــواكِ مــا عــشــتُ الــفــؤادُ فــإِن أَمُــتْ يَــتــبَــعْ صــداي صــداكِ بــيــن الأقــبُــر

[الكامل]

صــوت

إِنــي إِلــيــكِ بــمــا وعــدتِ لــنــاظــرٌ نــظــرَ الــفــقــيــرِ إِلــى الــغــنــيِّ الــمُــكــثِــرِ
يَــعِــدُ الــديــونَ ولــيــس يُــنــجِــزُ مــوعــداً هــذا الــغــريــمُ لــنــا ولــيــس بــمُــعــسِــر
مــا أَنــتِ والــوَعــدَ الــذي تــعَــدِيــنَــنــي إِلّا كــبــرق ســحــابــةٍ لــم تُــمــطِــر
قــلــبــي نــصــحــتُ لــه فــرَدّ نــصــيــحــتــي فــمــتــى هَــجَــرتِــيــهِ فــمــنــه تَــكــثّــري

[الكامل]

الغناء في هذه الأبيات لسُلَيم رَمَلٌ عن الهِشاميّ. وفيه قدحٌ طُنبورِيّ أظنّه لِجَحظة أو لعليّ بن مودّة. قالوا: وقال في إِخلافها إِياه هذا الموعدَ:

صــوت

أَلَا لــيــتَ رَيــعــانَ الــشــبــابِ جــديــدُ ودهــراً تــولّــى يــا بُــثَــيــنَ يَــعــودُ

فـنَـغـنـى كـمـا كـنَّـا نـكـون وأنـتـمُ قـريـبٌ وإذ مـا تَـبـذُلـيـن زَهـيـدُ

[الطويل]

ويروى :

ومـمـا لا يـزيـد بـعـيـدُ

وهكذا يغنّى فيه :

الغناء لسُلَيم خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى . ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة :

صـوت

أَلَا لـيـت شـعـري هـل أبِـيـتـنّ لـيـلـةً بـوادي الـقُـرى إنّـي إذاً لـسَـعـيـدُ

وهـل أَلـقَـيـن فَـرداً بـثـيـنـة مـرّةً تَـجـود لـنـا مـن ودّهـا ونَـجـود

عَـلِـقـتُ الـهـوى منـهـا ولـيـداً فـلـم يـزَل إلـى الـيـوم يُـنـمـي حُـبُّـهـا ويَـزيـد

وأفـنـيـتُ عُـمـري بـانـتـظـاريَ وَعـدَهـا وأبـلـيـتُ فـيـهـا الـدهـرَ وهـو جـديـد

فـلا أنـا مـردودٌ بـمـا جـئـتُ طـالـبـاً ولا حـبُّـهـا فـيـمـا يَـبـيـدُ يَـبـيـد

[الطويل]

الغناء لمَعبدٍ ثقيلٌ أَولُ بالوسطى . وما يغنّى فيه منها :

صـوت

ومـا أَنـسَ مِ الأشـيـاءِ لا أَنـسَ قـولـهـا وقـد قَـرُبـتُ بُـصـرى أمـصـرّ تُـريـدُ

ولا قـولَـهـا لـولا الـعـيـونُ الـتـي تَـرى لـزُرتـكَ فـاعـذِرنـي فَـدَتـك جُـدُودُ

خـلـيـليّ مـا أَلـقـى مـن الـوجـد قـاتِـلـي ودَمـعـي بـمـا قـلـتُ الـغَـداةَ شَـهـيـد

يـقـولـون جـاهـدْ يـا جـمـيـلُ بـغَـزوةٍ وأيَّ جـهـادٍ غـيـرَهـنّ أُريـدُ

لـكـلِّ حـديـثٍ بـيـنـهـنّ بـشـاشـةٌ وكـلُّ قَـتـيـلٍ عـنـدهـنّ شَـهـيـد

[الطويل]

الغناء للغريض خفيفُ ثقيلٍ من رواية حَمَّاد عن أَبيه . وفي هذه القصيدة يقول :

إذا قـلـتُ مـا بـي يـا بـثـيـنـةُ قـاتِـلـي مـن الـحـبّ قـالـت ثـابـتٌ ويَـزيـدُ

وإن قـلـتُ رُدّي بـعـضَ عـقـلـي أَعِـش بـه مـع الـنـاسِ قـالـت ذاكَ مـنـكَ بـعـيـد

أَلا قـد أَرى واللَّـهِ أَنْ رُبَّ عَـبـرةٍ إذا الـدارُ شَـطَّـتْ بـيـنـنـا سـتـرُود[١]
إِذا فـكَّـرتْ قـالـت قـد ادركـتُ ودَّه ومـا ضَـرَّنـي بُـخـلِـي فـكـيـف أَجـودُ
فـلـو تُـكـشَـف الأحـشاءُ صُـودِف تـحـتَـهـا لـبـثـنـةَ حـبٌّ طـارِفٌ وتَـلِـيـد[٢]
تـذكِّـرُنِـيـهـا كـلُّ ريـحٍ مَـريـضـةٍ لـهـا بـالـتِّـلاعِ الـقـاويـاتِ[٣] وَئـيـد[٤]
وقـد تَـلـتـقـي الأشـتـاتُ بـعـد تـفـرُّقٍ وقـد تُـدرَكُ الـحـاجـاتُ وهـي بـعـيـد

[الطويل]

عاتبته بثينة لشعر قاله فيها:

أَخبرني عليّ بن صالح قال: حدثني عمر بن شَبَّة عن إِسحاق قال:

لقي جميلٌ بثينةَ بعد تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدَّتُه، فتعاتبا طويلاً فقالت له: وَيحك يا جميل! أتزعم أنك تَهواني وأَنت الذي تقول:

رمـى الـلَّـهُ فـي عـيـنـيْ بُـثـيـنـةَ بـالـقَـذى وفـي الـغُـرّ مـن أَنـيـابـهـا بـالـقَـوادحِ!

[الطويل]

فأطرق طويلاً يبكي ثم قال: بل أَنا القائلُ:

أَلا لـيـتَـنـي أَعـمـى أصـمُّ تَـقـودُنـي بـثـيـنـةُ لا يَـخـفـى عـلـيّ كـلامُـهَـا

[الطويل]

فقالت له: وَيحك! ما حملك على هذه المُنى! أَوَ ليس في سعةِ العافية ما كفانا جميعاً!

تجسس أَبوها وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة:

قال إِسحاق وحدثني أَيوب بن عَبايةَ قال:

سعَتْ أَمَةٌ لبثينةَ بها إلى أَبيها وأَخيها وقالت لهما: إِن جميلاً عندها الليلةَ؛ فأتياها مشتملَيْن على سيفين، فرأياها جالساً حَجرةً منها يحدّثها ويشكو إليها بَثّه، ثم قال لها: يا بُثينة، أرأيتِ وُدّي إِياكِ وشَغفي بكِ أَلَا تَجزِينيه؟ قالت: بماذا؟ قال: بما يكون بين المتحابّين. فقالت له: يا جميل، أهذا تَبغي! واللَّه لقد كنتَ عندي بعيداً

(١) ترود: تذهب وتعود.
(٢) تليد: من وُلِدَ بالعجم، فحُمل صغيراً، فنبت ببلاد الإسلام.
(٣) القاويات: الخاليات مفردها قاوية.
(٤) وئيد: الصوت العالي.

منه، ولئن عاودْتَ تعريضاً برِيبةٍ لا رأيتَ وجهي أبداً. فضحك وقال: واللَّه ما قلتُ لكِ هذا إلا لأعلمَ ما عندكِ فيه، ولو علمتُ أنك تُجيبينني إليه لعلمتُ أنك تُجيبين غيري، ولو رأيتُ منكِ مساعدةً عليه لضربتُك بسيفي هذا ما استَمسَكَ في يدي، ولو أطاعتني نفسي لهجرتُكِ هِجرَةَ الأبَد؛ أو ما سمعتِ قولي:

وإِنـي لأرضـى مـن بُـثـيـنـةَ بـالـذي ... لـو ابـصـره الـواشـي لـقـرّتَ بَـلابِـلُـهْ
بـلا وبـأن لا أسـتـطـيـعَ وبـالـمُـنـى ... وبـالأمـلِ الـمـرجـوِّ قـد خـاب آمـلُـه
وبـالـنَّـظـرةِ الـعَـجـلى وبـالـحَـول تَـنـقـضـي ... أواخـرُه لا نَـلـتـقـي وأوائـلُـه

[الطويل]

قال فقال أَبوها لأخيها: قُمْ بنا، فما ينبغي لنا بعد اليوم أَن نمنع هذا الرجل من لقائها، فانصرفا وتركاهما.

قابلها مرة بسعي صديق له:

أَخبرني محمد بن مَزيد قال: حدثنا حَمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه عن أَيُّوبَ بن عَبايةَ عن رجل من عُذرة قال:

كنتُ تِرباً لجميل وكان يَألَفُني، فقال لي ذاتَ يوم: هل تساعدني على لقاء بثينة؟ فمضيتُ معه، فكَمن لي في الوادي وبعَث بي إلى راعي بُثينة بخاتمه، فدفعتُه إليه، فمضى به إليها ثم عاد بمَوعِد منها إليه. فلما كان الليلُ جاءته فتحدّثا طويلاً حتى أَصبحا ثم ودّعها وركب ناقته. فلما استوى في غَرْزِها وهي باركةٌ قالت له: ادنُ منّي يا جميل:

صـوت

إِنَّ الـمـنـازل هَـيَّـجـتْ أَطـرابـي ... واسـتَـعـجـمـتْ آيـاتـهـا بـجـوابِـي
قَـفـراً تَـلـوح بـذي الـلُّـجَـيـن كـأنـهـا ... أَنـضـاءُ رَسـمٍ أَو سُـطـورُ كـتـابِ
لـمـا وَقَـفـتُ بـهـا الـقَـلـوصَ تـبـادرتْ ... مـنـي الـدمـوعُ لـفُـرقـة الأحـبـاب
وذكـرتُ عـصـراً يـا بـثـيـنـةُ شـاقَـنـي ... وذكـرتُ أَيـامـي وشَـرخَ شـبـابـي

[الكامل]

الغناء في هذه الأبيات للهُذَليّ ثاني ثقيلٍ بإِطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إِسحاق.

أرسل كثيّراً إلى بثينة ليستجدّ منها موعداً:

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثنا إسحاق الموصليّ عن السَّعيديّ، وأَخبرني محمد بن مَزيد قال: حدثنا حَمَّاد عن أَبيه قال: حدثنا أَبو مالكٍ النَّهديّ قال:

جلس إلينا كثيِّر ذاتَ يوم فتذاكرنا جميلاً؛ فقال: لقيني مرّةً فقال لي من أَين أقبلت؟ قلتُ: من عند أَبي الحبيبة (أعني بثينة). فقال: وإلى أين تمضي؟ قلت: إلى الحبيبة (أعني عَزّة). فقال: لا بدّ من أن ترجع عَودك على بَدئك فتستجدَّ لي موعداً من بُثَينة. فقلت: عهدي بها الساعةَ وأنا أستحيي أن أَرجِع. فقال: لا بدّ من ذلك. فقلت له: فمتى عَهدُك ببثُينة؟ فقال: في أول الصيد وقد وقعتْ سحابةٌ بأسفل وادي[1] الدَّوم فخرجت ومعها جاريةٌ لها تَغسِل ثيابها؛ فلما أبصرتني أنكرتْني، فضربتْ بيديها إلى ثوب في الماء فالتحفتْ به، وعرَفتني الجاريةُ، فأعادت الثوب في الماء، وتحدَّثنا حتى غابت الشمس. وسألتُها الموعد فقالت: أهلي سائرون؛ وما وجدتُ أحداً آمَنُه فأُرسلَه إليها فقال له كثيِّر: فهل لك في أن آتيَ الحيّ فأَنزِع[2] بأبياتٍ من شعرٍ أذكر فيها هذه العلامة إن لم أقدِر على الخَلوة بها؟ قال: ذاك الصوابُ، فأرسله إليها؛ فقال له: انتظرْني. ثم خرج كثيِّر حتى أناخ بهم. فقال له أَبوها: ما رَدّك؟ قال: ثلاثةُ أَبياتٍ عرَضتْ لي فأحببتُ أَن أَعرِضها عليكَ. قال: هاتِها. قال كثيِّر: فأنشدته وبُثينة تسمع:

فقلتُ لها يا عزّ أُرسِلُ صاحبي ... إليكِ رسولاً والمُوكَّلُ مُرسَلُ
بأن تجعَلي بَيني وبَينَكِ موعِداً ... وأن تأمُريني ما الذي فيه أفعل
وآخِرُ عهدي منكِ يومَ لقيتِني ... بأسفلِ وادي الدَّومِ والثوبُ يُغسَل

[الطويل]

قال: فضربتْ بُثينة جانبَ خِدرها وقالت: إخسأ إخسأ! فقال أَبوها: مَهْيَم[3] يا بُثينة؟ قالت: كلبٌ يأتينا إذا نَوَّم الناسُ من وراء الرَّابية. ثم قالت للجارية: ابغِينا من الدَّوماتِ حطباً لنذبح لكثيِّر شاةً ونشويَها له. فقال كثيِّر: أنا أعجَل من ذلك. وراح إلى جميلٍ فأخبره. فقال له جميل: الموعدُ الدَّوماتُ[4]: وقالت لأم الحسين ولَيلى

(١) وادي الدوم: واد يمتد من شمالي خيبر إلى قبليها.
(٢) أنزع: نزع الشعر أي انشده وتمثَّل به.
(٣) مهيم: ما الخطب، ما الشأن.
(٤) الدّومات: شجر المقل والنَّبق، وضخام الشجر.

ونَجَيًا بناتِ خالتها وكانت قد أَنسَتْ إليهنّ واطمأنَّتْ بهنّ: إني قد رأيتُ في نحو نشيدِ كثيِّر أن جميلاً معه. وخرج كثيِّر وجميلٌ حتى أَتيا الدَّوماتِ، وجاءت بُثينة ومن معها، فما برِحوا حتى بَرَق الصبحُ. فكان كثيِّر يقول: ما رأيت مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثل عِلم أحدهما بضمير الآخر! ما أَدري أيُّهما كان أَفهمَ!

أَخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حدثنا الخَليل بن أَسَد قال: حدثنا العُمَريّ عن الهَيثَم بن عَدِي، وأخبرني عمي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيثَم بن عَدِيّ قال، قال لي صالح بن حَسَّان:

هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخرُه مخنَّثٌ من أهل العَقيق يتقصَّف تقصُّفاً؟ قلتُ: لا. قال: قد أجّلتُكَ حَولاً. قلتُ: لا أدري ما هو! فقال قولُ جميل:

ألا أيـــهـــا الـــنُّـــوَّامُ وَيـــحـــكُـــمُ هُـــبُّـــوا

كأنه أعرابيّ في شَملة. ثم أدركه ما يدرك العاشقَ فقال:

أسـائـلُـكـم هـل يـقـتُـل الـرجـلَ الـحـبُّ

[الطويل]

كأنه من كلام مُخنَّثي العَقيق.

أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها:

أَخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال: أَخبرنا عبد اللَّه بن أبي كَريم عن أَبي عمرو وإِسحاقَ بن مَروان قال:

عشق جميلٌ بثينة وهو غلام، فلما بلغ خطَبها فمُنع منها، فكان يقول فيها الأشعارَ، حتى اشتهر وطُرد، فكان يأتيها سِرّاً ثم تزوَّجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خُفية إلى أن استُعمل دَجاجةُ بن رِبعِيّ على وادي القُرى فشكوْه إليه فتقدَّم إليه ألّا يُلِمَّ بأبياتها وأَهدَر دمَه لهم إن عاود زيارتَها، فاحتَبس حينئذٍ.

أَخبرني أحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدثني يعقوب بن إِسرائيل مولى المنصور قال: حدثنا أَحمد بن أبي العَلاء قال: حدثني إِبراهيم الرَّمَّاح قال: حدثنا جابر أَبو العَلاء التَّنوخيّ قال:

لما نذَر أهلُ بُثينة دمَ جميل وأهدَره لهم السلطان ضاقت الدنيا بجميل، فكان يَصعَد بالليل على قُورِ[1] رملٍ يتنسَّم الريحَ من نحو حَيّ بثينة ويقول:

(١) قور: مفردها قورة، وهي الأكمة العظيمة.

أيا ريحَ الشَّمالِ أما تَرَيني أَهِيمُ وأنني بادي النُّحولِ
هَبي لي نَسمةً من ريح بَثنٍ ومُنّي بالهُبوب إلى جَميلِ
وقولي يا بُثينةُ حَسْبُ نَفسي قليلُك أَو أَقلُّ من القليل

[الوافر]

فإذا بدا وَضَحٌ الصبح انصرف. وكانت بثينة تقول لجَوارٍ من الحيّ عندها: ويَحكُنّ! إني لأسمع أَنِينَ جميل من بعض القِيرانِ؟ فيقلن لها: اتَّقي اللَّه! فهذا شيء يخيِّله لك الشيطانُ لا حقيقةَ له.

تذاكر هو وكثيّر شعريهما في العشق وبكيا:

حدثني أَحمد بن عَمَّار قال: حدثني يعقوب بن نُعَيم قال: حدثني أَحمد بن يَعلَى قال: حدثني سُوَيد بن عِصام قال: حدثني رَوح أبو نعيم قال:

إلتقى جميلٌ وكثيِّر فتَذاكرا النسيب؛ فقال كثيِّر: يا جميل، أترى بُثينة لم تسمع بقولك:

يقِيكِ جميل كلَّ سُوءٍ، أما له لديكِ حديثٌ أو إليكِ رسولُ
وقد قلتُ في حبّي لكم وصَبابتي مَحاسِن شعرٍ ذِكْرُهنّ يَطول
فإن لم يكن قولي رضاكِ فعَلِّمي هُبوبَ الصَّبا يا بَثن كيف أقول
فما غاب عن عيني خيالُكِ لحظةً ولا زال عنها، والخيالُ يَزُول

[الطويل]

فقال جميل: أترى عَزَّة يا كثيِّر لم تسمع بقولك:

يقول العِدا يا عَزّ قد حال دونكم شجاعٌ على ظهر الطريق مُصَمِّمُ
فقلتُ لها واللَّهِ لو كان دونكم جهنّمُ ما راعتْ فؤادي جهنَّم
وكيف يَرُوع القلبَ يا عزّ رائعٌ ووجهكِ في الظَّلماء للسَّفْر مَعلَم
وما ظلمتْكِ النفسُ يا عَزّ في الهوى فلا تنقِمي حبِّي فما فيه مَنقَّم

[الطويل]

قال: فبكيا قطعةً من الليل ثم انصرفا.

واعد بثينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب:

وقال الهَيثم بن عديّ ومن ذكَر روايتَه معه من أَصحابه:

زار جميلٌ بُثينة ذاتَ يوم فنزل قريباً من الماء يترصّد أَمَةً لها أو راعية، فلم يكن نزولُه بعيداً من ورود أَمَة حبشيَّة معها قِربةٌ، وكانت به عارفةً وبما بينها وبينه. فسلَّمتْ

عليه وجلست معه، وجعل يحدِّثها ويسألها عن أخبار بُثينة ويحدِّثها بخبره بعدها ويُحمِّلُها رسائلَه. ثم أعطاها خاتمَه وسألها دَفعَه إلى بُثينة وزوجُها وأخوها فسألوها عما أَبطأ بها، فالتوتْ عليهم ولم تُخبرهم وتعلَّلتْ؛ فضربوها ضرباً مبرِّحاً؛ فأعلمتهم حالها مع جميل ودفعتْ إليهم خاتمَه. ومرّ بها في تلك الحال فَتيان من بني عُذْرة فسمعا القصَّة كلَّها وعرَفا الموضعَ الذي فيه جميل، فأحبَّا أن يُثبِّطا عنه فقالا للقوم: إنكم إن لقيتُم جميلاً وليست بُثينة معه ثم قتلتُموه لزمكم في ذلك كلُّ مكروه؛ أهلُ بُثينة أعزُّ عُذرةَ، فدَعُوا الأمَةَ تُوَصِّل خاتَمه إلى بُثينة فإذا زارها بَيَّتُموها جميعاً؛ قالوا: صدَقتما لعَمري إنّ هذا الرأيُ. فدفعوا الخاتم إلى الأمَة وأمروها بإيصاله وحذَّروها أن تُخبر بثينةَ بأنهم علِموا القِصَّة، ففعلتْ. ولم تعلم بثينةُ بما جَرى. ومضى الفَتَيانِ فأنذرا جميلاً؛ فقال: واللَّهِ ما أَرهَبهم، وإن في كِنانتي ثلاثين سهماً واللَّه لا أخطأ كلُّ واحد منها رجلاً منهم، وهذا سيفي واللَّه ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبانُ الجَنان. فناشداه اللَّهَ وقالا: البقيَّة أصلح، فتُقيم عندنا في بيوتنا حتى يَهدأ الطلب، ثم نبعثُ إليها فتزورُك وتقضي من لقائها وَطَراً وتنصرفُ سليماً غير مُؤبَّن[1]. فقال: أمَّا الآنَ فابعثا إليها من يُنذرها؛ فأتيا براعيةٍ لهما وقالا له: قُلْ بحاجتك؛ فقال: ادخلي إليها وقُولي لها: إني أردتُ اقتناصَ ظبي فحذّره ذلك جماعةٌ اعتوَرُوه من القُنَّاص ففاتَني الليلةَ. فمضتْ فأعلمتْها ما قال لها؛ فعرفَتْ قصتَه وبحثتْ عنها فعرفتْها؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلةَ ورَصدوها فلم تَبرَحْ مكانَها ومَضَوْا يَقتصُّون أثرَه فرأوْا بعرَ ناقته فعرفوا أنه قد فاتهم، فقال جميل في ذلك:

خليليّ عُوجَا اليومَ حتى تسلِّما ... على عَذْبةِ الأنيابِ طيِّبة النَّشرِ
أَلِمَّا بها ثم أشفَعا لي وسلِّما ... عليها سقاها اللَّهُ من سَبَلِ القَطَرِ
إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتياقاً وإن نأتْ ... جَزِعتُ لنأْيِ الدار منها وللبُعدِ
أَبى القلبُ إلا حبَّ بَثنةَ لم يُرِدْ ... سِواها وحبُّ القلبِ بَثنةَ لا يُجدِي

[الطويل]

قال: وقال أيضاً: ومن الناس من يُضيف هذه الأبياتَ إلى هذه القصيدة؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القَوافي تدلّ على أنها مفردةٌ عنها، وهي:

ألم تَسأل الدارَ القديمةَ هل لها ... بأُمِّ جُسَيرٍ بعد عهدكَ من عهدِ

(١) مؤبَّن: يقال أبَّنه تأبيناً تعني عابه في وجهه ومؤبن تعني معيب.

وفيها يقول:

صـــوت

سَلي الرَّكبَ هل عُجنا[1] لِمَغناكِ مَرّةً صدورَ المطايا وهي مُوقَرَةٌ تَخدِي
وهل فاضتِ العينُ الشَّروقُ بمائها مِنَ اجلِكِ حتى اخضَلَّ من دمعها بُرْدِي

الغناء لأحمد بن المكيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى:

وإنّي لأستَجري لكِ الطيرَ جاهداً لتجري بيُمنٍ من لقائِك من سعدِ
وإنّي لأستَبكي إذا الركبُ غرَّدُوا بذكراكِ أن يحيا بكِ الركبُ إذ يَخدي
فهل تجزيَنِّي أُمُّ عمرٍو بودِّها فإنّ الذي أُخفِي بها فوقَ ما أُبدي
وكلُّ محبٍّ لم يَزِدْ فوقَ جَهدِه وقد زدتُها في الحبّ منّي على الجَهد

[الطويل]

قصته مع أم منظور:

أخبرني الحَرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثني عمر بن إبراهيم وغيره وبُهلول بن سليمان البَلَويّ:

أَنّ رهط بُثينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يَثِقون بها يقال لها أُمّ منظور. فجاءها جميل فقال لها: يا أُمَّ منظور، أَرِيني بثينةَ. فقالت: لا! واللَّهِ لا أفعل، قد ائتمنوني عليها. فقال: أمَا واللَّهِ لأضُرَّنَّكِ؛ فقالت: المَضرَّةُ واللَّهِ في أَن أُرِيكها. فخرج من عندها وهو يقول:

ما أَنسَ لا أَنسَ منها نظرةً سَلَفتْ بالحِجرِ[2] يومَ جَلَتها أُمُّ منظورِ
ولا انسِلابتَها خُرْساً جبائرُها[3] إليَّ من ساقِط الأرواقِ مستور

[البسيط]

قال: فما كان إلّا قليلٌ حتى انتهى إليهم هذان البيتان. قال: فتعلَّقوا بأُمّ منظور فحلَفتْ لهم بكلِّ يمينٍ فلم يقبلوا منها. هكذا ذكَر الزُّبير بن بَكَّار في خبر أمّ منظور، وقد ذُكر فيه غير ذلك.

أخبرني محمد بن خَلَف بن المُرزُبان قال: حدثنا أحمد بن الهَيثم بن فِراس

---

(١) عُجنا: رضينا. لم أعُج به أي لم أرضَ به.
(٢) الحِجر: الحفظ والستر. (٣) جبائر: خلاف الكسر.

قال: حدثني العُمَريّ عن الهَيثم بن عَدِيّ، وأخبريني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمَّاد عن أبيه عن الهَيثم بن عدِيّ:

أن رجلاً أَنشد مُصْعَب بنَ الزُّبير قولَ جميل:

ما أَنسَ لا أَنسَ منها نظرةً سلفَتْ بالحِجر يومَ جَلَتها أمِّ منظورِ

فقال: لوددتُ أنّي عرفتُ كيف جَلَتها. فقيل له: إن أم منظور هذه حَيَّة. فكتب في حَملِها إليه مكرَّمة فحُمِلتْ إليه. فقال لها: أخبرني عن قول جميل:

ما أنس لا أنس منها نظرةً سلَفتْ بالحِجر يومَ جَلَتها أُمُّ منظورِ

كيف كانت هذه الجَلوة؟ قالت: ألبستُها قِلادةَ بَلَح ومِخنَقَة بَلَح واسطتُها تفَّاحةٌ، وضفَرتُ شعرَها وجعلت في فَرقِها[1] شيئاً من الخَلوق[2]. ومَرّ بنا جميلٌ راكباً ناقته فجعل ينظر إليها بمُؤخِر عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنا. فقال لها مُصعَب: فإني أُقسِم عليكِ إلَّا جَلَوتِ عائشةَ بنت طَلحة مثلَ ما جَلَوتِ بثينة، ففعلتْ. وركب مُصعَبٌ ناقتَه وأقبل عليهما وجعل ينظر إلى عائشةَ بمُؤخِر عينِه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع.

زارها مرة متنكراً في زي سائل:

أخبرني الحَرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثني بُهلول عن بعض مشايخه:

أنّ جميلاً جاء إلى بُثينة ليلةً وقد أخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحَيّ، فوجد عندها ضِيفاناً لها، فانتَبذ ناحيةً، فسألتْه: من أنت؛ فقال: مسكينٌ مكاتَب، فجلس وحدَه، فعَشَّتْ ضِيفانَها وعشَّته وحدَه. ثم جلستْ هي وجاريةٌ لها على صِلائهما واضطجع القوم مُنتَحِين. فقال جميلٌ:

هل البائسُ المَقرورُ دانٍ فمُصطَلٍ من النار أَو مُعطًى لِحافاً فلابسُ

[الطويل]

فقالت لجاريتها: صوتُ جميلٍ واللَّه! اذهبي فانظري! فرجعتْ إليها فقالت: هو واللَّه جميل! فشهَقت شَهقةً سمعها القومُ فأقبلوا يَجرُون وقالوا: ما لكِ؟ فطرحتْ بُرداً لها من حِبَرَةٍ في النار وقالت: احترق بُردِي، فرجع القومُ. وأرسلتْ جاريتَها إلى جميل، فجاءتها به، فحبستْه عندها ثلاثَ ليالٍ، ثم سلَّم عليها وخرج.

---

(١) فَرق: الطريق في شعر الرأس.

(٢) الخَلوق: الطيب والعطر.

واعدته مرة وأحس أهلها فمنعوها:

وقال الهَيثم وأصحابه في أخبارهم:

كانت بُثينة قد واعدت جميلاً للالتقاء في بعض المواضع، فأتى لوَعدِها. وجاء أعرابيٌّ يَستضيف القومَ فَأَنزلُوه وقَرَوه، فقال لهم: إني قد رأيت في بطَن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين في الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يَسُلّوا[1] بعض إبلكم. فعرفوا أنه جميلٌ وصاحباه، فحرَسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده. فلما أَسفَر له الصبحُ انصرف كثيباً سَيِّئ الظنّ بها ورَجع إلى أهله، فجعل نساءُ الحيِّ يُقرِّعنَه بذلك ويقلن له: إنما حصَلتَ منها على الباطل والكذب والغدر، وغيرُها أولى بوَصلِك منها، كما أن غيرك يَحظى بها. فقال في ذلك:

أَبُثين إنكِ قد مَلكتِ فأَسجِحي ... وخُذي بحظِّكِ من كريم واصل

صوت

فأجبتُها في القول بعد تستُّرٍ ... حُبّي بثينةَ عن وصالكِ شاغلي
فلرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها ... بالجِدّ تَخلِطُه بقول الهازلِ
لو كان في قلبي كقَدْر قُلامةٍ ... فضلاً وصلتُك أَو أَتتكِ رسائلي

ـ الغناء ليحيى المكيّ ثقيلٌ أولُ بالوسطى من رواية أحمد: ـ

ويَقُلنَ أنك قد رضيتَ بباطلٍ ... منها فهل لكَ في اجتناب الباطلِ
ولباطلٌ من أحبُّ حديثَه ... أَشهى إليّ من البَغيض الباذلِ

[الكامل]

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو. وذكر عمر أنه ليزيد حَوارء.

قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها:

وذكر الهَيثم بن عَدِيّ وأصحابُه أن جماعةً من بني عُذرة حَدّثوا أَن جميلاً رصَد بثينةَ ذاتَ ليلةٍ في نُجعةٍ لهم، حتى إذا صادف منها خَلوةً سكِر ودنا منها وذلك في ليلةٍ ظَلماءَ ذاتِ غَيم وريح ورعد، فحذفَها بحصاةٍ فأصابتْ بعضَ أَترابها، ففزِعتْ وقالت: واللّه ما حَذَفَني في هذا الوقت بحصاةٍ إلا الجِنُّ! فقالت لها بثينةُ وقد فطِنتْ: إن جميلاً فعل ذلك فانصرِفي ناحيةً إلى منزلكِ حتى ننام، فانصرفتْ وبقيتْ مع بُثينةَ أُمُّ

(١) يَسُلُّوا: ينتزعوا الشيء ويغتصبوه.

الجُسَير وأُمُّ منظور، فقامت إلى جميل فأدخلتْه الخِباءَ[١] معها وتحدّثا طويلاً، ثم اضطجع واضطجعتْ إلى جَنبه فذهب النوم بهما حتى أَصبحا وجاءها غلامُ زوجِها بصَبُوح[٢] من اللبن بعث به إليها، فرآها نائمةً مع جَميل، فمضى لوجهه حتى خبّر سيِّدَه. ورأته لَيلى والصَّبوحُ معه وقد عَرفتْ خبرَ جميلٍ وبُثينة فاستوقفتْه كأنها تسأله عن حاله وبعَثتْ بجارية لها وقالت: حذِّري بثينةَ وجميلاً، فجاءت الجاريةُ فنبَّهتهما. فلما تبيَّنتْ بثينةُ الصبحَ قد أضاءَ والناسَ منتشرين ارتاعتْ وقالت: يا جميلُ! نفسَك نفسَك! فقد جاءني غلامُ نُبَيهِ بصَبوحي من اللبن فرآنا نائمين! فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لما خَوّفته منه:

لَعَمرُكِ ما خَوَّفتِني من مَخافةٍ بُثينُ ولا حَذَّرتِني موضعَ الحَذَرْ
فأُقسِمُ لا يُلفى لَيَ اليومَ غِرَّةٌ وفي الكفِّ منّي صارمٌ قاطِعٌ ذكَرْ

[الطويل]

فأقسمتْ عليه أن يلقِيَ نفسَه تحت النَّضَدِ[٣] وقالت: إنما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك، ففعل ذلك ونامت كما كانت، واضطجعتْ أُمّ الجُسَير إلى جانبها وذهبتْ خادم ليلى إليها فأخبرتْها الخبرَ فتركتِ العبدَ يمضي إلى سيِّده فمضى والصَّبوح معه وقال له: إني رأيتُ بُثينة مُضطجْعةً وجميلٌ إلى جَنبها. فجاء نُبيه إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرَّفهما الخبرَ وجاءوا بأجمعهم إلى بُثينة وهي نائمة فكشَفوا عنها الثوبَ فإذا أمُّ الجُسَير إلى جانبها نائمة. فخجِل زوجُها وسَبّ عبدَه وقالت ليلى لأخيها وأبيها: قبحكما اللَّهُ! وإياكما! وجعَلا يَسُبَّان زوجَها ويقولان له كلَّ قول قبيح. وأقام جميل عند بثينةَ حتى أَجَنَّه الليلُ ثم وَدّعها وانصرف. وحذِرَتهم بُثينة لِما جرى من لقائه إيَّاها فتَحامَته مدّةً، فقال في ذلك:

صـوت

أأن هتَفتْ وَرقاءُ ظَلْتَ سَفاهةً تُبكِّي على جُملٍ لوَرقاءَ تَهتِفُ
فلو كان لي بالصرم يا صاحِ طاقةٌ صرَمتُ ولكنّي عن الصرم أضعُفُ

[الطويل]

---

(١) الخِباء: ما خُبئ وغاب.
(٢) صَبوح: ما حُلب من اللبن بالغداة، وما أصبح عندهم من الشراب.
(٣) النَّضد: متاع المنزل المنضود بعضه فوق بعض.

للهُذَليّ في هذين البيتين لحنانِ أحدهما ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو، وذكَر غيرُه أنه لابن جامع. وفيه لبَذْل الكُبرى خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن أَحمد بن المَكي. ومما يغنّى فيه من هذه القصيدةِ قوله:

صـــوت

لـهـا فـي سَـواد الـقـلـب بـالـحُـبِّ مَـيـعـةٌ ... هي الموتُ أو كادت على الموت تُشرِفُ
ومـا ذكـرتْـكِ الـنـفـسُ يـا بَـثـنَ مـرَّةً ... مـن الـدهـر إلا كـادتِ الـنـفـسُ تَـتـلَـف
وإلا اعـتـرتْـنـي زَفـرةٌ واسـتـكـانـةٌ ... وجـاد لـهـا سَـجـلٌ مـن الـدمـع يَـذرِف
ومـا استَـطـرفـتْ نـفـسـي حـديـثـاً لـخُـلَّـةٍ ... أُسَـــرُّ بـــه إلا حـــديـــثُـــكِ أَطـــرَف

الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أول بالوُسطى عن الهِشاميّ. وأول هذه القصيدة:

أمِـن مـنـزلٍ قَـفـرٍ تـعـفَّـتْ رُسُـومُـه ... شَـمـالٌ تُـغـادِيـه وَنَـكـبـاءُ[1] حَـرجَـفُ[2]
فـأصـبـح قَـفـراً بـعـد مـا كـان آهِـلاً ... وجُـمْـلُ الـمُـنـى تَـشـتُـو بـه وتُـصـيِّـف
ظَـلِـلـتُ ومُـستَـنٌّ[3] مـن الـدمـع هـاملٌ[4] ... مـن الـعـيـنِ لـمـا عُـجـتُ بـالـدّارِ يَـنـزِف
أُمُـنـصِـفـتـي جُـمْـلٌ فـتَـعـدِلَ بـيـنـنـا ... إذا حـكـمـتْ والـحـاكـمُ الـعَـدْلُ يُـنـصِـف
تـعـلَّـقـتُـهـا والـجـسـمُ مـنـي مـسـحَّـحٌ ... فـمـا زال يَـنـمـي حُـبُّ جُـمْـلٍ وأضـعُـفُ
إلـى الـيـوم حـتـى سَـلَّ جـسـمـي وشَـفـنـي ... وأنـكـرتُ مـن نـفـسـي الـذي كـنـت أعـرِف
قَـنـاةٌ مـن الـمُـرَّانِ[5] مـا فـوقَ حَـقـوِهـا ... ومـا تـحـتَـه مـنـهـا نَـقـاً يـتـقـصَّـف
لـهـا مُـقـلَـتـا رِيـم وجِـيـدُ جِـدايـةٍ[6] ... وكَـشْـحٌ[7] كـطَـيِّ الـسـابِـريَّـةِ[8] أَهـيَـف
ولـسـتُ بـنـاسٍ أهـلَـهـا حـيـنَ أَقـبـلُـوا ... وجـالُـوا عـلـيـنـا بـالـسـيـوفِ وطَـوَّفـوا
وقـالـوا جَـمـيـلٌ بـات فـي الـحـيّ عـنـدهـا ... وقـد جَـرّدوا أسـيـافَـهـم ثـم وَقَّـفـوا

(١) نكباء: الريح التي انحرفت عن مهبِّها.
(٢) حرجف: باردة شديدة الهبوب.
(٣) مستَّن: منصب.
(٤) هامل: منهمر بغزارة.
(٥) المرَّان: الرماح مفردها مرن.
(٦) جداية: الذكر والأنثى من أولاد الظباء بعد بلوغها ستة أشهر.
(٧) كَشْح: ما بين الخاصرة إلى الضَّلَع الخَلْف.
(٨) السَّابرية: الرقيق من الثياب الذي يشُف ما تحته.

وفي البيت لَيثُ الغابِ لولا مَخافةٌ ... على نفس جُمْلٍ والإلٰهِ لأُرعِفوا[1]
وما سَرَّني غيرُ الذي كان منهمُ ... ومنّي وقد جاءوا إليّ وأَوجَفوا
فكم مُرتَجٍ أمراً أُتيح له الرَّدى ... ومن خائفٍ لم يَنتقِصه التخوف

[الطويل]

حدثني عمي قال: حدثنا الكُرانيّ قال: حدثنا العُمَريّ، وأخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثا الخليل بن أَسَد قال: حدثنا العُمَريّ عن الهَيثم بن عَدِيّ قال، قال لي صالح بن حَسان:

هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ من شَملة وآخِرُه مخنَّث يتفكَّكُ من مخنَّثي العَقيق؟ فقلت: لا أدري. قال: قد أجَّلتُك فيه حَولاً. فقلت: لو أجْلتَني حوليْن ما علمتُ. قال: قولُ جميل:

ألا أيُّها النُّوَّامُ ويَحكُمُ هُبُّوا

هذا أعرابيٌّ في شَملة. ثم قال:

نسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ

كأنه واللَّهِ من مخنَّثي العَقيق. في هذا الشعر غناء، نسبتُه وشَرحُه.

صوت

ألا أيُّها النُّوَّام ويَحكُمُ هُبُّوا ... نسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ
ألا رُبص رَكْبٍ قد دفَعتُ وَجيفَهم[2] ... إليكِ ولولا أنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ

[الطويل]

الغناء لابن مُحرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبَّابة والوُسطى عن يحيى المكي، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنسُبه إلى أحد. وفيه لسُلَيم ماخُورِيٌّ عن الهِشامي. وفيه لمالك ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وقيل: إنه لمَعبَد. وفيه لعَريبَ هَزَجٌ من رواية ابن المعتزّ. وذكر عبد اللَّه بن موسى أن لحن مالك من الثقيل الأول وان خفيف الرَّمَل سُرَيج وأن الهزج لحَمدونةَ بنتِ الرَّشيد.

أخبرنا الحُسين بن يحيى المِرداسِيّ قال: أخبرنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية المُحرِزيّ عن شيخ من رهْطِ جميلٍ من عُذْرةَ:

---

(١) أرعف: أعجل وأسرع.
(٢) الوجيف: سرعة السير.

أن بُثينة لما عَلِقتْ حُجنة[1] الهِلاليّ جَفاها جميلٌ. قال: وأنشدني لجميلٍ في ذلك:

صوت

بَينَنا حِبالٌ ذاتُ عَقدٍ لبَثنةٍ أُتِيحَ لها بعضُ الغُواة فحلَّهَا
فعُدنا كأنَّا لم يكن بيننا هَوًى وصار الذي حَلّ الحبالَ هَوًى لهَا
وقالوا نَراها يا جميلُ تبدَّلتْ وغيّرها الواشي فقلتُ لعلَّها

[الطويل]

الغناء للهُذَليّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى. وذكره إِسحاق في هذه الطريقة والإِصبَع ولم ينسبُه إلى أحد.

أَخبرني محمد بن مَزيد قال: حدثنا حَمَّاد بن إِسحاق عن أبيه قال: حدثنا أَبو عَوْف عن عبد الرحمٰن بن مُقرِّن قال:

بعَثني المنصور لأبتاع له جاريةً من المدينة وقال لي: اعمل برأي ابن نُفَيس؛ فكنت أفعل ذلك، وأغشى ابنَه، وكانت له جارية مغنِّية قد كَلِفَ بها فتًى من آل عثمانَ بنِ عَفَّان، فكان يبيع عُقدةً من ماله وينفق ثمنَها عليها. وابتُلي برجل من أهل إِفريقيَّة ومعه ابن له، فغَشِي ابنُ الإِفريقيّ بيتَ ابن نُفَيس فجعل يَكسو الجاريةَ وأهلَها ويَبَرُّهم حتى حَظِيَ عندهم وغلَب عليهم وتثاقلوا العثمانيَّ. فقُضِيَ أن اجتمعنا عشيَّةً عندها وحضر ابن الإِفريقيّ والعثمانيُّ؛ فنزع ابنُ الإِفريقيّ خُفَّه فتناثر المِسكُ منه، وأراد العثمانيُّ أن يَكِيدَه بفعله. فجلسنا ساعةً؛ فقال لها ابن الإِفريقيّ: غنّي:

بَينَنَا حِبالٌ ذاتُ عَقدٍ لبَثنةٍ أُتيح لها بعضُ الغُواةِ فحَلَّهَا

[الطويل]

يعرِّض بالعثمانيّ. فقال لها العثمانيّ: لا حاجة لنا في هذا، ولكن غنّي:

ومن يَرعَ نَجداً يُلفِني قد رَعَيته بجنْيَتِه الأولى ويُورِدْ على وِرْدِي

[الطويل]

قال: فنكَس ابن الإِفريقيّ رأسَه خرج العثمانيُّ فذهب، وخَمِد أهلُ البيت فما انتفعوا بقيَّة يومهم.

---

(١) حُجنة: خوصة.

شعره حين زوّجت بثينة نبيهاً:

أخبرني الحَرميّ قال: حدثنا الزُّبير قال: حدثني عمر بن أَبي بكر المؤمِّلي وبُهلول بن سليمانَ البَلَويّ:

أن جميلاً قال: لما زُوِّجتْ بُثينةُ نُبَيهاً:

صـوت

أَلا نادِ عِيراً[1] من بُثينةَ تَرتَعي ... نودِّعْ على شَحطِ النَّوى ونُودَّع

وحَثُّوا على جَمعِ الرِّكابِ وقَرَّبوا ... جِمالاً ونُوقاً جِلَّةً لم تَضعضَع

[الطويل]

في هذين البيتين رَمَلٌ لابن سُرَيج عن الهِشامِيّ. ومما يغنّى فيه من هذه القصيدة:

صـوت

أعِيذُكِ بالرحمٰن من عَيشِ شِقوةٍ ... وأن تَطمَعي يوماً إلى غير مَطمَع

إذا ما ابنُ ملعونٍ تَحدَّرَ رَشحُهُ ... عليكِ فمُوتي بعد ذلك أو دَعي

مَلِلنَ ولم أَملَلْ وما كنتُ سائماً ... لأجمال سُعدى ما أَنَخنَ بجعجَع[2]

وحَثُّوا على جَمعِ الرِّكابِ وقَرّبوا ... جِمالاً ونُوقاً جِلَّةً لم تَضعضَع

أَلا قد أَرى إلّا بُثينةَ هاهنا ... لنا بعد ذا المُصطافِ والمترَّبع

[الطويل]

لمَعبد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقيلٌ أول بالخِنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولابن سُرَيج في الأول والثاني والخامس خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو. وللأبجَر في الأول والخامس والثالث والرابع رَمَلٌ بالبِنصر. وفي الأول والثاني خفيفُ ثقيلٍ يُنسَب إلى معبد وغيره، ولم تُعرَف صحتُه من جهةٍ يُوثَق بها.

شعره لما أبعده السلطان عن بثينة:

أَخبرني الحَرميّ قال: حدثنا الزُّبير قال: أنشدنا بُهلول بن سليمان لجميل لما

(١) العير: القافلة.

(٢) جعجع: ما تطاحن من الأرض، والموضع الضيِّق الخشن.

بعُد عن بُثينةَ وخاف السلطانَ، وكان بُهلولٌ يعجَب به:

أَلَا قد أَرى إلا بُثينة للقلبِ ... بَوادي بَداً[1] لا بحسْمى ولا الشَّغْبِ[2]
ولا ببُصاقٍ[3] قد تيَمَّمتَ فاعترفْ ... لما أنت لاقٍ أَو تَنكَّبْ عن الرَّكب
أفي كلِّ يومٍ أنت مُحدِثُ صَبوةٍ[4] ... تموت لها بُدِّلتُ غيرَك من قلب

[الطويل]

حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها:

أَخبرنا الحَرميّ قال: حدثنا الزُّبير قال: حدثنا أَبي عن يعقوب بن محمد الزُّهريّ عن سليمانَ بن صَخر الحَرَشيّ قال: حدثنا سليمان بن زِياد الثَّقفيّ:

أَن بُثينة دخلتْ على عبد الملك بن مَروان. فرأى امرأَةً خَلفاءَ[5] مولِّية؛ فقال لها: ما الذي رأَى فيكِ جميلٌ؟ قالت: الذي رأَى فيكَ الناسُ حين استخلفوك. فضحك عبد الملك حتى بَدَتْ له سِنٌّ سَوداءُ كان يستُرها.

أَخبرني الحَرميّ قال: حدثنا الزُّبير قال: حدثني عمر بن إِبراهيم العُوَيثيّ:

أَن جَمَل جميل الذي كان يزور عليه بثينةَ يقال له «جَديل» وفيه يقول:

أَنختُ جَديلاً عند بَثنةَ ليلةً ... ويوماً أَطال اللَّهُ رَغمَ جَديلِ
أليس مُناخُ النِّضوِ يوماً وليلةً ... لبَثنةَ فيما بيننا بقليلِ؟

[الطويل]

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثني أَبو غسَّان محمد بن يحيى المَكي:

أَنّ جميلاً لما اشتَهرتْ بثينةُ بحبّه إِياها اعترضه عُبيد اللَّه بن قُطبةَ أَحد بني الأَحَبّ وهو من رَهطها الأدنَينَ فهجاه؛ وبلغ ذلك جميلاً فأجابه، وتطاولا فغلَبه جميل وكَفّ عنه ابن قُطبة، واعترضه عُمَير بن رَمْل (رجلٌ من بَني الأَحَبّ) فهجاه. وإِياه عنى جميلٌ بقوله:

إِذا الناسُ هابُوا خِزيَةً ذهبتْ بها ... أَحَبُّ المَخازي كَهلُها ووَلِيدُها
لعَمْرُ عَجوزٍ طَرّقتْ بكَ إِنني ... عُمَير بنَ رَمْلٍ لابنُ حَربٍ أَقُودُها

(١) بدا: قرية قرب وادي عذرة قرب الشام.
(٢) الشَّغب: قرية خلف وادي القرى.
(٣) بُصَاق: موضع على مقربة من مكة.
(٤) صبوة: جَهْلَة الفتوَّة.
(٥) خلفاء: بلهاء وحمقاء.

بـنَـفـسـي فـلا تَـقـطَـعْ فـؤادَك ضِـلَّـةً كـذلـك حَـزْنـي وَعـثُـهـا وصَـعـودُهـا

[الطويل]

قال: فاستعدوْا عليه عامرَ بن رِبعِيّ بن دَجاجة، وكانت إليه بلادُ عُذْرة، وقالوا: يهجونا ويَغشى بيوتَنا وينسُب بنسائنا! فأباحهم دمَه، وطُلِب فهرَب منه. وغضبتْ بُثينة لهجائه أهلَها جميعاً. فقال جميل:

ومـا صـائـبٌ مـن نـابـلٍ قـذَفـتْ بـه يـدٌ ومُـمَـرُّ الـعُـقـدتـيْـن وَثـيـقُ

لـه مـن خَـوافـي الـنَّـسـرِ حُـمٌّ نَـظـائِـرٌ ونَـصـلٌ كـنَـصـلِ الـزّاعِـبـيّ[١] فَـتـيـق[٢]

عـلـى نَـبـعـةٍ[٣] زَوراءَ[٤] أمَّـا خِـطـامُـهـا[٥] فـمـتـنٌ وأمَّـا عُـودُهـا فَـعَـتـيـق

بـأوشَـكَ قـتـلاً مـنـكِ يـوم رمـيـتـنِـي نـوافِـذَ لـم تَـظـهـر لـهـنّ خُـروق

تَـفـرَّقَ أهـلانـا بُـثـيـن فـمـنـهـمُ فـريـقٌ أَقـامـوا واسـتـمَـرّ فـريـق

فـلـو كـنـتُ خَـوَّاراً لـقـد بـاح مُـضـمَـري ولـكـنَّـنـي صُـلـبُ الـقَـنـاةِ عَـريـق

كـأنْ لـم نُـحـارِبْ يـا بُـثـيـن لـو انـه تَـكـشَّـفُ غُـمَّـاهـا[٦] وأنـتِ صـديـق

[الطويل]

قال ويدلّ على طلب عامر بن رِبعِيّ إيّاه قوله:

أضَـرّ بـأَخـفـافِ الـبُـغَـيـلـة أنّـهـا حِـذارَ ابـن رِبـعـيّ بـهـنّ رُجـومُ

[الطويل]

هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشام:

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدثنا محمد بن عبد اللَّه الحَزَنبَل الأصبهانيّ قال: حدثني عمرو بن أَبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه قال: حدثني بعضُ رُواة عُذْرة:

أن السلطان أَهدر دمَ جَميلٍ لرَهْط بُثينة إن وجدوه قد غَشِي دُورَهم. فحذِرهم مدّة، ثم وجدوه عندها، فأَعذَروا إليه وتوعّدوه وكرِهوا أَن يَنشَب بينهم وبين قومه

(١) الزَّاعبي: الرماح الزاعبيّة هي التي تُسَنّ بعضها ببعض.
(٢) فتيق: الحاد الرقيق.
(٣) نبْعة: شجرة من أشجار الجبال تتخذ منها القسي.
(٤) زوراء: معوجّة.
(٥) خطام: وتر القوس، وكل ما وضع في أنف البعير لِيُسجَرَّ به.
(٦) الصُّم: قعر النَّحي.

حربٌ في دمِه، وكان قومُه أعز من قومها، فأعادوا شكواه إلى السلطان، فطلبه طلباً شديداً، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدّة. وأنشدني له في ذلك:

أَلَمَّ خَيالٌ من بُثَينةَ طارقُ ... على النَّأيِ مُشتاقٌ إليّ وشائقُ
سَرَت من تِلاعِ الحجرِ حتى تخلَّصتْ ... إليّ ودُوني الأشعَرُون وغافِق[1]
كأن فَتِيتَ المسكِ خالط نَشرَها ... تُغَل[2] به أَردانُها[3] والمَرافِق
تقوم إذا قامت به عن فِراشها ... ويَغدُو به من حِضنِها من تُعانِق

[الطويل]

قال أبو عمرو وحدثني هذا العُذرِيّ:

أن جميلاً لم يزلْ باليمن حتى عُزل ذلك الوالي عنهم، وانتجعوا ناحيةَ الشام فرحَل إليهم. قال: فلَقِيتُه فسألتُه عما أَحدث بعدي؛ فأنشدني:

سقى منزلَيْنا يا بُثين بحاجرٍ ... على الهَجْرِ منَّا صَيِّفٌ ورَبيعُ
ودُورَكِ يا ليلى وإن كُنّ بَعدنا ... بَلِينَ بِلًى لم تَبلَهُنّ ربُوع
وخَيماتِك اللَّاتي بمُنعَرَجِ اللِّوى ... لقُمرِيِّها بالمَشرِقَين سجيع[4]
تُزعزِعُ منها الريحُ كلَّ عشيَّةٍ ... هَزِيمٌ بسُلَّافِ الرياح رَجِيع
وإنّيَ أن يَعلى بكِ اللَّومخ أو تُريْ ... بدارِ أَذًى من شامتٍ لَجَزُوعُ[5]
وإنّي على الشيء الذي يُلتَوى به ... وإن زَجَرَتني زَجْرَةً لَوَرِيع[6]
فَقَدتُكِ من نَفسٍ شَعاعٍ فإنَّني ... نَهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميع
فقَرَّبتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ ... هناكَ ثَنايا ما لهنَّ طُلُوع
يقولون صَبٌّ بالغَواني مُوَكَّلٌ ... وهل ذاك من فعل الرجال بَديع!
وقالوا رعيتَ اللَّهْوَ والمالُ ضائعٌ ... فكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضِيع

[الطويل]

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشاميّ وابن خُرداذْبَهْ وإبراهيم. وذكر حَبَشٌ في هذه الأبيات لإسحاقَ لحناً من الثقيل بالوسطى؛ ولم يذكر هذا أَحد

(١) غافق: حِصن بالأندلس.
(٢) تُغلَّ: غلَّ العطر في رأسه وفي ثوبه أي ادخله فيه.
(٣) الأردان: مفردها ردن، وهو أصل الكُم.
(٤) سجيع: موالاة الكلام على روّي. وهو صوت الحمام.
(٥) جَزوع: خائف. (٦) الوريع: الكافّ.

غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلا في كتابه. ومن الناس من يُدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على رَوِيِّ وقافيةِ هذه القصيدة، وليست له.

أنشد كثيّر من شعره وقال هو أشعر الناس:

أَخبرني محمد بن مَزيَد قال: حدثنا الزُّبير بن بَكَّار قال: حدثني عمر بن أَبي بكر المؤمِّليّ عن أَبي عُبيدة عن أبيه قال:

دخل علينا كثيِّر يوماً وقد أخذ بطرَف رَيطَته وألقى طرَفَها الآخر وهو يقول: هو واللَّه أشعرُ الناس حيث يقول:

وخَبَّرْتُماني أنّ تَيماء منزلٌ ... لليلى إذا ما الصَّيفُ ألقى المَراسِيَا
فهذِي شهورُ الصيفِ عنّي قد انقضتْ ... فما للنَّوى ترمي بليلى المَرامِيا

[الطويل]

ويَجرّ ريَطتَه حتى يبلُغَ إلينا، ثم يولّي عنَّا ويَجرّها ويقول: هو واللَّه أشعر الناس حيث يقول:

وأنتِ التي إن شئتِ كَدَّرتِ عِيشتي ... وإن شئتِ بعد اللَّه أَنعمتِ بالِيَا
وأنتِ التي ما مِن صديقٍ ولا عِداً ... يَرى نِضوَ ما أَبقيتِ إلّا رَثى لِيَا

[الطويل]

ثم يرجع إلينا ويقول: هو واللَّه أشعر الناس. فقلنا: مَن تَعني يا أَبا صَخر؟ فقال: ومَن أعني سِوى جميل! هو واللَّه أشعر الناس حيث يقول هذا! وتَيماءُ خاصّةً: منزلٌ لبني عُذرة، وليس من منازل عامر؛ وإنما يَرويه عن المجنون مَن لا يعلمه.

وفي هذه القصيدة يقول جميل:

وما زِلتُمُ يا بَثن حتى لَوَ انَّني ... من الشوق أستبكي الحمامَ بَكى ليَا
إذا خَدِرتْ رجلي وقيل شفاؤها ... دعاءُ حبيبٍ كنتِ أنتِ دُعائيا
وما زادني النَّأي[1] المُفرِّق بعدَكم ... سُلُوّاً ولا طولُ التلاقي تَقالِيا
ولا زادني الواشون[2] إلّا صَبابةً[3] ... ولا كثرةُ الناهين إلا تَمَادِيا
ألم تعلمي يا عَذبةَ الرِّيقِ أنني ... أظَلُّ إذا لم أَلقَ وجهَكِ صادِيا

(١) النأي: البعد.
(٢) الواشون: مفردها واشي، وهو المخبر.
(٣) الصبابة: الحب والولع.

لـقـد خِـفـتُ أَن أَلـقـى الـمـنـيَّـة بَـغـتـةً وفـي الـنـفـس حـاجـاتٌ إلـيـكِ كـمـا هـي

[الطويل]

أخبرني الحَرميّ بن أبي العَلاء قال: حدّثنا الزُّبير قال: حدثني بعض أصحابنا عن محمد بن مَعن الغِفارِيّ عن الأصبَغ بن عبد العزيز قال:

كنت عند طَلحة بن عبد اللَّه بن عَوف؛ فدخل عليه كُثيِّر؛ فلما دخل من الباب أخذ برِجله فثناها ثم حجَل حتى بلَغ الفِراشَ وهو يقول: جميلٌ واللَّه أشعر العرب حيث يقول:

وخَـبَّـرتُـمـانـي أَنّ تَـيـمـاءَ مـنـزلٌ

ثم ذكر باقيَ الخبر الذي رواه محمد بن مَزيَد.

يوم ذي ضال:

أَخبرني الحَرميّ قال: حدثني الزُّبير قال: حدثني عمر بن إِبراهيم السَّعديّ:

أنّ رهط بُثينة قالوا: إِنما يَتبَعُ جميلٌ أمَةً لنا. فواعد جميلٌ بُثينةَ حين لقيها ببَرقاء ذِي ضال، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أَسحرا. ثم قال لها: هل لك أن ترقُدي؟ قالت: ما شئتَ، وأَنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحنا. فوسّدها جانبَه ثم اضطجعا ونامت؛ فانسلّ واستوى على راحلته فذهب، وأصبحتْ في مَضجَعِها، فلم يُرَعِ الحيُّ إِلَّا بها راقدةً عند مُناخ راحلة جميل. فقال جميل في ذلك:

فـمَـن يَـكُ فـي حُـبِّـي بُـثـيـنـةَ يَـمـتَـرِي فـبَـرْقـاءُ ذي ضـالٍ عـلـيَّ شـهـيـدُ

[الطويل]

أَخبرني عمي قال: حدثنا عبد اللَّه بن شَبيب عن الحِزامي عن فُلَيح بن إِسماعيل بمثل هذه القصة، وزاد فيها: فلما انتبهتْ بثينةُ علمت ما أراده جميل بها، فهجرتْه وآلتْ ألَّا تَظهَر له، فقال:

أَلا هـل إلـى إِلـمـامـةٍ أن أُلِـمَّـهـا بُـثـيـنـةُ يـومـاً فـي الـحـيـاةِ سـبـيـلُ؟

فـإِن هـي قـالـتْ لا سـبـيـلَ فـقُـلْ لـهـا عَـنـاءٌ عـلـى الـعُـذرِيّ مـنـكِ طـويـل

على حين يسلو الناسُ عن طَلَب الصِّبا ويـنـسـى اتِّـبـاعَ الـوصـلِ مـنـه خـلـيـل

[الطويل]

شكاه أهلها إلى قومه فلاموه:

وقال الهَيثَم وأصحابُه في أَخبارهم:

تَشكَّى زوج بُثينةَ إلى أَبيها وأَخيها إلمامَ جميل بها. فوجّهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشَكَوه إلى عَشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعّدوه، وأتاهم فلامه أَهلُه وعنّفوه وقالوا: إنّا نَستحلِفُ إليهم ونتبرَّأ منك ومن جَريرتك. فأقام مدَّةً لا يُلِمّ بها، ثم لقي ابنيْ عمِّه رَوْقاً ومسعوداً، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قولَه:

وإنّي على الشيء الذي يُلتَوى به ... وإن زَجَرَتني زَجرةً لوَريعُ
فَقَدتُكِ من نَفسِ شَعاعٍ فإنني ... نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميع
فقَرّبتِ لي غيرَ القريب وأشرفتْ ... هناك ثَنايا ما لهنّ طُلوع
يقولون صَبٌّ الغواني مُوَكَّلٌ ... وهل ذاك من فعل الرجال بديع
وقالوا رَعَيتَ اللَّهوَ والمالُ ضائعٌ ... فكالناسِ فيهم صالحٌ ومُضِيع

[الطويل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أحمد بن زُهير قال: حدثني مُصعَب بن عبد اللَّه قال:

كانت تحت محمد بن عبد اللَّه بن حسن امرأة من ولد الزبير يقال لها فُلَيحة، وكانت لها صبيَّةٌ يقال لها رخيَّة، قد رَبَّتها لغير رِشدة، وكانت من أَجمل النساء وجهاً. فرأتْ محمداً وقد نظر إليها ذاتَ يوم نظراً شديداً، ثم تمثَّل قولَ جميل:

بُثينةُ من صِنفٍ يُقَلِّبنَ أيديَ الرُّماة وما يَحمِلنَ قوساً ولا نَبلا
ولكنَّما يَظفَرنَ بالصيد كلَّما ... جَلَونَ الثنايا الغُرَّ والأعيُنَ النُّجلا
يُخالسنَ مِيعاداً يُرَعنَ لقولها ... إذا نطقتْ كانت مقالتُها فَصلا
يَرَينَ قريباً بيتَها وهي لا تَرى ... سوى بيتها بيتاً قريباً ولا سَهلا

[الطويل]

فقالت له فُليحة: كأنك تريد رخيَّة! قال: إي واللَّه! قالت: إني أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشدة. فقال لها: إن الدَّنس لا يَلحَق الأعقاب ولا يضرّ الأحساب. فقالت له: فما يضرُّ إذاً! واللَّه ما يضرّ إلا الأعقاب والأحساب، وقد وهبتُها لك. فسُرّ بذلك وقال: أمَا واللَّه لقد أعطيتُكِ خيراً منها. قالت: وما هو؟ قال: أبيات جميل التي أنشدتُكِ إياها؛ لقد مكثتُ أسعى في طلبها حَولَين. فضحِكتْ وقالت: ما لي ولأبياتِ جميل! واللَّه ما ابتغيتُ إلا مَسرَّتك. قال: فولدتْ منه غلاماً. وكانت فُلَيحةُ تدعو اللَّه ألّا يُبقيَه. فبينا مُحمَّدٌ في بعض هَرَبِه من المنصور والجاريةُ وابنُها معه إذ رَهِقَهُما الطلبُ، فسقط الصبيّ من الجبل

فتقطَّع. فكان محمد بعد ذلك يقول: أُجيب في هذا الصبي دعاءُ فُلَيحة.

نصح أبوه له فردّ عليه ردّاً أبكاه وأبكى الحاضرين:

وقال الهَيثم بن عَدِيّ وأصحابُه في أَخبارهم:

لمَّا نذَر أهلُ بُثينة دمَ جميل وأباحهم السلطانُ قَتلَه، أَعذَروا إلى أَهله. وكانت منازلهم متجاورة، إنما هم بُيوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطونُ والأفخاذ والقبائل غيرَ متباعدين؛ ألم تَرَ إلى قول جميل:

أَبِيتُ مع الهُلَّاك ضَيفاً لأهلها وأَهلي قريبٌ مُوسِعونَ أُولُو فَضلِ

[الطويل]

فمشتْ مَشيَخةُ الحيّ إلى أَبيه ـ وكان يُلَقَّب صُباحاً وكان ذا مالٍ وفضل وقَدْر في أَهله ـ فشكَوه إليه وناشدوه اللَّهَ والرَّحِمَ وسألوه كَفَّ ابنهِ عمَّا يتعرَّض له ويفضَحهم به في فَتاتهم؛ فوعدهم كَفَّه ومَنعَه ما استطاع، ثم انصرفوا. فدعا به فقال له: يا بُنيّ! حتى متى أنت عَمِهٌ في ضلالك، لا تأنَف من أن تتعلَّق بذات بَعل يخلو بها ويَنكِحها وأنت عنها بمَعزِل ثم تقوم من تحته إليك فتغُرُّك بخِداعها وتُرِيك الصفاءَ والمودّة وهي مُضمِرةٌ لبعلها ما تُضمره الحُرّة لمن مَلَكها، فيكون قولُها لك تعليلاً وغروراً، فإذا انصرفتَ عنها عادتْ إلى بَعلها على حالتها المبذولة؛ إن هذا لَذُلٌّ وَضيمٌ! ما أعرِف أخيَبَ سَهماً ولا أضيَعَ عُمراً منك. فأنشُدُك اللَّهَ إلا كفَفتَ وتأملتَ أمرَك؛ فإنك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ، ولو كان إليها سبيلٌ لبذلتُ ما أَملِكه فيها، ولكنّ هذا أمر قد فات واستبَدَّ به مَن قُدِّر له، وفي النساء عِوَضٌ. فقال له جميل: الرأيُ ما رأيتَ، والقولُ كما قلتَ؛ فهل رأيتَ قبلي أحداً قدَر أن يدفع عن قلبه هَواه، أو مَلَك أَن يُسلِيَ نفسَه، أو استطاع أن يَدفَعَ ما قُضِي عليه! واللَّه لو قَدَرتُ أَن أَمحوَ ذكرَها من قلبي أَو أُزِيلَ شخصَها عن عيني لفعلتُ، ولكن لا سبيلَ إلى ذلك، وإنما هو بلاءٌ بُلِيتُ به لحَينٍ قد أُتيح لي، وأَنا أمتنع مِن طُروق هذا الحيّ والإلمام بهم ولو متّ كَمَداً؛ وهذا جَهدي ومبلغُ ما أقدِر عليه. وقام وهو يبكي، فبكى أَبوه ومَن حضر جَزَعاً لما رأوْا منه. فذلك حين يقول جميل:

صوت

أَلَا مَن لقَلبٍ لا يَمَلُّ فَيَذهَلُ أَفِقْ فالتَّعزِّي عن بُثينةَ أجملُ

سَلَا كلُّ ذي ودٍّ علمتُ مكانَه وأنتَ بها حتى المماتِ مُوَكَّل

فـمـا هـكـذا أحـبـبـتَ مَـن كـان قـبـلـهـا ولا هـكـذا فـيـمـا مـضـى كـنـتَ تـفـعـل
[الطويل]

ـ الغناء لمالك ثقيلٌ أولُ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق: ـ

فـيـا قـلـبُ دَعْ ذِكـرَى بُـثـيـنـة إنـهـا وإن كـنـتَ تَـهـواهـا تَـضِـنّ وتـبـخـلُ
وقـد أيـأسـتْ مـن نَـيـلِـهـا وتـجـهَّـمـتْ ولـلَـيـأسُ إن لـم يُـقـدَرِ الـنَّـيـلُ أمـثـل
وإلّا فـسَـلـهـا نـائـلاً قـبـلَ بَـيـنِـهـا وأبـخِـلْ بـهـا مـسـؤولـةً حـيـن تُـسـأَل
وكـيـف تُـرَجِـي وصـلَـهـا بـعـد بُـعـدِهـا وقـد جُـذَّ حـبـلُ الـوصـلِ مـمـن تـؤمِّـل
وإنّ الـتـي أحـبـبـتَ قـد حِـيـل دونـهـا فـكُـنْ حـازمـاً، والـحـازِمُ الـمُـتَـحـوِّل
ففي اليأسِ ما يُسلِي وفي الناسِ خُلَّةٌ وفـي الأرض عـمَّـن لا يُـوَاتِـيـكَ مَـعـزِل
بـدا كَـلَـفٌ مـنّـي بـهـا فـتـثـاقـلـتْ ومـا لا يُـرى مـن غـائـب الـوجـد أفـضَـل
هَـبِـيـنـي بـريـئـاً نِـلـتِـهِ بـظُـلامـةٍ عَـفـاهـا لـكـم أَو مُـذِنـبـاً يـتـنـصَّـل
قَـنـاةٌ مـن الـمُـرَّانِ مـا فـوق حَـقـوِهـا ومـا تـحـتـه مـنـهـا نَـقـاً يـتـهـيَّـل
[الطويل]

قال: وقال أَيضاً في هذه الحال:

صـوت

أَعَـن ظُـعُـنِ الـحـيّ الأُلَـى كـنـتَ تَـسـألُ بـلـيـلٍ فـرَدُّوا عِـيـرَهـم وتـحـمَّـلـوا
فـأمـسَـوْا وهـم أهـلُ الـديـار وأصـبـحـوا ومـن أهـلـهـا الـغِـربـانُ بـالـدارِ تَـحـجِـلُ
[الطويل]

ـ في هذين البيتين لِسِياطٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو: ـ

عـلـى حـيـن ولّـى الأمـرُ عـنَّـا وأَسـمـحـت عَـصـا الـبَـيـنِ وانـبَـتَّ الـرجـاءُ الـمـؤمَّـلُ
فـمـا هـو إلَّا أَن أَهِـيـمَ بـذكـرِهـا ويـحـظـى بِـجَـدْواهـا سـوايَ ويَـجـذَل
وقـد أبـقـتِ الأيَّـامُ مـنّـي عـلـى الـعِـدا حُـسـامـاً إذا مَـسّ الـضـريـبـةَ يَـفـصِـل
ولـسـتُ كـن إن سِـيـمَ ضَـيـمـاً أَطـاعَـه ولا كـامـرئٍ إن عـضّـه الـدهـرُ يَـنـكُـل
لـعـمـري لـقـد أَبـدى لِـيَ الـبـيـنُ صَـفـحـه وبَـيّـن لـي مـا شـئـتُ لـو كـنـت أعـقِـل
وآخـرُ عـهـدي مـن بُـثـيـنـة نـظـرةٌ عـلـى مـوقـفٍ كـادت مـن الـبـيـنِ تَـقـتُـل

فِـلـلَّـه عَـيـنَـا مَـن رَأَى مـثـلَ حـاجـةٍ كَـتَـمـتُـكِـهـا والـنـفـسُ مـنـهـا تَـمَـلـمَـل
وإِنـي لأسـتـبـكـي إِذا ذُكِـر الـهَـوى إلـيـكِ وإِنّـي مـن هـواكِ لأوجَـل
نـظـرتِ بـبِـشـرٍ نـظـرةً ظَـلـتُ أَمـتَـرِي بـهـا عَـبـرةً والـعـيـنُ بـالـدمـع تُـكـحَـل
إِذا مـا كـرَرتُ الـطَّـرفَ نـحـوَكِ ردّه مـن الـبـعـد فـيَّـاضٌ مـن الـدمـع يَـهـمِـل

[الطويل]

ودع بثينة حين خروجه إلى الشام:

أَخبرني محمد بن مَزيد قال: حدثنا حَمّاد بن إِسحاق عن أَبيه عن أَيّوب بن عَبايةَ قال:

لمَّا أَراد جميلٌ الخروج إلى الشام، هجم ليلاً على بُثينة وقد وجد غفلةً. فقالت له: أهلكتَني واللَّه وأهلكتَ نفسك! وَيحَك! أَمَا تخاف! فقال لها: هذا وجهي إلى الشام، إِنما جئتكِ مودِعاً. فحادثها طويلاً ثم ودّعها، وقال: يا بُثينة، ما أُرانا نلتقي بعد هذا، وبكيا طويلاً. ثم قال لها وهو يبكي:

أَلَا لا أُبـالـي جـفـوةَ الـنـاسِ مـا بَـدا لـنـا مـنـك رأيٌ يـا بُـثـيـن جـمـيـلُ
ومـا لـم تُـطـيـعـي كـاشـحـاً أَو تـبـدّلـي بـنـا بَـدَلاً أو كـان مـنـك ذُهـول
وإِنـي وتَـكـراري الـزيـارةَ نـحـوَكـم بُـثـيـن بـذي هـجـرٍ بُـثـيـن يـطـول
وإِن صَـبـابـاتـي بـكـم لـكـثـيـرةٌ بُـثـيـن ونِـسـيـانِـكُـم لـقـلـيـل

[الطويل]

أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعراً في الفخر:

أَخبرني الحَرميّ بن أَبي العَلاء قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني شيوخ من عُذرة:

أنّ مَروان بن الحَكَم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعمَر وجَوَّاسُ بن قُطبة أَخو عُبيد اللَّه بن قُطبة. فقال مروان لجوَّاس: انزل فارُجز بنا، وهو يريد أَن يمدحه. فنزل جوَّاس وقال:

يـقـول أَمـيـري هـل تَـسـوق رِكـابَـنـا فـقـلـت لـه حـادٍ لـهـنّ سَـوائـيَـا
تَـكـرّمـتُ عـن سَـوقِ الـمَـطـيِّ ولـم يـكـن سِـيـاقُ الـمـطـيِّ هـمَّـتـي ورَجـائـيـا
جـعـلـتَ أَبـي رَهـنـاً وعِـرضِـيَ سـادراً إِلـى أهـل بـيـت لـم يـكـونـوا كِـفـائـيـا
إِلـى شـرِّ بـيـتٍ مـن قُـضـاعـةَ مَـنـصِـبـاً وفـي شـرِّ قـومٍ مـنـهـمُ قـد بَـدَا لِـيـا

[الطويل]

فقال مروان: اركَبْ لا ركِبتَ! ثم قال لجميل: انزل فازجُرْ بنا، وهو يريد أن يمدحه. فنزل جميل فقال:

أَنـا جـمـيـل فـي الـسّـنـام الأعـظـمِ الـفـارعِ الـنـاسَ الأعـزِّ الأكـرمِ
أَحـمـي ذِمـاري[١] ووجـدتُ أَقـرُمـي كـانـوا عـلـى غـاربِ طَـودٍ[٢] خـضـرمِ
أَعـيـا عـلـى الـنَّـاس فـلـم يُـهـدَّمِ

[الرجز]

فقال: عَدّ عن هذا. فقال جميل:

لَـهْـفَـا عـلـى الـبـيـت الـمَـعَـدِّي لـهـفـا مـن بـعـدِ مـا كـان قـد اسـتـكـفَّـا
ولـو دعـا الـلَّـه ومَـدّ الـكـفَّـا لَـرَجَـفَـتْ مـنـه الـجـبـالُ رَجـفَـا

[الرجز]

فقال له اركَب لا ركبتَ!

قال الزبير وحدثني عمر بن أَبي بكر المؤمِّليّ قال:

كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليدُ على نجيب؛ فرَجز به مَكين العُذرِيّ فقال:

يـا بَـكـرُ هـل تـعـلـم مَـن عَـلاكـا خـلـيـفـةُ الـلَّـه عـلـى ذُراكَـا

[الرجز]

فقال الوليد لجميل: انزل فارجُز، وظنّ الوليد أنه يمدَحه. فنزل فقال:

أَنـا جـمـيـلٌ فـي الـسـنـام مـن مَـعَـدّ فـي الـذِّروةِ الـعَـلـيـاء والـرُّكـنِ الأشـدُّ
والـبـيـتِ مـن سَـعـدِ بـن زيـد الـعـدَدْ مـا يَـبـتـغـي الأعـداءُ مـنّـي ولـقـد
أُضـرِيَ بـالـشَّـتـمِ لِـسـانـي ومَـرَدْ أَقـودُ مَـن شِـئـتُ وصَـعـبٌ لـم أُقَـد

[الرجز]

فقال له الوليد: اركب لا حَمَلك اللَّه! قال: وما مدَح جميل أَحدَاً قطّ.

هدده الحزين الديلي فهجاه:

أَخبرني الحرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا يونس بن عبد اللَّه بن سالم قال:

---

(١) الذِمار: هو ما يلزمك حفظه وملازمته.
(٢) طود: جبل مشرفٌ على عرفة ينقاد إلى صنعاء.

وقف جميلٌ على الحزين الدِيليّ والحزينُ يُنشد الناس. فقال له الحزين وهو لا يعرفه: كيف تَسمع شعري؟ قال: صالحٌ وَسَط. فغضب الحزين وقال له: ممن أَنت؟ فواللَّه لأهجونَّك وعشيرتَك! فقال جميل: إِذاً تَندَم. فأقبل الحزين يُهمِهم يريد هجاءه. فقال جميل:

الـدِّيـلُ أَذنـابُ بَـكـرٍ حـيـن تـنـسُـبـهـم وكـلُّ قـومٍ لـهـم مـن قـومِـهـم ذَنَـبُ

[البسيط]

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه اللَّهَ إِلَّا كَفّ عنهم، ولم يزالوا به حتى أَمسك وانصرف.

أَخبرني الحرميّ ومحمد بن مَزيد ـ واللفظ له ـ قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني محمد بن الضحَّاك عن أَبيه قال:

لمَّا هاجى عُبيد اللَّه بنُ قُطبة جميلاً واستعلى عليه جميلٌ، أعرض عنه، واعترضه أخوه جَوَّاس بن قُطة فهجاه وذكر أختاً لجميل. وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا ينصب له، حتى هجا أُختَه فقال فيما ذكرها به من شعره:

إِلـى فَـخِـذَيـهـا الـعَـبـلَـتـيـنِ وكـانـتـا بـعَـهـدِي لَـفَّـاوَيـنِ أُرِدِفـتَـا ثِـقَـلا

[الطويل]

فغضِب جميلٌ حينئذٍ فواعده للمراجزة. قال الزبير: فحدثني بعضُ آلِ العبَّاس بن سَهل بن سعد عن عبَّاس قال:

قَدِمتُ من عند عبد الملك بن مَروان وقد أَجازني وكساني بُرْداً، كان ذلك البُردُ أفضل جائزتي، فنزلتُ واديَ القُرى فوافقتُ الجمعةَ بها فاستخرجتُ بردِي الذي من عند عبد الملك وقلت: أُصلِّي مع الناس؛ فلقيني جميلٌ، وكان صديقاً لي، فسلَّم بعضنا على بعضٍ وتساءلنا ثم افترقنا. فلما أَمسيتُ إذا هو قد أَتاني في رَحلي فقال: البُرْد الذي رأيتُه عليك تُعيرُنِيهِ حتى أتجمَّل به؛ فإِنّ بيني وبين جَوّاس مُراجَزةً، وتحضُر فتسمعُ. قال قلت: لا! بل هو لكَ كُسوة، فكسوتُه إِيَّاه، وقلت لأصحابي: ما من شيء أَحبُّ إليّ من أن أسمع مُراجزتهما. فلمَّا أصبحْنا جعل الأعاريبُ يأتون أَرسالاً[1] حتى اجتمع منهم بَشَرٌ كثيرٌ، وحضرتُ وأصحابي، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلّتان ما رأيت مثلَهما على أحد قطُّ، وإِذا بُرْدي الذي كسوتُه إِياه قد جعله جُلّاً لجمله؛ فتراجَزا فرجَز جميل، وكانت بُثينة تُكنى أُم عبد الملك، فقال:

يـا أُمّ عـبـد الـمـلـك اصـرِمـيـنـي فـبَـيِّـنـي صـمـيَ أو صِـلـيـنـي

(١) أرسالاً: جماعات.

أَبكي وما يُدرِيكِ ما يُبكيني ... أبكي حِذارَ أن تُفارقيني
وتجعلي أبعدَ منّي دُوني ... إنّ بني عمِّكِ أَوعدوني
أن يقطعوا رأسي إذا لَقوني ... ويقتلوني ثم لا يَدوني[١]
كلَّا وربِّ البيتِ لو لَقوني ... شَفعاً ووَتْراً لَتواكَلوني
قد عَلِم الأعداءُ أنّ دُوني ... ضَرباً كإِيزاغ[٢] المخاضِ الجُون
أَلَا أُسبُّ القومَ إذ سَبُّوني ... بَلى وما مَرّ على دَفين[٣]
وسابحاتٍ بِلِوى الحَجونِ[٤] ... قد جَرَّبُوني ثم جرّبوني
حتى إذا شابوا وشيبوني ... أخزاهمُ اللَّه ولا يُخزِيني
أشباهُ أَعيارٍ[٥] على مَعينِ[٦] ... أَحسَنَ حِسَّ أَسَدٍ حَرُون[٧]
فهنّ يَضرِطنَ من اليقينِ ... أَنا جميلٌ فتَعَرفوني
وما تقنّعتُ فتُنكِروني ... وما أُعَنِّيكم لَتسألوني
أُنمي إلى عاديّةٍ طَحونِ[٨] ... يَنشقّ عنها السَّيلُ ذو الشؤون
غَمرٌ يَدُقّ رُجُحَ[٩] السَّفِينِ ... ذو حَدَبٍ إذا يُرى حَجُون
تَنحلّ أحقادُ الرجالِ دُوني

قال: ورَجز جميل أَيضاً:

أَنا جميلٌ في السنام من مَعَدّ

[الرجز]

وقد تقدّمت هذه الأُرجوزة. ثم رَجز بعده جَوّاسٌ فلم يصنع شيئاً. قال: فما رأيتُ غَلَبةً مثلَها قطُّ.

هجا خوّاتاً العذريّ وبني الأحب:

أَخبرنا الحرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا بُهلول بن سليمان عن العَلاء بن سعيد البَلَويّ وجماعةٍ غيره من قومه.

---

(١) يدوني: يدفعون ديتي.
(٢) يزغ: يزغ إيزاغاً يخرج البل دفعة واحدة.
(٣) دفين: حوض.
(٤) الحجون: جبل بأعلى قمة بمكة.
(٥) أعيار: الحمر.
(٦) معين: ماء عذب غزير حلو.
(٧) حرون: الذي لا يبرح أعلى الجبل من الصيد.
(٨) طحون: نحو الثلاثمائة من الإبل.
(٩) رُجُح: يقال رجحت السفينة أي ثقلت.

أنّ رجلاً من بني عُذرة كان يقال له خَوَاتٌ، أُمّه بَلَويّة، وكان شاعراً، وكان جميل ابنَ جُذامِيَّة. فخرج جميل إلى أخواله بجُذام وهو يقول:

جُذامُ سيوفُ اللَّه في كلِّ موطنٍ إذا أَزَمَتْ يومَ اللِّقاء أَزامِ[١]
هُمُ منعوا ما بين مِصرَ فذي القُرى إلى الشام مِن حِلٍّ به وحَرام
بضربٍ يُزيل الهامَ عن سَكِناتِه[٢] وطَعنٍ كإيزاغِ المَخاضِ تُؤام
إذا قَصُرتْ يوماً أَكُفُّ قبيلةٍ عن المجدِ نالته أَكُفُّ جُذام

[الطويل]

فأعطَوْه مائة بَكرة. قال: وخرج خَوَّاتٌ إلى أَخواله من بَليّ وهو يقول:

إنّ بَلِيّاً غُرّةٌ يُهتدى بها كما يَهتدي الساري بمُطَّلَعِ النجمِ
هُمُ ولدوا أُمّي وكنتُ ابنَ أُختهم ولم أَتَخوَّلْ[٣] جِذْمَ قومٍ بلا علم

[الطويل]

قال: فأعطَوه مائة غُرَّة ما بين فرس إلى وَلِيدة؛ ففخَر على صاحبه، وذكر أن الغُرَّة الواحدةَ مما أتى به مما معه تَعدِل كلَّ شيء أتى به جميل. فقال عُبَيد اللَّه بن قُطبة:

ستَقضي بيننا حكماءُ سَعدٍ أقُطبةُ كان خيراً أم صُباحُ

[الوافر]

قال: وكان عبد اللَّه بن مَعمَر أَبو جميلٍ يلقَّب صُباحاً. وكان عُبيد اللَّه بن قُطبة يلقَّب حماظاً. فقال النَّخار العُذريّ أحد بني الحارث بن سعد: قُطبةُ كان خيراً من صُباح. فقال جميل يهجو بني الأحَبّ رهطَ قُطبة ويهجو النخَّار:

إنّ أحبَّ سُفَّلٌ أشرارُ حُثالةٌ عُودُهمُ خَوَّارُ
أذَلُّ قومٍ حين يُدعى الجارُ كما أَذَلَّ الحارِثَ النَّخَّارُ[٤]

[الرجز]

وقال الأُبَيرِق العُتبي: قُطبة كان خيراً من صُباح. فقال جميل:

يا ابنَ الأُبَيرقِ وَطبٌ بِتَّ مُسنِدَه إلى وِسادِك من حُمّ الذُّرى جُونِ

---

(١) أزام: واحدتها أزمة، وهي الشِّدة.
(٢) السكنات: مفردها سَكَنة، . وهي مقرّ الرأس من العنق.
(٣) تخول: اتخذّ أخوالاً.
(٤) النَّخار: صاحب طلائع بني القين يوم بالغة.

وأكـلـتـان إذا شـئـت مـرتـفـقـاً بـالـسـيـر مـن نـغـل الـدفـيـن مـدهـونِ
أُذكُـرْ وأُمِّـك مـنّـي حـيـن تَـنـكُـبـنـي جِـنّـي فـيَـغـلِـب جِـنّـي كـلَّ مـجـنـون
[البسيط]

وقال جماعةٌ من شعراء سَعد في تفضيل قُطبة على صُباح أقوالاً أَجابهم عنها جميل فأفحمهم؛ حتى قال له جعفر بن سُراقة أحدُ بني قُرّة:

نـحـن مَـنَـعـنـا ذَا الـقُـرى مـن عَـدُوّنـا وعُـذرةَ إذ نـلـقـى يَـهـوداً ويـعـشـرَا
مَـنَـعـنـاه مـن عُـلـيَـا مَـعَـدٍّ وأنـتـمُ سَـفـاسِـيـفُ رَوْحٍ بـيـن قُـرْح[1] وخَـيـبـرا
فـريـقـانِ رُهـبـانٌ بـأسـفـلِ ذي الـقُـرى وبـالـشـام عَـرّافـون فـيـمـن تَـنـصَّـرا
[الطويل]

فلمَّا بلغتْ جميلاً اتّقاه وعلِم أنه سيعلو عليه؛ فقال جميل:

بَـنـي عـامـرٍ أنّـى انـتـجـعـتـمْ[2] وكـنـتـمُ إذا حُـصِّـل الأقـوامُ كـالـخُـصـيـة الـفَـرِدِ
فـأنـتـم ولأيٌ مـوضـعَ الـذُّلّ حـجـرةً وقُـرّةُ أَولـى بـالـعَـلاء وبـالـمـجـدِ
[الطويل]

فأعرض عنه جعفر ـ قال الزبير: بنو عامر بن ثَعلبةَ بن عبد اللَّه بن ذُبيان بن الحارث بن سعد رهطُ هُدْبَةَ بنِ خَشرَم بن كُرْز بن أَبي حَيَّة بن الكاهن وهو سَلَمة بن أَسحَم بن عامر بن ثَعلبة بن عبد اللَّه بن ذُبيان بن سعد هُذَيم بن زيد. وزِيادةُ بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن خنبِس بن عمرو بن ثَعلبة بن عبد اللَّه بن ذُبيان بن الحارث بن سَعد هُذَيم. ولأْي بن عبد مَناة بن الحارث بن سعد هُذَيم ـ قال: فدخل جميل على هُدبَةَ بنِ خَشرَم السجنَ وهو محبوسٌ بدم زِيادةَ بنِ زيد، وأهدى له بُردين من ثياب كساه إِيَّاهما سعيد بن العاصي، وجاءه بنفقةٍ؛ فلما دخل عليه عرَض ذلك عليه؛ فقال هُدبة: أنت يا ابنَ قَميئةٍ[3] الذي تقول:

بـنـي عـامـرٍ أنَّـى انـتـجـعـتـم وكـنـتـمُ إذا عُـدِّد الأقـوامُ كـالـخـصْـيـة الـفَـرِدِ
[الطويل]

أمَا واللَّه لئن خَلّص اللَّه لي ساقَيَّ لأمُدّنّ لك مضمارَك؛ خذ بُردَيكَ ونفقتَك. فخرج جميل؛ فلما بلغ بابَ السجن خارجاً قال: اللهمّ أَغنِ عنّي أجدَعَ بني عامر!

(١) قُرح: ثلاث ليال من الشهر.
(٢) انتجع: طلب الكلأ في موضعه.
(٣) قميئة: ذليلة وضيعة.

وكانت بنو عامر قد قَلُّوا فحالفوا لأْياً.

لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه:

أَخبرني الحرميّ بن أبي العَلاء ومحمد بن مَزيَد بن أَبي الأزهر قالا: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المَخزوميّ قال: حدثني شيخ من أَهلي عن أَبيه عن أَبي الحارث مولى هشام بن المُغيرة الذي يقول له عمر بن أَبي ربيعة:

يـا أَبـا الـحـارث قـلـبـي طـائـرٌ

قال: شهدتُ عمرَ بن أَبي ربيعة وجميلَ بن عبد اللَّه بن مَعمّر وقد اجتمعا بالأبطَح؛ فأنشد جميلٌ قصيدته:

لـقـد فَرِح الـواشـون أن صَـرَمَـتْ حَـبـلـي ... بُـثـيـنـةُ أو أَبـدتْ لـنـا جـانـبَ الـبُـخـلِ
يـقـولـون مَـهـلاً يـا جـمـيـلُ وإِنـنـي ... لأُقـسـم مـا بـي عـن بُـثـيـنـة مـن مَـهـل
أحِـلـمـاً فـقـبـل الـيـوم كـان أوانُـه ... أَمَ اخشى فقبل اليوم أُوعِدتُ بالقتل
لـقـد أَنـكَـحـوا حَـربـي نُـبَـيـهـاً ظَـعـيـنـةً ... لـطـيـفـةَ طَـيِّ الـبَـطـنِ ذاتَ شَـوًى خَـدْل[1]
وكـم قـد رأيـنـا سـاعـيـاً بـنَـمـيـمـةٍ ... لآخـرَ لـم يَـعـمِـد بـكـفٍّ ولا رجـل
إِذا مـا تـراجـعْـنـا الـذي كـان بـيـنـنـا ... جَرى الدمعُ من عينَي بُثينةَ بالكحل

[الطويل]

صـوت

كـلانـا بـكـى أَو كـاد يَـبـكـي صَـبـابـةً ... إِلـى إِلـفِـهِ واسـتـعـجـلـتْ عَـبـرةً قـبـلِـي
فـلـو تـركـتْ عَـقـلـي مـعـي مـا طـلـبـتُـهـا ... ولـكـنْ طِـلابِـيـهـا لـهـمَـا فـات مـن عـقـلِـي
فـيـا وَيـحَ نـفـسـي حَـسـبُ نـفـسـي الـذي بـهـا ... ويـا وَيـح أَهـلـي مـا أُصـيـبَ بـه أَهـلـي
وقـالـت لأتـرابٍ لـهـا لا زَعـانِـفٍ[2] ... قـصـارٍ ولا كُـسٍّ الـثَّـنـايـا ولا ثُـعـل
إِذا حَـمِـيـتْ شـمـسُ الـنـهـارِ اتّـقَـيـنَـهـا ... بـأكـسـيـة[3] الـدِّيـبـاج والـخَـزِّ ذي الـخَـمـل
تَـداعَـيـنَ فـاسـتَـعـجَـمـن مَـشـيـاً بـذي الـغَـضـا ... دَبِـيـبَ الـقَـطـا الـكُـدرِيّ في الدَّمِثِ[4] السَّهل

---

(١) خَدْل: الممتلئ والضخم.
(٢) زعانف: جمع زعنفة، القصير والقصيرة.
(٣) أكسية: مفردها كساء، وهو الغطاء أو الثوب.
(٤) الدمث: السهل اللين.

إذا ارتَـعـنَ أو فُـزِّعـنَ قُـمـنَ حَـوالَـهـا قـيـامَ بـنـاتِ الـمـاءِ فـي جـانـب الـضَّـحـل
أَجَـدِّيَ لا أَلْـقـى بُـثـيـنـةَ مـرّة مـن الـدهـر إلا خـائـفـاً أَو عـلـى رِجـل
خَـلـيـلَـيَّ فـيـمـا عِـشـتُـمـا هـل رأيـتُـمـا قـتـيـلاً بـكـى مـن حـبِّ قـاتِـلـه قـبـلـي
[الطويل]

قال: وأنشده عمرُ قوله:

جـرى نـاصـحٌ بـالـودّ بـيـنـي وبـيـنَـهـا فـقـرَّبَـنـي يـوم الـحِـصـاب إلـى قـتـلِـي
فـمـا أَنـسَ م الأشـيـاءِ لا أَنـسَ مَـوقِـفـي ومـوقـفَـهـا وَهْـنـاً بـقـارعـة الـنـخـل
فـلـمَّـا تـواقَـفـنـا عـرفـتُ الـذي بـهـا كـمـثـل الـذي بـي حَـذْوَكَ الـنـعـلَ بـالـنـعـل
فـقُـلـنَ لـهـا هـذا عِـشـاءٌ وأهـلُـنـا قَـريـبٌ أَلَـمَّـا تَـسـأَمِـي مَـركَـبَ الـبـغـلِ
فـقـالـت فـمـا شِـئـتـنّ قُـلـنَ لـهـا انـزِلـي فـلـلأَرضُ خـيـرٌ مـن وقـوفٍ عـلـى رَحْـل
فـأقـبَـلـنَ أمـثـالَ الـدُّمـى فـاكـتَـنَـفـنَـهـا وكُـلٌّ يُـفـدِّي بـالـمَـودّة والأهـل
نُـجـومٌ درَارِيٌّ تـكـنَّـفـنَ صـورةً مـن الـبـدر وافـت غـيـرَ هُـوجٍ ولا ثُـجـل[1]
فـسـلَّـمـتُ واسـتـأنـسـتُ خِـيـفـةَ أَن يَـرى عـدوٌّ مـكـانـي أَو يـرى كـاشِـحٌ[2] فـعـلـي
فـقـالـت وأَلـقـتْ جـانـبَ الـسِّـتـر إنـمـا مـعـي فـتـحـدَّثْ غـيـرَ ذي رِقـبـةٍ أهـلِـي
فـقـلـتُ لـهـا مـا بـي لـهـم مـن تـرُّقـبٍ ولـكـنَّ سِـرّي لـيـس يـحـمـلُـه مِـثـلـي
فـلـمـا اقـتـصـرْنـا دونَـهـنّ حـديـثـنـا وهُـنّ طَـبـيـبـاتٌ بـحـاجـة ذي الـتَّـبـل[3]
عـرَفـنَ الـذي نَـهـوى فـقُـلـنَ ائـذَنـي لـنـا نَـطُـفْ سـاعـةً فـي بَـرْدِ لـيـلٍ وفـي سَـهـل
فـقـالـت فـلا تَـلـبَـثـنَ قُـلـنَ تـحـدَّثـي أتـيـنـاكِ وانـسَـبـنَ انـسـيـابَ مَـهـا[4] الـرمـل
وقُـمـنَ وقـد أَفـهَـمـنَ ذا الـلُّـبِّ أنـمـا أَتـيـنَ الـذي يَـأْتِـيـنَ مـن ذاك مـن أَجـلـي
[الطويل]

فقال جميلٌ: هيهاتَ يا أَبا الخطَّاب: لا أَقولُ واللَّهِ مثلَ هذا سَجِيس[5] الليالي! وما خاطب النساءَ مخاطبتَك أحد؛ وقام مشمِّراً.

(١) ثجل: جمع ثجلاء، وهو عظم البطن واسترخاؤه.
(٢) كاشح: مضمِرُ العداوة.
(٣) التَّبل: السقم من شدة الهوى والهيام.
(٤) مها: أي موَّهه.
(٥) سجيس: طول الليالي.

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صـــوت

خـلـيـلـيَّ فـيـمـا عـشـتُـمـا هـل رأيـتُـمـا قـتـيـلاً بَـكـى مـن حـبّ قـاتـلـه قـبـلِـي
أَبِـيـتُ مـع الـهُـلَّاك ضـيـفـاً لأهـلِـهـا وأهـلـي قـريـبٌ مُـوسِـعـون ذوو فَـضـل
فـلـو تـركـتْ عـقـلـي مـعـي مـا طـلـبـتُـهـا ولـكـن طِـلابِـيـهـا لِـمَـا فـات مـن عـقـلـي

[الطويل]

الغناء للغرَيض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وذكر حَمَّاد والهشاميّ أن فيه لنافع الخير مولى عبد اللَّه بن جعفر لحناً من الثقيل الأول.

ومنها:

صـــوت

أَلَا أيّـهـا الـبـيـتُ الـذي حِـيـلَ دونَـه بـنـا أنـت مـن بـيـتٍ وأَهـلُـكَ مـن أهـلِ
ثـلاثـةُ أبـيـاتٍ فـبَـيـتٌ أُحِـبُّـه وبـيـتـانِ لـيـسـا مـن هـوايَ ولا شـكـلـي
كِـلانـا بَـكـى أَو كـاد يَـبـكـي صَـبـابـةً إِلـى إِلـفـهِ واستَـعـجـلـتْ عَـبـرةً قـبـلـي

[الطويل]

الغناء لإِسحاق خفيفُ ثقيل الثاني بالبنصر.

ومنها:

صـــوت

لـقـد فـرِح الـواشُـونَ أن صَـرَمَـتْ حـبـلـي بـثـيـنـةُ أَو أَبـدَتْ لـنـا جـانـبَ الـبـخـلِ
يـقـولـون مَـهـلاً يـا جـمـيـلُ وإِنـنـي لأُقـسِـمُ مـا بـي عـن بُـثـيـنـةَ مـن مَـهـل

[الطويل]

الغناء لابن مُحرِز من كتاب يُونسَ ولم يجنِّسه، وذكر إِسحاقُ أَنه مما ينسَب إلى ابن مُحرِز وابنِ مِسجَح، ولم يصحّ عنده لأيِّهما هو ولا ذكر طريقتَه.

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال: حدثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حَسَّان قال: أَخبرني نافعٌ مولى عبد اللَّه بن جعفر ـ وما رأيت أحداً قطُّ كان أشكلَ ظَرْفاً ولا أزينَ في مجلسٍ ولا أحسنَ غناءً منه ـ قال:

قدِمنا مع عبد اللَّه بن جعفر مرّة على معاوية؛ فأرسل إليّ يزيدُ يَدعوني ليلاً؛ فقلت: أكرَه أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكُوَني إلى ابن جعفر. قال: فامهَل حتى إذا سمَر أميرُ المؤمنين فإن ابن جعفر يكون معه فلا يَفتقِدُكَ ونَخلو نحن بما نريد قبل قيامِهما. فأتيتُه فغنَّيتُه؛ فواللَّهِ ما رأيتُ فتًى أشرفَ أَرْيحيَّة[1] منه؛ واللَّه لأَلقى عليّ من الكُسَا الخَزّ والوَشي وغيرِه ما لم أستطعْ حملَه، ثم أمر لي بخمسمائة دينار. قال: وذهب بنا الحديث وما كنَّا فيه، حتى قام معاويةُ ونَهض ابنُ جعفر معه، وكان باب يزيدَ في سَقيفة معاوية؛ فسمع صوتي، فقال لابن جعفر: ما هذا يا ابنَ جعفر؟ قال: هذا واللَّه صوتُ نافع. فدخل علينا؛ فلمَّا أحسَّ به يزيدُ تَناوم. فقال له معاوية: ما لك يا بُنَيّ؟ قال: صُدِعتُ فرجوتُ أن يَسكُنَ عنّي بصوتِ هذا. قال: فبتسَّم معاويةُ وقال: يا نافع، ما كان أَغنانا عن قُدومِك! فقال له ابن جعفر: يا أَمير المؤمنين، إن هذا في بعض الأحايين يُذكِي القلبَ. قال: فضحك معاويةُ وانصرف. فقال لي ابن جعفر: وَيَلك! هل شرِب شيئاً؟ قلت: لا واللَّه. قال: واللَّه إنّي لأرجو أن يكون من فِتيانِ بني عبد مَناف الذين يُنتفع بهم. قال نافع: ثم قدِمنا على يزيدَ مع عبد اللَّه بن جعفر بعد ما استُخلِف، فأجلسه معه على سريره ودخلتْ حاشيتُه تسلِّم عليه ودخلتُ معهم. فلما نظر إليّ تبسَّم. ثم نهض ابنُ جعفر وتبِعناه. فقيل له: نظر إلى نافع وتبسَّم. فقال ابنُ جعفر: هذا تأويلُ تلك الليلةِ. فقضى حوائجَ ابن جعفر وأَضعفَ ما كان يَصِلُه به معاويةُ. فلما أراد الانصراف أتاه يودِّعه ونحن معه؛ فأرسل إليّ يزيدُ فدخلتُ عليه. قال: وَيحك يا نافع! ما أَخَّرْتُك إلا لأتفرَّغَ لك. هاتِ لَحنَك.

خَليلَيَّ فيما عشتُما هل رأيتُما قتيلاً بَكى من حبِّ قاتِلِه قبلِي

[الطويل]

فاسمعتُه؛ فقال: أعِد وَيلك! فأعدتُه، ثم قال: أعدْ فأعدتُه ثلاثاً. فقال: أحسنتَ فسَلْ حاجتَك. فما سألتُه في ذلك اليوم شيئاً إلا أَعطانِيه. ثم قال: إن يَصلُحْ لنا هذا الأمرُ من قِبل ابن الزبير فلعلّنا أن نَحُجَّ فتَلقانا بالمدينة! فإنّ هذا الأمرَ لا يصلُح إلَّا هناك. قال نافع: فمنَعنَا واللَّه من ذلك شُؤْمُ ابنِ الزبير.

سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة:

أَخبرني الحرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجَعفريّ قال: حدثنا القاسم بن أَبي الزِّناد قال:

---

(١) أريحيَّة: واسع الخُلُق.

خرج عمرُ بن أبي رَبيعة يريد الشامّ، فلما كان بالجَناب[١] لقيه جميلُ؛ فقال له عمرُ: أنشدْني فأنشده:

خليليّ فيما عشتُما هل رأيتُما قتيلاً بَكى من حبِّ قاتله قبلِي

[الطويل]

ثم قال جميل: أنشِدني يا أبا الخَطَّاب، فأنشده:

ألم تَسألِ الأطلالَ والمُتربَّعَا[٢] ببطن حُلَيَّاتٍ دَوارِسَ بَلقَعَا

فلما بلغ إلى قوله:

فلما تواقفنا وسلَّمتُ أَشرقتْ وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تنقنْعَا

تَبالَهنَ بالعِرفان لمَّا عرفْنَني وقُلنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوضَعَا

وقرّبنَ أَسبابَ الهوى لمتيّم يَقِيسُ ذِراعاً كلَّما قسنَ إِصبعَا

[الطويل]

قال: فصاح جميلٌ واستَخذى وقال: أَلا إِن النَّسيب أخذ من هذا، وما أنشده حرفاً. فقال له عمر: اذهبْ بنا إلى بُثينة حتى نسلِّم عليها. فقال له جميل: قد أَهدر لهم السلطانُ دَمي إِن وجدوني عندها، وهاتِيك أَبياتُها. فأتاها عمرُ حتى وقف على أبياتها وتأنَّس حتى كُلِّم؛ فقال: يا جارية، أنا عمرُ بن أَبي ربيعة، فأعلِمي بثينة مكاني. فخرجتْ إليه بثينةُ في مَباذِلِها وقالت: واللَّه يا عمرُ لا أكونُ من نسائك اللَّاتي يزعُمنَ أن قد قتلهنّ الوجدُ بك؛ فانكسر عمر؛ قال: وإذا امرأةٌ أدماءُ طُوالَةٌ.

وأخبرني بهذا الخبر عليّ بن صالح عن أبي هِفَّان عن إِسحاق عن المسيَّبيّ والزبير فذكر مثل ما ذكره الزبير وزاد فيه قال: فقال لها قولَ جميل:

وهُما قالتا لَو أنّ جميلاً عرَض اليومَ نَظرةً فرآنَا

بَينما ذاك منهما وإِذا بي أُعمِلُ النصَّ[٣] سيرةً زَفَيانا[٤]

نظرتْ نحوَ تِربها ثم قالت قد أتانا ـ وما علمنا ـ مُنانا

[الخفيف]

(١) الجَناب: مكان في أرض الكلب تقع بين العراق والشام.

(٢) المتربَّع: المكان يقام به في فصل الربيع.

(٣) النصَّ: استخرج أقصى ما عند الناقة من السير (حثَّها على السير).

(٤) زفيان: سريع.

فقالت: إنه استَملى منك فما أَفلح؛ وقد قيل: اربِطُ الحمار مع الفرس، فإن لم يتعلَّم من جَرْيه تعلَّم من خُلْقه.

لقي بثينة ورصده أهلها فهددهم ثم هجرته بثينة:

وذكر الهَيثم بن عَدِيّ وأصحابه في أخبارهم: أن جميلاً طال مُقامُه بالشام ثم قدِم، وبلغ بثينةَ خبرُه فراسلتْه مع بعض نساء الحيّ تذكر شوقها إليه ووَجدَها به وطلبَها للحيلة في لقائه، وواعدتْه لموضع يلتقيان فيه؛ فسار إليها وحدّثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها. وقدكان أهلُها رَصدوها، فلما فَقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما، فوثب جميلٌ فانتضى سيفَه وشَدّ عليهما فاتّقياه بالهرب؛ وناشدته بثينةُ اللَّهَ إلَّا انصرف، وقالت له: إن أقمتَ فضَحتَني، ولعل الحَيّ أن يَلحقوك. فأبى وقال: أَنا مقيمٌ وامضي أنتِ وليَصنَعوا ما أحبُّوا. فلم تزل تُناشده حتى انصرف. وقال في ذلك وقد هجرتْه وانقطع التلاقي بينهما مدّة.

ألـم تَـسـألِ الـربـعَ الـخَـلاء فـيـنـطـقُ ... وهـل تُـخبرنْكَ اليومَ بَيداءُ[١] سَـمـلَـقُ[٢]
وقـفـتُ بـهـا حـتـى تـجـلَّـتْ عـمـايـتـي ... ومـلّ الـوقـوفَ الأرحَـبـي[٣] الـمـنـوَّق
تَـعَـزَّ وإن كـانـت عـلـيـك كـريـمـةً ... لـعـلّـك مـن رِقٍ[٤] لـبَـثـنـة تَـعـتِـق
لـعَـمـرُكُـم إن الـبِـعـاد لـشـائـقـي ... وبـعـضُ بِـعـاد الـبَـيـنـه والـنـأي أَشـوَقُ
لـعـلّـكَ مـحـزونٌ ومُـبـدٍ صَـبـابـةً ... ومُـظـهـرُ شـكـوى مـن أُنـاسٍ تـفـرَّقـوا
وبـيـضٍ غَـريـراتٍ[٥] تُـثـنّـي خُـصـورَهـا ... إذا قُـمـنَ أعـجـازٌ ثِـقـال وأَسـؤُق
غَـرائـرَ لـم يَـلـقَـيـنَ بـؤسَ مـعـيـشـةٍ ... يُـجَـنّ بـهـنّ الـنـاظـرُ الـمـتـنـوِّق[٦]
وغَـلـغَـلـتُ مـن وَجْـدٍ إلـيـهـنّ بـعـدمـا ... سَـرَيـتُ وأحـشـائـي مـن الـخـوف تَـخـفِـق
مـعـي صـارِمٌ قـد أَخـلـص الـقَـيـنُ صَـقـلَـه ... لـه حـيـن أُغـشِـيـه الـضَّـريـبـةَ رَونَـق
فـلـولا احـتـيـالـي ضِـقـنَ ذَرْعـاً بـزائـرٍ ... بـه مـن صَـبـابـاتٍ إلـيـهـنّ أَولَـق[٧]
تَـسُـوكُ بـقُـضـبـانِ الأراكِ مـفـلَّـجـاً ... يُـشَـعـشِـعُ فـيـه الـفـارِسـي الـمـروَّق

---

(١) بيداء: الفلاة. (٢) سملق: مقفرة قاحلة لا نبات بها.
(٣) الأرحبي: الإبل النجيب وهو ينسب إلى قبيلة بني أرحب.
(٤) رق: العبد الذليل.
(٥) غريرات: يقال أنا غريرك منه، أي إني أَدْرك منه.
(٦) المتنوق: المبالغ والمجوِّد لأموره. (٧) أولق: جنون.

أبـثـنـةُ لـلـوَصـلُ الـذي كـان بـيـنـنـا نَضا مثلَ ما يَنضُو الخِضابُ فيَخلْق
أبَـثـنـةُ مـا تَـنـأَيـنَ إلّا كـأنّـنـي بـنـجـم الـثُّـرَيَّـا مـا نـأيـتِ مُـعـلَّـق
[الطويل]

أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره في العتاب:

أَخبرني محمد بن مَزيَد بن أَبي الأزهر قال: حدثنا حمَّاد بن إِسحاق عن أبيه قال:

دخلت على الرشيد يوماً فقال لي: يا إِسحاق، أَنشِدني أحسنَ ما تعرِف في عِتاب محبٍّ وهو ظالم مُتعَتِّبْ. فقلت: يا أَمير المؤمنين قول جميل:

رِدِ الـمـاءَ مـا جـاءتْ بـصَـفـوٍ ذَنـائـبُـه[1] ودَعـهُ إذا خِـيـضَـتْ بـطَـرقٍ[2] مَـشـاربُـهْ[3]
أُعـاتِـبُ مَـن يـحـلـو لـديَّ عـتـابُـه وأتـرك مَـن لا أشـتـهـي وأُجـانِـبُـه
ومـن لـذّة الـدنـيـا وإن كـنـتَ ظـالـمـاً عِـنـاقُـك مـظـلـومـاً وأنـت تُـعـاتـبُـه
[الطويل]

فقال: أَحسنَ واللَّه! أعِدْها عليّ؛ فأعدتُها حتى حفظها، وأمر لي بثلاثين ألف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحُرَم.

ذهب معه صديق له إلى بثينة فطارده أهلها فرجع:

أَخبرني محمد بن مَزيَد قال: حدثنا حَمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه عن السَّعيديّ قال: حدثني رجلٌ كان يصحَب جميلاً من أهل تَيماء قال:

كنتُ يوماً جالساً مع جميل وهو يحدثني وأُحدثه، إِذ ثار وتربّد وجهُه، فأنكرتُه ورأيتُ منه غيرَ ما كنتُ أَرى، ووثب نافراً مُقشَعِرَّ الشعر متغيِّر اللون، حتى أُتِي بناقةٍ له قريبةٍ من الأرض مُجتمِعَةٍ مُوثُقة الخَلق فشَدّ عليها رَحلَه، ثم أُتِي بمِحلَب فيه لبنٌ فشرِبه، ثم ثنّى فشرِبت حتى رَوِيت؛ ثم قال لي: اشدُد أداة رَحلِك واشرَب واسقِ جَمَلك فإِني ذاهبٌ بك إلى بعض مَذاهبي، ففعلتُ. فجال في ظهر ناقته وركِبتُ ناقتي، فسِرنا بياضَ يومنا وسوادَ ليلتنا، ثم أصبحنا فسِرنا يومَنا كلَّه، لا واللَّه ما نزلنا إِلا للصَّلاة، فلما كان اليومُ الثالثُ دَفَعنا إلى نسوةٍ فمال إليهنّ، ووجدنا الرجال

(١) ذنائبه: خيطان يُشدُّ بها ذنب البعير لئلا يخطر بذَنَبه فيتعثَّر.
(٢) طَرْق: ضرْب.
(٣) مشارب: جَمع مشربة، هي الأرض الليّنة الدائمة النبات.

خُلُوفاً، وإذا قِدْرُ لبنٍ ثَمّ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطَشاً. فلما رأيتُ القِدرَ اقتحمتُ عن بعيري وتركتُه جانباً، ثم أدخلتُ رأسي في القِدْر ما يثنِيني حَرُّها حتى رَوِيت؛ فذهبتُ أُخرِجُ رأسي من القِدْر فضاقت عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنسِي، فضحِكن منّي وغَسَانَ ما أصابني. وأُتِي جميلٌ بقرًى فواللَّه ما التفتَ إليه. فبينا هو يحدِّثهنّ إذا رَواعِي الإبل، وقد كان السلطان أحلَّ لهم دمَه إن وجدوه في بلادهم؛ وجاء الناسُ فقالوا له: وَيحكَ! انجُ وتَقدَّم! فواللَّه ما أَكبَرَهم كلَّ الإكبار. وغَشِيه الرجالُ فجعلوا يرمُونه ويطرُدونه، فإذا قَربُوا منه قاتلهم ورمى فيهم. وهام بي جَمَلي، فقال لي: يَسِّر لنفسك مَركَباً خلفي، فأَردَفَني خَلفَه. ولا واللَّه ما انكسر ولا انحلَّ عن فِرَصته[1] حتى رجع إلى أَهله، وقد سار ستَّ ليال وستة أيَّام وما التفت إلى طعام.

وشكا زوجُ بُثنية إلى أَبيها وأَخيها إلمامَ جميلٍ بها؛ فوجّهوا إلى جميلٍ فأَعذروا إليه وشكَوْه إلى عَشيرته وأَعذروا إليهم وتوعْدوه وإياهم. فلامه أَهلُه وعنَّفوه وقالوا: استَخلِص إليهم ونبرأ منك ومن جَريرتك. فأقام مدّةً لا يُلِمّ بها. ثم لقي ابني عمّه رَوقاً ومسعدة، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله:

صـوت

زُورَا بُـثـيـنـةَ فـالـحـبـيـبُ مَـزُورُ إن الـزيـارةَ لـلـمـحـبِّ يـسـيـرُ
إنّ الـتـرحُّـلَ، إن تـلـبَّـس أَمـرُنـا واعـتـاقَـنـا قَـدَرٌ أُجِـمَّ، بـكـورُ

ـ الغناء لعَريبَ رَمَلٌ بالوسطى: ـ

صـوت

إنّـي عـشـيَّـةَ رُحـتُ وهـي حـزيـنـةٌ تـشـكـو إلـيّ صـبـابـةً لَـصَـبـورُ
وتـقـول بِـتْ عـنـدي فَـدَيـتُـكَ لـيـلـةً أشـكـو إلـيـكَ فـإنّ ذاك يـسـيـرُ

ـ الغناء لسُليم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه ثقيلٌ أول بالبنصر ذكر الهِشاميّ أنه لمُخارِق، وذَكر حبش أنه لإبراهيم. وذكر حبش أن لحن مخارق خفيفُ رملٍ: ـ

غَـرَّاءُ مِـبـسـامٌ[2] كـأنّ حـديـثَـهـا دُرٌّ تَـحَـدَّرَ نَـظـمُـه مـنـثـورُ

(١) الفِرصة: الخِرقة من الصوف أو القطن.
(٢) مِبسام: كثيرة التبسُّم.

محطوطة المَتنَينِ مُضمَرةُ الحشى رَيَّا[١] الرّوادفِ خَلقُها ممكور
لا حُسنها حُسنٌ ولا كدَلالِها دَلٌّ ولا كوقارِها توقير
إنّ اللسانَ بذكرها لَموكَّلٌ والقلب صادٍ والخواطر صُور[٢]
ولئن جَزَيتِ الودَّ منّي مثلَه إني بذلك يا بُثين جدير

[الكامل]

فقال له رَوق: إنك لعاجزٌ ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتَركِكَ الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَن هو أَجملُ منها، وإنك منها بين فجورٍ أرفَعُك عنه، أَو ذُلٍّ لا أُحِبّه لك، أَو كَمَدٍ[٣] يُؤدِّيك إلى التَّلَف، أَو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تَعرّضتَ لها بعد إعذارهم إليك. وإن صرفتَ نفسَك عنها وغلبتَ هواك فيها وتجرّعتَ مرارةَ الحَزم[٤] حتى تألَفَها وتَصبِر نفسك عليها طائعةً أَو كارهة ألِفتَ ذلك وسَلوتَ. فبكى جميل وقال: يا أَخي، لو ملكتُ اختياري لكان ما قلتَ صواباً، ولكني لا أملك الاختيار ولا أنا إلّا كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً، وقد جئتُك لأمرٍ أسألك ألّا تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلَوم، وأن تَحمِلَ على نفسك في مساعدتي. فقال له: فإن كنتَ لا بدّ مُهلِكاً نفسك فاعملْ على زيارتها ليلاً؛ فإنها تخرج مع بنات عمٍّ لها إلى مَلعَب لهنّ، فأجيءُ معك حينئذٍ سرّاً، ولي أخٌ من رَهط بُثينة من بني الأحَبّ، نَأوِي عنده نهاراً، وأسأله مساعدتَك على هذا، فتقيم عنده أياماً نهارَك وتجتمع معها بالليل إلى أَن تَقضي أرَبَك؛ فشكره. ومضى رَوق إلى الرجل الذي من رهط بُثينة، فأخبره الخبرَ واستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه. فقال له: لقد جئتَني بإحدى العظائم؛ وَيحك! إن في هذا مُعاداتي الحيَّ جميعاً إن فُطِن به. فقال: أَنا أتحرّز في أمره من أَن يَظهر، فواعَدَه في ذلك؛ ومضى إلى جميلٍ فأخبره بالقصة، فأتَيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده. وأرسل إلى بُثينة بوليدةٍ له بخاتم جميل فدفعته إليها؛ فلما رأته عرفتْ، فتبِعتْها وجاءته فتحدّثا ليلتَهما. وأقام بموضعه ثلاثة أَيام ثم ودّعها، وقال لها: عن غيرِ قِلى واللَّه ولا مَلَلٍ يا بُثينة كان وَداعي لكِ، ولكني قد تذممت من هذا الرجل الكريم وتعريضه نفسَه لقومه، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك، ثم انصرف. وقال في عَذْل رَوق ابن عمه إياه:

لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابةٍ حبيبٌ إليه في مَلامتِه رُشدِي

---

(١) ريَّا: موضع. (٢) صور: مائلات.
(٣) الكَمَدَ: تغيرْ اللّون، والحزن الشديد ومرض القلب منه.
(٤) الحزم: ضبط الأمر والأخذ فيه بالثقة.

وقـال أَفِـقْ حـتـى مـتـى أنـت هـائـمٌ بـبَـثـنَـةَ فـيـهـا قـد تُـعِـيـدُ وقـد تُـبـدي
فـقـلـت لـه فـيـهـا قـضـى الـلَّـهُ مـا تـرى عـلـيّ وهـل فـيـمـا قـضـى الـلَّـه مـن رَدِّ
فـإن يـك رُشـداً حُـبُّـهـا أَو غَـوايـةً[1] فـقـد جـئـتُـه مـا كـان مـنّـي عـلـى عَـمْـد

صـوت

لـقـد لَـجَّ مـيـثـاقٌ مـن الـلَّـه بـيـنـنـا ولـيـس لـمـن لـم يُـوفِ الـلَّـه مـن عَـهـدِ
فـلا وأبـيـهـا الـخـيـرِ مـا خُـنـتُ عـهـدَهـا ولا لِـيَ عـلـمٌ بـالـذي فـعـلـتْ بـعـدي
ومـا زادهـا الـواشـون إلا كـرامـةً عـلـيّ ومـا زالـت مـودّتـهـا عـنـدي

ـ الغناء لمتيَّمَ ثقيلٌ أولُ عن الهشاميّ، وذكر ابن المعتزّ أنه لشاريةَ، وذكر ابن خُرداذبه أنه لقَلَم الصالحيَّة: ـ

أفـي الـنـاسِ أمـثـالـي أَحَـبَّ فـحـالُـهـم كـحـالِـيَ أم أحـببـتُ مـن بـيـنـهـم وحـدِي
وهـل هـكـذا يـلـقـى الـمـحـبُّـون مـثـلَ مـا لَـقِـيـتُ بـهـا أم لـم يَـجِـد[2] أحـدٌ وَجْـدي

[الطويل]

وقال جميل فيها:

خـلـيـلـيّ عُـوجَـا الـيـومَ حـتـى تُـسـلِّـمـا عـلـى عَـذْبـةِ الأنـيـاب طَـيِّـبـةِ الـنَّـشـرِ
أَلِـمَّـا بـهـا ثـم اشـفَـعـا لِـي وسَـلِّـمـا عـلـيـهـا سَـقـاهـا الـلَّـه مـن سـائـغ الـقـطـر
وبُـوحَـا بـذكـري عـنـد بَـثـنـةَ وانـظُـرا أتـرتـاح يـومـاً أم تَـهَـشُّ[3] إلـى ذكـري
فـإن لـم تَـكـن تَـقـطَـعْ قُـوى الـودِّ بـيـنـنـا ولـم تَـنسَ مـا أسـلـفـتُ فـي سـالـف الـدهـر
فـسـوف يُـرى مـنـهـا اشـتـيـاقٌ ولَـوعـةٌ بـبَـيـنٍ وغَـرْبٌ مـن مـدامـعِـهـا يـجـري
وإن تـكُ قـد حـالـتْ عـن الـعـهـد بَـعـدَنـا وأصـغـتْ إلـى قـول الـمُـؤنِّـبِ والـمُـزري
فـسـوف يُـرى مـنـهـا صـدودٌ ولـم تـكـن بـنَـفـسـيَ مـن أهـل الـخِـيـانـة والـغَـدر
أَعـوذُ بـك الـلـهـمَّ أن تَـشـحَـطَ الـنَّـوى بـبـثـنـةَ فـي أدنـى حـيـاتـي ولا حَـشْـري
وجَـاوِرْ إذا مـا مِـتُّ بـيـنـي وبـيـنـهـا فـيـا حَـبَّـذا مـوتـي إذا جـاورت قـبـري
عَـدِمـتُـكَ مـن حـبٍّ أمَـا مـنـك راحـةٌ ومـا بـك عـنّـي مـن تَـوانٍ ولا فَـتْـرِ

(١) غِواية: المصدر غوى، وغوى تعني خلَّ فالغواية هي الضلَّالة.
(٢) يَجِد: يغضب في الحب فقط.
(٣) تهش: تستَخفُ، تتحبب إلى.

أَلا أيّـهـا الـحـبُّ الـمـبـرِّح هـل تـرى أخَـا كَـلَـفٍ يُـغـري بـحـبٍّ كـمـا أُغـري
أجِـدّكَ لا تَـبـلـى وقـد بَـلِـيَ الـهـوى ولا يـنـتـهـي حـبِّـي بُـثـيـنـةَ لـلـزَّجـر

صـــوت

هـي الـبـدرُ حـسـنـاً والـنـسـاءُ كـواكـبٌ وشَـتَّـانَ مـا بـيـن الـكـواكـب والـبـدرِ
لـقـد فُـضِّـلـتْ حسـناً عـلـى الـنـاس مثـلَـمـا عـلـى ألـفِ شـهـر فُـضِّـلـتْ لـيـلـةُ الـقَـدْر

[الطويل]

غنَّت شاريةُ في هذين البيتين خفيفَ رملٍ من رواية ابن المعتزّ.

تهاجرا مدة ثم اصطلحا:

أَخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: أخبرنا إِسحاق بن محمد بن أَبان قال: حدثني الرحَّال بن سعد المازنيّ قال:

وقع بين جميل وبُثينة هجرٌ في غَيرةٍ كان غارها عليها من فتًى كان يتحدث إليها من بني عمها، فكان جميل يتحدث إلى غيرها، فيشُقُّ ذلك على بُثينة وعلى جميل، وجعل كلُّ واحدٍ منهما يَكرَه أَن يُبدِيَ لصاحبه شأنَه. فدخل جميلٌ يوماً وقد غلَبه الأمرُ إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بُثينة. فلما رأته بُثينة جاءت إلى البيت ولم تبرُز له؛ فجزِع لذلك جميل؛ وجعل كلُّ واحد منهما يُطالع صاحبَه؛ وقد بلَغ الأمر من جميل كلّ مبلغ، فأنشأ يقول:

لـقـد خِـفـتُ أَن يـغـتـالـنـي الـمـوتُ عَـنـوةً وفـي الـنـفـسِ حـاجـاتٌ إلـيـكِ كـمـا هِـيَـا
وإِنـي لـتَـثـنِـيـنـي الـحَـفـيـظـةُ كـلَّـمـا لـقِـيـتُـكِ يـومـاً أَن أَبُـثَّـكِ مـا بِـيـا
أَلـم تـعـلـمـي يـا عـذبـةَ الـرِّيـقِ أَنّـنـي أَظَـلّ إذا لـم أُسـقَ ريـقَـكِ صـادِيـا[1]

[الطويل]

قال: فرَقّت له بُثينة، وقالت لمولاةٍ لها كانت معها: ما أحسنَ الصدقَ بأهله! ثم اصطلحا. فقالت له بُثينة: أَنشِدني قولَك:

تَـظَـلُّ وراء الـسِّـتـرِ تَـرنُـو بـلَـحـظِـهـا إذا مـرّ مـن أَتـرابـهـا مـعـن يُـروقُـهَـا

[الطويل]

فأنشدها إِياها؛ فبكت وقالت: كلَّا يا جميل! ومَن أترى أنه يَرُوقُني غيرُك!

(١) صادي: عطشان.

نعي جميل وحزن بثينة عليه:

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الوهريّ وحبيب بن نَصر المهلَّبي قالا: حدثنا عمر بن شبَّة قال: ذكَر أَيوب بن عَباية قال:

خرجتُ من تَيماء في أَغباش[١] السحَر، فرأيت عجوزاً على أَتان، فتكلَّمتْ فإذا أعرابيةٌ فصيحة. فقلت: ممن أنتِ؟ فقالت: عُذريَّة. فأجريتُ ذكر جميلٍ وبُثينة؛ فقالت: واللَّه إنَّا لعلى ماءٍ لنا بالجَناب وقد تنكّبنا الجادّة[٢] لجيوشٍ كانت تأتينا من قِبَل الشام تُريد الحجاز، وقد خرج رجالُنا لسَفَرٍ وخلَّفوا معنا أحداثاً[٣]؛ فانحدروا ذاتَ عشيَّة إلى صِرْمٍ[٤] قريبٍ منا يتحدّثون إلى جَوارٍ منهم، فلم يبقَ غيري وغيرُ بثينة، إذا انحدر علينا منحدرٌ من هَضبةٍ تلقاءنا، فسلَّم ونحن مُستوحشون وَجِلون. فتأمّلته ورددتُ السلامَ فإذا جميلٌ. فقلت: أَجميل؟ قال: إِي واللَّه؛ وإذا به لا يتماسك جوعاً، فقمت إلى قَعبٍ[٥] لنا فيه أَقِطٌ مطحون وإلى عُكَّةٍ[٦] فيها سَمْن ورُبٌّ، فعَصَرتها على الأقِط ثم أدنيتُها منه وقلت: أَصِبْ من هذا، فأصاب منه؛ وقمتُ إلى سِقاءٍ فيه لبنٌ فصبَبتُ عليه ماءً بارداً فشرِب منه وتراجعتْ نفسُه. فقلت له: لقد بلغتَ ولقِيتَ شرّاً، فما أمرُك؟ قال: أَنا واللَّه في هذه الهَضبةِ التي تَرَين منذ ثلاثٍ ما أَرِيمُها انتظر أَن أَرى فُرجةً، فلما رأيتُ مُنحَدَر فِتيانكم أَتيتُكم لأُودِّعكم وأَنا عامدٌ إلى مِصر. فتحدثنا ساعةً ثم ودّعَنا وشخَص؛ فلم تَطُل غيبتُه أَن جاءنا نَعيُه. فزعموا أنه قال حين حضرتْه الوفاة:

صَدَعَ النَّعِيُّ وما كنى بجميلِ ... وثَوى بمِصرَ ثَواءَ[٧] غيرِ قُفولِ
ولقد أُجرّ الذيلَ في وادي القُرى ... نَشوانَ بين مزارعٍ ونخيل
قُومِي بُثينةُ فانْدُبِي بعَويلِ[٨] ... وابكي خليلَكِ دون كلِّ خليل

[الكامل]

أَخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال: حدثني محمد بن القاسم عن الأصمعيّ قال: حدثني رجلٌ شهِد جميلاً لمَّا حضرتْه الوفاة بمِصر أنه دعاه فقال: هل لك في أَن أُعطيَك كلَّ ما أُخلِّفه على أَن تفعل شيئاً أعهَده إليك؟ فقال قلت: اللهم نعم. قال: إِذا أَنا متُّ فخُذ حُلَّتي هذه التي في عَيبَتي فاعزِلها جانباً ثم كلُّ شيء سواها لك، وارحَل

(١) الغبش: ظلمة آخر الليل.
(٢) الجادة: الطريق.
(٣) أحداثا: صغار السِّن.
(٤) صِرم: الجماعة من الناس.
(٥) قَعْب: القدح الضخم الجافي.
(٦) عُكَّة: آنية السَّمن أصغر من القِربة.
(٧) ثواء: إقامة طويلة.
(٨) عويل: رفع الصوت بالبكاء والصراخ.

إلى رَهْط بني الأحبّ من عُذْرة ـ وهم رَهط بُثينة ـ فإذا صرتَ إليهم فارتحلْ ناقتي هذه واركَبها، ثم البَس حُلَّتي هذه واشقُقها ثم اعلُ على شَرَفٍ وصِحْ بهذه الأبيات وخَلاك ذَمٌّ. ثم أَنشدني هذه الأبيات:

صَدَع النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ وثوى بمِصرَ ثَواءَ غيرِ قُفولِ

[الكامل]

ـ وذكر الأبيات المتقدِّمة ـ فلما قضى وروايتُه أَتيتُ رَهط بُثينة ففعلتُ ما أمرني به جميل، فما استتممتُ الأبيات حتى بَرَزتْ إِليَّ امرأَةٌ يتبعها نسوةٌ قد فَرَعَتهُنّ وبَرَزَتْ أَمامهن كأنها بدرٌ قد بَرَز في دُجُنَّةٍ[١] وهي تتعثّر في مِرطِها[٢] حتى أتتني، فقالت: يا هذا، واللَّه لئن كنتَ صادقاً لقد قتلتَني، ولئن كنتَ كاذباً لقد فضَحتني. قلت: واللَّه ما أَنا إِلا صادق، وأَخرجتُ حُلَّتَه. فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصَكَّتْ[٣] وجهَها، واجتمع نساءُ الحيِّ يبكين معها ويَندبُنَه حتى صَعِقتْ فمكثتْ مَغشيّاً عليها ساعةً، ثم قامت وهي تقول:

وإِنَّ سُلُوِّي عن جميلٍ لساعةٌ من الدَّهرِ ما حانتْ ولا حان حِينُهَا
سواءٌ علينا يا جميلَ بن مَعمّرٍ إذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولِينُهَا

[الطويل]

قال: فلم أَرَ يوماً كان أَكثر باكياً وباكيةً منه يومئذٍ.

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحظة عن أَصحابه

أمسى الشبابُ مُودِّعاً محمودَا والشيبُ مُؤتَنِفَ[٤] المحلِّ جديدَا
وتغيَّر البِيضُ الأوانسُ[٥] بعد ما حَمَّلتُهنَّ مَواثِقاً وعُهودَا

[الكامل]

عروضه من **الكامل**. الشعر ليزيد بن الطَّثرِيَّة، والغناء لإِسحاق، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبنصر. وفيه لبابويه خفيف ثقيلٍ بالوسطى، كلاهما من رواية عمرو بن بانة.

(١) دُجُنة: أقبح السَّواد.
(٢) المِرط: كساء من الصوف أو الخزّ.
(٣) صكَّت: ضربت وجهها ضرباً شديداً.
(٤) مؤتنف: ائتنف الشيء أي استقبله.
(٥) الأوانس: اللواتي يأنس بهن.

ذكر يزيد بن الطثرية وأخباره ونسبه

نسبه ونسب أمه:

ذكر ابن الكَلْبيّ أنّ اسمه يزيد بن الصِّمَّة أحد بني سَلَمةِ الخَير بن قُشَير. وذكر البصريّون أنه من ولد الأعوَر بن قُشَير. وقال أَبو عمرو الشيبانيّ: اسمه يزيد بن سَلَمة بن سَمُرة بن سَلَمة الخير بن قُشير بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعصعة. وإنما قيل له سَلَمةُ الخير لأنه كان لقُشَيرٍ ابنٌ آخر يقال له سَلَمةُ الشرِّ. قال: وقد قيل: إنه يزيد بن المنتشِر بن سَلَمة.

والطَّثرية أمّه، فيما أَخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيب، امرأَةٌ من طَثر، وهم حيٌّ من اليمن عِدادُهم في جَرْم. وقال غيره: إن طَثراً من عَنز بن وائل إِخوةِ بَكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أقصى بن دُعمِيّ بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار. وكان أَبو جَراد أحدُ بني المنتفِق بن عامر بن عُقَيل أسَر طَثراً فمكث عنده زماناً ثم خَلَّاه وأخذ عليه إِصراً ليَبعَثنَّ إليه بفدائه أَو لَيَأتينَّه بنفسه وأهله فلم يجد فِداءً، فاحتمل بأهله حتى دخل على أَبي جَراد فوسَمه سِمَةَ إِبله، فهم حُلَفاء لبني المُنتَفِق إلى اليوم نَحوٌ من خمسمائة رجل متفرّقين في بني عُقَيل يُوالون بني المنتفق، وهم يُعيَّرون ذلك الوَسمَ. وقال بعضُ مَن يهجوهم:

عـــلـــيـــه الـــوَسْـــمُ وســـمُ أَبـــي جَـــرادِ

وفيهم يقول يزيد بن الطَّثريّة:

أَلَا بـئـسـمـا أن تَـجـرِمـونـي وتـغـضَـبـوا عـلـيّ إذا عـاتـبـتُـكـم يـا بـنـي طَـثـرِ

[الطويل]

وزعم بعض البصريين: أَن الطَّثريّة أُمَّ يزيدَ كانت مُولَعةً بإِخراج زُبْد اللَّبن، فسُمِّيت الطَّثرية. وطَثرةُ اللبن: زبدته.

كان كثير التحدث إلى النساء:

ويُكنى يزيد أَبا المَكشوح. وكان يلقَّب مُودِّقاً؛ سُمِّي بذلك لحسن وجهه وحسن

شعره وحلاوة حديثه، فكانوا يقولون: إنه إذا جلس بين النساء ودّقهنّ.

أَخبرني محمد بن خَلَف عن حمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه قال:

كان يزيد بن الطَّثريّة يقول: من أُفحِم عند النساء فليُنشِد من شعره. قال: وكان كثيراً ما يتحدّث إلى النساء، وكان يقال: إنَّه عِنِّين.

وروى عنه عبد اللَّه بن عمر عن يحيى بن جابر أحدِ بني عمرو بن كِلاب عن سُعاد بنت يزيد بن زُرَيق امرأةٍ منهم:

أنّ يزيد بن الطَّثريّة كان من أحسن مَن مضى وجهاً وأَطيَبِه حديثاً، وأنّ النساء كانت مفتونةً به، وذكر الناسُ أَنه كان عِنِّيناً، وذلك أَنه لا عَقِبَ له، وأَنّ الناس أمحَلوا حتى ذهبت الدقيقة من المال ونُهكت الجليلةُ؛ فأقبل صِرْمٌ من جَرْم ساقته السنَةُ والجَدبُ من بلاده إلى بلاد بني قُشَير، وكان بينهم وبين بني قُشير حربٌ عظيمة؛ فلم يجدوا بُدّاً من رَمي قشيرٍ بأنفسهم لِما قد ساقهم من الجَدْب[1] والمَجاعة ودِقْة الأموال وما أَشرفوا عليه من الهَلَكة. ووقع الربيعُ في بلاد بني قُشيرٍ فانتجعها الناسُ وطلبوها؛ فلم يَعدُ أَن لقيتْ جَرْمٌ قُشيراً، فنصَبتْ قشيرٌ لهم الحربَ. فقالت جَرم: إنما جئنا مُستجيرين غيرَ محاربين. قالوا: مماذا؟ قالوا: من السَّنَة والجَدب والهَلَكة التي لا باقيةَ لها. فأجارتْهم قشيرٌ وسالمتْهم وأَرعَتهم طَرَفاً من بلادها. وكان في جَرم فتًى يقال له مَيَّاد، وكان غَزِلاً حسنَ الوجه تامَّ القامة آخِذاً بقلوب النساء. والغزلُ في جَرم جائرٌ حسن، وهو في قُشيرٍ نائرة[2]. فلما نازلتْ جَرمٌ قشيراً وجاورتْها أصبح مَيَّادٌ الجَرمِيّ فغدا إلى القُشيريَّات يطلبُ منهنّ الغَزَلَ والصِّبا والحديثَ واستبرازَ الفَتَيات عند غَيبة الرِّجال واشتغالِهم بالسَّقي والرِّعية وما أَشبه ذلك؛ فدفَعنَه عنهنّ وأسمعنَه ما يكره. وراحت رجالهنّ عليهنّ وهنّ مُغضَبات؛ فقال عجائزُ منهنّ: واللَّه ما ندري أَرعَيتم جَرْماً المَرعى أم أَرعيتموهم نساءكم! فاشتدّ ذلك عليهم فقالوا: وما أَدراكنَّه؟ قُلنَ: رجلٌ منذُ اليوم ظلِّ مجحراً لنا ما يطلْع منا رأسُ واحدةٍ، يَدور بين بيوتنا. فقال بعضهم: بَيِّتوا جَرْماً فاصطلِموها[3]. وقال بعضهم: قبيح! قومٌ قد سَقيتُوهم مِياهكم وأَرعيتُموهم مَراعيَكم وخَلَطتموهم بأنفسكم وأجَرتُموهم من القَحط والسنَة تفتاتون عليهم هذا الافتيات! لا تفعلوا، ولكن تُصبِحوا وتَقدَّموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل، فإنه سفيهٌ من سُفهائهم فليأخذوا على يَدَيه فإن يفعلوا فأَتِمُّوا لهم إِحسانَكم،

(١) الجدب: المَحْل والغيب.
(٢) نائرة: العداوة والبغضاء والشحناء.
(٣) اصطلم: استأصل، اقتلع.

وإن يمتنعوا ويُقِرّوا ما كان منه يَحِلّ لكم البَسطُ[١] عليهم وتَخرُجوا من ذِمَّتهم؛ فأَجمعوا على ذلك. فلما أَصبحوا غدا نفرٌ منهم إلى جَرْم فقالوا: ما هذه البِدعة التي قد جاروتُمونا بها! إن كانت هذه البدعة سجيَّةً لكم فليس لكم عندنا إرعاءٌ ولا إسقاء، فبرّزوا عنَّا أَنفسَكم وأْذنوا بحرب. وإن كان افتتاناً فغيِّروا على مَن فعله. وإنهم لم يَعدُوا أَن قالوا لجَرم ذلك. فقام رِجالٌ من جَرم وقالوا: ما هذا الذي نالكم؟ قالوا: رجلٌ منكم أمسِ ظلَّ يجُرّ أَذيالَه بين أَبياتنا ما ندري عَلام كان أَمرُه! فقهقهتْ جرمٌ من جَفاء القُشَيرين وعَجرفيَّتِها[٢] وقالوا: إنكم لتُحسُّون من نسائكم ببلاءٍ؛ أَلَا فابعَثوا إلى بيوتنا رجلاً ورجلاً. فقالوا: واللَّه ما نُحِسُّ من نسائنا ببلاء، وما نعرف منهنّ إلا العفَّة والكرم، ولكن فيكم الذي قلتم. قالوا: فإنَّا نبعث رجلاً إلى بيوتكم يا بني قُشير إذا غدتِ الرجالُ وأُخلِف النساء، وتبعثون رجلاً إلى البيوت، ونتحالف أنّه لا يتقدَّم رجلٌ منَّا إلى زوجةٍ ولا أخت ولا بنت ولا يُعلمها بشيء مما دار بين القوم؛ فَيَظلّ كلاهما في بيوت أَصحابه حتى يَرِدَا علينا عَشِيّاً الماءَ وتُخلى لهما البيوت، ولا تبرُز عليهما امرأةٌ ولا تُصادِق منهما واحداً فيُقبَلُ منهما صَرْفٌ[٣] ولا عَدلٌ[٤] إلا بمَوثِقٍ يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها. قالوا: اللهمّ نعم. فظلّوا يومَهم ذلك وباتوا ليلتَهم، حتى إذا كان من الغد غَدَوْا إلى الماء وتحالفوا أنّه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل. وغدا مَيَّاد الجَرْميّ إلى القُشيريَّات، وغدا يزيد بن الطَّثريّة القُشيريّ إلى الجَرمِيَّات؛ فظل عندهنّ بأكرم مَظَلٍّ لا يصير إلى واحدةٍ منهنّ إلا افتَتنتْ به وتابعتْه إلى المودَّة والإخاء وقَبَض منها رَهناً وسألتْه ألّا يدخل من بيوت جَرْم إلَّا بيتَها، فيقول لها: وأَيَّ شيء تخافين وقد أخذْتِ منّي المواثيقَ والعهود وليس لأَحدٍ في قلبي نصيبٌ غيرَكِ؛ حتى صُلِّيت العصرُ. فانصرف يزيد بفَتَخ[٥] كثيرٍ وذَبلٍ[٦] وبَراقِعَ وانصرف مَكحولاً مدهوناً شبعانَ رَيَّان مُرَّجلَ اللِّمَّة. وظلّ مَيَّادٌ الجَرمِيّ يدور بين بيوت القُشيريَّات مرجوماً مُقصًى لا يتقرّب إلى بيت إلا استقبلتْه الولائدُ بالعَمَد[٧] والجَندَل[٨]، فتهالك لهنّ

(١) البَسط: التوسع.
(٢) العجرفيَّة: جفوة في الكلام، وقلة المبالاة.
(٣) صَرْف: شفّ وفضل.
(٤) عَدْل: مِثل ونظير.
(٥) فَتْخ: مفردها فتخة، حلقة من فضة لا فصّ فيها.
(٦) ذَبْل: جلد السلحفاة البرية.
(٧) العَمَد: قضبان الحديد.
(٨) الجندل: الحجارة.

وظنّ أنه ارتيادٌ[١] منهنّ له، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأسَ منهنّ وجَهَده العطشُ، فانصرف حتى جاء إلى سَمُرَةٍ[٢] قريباً إلى نصف النهار، فتوسَّد يدَه ونام تحتها نوَيمةً حتى أَفرجتْ عنه الظَّهيرةُ وفاءت الأظلالُ وسكن بعضُ ما به من ألم الضرب وبرَد عطشُه قليلاً، ثم قَرُب إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد، فوجد أمَةً تَذُود غنماً في بعض الظَّعن[٣]، فأخذ بُرقُعَها فقال: هذا برقعُ واحدةٍ من نسائكم، فطرَحه بين يدي القوم؛ وجاءت الأمَةُ تَعدو فتعلَّقتْ ببُرقعها فرُدّ عليها وخجل مَيَّادٌ خجلاً شديداً. وجاء يزيد مُمسياً وقد كاد القوم أن يتفرّقوا، فنثَر كُمَّه بين أَيديهم ملآنَ براقِعَ وذَبلاً وفَتَخاً، وقد حلَف القومُ أَلَّا يعرِف رجلٌ شيئاً إلا رفعه. فلما نثر ما معه اسودّتْ وجوهُ جَرم وأمسكوا بأيديهم إمساكةً. فقالت قُشير: أَنتم تعرِفون ما كان بيننا أَمسِ من العهود والمواثيق وتحرُّج الأموال والأهل، فمن شاء أَن ينصرف إلى حرام فليمسك يده؛ فبسط كلُّ رجل يده إلى ما عرف فأخذه. وتفرَّقوا عن حرب؛ وقالوا: هذه مَكيدةٌ يا قُشير. فقال في ذلك يزيد بن الطَّثريّة:

فإن شئتَ يا مَيَّادُ زُرنا وزُرتُمُ ... ولم ننفَس الدنيا على من يُصيبُهَا
أيذهب مَيَّادٌ بألبابِ نِسوتي ... ونسوةُ مَيَّادٍ صحيحٌ قُلوبهَا

[الطويل]

وقال ميَّاد الجَرمِيّ:

لَعَمرُكَ إنّ جَمعَ بني قُشيرٍ ... لِجَرمٍ في يزيدَ لظالمونَا
أَليس الظلمُ أنّ أَباك مِنَّا ... وأنك فيَ كَتيبةِ آخرينا
أحالفةٌ عليك بنو قُشيرٍ ... يمينَ الصبرِ أَم مُتحَرِّجونَا

[الوافر]

أحب وحشية ومرض لبعدها:

قال: وبُلِي يزيدُ بعشق جاريةٍ من جَرم في ذلك اليوم يقال لها وَحشيَّة، وكانت من أَحسن النساء. ونافرتْهم جَرمٌ فلم يجد إليها سبيلاً، فصار من العشق إلى أَن أَشرف

(١) الارتياد: الطلب.
(٢) سُمُرة: شجرة من العضاة.
(٣) الظعْن: السير من مكان إلى آخر بحثاً عن الماء.

على الموت واشتدَّ به الجَهد؛ فجاء إلى ابن عمّ له يقال له خليفة بن بوزل، بعد اختلاف الأطبَّاء إليه ويأسِهم منه، فقال له: يا ابنَ عمّ، قد تَعلم أنَّه ليس إلى هذه المرأَة سبيل، وأنّ التعزِّي أَجمل، فما أَرَبُك في أَن تقتل نفسَك وتأثَم بربِّك! قال: وما هَمِّي يا ابنَ عَمّ بنفسي وما لي فيها أَمر ولا نهيٌ، ولا هَمِّي إلا نفسُ الجَرميَّة؛ فإن كنتَ تريد حياتي فأَرِنيها. قال: كيف الحيلة؟ قال: تحمِلني إليها. فحمله إليها وهو لايطمع في الجرميَّة، إلا أَنهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وَحشيَّة أَبَلّ قليلاً وراجعَ وطَمِع، وإذا أَيِس منها اشتدّ به الوجد. فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلَّل به اليمن، حتى إذا دخل في قبيلةٍ انتسب إلى أُخرى ويخبر أنه طالبُ حاجة. وأَبَلَّ حتى صلَح بعضَ الصَّلاح، وطَمِعَ فيه ابنُ عمه، وصارا بعد زمانٍ إلى حيّ وَحشيَّة فلقيا الرُّعيان وكَمَنا في جبل من الجبال. فجعل خليفةُ ينزل فيتعرّض لرُعيان الشَّاء فيسألهم عن راعي وحشيَّة، حتى لقي غلامَها وغنمَها؛ فواعدهم موعداً وسألهم ما حالُ وحشيَّة؟ فقال غلامها: هي واللَّه بشرٌ! لا حفِظ اللَّه بني قُشير ولا يوماً رأيناهم فيه! فما زالت عَليلةً منذ رأيناهم ـ وكان بها طَرَفٌ مما بابن الطَّثرية ـ فقال: وَيحك! فإنّ هاهنا إنساناً يُداويها، فلا تقل لأحدٍ غيرِها. قال: نعم إن شاء اللَّه تعالى. فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها. فقالت له: وَيحك! فجئ به. ثم إنه خرج فلقيه بالغد فأعلمه، وظلّ عنده يرعَى غنمَه، وتأخّر عن الشاء حتى تقدمتْه الشاء وجنَح الليلُ، وانحدر بين يديْ غَنمِه حتى أَراحها. ومشى فيها يريد حتى قَرُبَتْ من البيت على أَربع وتجلّل شَملةً سوداءَ بلون شاةٍ من الغنم؛ فصار إلى وَحشية، فسُرَّت به سروراً شديداً، وأدخلته سِتراً لها وجمعتْ عليه من الغد مَن تَثِق به من صواحِباتها وأترابها. وقد كان عَهِد إلى ابن عمه أَن يُقيم في الجبل ثلاثَ ليال، فإن لم يرَه فلينصرِف. فأقام يزيدُ عندها ثلاثَ ليال ورجع إلى أصحِّ ما كان عليه، ثم انصرف فصار إلى صاحبه. فقال: ما وراءك يا يزيد؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه. فقال:

لَوَ انّكَ شاهدتَ الصِّبا يا ابنَ بَوزَلٍ بفَرع الغَضى[1] إذا راجعتْني غَياطِلُهْ[2]
لشاهدت لهواً بعد شحطٍ من النَّوى على سَخَطِ الأعداء حُلواً شَمائلُهْ

(١) الغض: وادي بنجد.
(٢) الغياطل: مفردها غيطلة، وهي الظلمة المتراكمة.

صـــوت

ويـــومـــاً كـــإِبـــهـــامِ الـــقَـــطـــاة مُـــزَيَّـــنـــاً لِـــعـــيـــنـــي ضُـــحـــاهُ غـــالـــبـــاً لِـــيَ بـــاطـــلُـــهْ

[الطويل]

غنى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني، وروايته:

تُـشـاهـد لـهـواً بـعـد شـحـطٍ مـن الـنـوى

مُخارِقٌ ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش.

أَخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا عبد اللَّه بن عمرو قال: حدثني عليّ بن الصبَّاح قال:

قال أَبو محضة الأعرابيّ وأُنشِده هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثرية، فلمَّا بُلِغ إلى قوله:

بـنـفـسِـيَ مَـن لـو مَـرّ بَـردُ بَـنـانِـهِ عـلـى كَـبِـدي كـانـت شِـفـاءً أَنـامِـلُـهْ

ومَـن هـابـنـي فـي كـل أَمـرٍ وهِـبـتُـه فـلا هـو يُـعـطـيـنـي ولا أنـا سـائـلُـهْ

[الطويل]

طَرِب لذلك وقال: هذا واللَّه من مغنج الكلام.

كتب إلى وحشية شعراً فأجابته:

ونسختُ من كتاب الحسن بن عليّ: حدثنا عبد اللَّه بن عمرو قال: حدثني هشام بن محمد بن موسى قال: حدثنا عبد اللَّه بن إبراهيم الطائيّ قال: حدثني عبد اللَّه بن رَوح الغَنَويّ قال: حدثتني ظَبية بنت وزير الباهليَّة قالت:

كتب يزيد بن الطَّثريّة إلى وحشيَّة:

أُحِـبُّـكِ أَطـرافَ الـنـهـارِ بـشـاشـةً[1] وبـالـلـيـلِ يـدعـونـي الـهـوى فـأجِـيـبُ

لـئـن أصـبـحـتْ ريـحُ الـمـودّةِ بـيـنَـنـا شَـمـالاً لَـقِـدْمـاً كـنـتِ وهـي جَـنـوبُ

[الطويل]

فأجابته بقوله:

أُحِـبّـكَ حـبَّ الـيـأس إِن نـفـع الـحـيـا وإِن لـم يـكـن لـي مـن هـواك طـبـيـبُ

[الطويل]

(١) بشاشة: طلاقة الوجه.

أَخبرني يحيى بن عليّ إِجازةً عن حماد بن إِسحاق عن أَبيه قال: حدثني هانئ بن سعد:

أنّ ابن الطَّثريّة وابن بَوْزَل، وهو قَطَريّ بن بوزل، خرجا يسيران حتى نزلا برَملة حائل[١] بين قِفار المِلح؛ فقال يزيد لابن بوزل: اذهَب فاسقِ راحلتَك واسقِنا. فلمَّا جاوز أَوفى يزيدُ على أجرَع[٢]، فرأى أشباحاً فأتاها. فقيل له: هذه واللَّه فلانة وأهلها عجيبةٌ بها (أَي مُعجَبون بها). فأتاها فظَلّ عشيَّتَه وبات ليلتَه وأقام الغدَ حتى راح عَشِيّاً وقد لَقِيَ ابنُ بوزل كلَّ شرٍّ ومات غيظاً. فلما دنا منه قال:

لَوَ انّكَ شاهدتَ الصِّبا يا ابن بوزلٍ ... بجِزْع الغَضى إِذ راجعتْني غَياطِلُهْ
بأسفَلِ خَلِّ المِلح إِذ دَينُ ذِي الهَوى ... مُودَّى وإِذ خيرُ الوصال أَوائلُه
لشاهدْتَ يوماً بعد شَحطٍ[٣] من النَّوى ... وبعد تَنائي الدارِ حُلواً شَمائلُه

[الطويل]

ـ وقد رُوِي: ـ

وغَيمَ الصِّبا إِذ راجعتْني غَياطِلُهْ

فاخترط[٤] سيفَه ابنُ بَوزَل؛ وحاوَطه يزيد بعصَاه، ثم اعتذر إليه وأخبره خبرَه فقبِل منه. وقد روى هذه الأبياتَ أَبو عمرو الشيبانيّ وغيرُه فزاد فيها على إِسحاقَ هذه الأبيات:

أَلَا حَبَّذا عيناكِ يا أُمَّ شَنبَلٍ ... إِذا الكُحلُ في جَفنَيهما جال جائلُهْ
فَداكِ من الخُلَّانِ كلُّ مُمزِّجٍ[٥] ... تكون لأدنى مَن يُلاقي وسائلُه
فرُحنا تَلقَّانا به أُمُّ شنبَلٍ ... ضُحَيّاً وأبكتنا عَشِيّاً أصائلُه
وكنتُ كأنّي حينَ كان كلامُها ... وَداعاً وخَلَّى مَوثِقَ العهدِ حاملُهْ
رَهينٌ بنفسٍ لم تُفَكَّ كُبولُه[٦] ... عن الساقِ حتى جَرد السيفَ قاتلُه

(١) حائل: موضع لبني قشير في أرض اليمامة.
(٢) أجرع: الكثيب من الرمل والحجارة معاً.
(٣) شحْط: الاضطراب في الدم.
(٤) اخترط: استل سيفه ونزعه من غِمدِه.
(٥) مُمَزَّج: المخلط الكذاب والذي لا يثبت على خلقٍ واحد.
(٦) الكبول: القيود.

فقال دَعوني سَجدَتَينِ وأُرعِدَتْ حِذارَ الرَّدى أَحشاؤه ومَفاصِلُه
[الطويل]

بنو سدرة ويزيد بن الطثرية:

قال إِسحاق وقال أَبو عثمان سَعيد بن طارق:

نزلتْ ساريةٌ[١] من بني سِدرةَ على بني قُشير بمالهم؛ فجعلتْ فِتيانُ قُشير تترجّل وتتزيّن وتزور بيوتَ سِدرة. فاستَنْهَوهم[٢]؛ فقال يزيد بن الطَّثريّة: وما في هذا عليكم! زُورُوا بيوتنا كما نزور بيوتَكم، وقال:

دعوهنّ يَتبَعنَ الصِّبا وتبادلوا بِنا ليس بأسٌ بيننا بالتَّبادُلِ
[الطويل]

ثم إِنّ بني سِدرة قالوا لنسائهم: ويَحكنّ فضحتُنَّنا! نأتي نساءَ هؤلاء فلا نقدِر عليهنّ ويأتونكنّ فلا تَحتجِبنَ عنهم. فقالت كَهلةٌ منهنّ: مُرُوا نساءَكم يجتمعنَ إلى بيتي، فإذا جاءوا لم يجدوا امرأَة إِلا عندي، فإِنْ يزيدُ أَتاني لم يَعدُ في بيوتكم ففعلوا. فجاء يزيدُ فقال:

سلام عليكنّ الغَداةَ فما لنا إِليكنّ إِلا أن تَشَأْنَ سبيلُ
[الطويل]

فقالت الكهلةُ: ومن أَنت؟ فقال:

أَنا الهائم[٣] الصبُّ[٤] الذي قاده الهوى إليكِ فأَمسى في حبالِكِ مُسلَمَا
بَرَته دواعي الحبّ حتى تركْنَه سقيماً ولم يَترُكنَ لحماً ولا دَمَا
[الطويل]

فقالت: اختَرْ إِحدى ثلاثِ خِصال: إِمَّا أَن تمضي ثم ترجعَ علينا فإِنَّا نرقُب عيونَ الرجال فإنهم قد سَبُّونا فيك؛ وإِمَّا أَن تختار أَحَبَّنا إليك، وأن تطلب امرأَةً واحدةً خيرٌ من أَن يَشهَرَكَ الناسُ، ونسي الثالثة. فقال: سآخذ إِحداهن، فاختاري أَنت إِحدى ثلاثِ خصال. قالت: وما هنّ؟ قال: إِما أَن أحمِلَكِ على مَرضُوفٍ[٥] من أَمري فتركبيه، وإِما أن تحمِليني على مَشرُوج[٦] من أَمركِ فأركبه، وإِما أَن تَلُزّي بَكرِي بين

(١) سارية: الجماعة تسري.
(٢) استنهوه: نهوه عن فعله.
(٣) الهائم: متحير من الحب.
(٤) الصَّب: متشوق، رقيق الهوى.
(٥) مرضوف: المحمَّى.
(٦) مشروج: شرج الشيء أي شقَّه ومشروج تعني مشقوق.

قَلُوصيك. قالت: لو وقع بَكرُك بين قَلُوصي[١] لَطَمَرتا[٢] به طَمرةً يتطامن عنقُه منها. قال: كلَّا! إنه شديد الوَجِيف[٣]، عارِمُ الوَظيف، فغلَبها. فلما أَتاها القوم قالت لهم: إنه أَتاني رجلٌ لا تمتنع عليه امرأَةٌ. فإِمَّا أَن تُغمِضوا له، وإِما أَن تَرحَلوا عن مكانكم هذا؛ فرحَلوا وذهبوا. فقال حَكيم بن أَبي الخِلاف السِّدْريّ في قصيدة له يذكر أَنه إِنما ارتحلوا عنهم لأنهم آذوْهم بكثرة ما يصنعون بهم:

فكان الذي تُهدُون للجار منكم ... بخاتج[٤] حبَّاتٍ كثيراً سُعالُهَا

[الطويل]

يزيد بن الطثرية وأسماء الجعفرية:

قال إِسحاق فأخبرني الفَزارِيّ: أَنّ قوماً من بني نُمَير وقوماً من بني جَعفَر تزاوروا؛ فزار شُبَّانٌ من بني جعفر بيوتَ بني نُمَير، فقُبلوا وحُدِّثوا، وزار بنو نُمير بني جعفر فلم يُقبَلوا؛ فاستنجَدوا ابنَ الطثريّة فزار معهم بيوتَ بني جعفر، فأنشدهنّ وحدّثهنّ فأُعجِبنَ به واجتمعنَ إليه من البيوت. فتوعَّد بنو جعفر ابنَ الطثريَّة، فتَتاركوا وأمسك بعضُهم عن بعض. فأرسلتْ أَسماءُ الجَعفريّة إلى ابن الطثريّة أَن لا تَقطَعني، وإِن مُنِعتُ فإِنّي سأتخلّص إلى لقائك. فأنشأ يقول:

خَليلَيَّ بين المُنحَى من مُخمَرٍ ... وبين اللِّوى من عَرفَجاءَ[٥] المُقابِلِ

قِفا بين أَعناقِ اللِّوى لمُرَيّةٍ ... جَنوبٍ تُداوِي غُلَّ شَوقٍ مُماطل

لكَيما أَرى أَسماءَ أو لِتمسَّني ... رياحٌ برَيَّاها لِذاذُ الشَّمائل

لقد حادَلتْ[٦] أَسماءُ دونَك باللِّوى ... عيونَ العِدا سَقياً لها من مُحادِل

ودسَّت رسولاً أَنّ حَولِي عِصابةً ... هُمُ الحَربُ فاستبطن سلاحَ المُقاتِل

عشيَّةَ ما لي من نصيرٍ بأرضها ... سوى السيفِ ضَمَّتهُ إِليَّ حَمائلي

فيا أَيُّها الواشون بالغِشِّ بيننا ... فُرادى ومَثنى من عدوٍّ وعاذل[٧]

دَعُوهنّ يَتبَعنَ الهوى وتبادَلوا ... بنا، ليس بأسٌ بيننا بالتَّبادُل

تَرَوْا حين نأتيهنّ نحنُ وأَنتُمُ ... لِمَن وعلى مَن وَطأةُ المُتثاقِل

---

(١) قَلوص: الناقة الطويلة القوائم، خاصّ بالإناث.
(٢) طمر: دفن وخبَّأ.
(٣) الوجيف: سرعة السير.
(٤) البخاتج: مفردها بُختج، وهو ما عُصِرَ ثم طُبخ على النَّار.
(٥) عرفجاء: ماء لبني قشير.
(٦) حادل: راوغ.
(٧) عَاذِل: لائم.

ومَـن عُـرِّيـتْ لـلّـهـو قِـدْمـاً رِكـابُـه وشـاعـت قَـوافـي شـعـرِه فـي الـقـبـائـل
تُـبـرِّزْ وجـوهُ الـسـابـقـيـن ويَـخـتـلِـطْ عـلـى الـمُـقـرِفِ[١] الـكـافـي غـبـارُ الـقـنـابـل
فـإِن تـمـنَـوا أَسـمـاءَ أَو يَـكُ نَـفـعُـهـا لـكـم أَو تَـدِبُّـوا بـيـنـنـا بـالـغـوائـل[٢]
فـلـن تـمـنـعـونـي أن أُعـلِّـل صُـحـبـتـي عـلـى كـل شـيء مـن مـدى الـعـيـنِ قـابـل

[الطويل]

قال إِسحاق وحدثني أَبو زِياد الكِلابيّ:

أَن يزيد بن الطثرية كان شريفاً مِتلافاً[٣] يغشاه الدَّين؛ فإِذا أُخِذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَور؛ ثم إِنه كثُر عليه دَينٌ لمولًى لعُقبةَ بن شَريك الحَرَشيّ يقال له البربريّ فحبسه له عُقبة بالعَقيق من بلاد بني عُقيل، وعُقبةُ عليها يومئذٍ أَميرٌ. وقال المُفضَّل بن سَلَمة قال أَبو عمرو الشيبانيّ: كان يزيد قد هَرَب منه، فرجع إليه من حبِ أَسماء، وكانت جاغرةَ البربريّ، فأخذه البربريّ. ويقال: إِنه أَعطاه بعيراً من إِبل ثَور أَخيه. فقال يزيد في السجن:

قـضـى غُـرمـائـي حـبُّ أَسـمـاءَ بـعـد مـا تَـخـوّنـنـي ظـلـمٌ لـهـم وفـجـورُ
فـلـو قَـلَّ دَيـنُ الـبـربـريّ قـضـيـتُـه ولـكـنّ دَيـنَ الـبـربـريّ كـثـيـر
وكـنـتُ إِذا حَـلَّـتْ عـلـيّ ديـونُـهـم أُضُـمّ جَـنـاحـي مـنـهـم فـأطـيـر
عـلـيّ لـهـم فـي كـل شـهـرٍ أَدِيَّـةٌ[٤] ثـمـانـون وافٍ نَـقـدُهـا وجَـزور
نَـجـيءُ إِلـى ثَـورٍ فـفِـيـمَ رحـيـلُـنـا وثَـورٌ عـلـيـنـا فـي الـحـيـاة صَـبـور
أُشـدّ عـلـى ثَـورٍ وثـورٌ إِذا رأَى بـنـا خَـلَّـةً جَـزْلُ الـعِـطـاء غـفـور
فـذلـك دَأْبـي مـا بـقِـيـتُ ومـا مَـشـى لـثـوْرٍ عـلـى ظـهـر الـبـهـلاء بـعـيـر

[الطويل]

ويُروى: «فهذا له ما دمتُ حيّاً» ثم إِن عُقبة حَجّ على جمل له يقال له ابن الكُمَيت أَنجب ما ركب الناسُ، وثبت ابن الطثريّة في السجن حتى انصرف عُقبة بن شَريك من مكة، فأرسل ابنَ الكميت في مخاضه[٥] مستقبِلةَ الرَّبيع وهي حاضرة العقيق، تأكل الغَضى وتشرب بأَحسائه[٦]، وانحدر عقبة نحو اليمامة وعليها

(١) المقرِف؛ النذل.
(٢) الغوائل: الدواهي.
(٣) مِتلافاً: ذاهب بنفسه هلاك وتلفة.
(٤) أدّية: ما يؤديه الشخص.
(٥) مخاض: الناقة الحامل.
(٦) الأحساء: سهل من الأرض يجتمع فيه الماء مفردها الحسى.

المُهاجِر بن عبد اللَّه الكِلابيّ. فلمَّا ضاقت بابن الطثريّة المَخارِج قال له صاحبٌ له: لا أَعلم لك أنجى إن قَدَرتَ على الخروج من السجنِ إلا أن تركَب ابن الكُمَيت فيُنجيك نحو بلد من البلاد. فلم يزل حتى جعل للحَدّاد، على أَن يُرسله ليلةً إلى ابن عمه، جُعلا؛ فشكا إليه وَجدَه بها فأرسله. فمضى يزيد نحوَ الإِبل عشاءً فاحتكم ابنَ الكميت حتى جلس عليه فوجّهه قَصدَ اليمامة يريد عُقبةَ بن شَريك؛ وقال في طريقه:

لَعمريَ إن ابنَ الكُمَيتِ على الوَجَا[1] وسَيريَ خَمساً بعد خَمسٍ مُكمَّلُ
لَطَلقُ الهَوادي بالوَجيفِ إذا وَنى ذواتُ البَقايا والعَتيقُ الهَمَرجَل[2]

[الطويل]

فورد اليمامةَ فأناخ بابنِ الكميت على باب المهاجر، فكان أول مَن خرج عليه عُقبة بن شريك. فلما نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال: وَيحك! أيزيدُ أَنت؟ قال: نعم. وهذا ابن الكميت؟ قال: نعم. قال: ويحك! فما شأنك؟ قال: يا عقبة، فارّ منك إليك؛ وأَنشده قصيدتَه التي يقول فيها:

يا عُقب قد شَذِبَ اللِّحاءُ عن العصا عنّي وكنتُ مُؤزَّراً محمودَا
صِلْ لِي جَناحي واتَّخِذني عُدَّةً ترمي بيَ المُتعاشيَ الصِّنديدَا[3]

[الكامل]

فقال له عقبة ـ وكانت من خير فَعلةٍ علمناه فعَلها ـ: أُشهِدكم أَنّي قد أبرأته من دَين البربري وأن له ابنَ الكميت؛ وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله. وهذان البيتان من القصيدة التي أولها:

أمسى الشبابُ مودَّعاً محمودا

وهي من جيِّد شعره، يقول فيها:

ومُدِلَّةٍ عند التبذُّل[4] يَفتري منها الوِشاحُ[5] مُخصَّراً أُملودَا[6]

(١) الوجا: يقال وجأ البعير، إذا أصدر صوتاً من جراء ألم أصابه في بطنه.
(٢) الهمرجل: الجواد السريع، الناقة السريعة، وكل خفيف عَجِل.
(٣) الصنديد: الداهية، الغالب، وجمعها صناديد.
(٤) التبذُّل: ترك الزينة والإلتفات إلى المظهر.
(٥) الوشاح: كرسان من لؤلؤ ومرجان منظومان، يخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر، تشدّه المرأة بين عاتقها وكشحيها.
(٦) الأملود: الناعم الذي به عضاضة.

نازعتُها غُنمَ الصِّبا إن الصِّبا قد كان مني للكواعب عِيدا
يا للرِّجالِ وإنما يشكو الفتى مَرَّ الحوادث أو يكون جليدا[1]
بَكرتْ نَوارُ تَجُدُّ[2] باقيةَ القُوى يومَ الفِراق وتُخلِف الموعودا
ولرُبَّ أمرِ هَوًى يكون نَدامةً وسبيلِ مَكرَهةٍ يكون رشيدا

ثم قال يفخَر:

لا أتّقي حَسَكَ[3] الضغائنِ بالرُّقى[4] فِعلَ الذَّليلِ وإن بَقيتُ وحيدَا
لكنْ أُجرِّد للضغائن مثلَها حتى تموتَ وللحُقود حُقودَا

[الكامل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا عبد اللَّه بن عمرو بن أبي سعد قال: حدثنا عليّ بن الصبَّاح قال:

قال أَبو محضة الأعرابيّ وأُنشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطثريّة: هي واللَّه من مغنج الكلام:

بنَفسِيَ مَن لو مَرّ بَردُ بَنانِهِ على كبدي كانت شفاءً أنامِلُهْ
ومَن هابني في كلّ شيء وهِبتُه فلا هو يُعطيني ولا أَنا سائلُهْ

[الطويل]

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وَحشيَّةَ الجَرميَّة التي مضى ذكرها.

تبعه أعداء له فترك راحلته وفرّ:

أخبرني الحَرميّ بن أَبي العَلاء قال: حدثنا الزبير بن بَكَّار قال: حدثتني ظَبية قالت:

مرّ يزيد بن الطثريّة بأعداء له؛ فأرادوه وهو على راحلته فركَضها وركَضوا الإِبلَ على أثره؛ فخشي أن يُدركوه وكانت نفسُه عنده أوثقَ من الراحلة، فنزل فسبقهم عَدواً، وأدركوا الراحلة فعقروها. فقال في ذلك:

أَلا هل أَتى ليلى على نَأْيِ دارِها بأن لم أُقاتلْ يومَ صَخرٍ مُذَوِّدَا

(١) الجليد: ما يسقط من الندى على الأرض فيجمد وأراد بها العمود والصبر على الحوادث.
(٢) تجدُّ: يعمل ويحقِّق. (٣) حسك: الحقد وشدّة العداوة والبغضاء.
(٤) الرقى: مفردها رقية، وهي التعويذة.

وأنّـيَ أسـلـمـتُ الـرِّكـابَ فـعُـقِّـرتْ وقـد كـنـتُ مِـقـداماً بـسـيـفـيَ مُـفـردا
أثـرتُ فـلـم أسـطِـع قـتـالاً ولا تـرى أخـا شِـيـعـةٍ يـومـاً كـآخـر أوحـدا
فـهـل تَـصـرمَـنّ[١] الـغـانـيـاتُ مـودّتـي إِذا قـيـل قـد هـاب الـمـنـونَ فـعَـرَّدا[٢]

[الطويل]

هاجى فديكاً الجرميّ لأنه عذب وحشية بالنار ليصدّها عنه:

أَخبرني يحيى إجازةً عن حَمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه عن أَبي زِياد قال:

كان يزيد بن الطثريّة يتحدث إلى نساء فُدَيك بن حَنظلة الجَرميّ، ومنزلهما بالفَلج[٣]. فبلغ ذلك فُدَيكاً فشقّ عليه فزجَر نساءه عن ذلك، فأبَينَ إلا أَن يدخل عليهنّ يزيد. فدخل عليهنّ فُدَيك ذاتَ يوم وقد جمعهنّ جميعاً أَخَواتِه وبناتِ عمه وغيرَهن من حُرمَه، ثم قال لهنّ: قد بلغني أَنَّ يزيد دخل عليكنّ وقد نهيتُكنّ عنه، وإِن للَّه عليّ نَذراً واجباً ـ واختَرط سيفَه ـ إِن لم أضرب أعناقكنّ به. فلما ملأهنّ رُعباً ضرب عنق غلامٍ له مُوَلَّدٍ[٤] يقال له عِصام فقتله، ثم أنشأ يقول:

جـعـلـتُ عـصـامـاً عِـبـرةً حـيـن رابَـنـي أَنـاسِـيُّ مـن أَهـلـي مِـراضٌ قـلـوبُـهَـا

[الطويل]

ثم إِنّ فُدَيكاً رأى يزيدَ قائماً عند باب أهله، فظنّ أنه يُواعد بعض نسائه، فارتصده على طريقه وأمر بزُبيةٍ[٥] فحُفرتْ على الطريق ثم أَوقد فيها ناراً ليِّنة ثم اختبأ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما: تَبصَّرا هل تَرَيان أحداً؛ فلم يَلبَثا إِلّا قليلاً حتى خرجتْ بنت أَخي فُدَيك، وكان يقال لها وَحشيَّة، تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد؛ فأيقظه العبدان؛ ومضت حتى وقعت على الزُّبية فاحترق بعضُها، وأمر بها فأُخرجت، واحتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره. فقال فُدَيك:

شـفـى الـنـفـسَ مـن وَحـشـيَّـةَ الـيـومَ أَنّـهـا تَـهـادى وقـد كـانـت سـريـعـاً عَـنـيـقُـهَـا[٦]

(١) تصرَّمَ: تقطع.
(٢) عرَّد: هرب وفرَّ.
(٣) الفَلَج: موضع باليمامة لبني قشير وبني جعدة.
(٤) المُوَلَّد: المولود بين العرب.
(٥) زُبْيَة: الحفرة التي تحفر لاصطياد الأسد أو الذئب وتغطى عادة ببعض ورق الأشجار.
(٦) العنيق: السير السهل المنبسط.

فإلّا تدَع خَبطَ المَوارِدِ في الدُّجى تكُنْ قَمَناً[١] من غَشيةٍ لا تُفيقها
دواءُ طبيبٍ كان يعلم أنّه يُداوي المجانينَ المُخلَّى طريقُها
[الطويل]

فبلغ ذلك يزيدَ فقال:

ستَبرَأ من بعدِ الضمانةِ[٢] رجلُها وتأتي الذي تَهوى مُخلَّى طريقُهَا
عليّ هَدايا البُدنِ إن لم أُلاقِها وإن لم يكن إلا فُدَيكٌ يسوقها
يُحصِّنها منّي فديكٌ سَفاهةً وقد ذهبتْ فيها الكُباسُ[٣] وحُوقُها[٤]
تُذيقونها شيئاً من النار كلَّما رأتْ من بني كعبٍ غلاماً يَرُوقها
[الطويل]

قال: وإنما كانت وضعت رجلَها فأحرقتْها النار.

وقال يزيد أَيضاً:

يا سُخنةَ العين[٥] للجَرميّ إذ جمعتْ بيني وبين نَوارٍ وحشة الدارِ
خُبِّرتُهم عذَّبوا بالنار جارتَهم ومَن يُعذِّبُ غيرَ اللَّه بالنارِ
[البسيط]

فبلغ ذلك فُدَيكاً فقال:

أحالفةٌ عليك بنو قُشيرٍ يمينَ الصبرِ[٦] أم متحرِّجونَا

- ويروى: يمين اللَّه -.

فإن تَنكُل[٧] قُشَيرٌ تَقضِ جَرمٌ وتقضِ لها مع الشبه اليقينَا
أليس الجَورُ أنّ أَباك منَّا وأنك في قبيلةِ آخرينا
لَعمرُ اللَّهِ إنّ بني قُشَيرٍ لِجَرم في يزدَ لظالمونا
فإلّا يحلِفوا فعليك شَكلٌ ونَجرٌ[٨] ليس مما يعرفونا

(١) القَمَن: الخليق، الجدير.
(٢) الضمانة: العاهة والزمانة.
(٣) الكُباس: الكمرة الضخمة الكبيرة.
(٤) الحوق: ما استدار من الحروف. حاق يحوق حوقاً.
(٥) سخونة العين: تسخن العين من شدة البكاء وأراد بها نقيض قرارة العين.
(٦) يمين الصبر: يمين يحلفها المرء ويلتزم بها ويحبس عليها حتى يحلف بها.
(٧) تنكل: تجبن وتنكص.
(٨) نجر: فيه كل لون من الأخلاق ولا يثبت على خلق واحد.

وأعـرِفُ فـيـك سِـيـمـا آلِ صَـقـرٍ ومِـشـيـتَـهـم إذا يـتـخـيَّـلـونـا

[الوافر]

قال: وكانت جَرْمٌ تدَّعيه، وقُشَيرٌ تدَّعيه؛ فأراد أَن يُخبر أنه دَعِيّ.

وقال فُدَيك بن حَنظلة يهجوه:

وإنَّـا لـسـيَّـارون[١] بـالـسُّـنَّـة الـتـي أُحِـلَّـتْ وفـيـنـا جَـفـوةٌ حـيـن نُـظـلَـمُ
ومـنَّـا الـذي لاقـتْـه أُمُّـك خـالـيـاً فـلـم تـدرِ مـا أيّ الـشـهـورِ الـمـحـرَّمُ

[الطويل]

فقال يزيد يهجو فُدَيكاً:

أَنـعَـتُ عَـيـراً[٢] مـن عُـيُـورِ الـقَـهـرِ أَقْـمَـرَ مـن شـرِّ حَـمِـيـرٍ قُـمْـرِ
صـبّـح أَبـيـاتَ فُـدَيـكٍ يـجـرِي مـنـزلـةَ الـلُّـؤمِ ودارَ الـغَـدر
فـلَـقِـيـتْـهُ عـنـد بـابِ الـعَـقـرِ[٣] يَـنـشِـطُـهـا والـدِّرعُ عـنـد الـصَّـدر
نَـشـطَـكَ بـالـدَّلـوِ قَـراحَ الـجَـفـر[٤]

[الرجز]

حاور حسناء عرفته من حديثه:

أَخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً عن حَمَّاد بن إسحاق عن أَبيه قال: حدثنا أَبو الحارث هانئ بن سعد الخَفاجيّ قال:

ذُكرت ليزيد بن الطثَّريّة امرأَةٌ حَدَثَةٌ جميلةٌ؛ فخرج حتى يَدفَعَ إليها، فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدثان، فسلّم عليهم؛ فأَوجستْ أنه يزيد ولم تتثَبَّتْ، ورأتْ عليه مَسحة. فقالت: أَيُّ ريح جاءت بك يا رجل؟ قال: الجَنوبُ. قالت: فأيّ طير جرتْ لك الغَداة؟ قال: عنزٌ وزَنِمةٌ[٥] رأيتُها يُداوِرُها ثَعلَبانِ؛ فانقضَّ عليها سِرحانٌ[٦] فراغ الثعلبانِ. قال: فطَفَرتْ وراء سِترها، وعرفتْ أَنه يزيد.

ذهب معه قطريّ لرؤية نساء يحتجبن عنه:

قال إِسحاق وحدثني عَطَرَّد قال:

---

(١) سيَّارون: جماعة منهم عمر بن زيد السيَّاري.
(٢) العَير: الحمار، وغلب على الوحشي منه.
(٣) العَقْر: موضع قرب الكوفة.
(٤) الجفر: البئر.
(٥) زنِمَة: يقال عنز زنمة أي مُتدلية لحم العنق.
(٦) سِرحان: اسم من أسماء الذئب.

قال قَطَرِيّ بن بَوزَل ليزيد بن الطثَّريّة: انطلِقْ معى إلى فلانة وفلانة فإنهنّ يَبرُزنَ لك ويستترنَ عنّي، عسى أَن أراهنّ اليوم على وجهك. فذهب به معه، فخرج عليهما النِّسوةُ وظَلَّا يتحدّثان عندهن حتى تَرَوّحا. وقال يزيد في ذلك:

عـلـى قَـطـرِيٍّ نـعـمـةٌ إن جـزى بـهـا يـزيـدَ وإلَّا يَـجـزِهِ الـلَّـهُ لـي أجـرَا
دنـوتُ بـه حـتـى رَمـى الـوحـشَ بـعـدمـا رأَى قَـطَـرِيٌّ مـن أَوائـلـهـا نَـفـرَا

[الطويل]

قصته مع رجل من صداء:

أَخبرنا يحيى إِجازةً عن حَمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه عن عَطرَّد قال:

نزل نَفرٌ من صُداءَ بناحية العَقيق، وهو منزلُ ابن الطثريَّة، نصفَ النهار فلم يأتهم أَحد، فأبصرهم ابن الطثريّة فمرّ عليهم وهو منصرفٌ وليسوا قريباً من أهله. فلما رآهمُ مُرمِلِين[١] أَنفذ إليهم هديّةً ومضى على حِياله[٢] ولم يراجعهم. فسألوا عنه بعدُ حتى عرفوه، فَحَلا عندهم وأَعجبهم. ثم إِنّ فتًى منهم وادَّه فآخاه فأهدى له بُرداً وجُبَّة ونَعلَين. ثم أغار المقدَّمُ بن عمرو بن هَمَّام بن مُطرِّف بن الأعلم بن رَبيعة بن عُقيل على ناس من خَثعَم[٣]. وفي ذلك يقول الشاعر:

مُـغـار ابـن هَـمَّـام عـلـى حَـيّ خَـثْـعَـمـا

فأخذ منهم إِبلاً ورَقيقاً، وكانت فيهنّ جاريةٌ من حِسان الوجوه، وكان يهواها الذي آخر يزيدَ، فأصابه عليها بلاءٌ عظيم حتى نحِل جسمُه وتغيّرتْ حالُه؛ فأقبل الفتى حتى نزل العقيقَ متنكِّراً؛ فشكا إلى يزيد ما أصابه في تلك الجارية. فقال: أفيك خير؟ قال: نعم. قال: فإِني أدفعها إليك. فَخبَأه في عَريشٍ له أَياماً حتى خَطِف الجاريةَ فدفعها إليه. فبعث إليها قَطَرِيَّ بن بَوزَل، فاعترض لها بين أهلها بين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وَطَّن له ناقةً مُفاجّةً[٤] فقال: النَّجاةُ فإِنك لن تُصبِح حتى تخرجَ من بلاد قُشير وتصيرَ إلى دار نَهْد فقد نجوتَ؛ وأنا أُخفي أثرَك فعفَّى أثرَه، وقال لابنة خمَّار كان يشرب عندها: اسحبي ذيلَكِ على أثره ففعلتْ. ثم بُحِث على ذلك حتى قيل: قد كان قَطَرِيٌّ أحدثَ الناسِ بها عهداً؛ فاستُعدِيَ عليه فظُفر بيزيد فأُخِذ مكانَه فحُبِس بحُجر، حبسه المُهاجِر. ففي ذلك يقول يزيد:

---

(١) مُرملين: نفذ طعامهم وشرابهم.
(٢) حِياله: في معزِهِ وقطيعه.
(٣) خثعم: قبيلة من مَعَد.
(٤) مفَّاجة: تفرِّج بين رجليها أثناء سيرها.

أَلا لا أُبـالـي إِن نـجـا لـي ابْـنُ بَـوزلٍ ... ثَـوائـي[١] وتـقـيـيـدي بـحُـجـرٍ لـيـاليـا
إِذا حُـمَّ أمـرٌ فـهـو لا بـدَّ واقـعٌ ... لـه لا أُبـالـي مـا عـلـيّ ولا لِـيـا
هـو الـعـسَـلُ الـمـاذي[٢] طـوراً وتـارةً ... هـو الـسـمُّ والـذّيـفـان[٣] والـلَّـيـث عـاديـا

[الطويل]

نحر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبه:

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب عن محمد بن سَلَّام الجُمَحيّ قال: حدثني أَبو الغرّاف قال:

كان يزيد بن الطثريّة صاحب غَزَلٍ ومُحادثةٍ للنساء، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلِّهم شعراً، وكان أَخوه ثَورٌ سيِّداً كثيرَ المال والنخل والرَّقيق، وكان متنسِّكاً كثير الحجّ والصَّدَقة كثيرَ المُلازمة لإبله ونخله، فلا يكاد يُلِمُّ بالحيّ إلا الفَلتة[٤] والوَقعة[٥]، وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِّعاء على أَخيه يزيد بن الطثريّة فتُسقى على عَينه. فبينا يزيدُ مارٌّ في الإبل وقد صدَر عن الماء إذ مرّ بخِباءٍ فيه نسوةٌ من الحاضر؛ فلما رأينَه قلن: يا يزيد، أطعِمنا لحماً. فقال: أعطِينني سِكِّيناً فأعطينه، ونحرَ لهنّ ناقةً من إبل أخيه. وبلغ الخبرُ أخاه؛ فلما جاءه أخذ بشَعره وفسَّقه وشتَمه. فأنشأ يزيد يقول:

يـا ثَـورُ لا تـشـتُـمَـنْ عِـرضـي فـداك أبـي ... فـإِنـمـا الـشـتـمُ لـلـقـوم الـعَـواويـرِ[٦]
مـا عَـقـرُ نـابٍ لأمـثـال الـدُّمـى خُـرُدٍ[٧] ... عِـيـنٍ[٨] كِـرامٍ وأَبـكـارٍ مَـعـاصِـيـر[٩]
عَـطَـفَـن حَـولِـيَ يـسـألـنَ الـقِـرى أُصُـلاً ... ولـيـس يَـرضَـيـنَ مـنـي بـالـمَـعـاذيـر
هَـبـهُـنّ ضـيـفـاً عَـراكـم بـعـد هَـجـعـتِـكـم ... في قِطقِطٍ[١٠] من سَقيطِ[١١] الليل منثور
ولـيـس قُـرَبـكـمُ شـاءٌ ولا لـبـنٌ ... أيـرحَـلُ الـضـيـفُ عـنـكـم غـيـرَ مـجـبـورِ

(١) الثواء: الرَّمي.
(٢) الماذيّ: العسل الأبيض.
(٣) الذّيفان: السم القاتل.
(٤) الفلتة: الفجأة من غير تردد وتدبُّر.
(٥) الوَقعة: الصدمة بعد الصدمة في الحرب.
(٦) العواوير: الجبناء.
(٧) خُرد: جمع خريدة، وهي البكر الحيية التي لم تُمس.
(٨) عين: جمع عيناء، وهي.
(٩) معاصير: مفردها معصر، وهي الجارية التي بلغت سن الشباب.
(١٠) القطقط: المطر المتتابع العَظيم القطر.
(١١) السقيط: ما يتساقط من السماء كالمطر والندى والثلج.

مـا خـيـرُ واردةٍ لـلـمـاء صـادرةٍ لا تنجلي عن عَقيرِ[١] الرِّجل منحور[٢]

[البسيط]

أحب امرأة وعلم أن سبعة يحبونها:

أَخبرني أَبو خليفة قال قال ابن سلَّام:

كان يزيد بن الطثريّة يتحدث إلى امرأَة ويُعجَب بها. فبينما هو عندها إِذ حدث لها شابٌّ سواه قد طلع عليه، ثم جاء آخرُ ثم آخر، فلم يزالوا كذلك حتى تَمُّوا سبعةً وهو الثامن؛ فقال:

أرى سبعةً يَسعونَ للوصلِ كلُّهم له عند ليلى دِينةٌ يستدينُهَا
فألقيتُ سهمي وسطَهم حين أَوخَشوا[٣] فما صار لي من ذاك إِلّا ثَمينُها
وكنتُ عَزُوفَ النَّفسِ أَشنأ أن أرى على الشِّرك من وَرْهاء[٤] طَوعٌ قَرينُها
فيوماً تراها بالعهود وَفِيَّةً ويوماً على دِين ابن خاقانَ دينُها
يداً بيدٍ مَن جاء بالعين منهمُ ومَن لم يجئ بالعين حِيزَت رُهونُها

[الطويل]

وقال فيها وقد صارمَها:

أَلا بِأبي مَن قد بَرى الجسمَ حُبُّهُ ومَن هو مومقٌ[٥] إليّ حبيبُ
ومن هو لا يزداد إِلا تشوُّقاً وليس يُرى إِلّا عليه رقيب
وإِني وإِن أَحموا[٦] عليَّ كلامَها وحالت أعادٍ دونها وحُروب
لَمُثنٍ على ليلى ثناءً يزيدها قَوافٍ بأفواه الرُّواةِ تطيبُ
أليلى احذَري نَقضَ القُوى لا يزَلْ لنا على النأْيِ والهِجرانِ منكِ نصيب
وكُوني على الواشين لَدّاءَ شَغبَةً كما أنا للواشي ألدُّ شَغوب
فإِنْ خِفتِ أَلّا تُحكِمي مِرَّةَ القُوى فرُدّي فؤادي والمَزارُ قريب

[الطويل]

أَخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حدثنا عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعيّ

(١) عقير: الذي لا يولد له.
(٢) منحور: مطعون حيث يبدو الحلقوم على الصدر.
(٣) أوخش: صار رذيلاً.
(٤) ورهاء: حمقاء.
(٥) مومق: ومقه أحبَّه، ومومق تعني محبوب.
(٦) أحمى: حرَّم ومنع.

عن عمه عن رجل من بني عامر ثم من بني خَفاجةَ قال:

إستعدتَ جَرْمٌ على ابن الطثريَّة في وحشيَّة (امرأَةٍ منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثَور أَخي يزيد بن الطثريَّة وأمره بأدبه، فجعل عقوبتَه حَلق لِمّته فحلَقها، فقال يزيد:

أقـول لِـثـورٍ وهـو يَـحـلِـقُ لِـمّـتـي بـحـجـنـاءَ[١] مـردودٍ عـلـيـهـا نِـصـابُـهَـا

ـ قال عبد الرحمٰن: كان عمي يحتجّ في تأنيث المُوسى بهذا البيت ـ:

تَـرفّـق بـهـا يـا ثـورُ لـيـس ثـوابُـهـا بـهـذا ولـكـن غـيـرُ هـذا ثـوابُـهَـا
أَلَا ربَّـمـا يـا ثَـورُ قـد غَـلّ وَسـطَـهـا أَنـامِـلُ رَخـصـاتٌ حـديـثٌ خِـضـابُـهـا
وتَـسـلُـك مِـدرَى[٢] الـعـاج فـي مُـدلَـهِـمَّـةٍ إذا لـم تُـفـرَّجْ مـات غَـمّـاً صُـؤابُـهـا
فـراح بـهـا ثَـورق تَـرِفٌ[٣] كـأنـهـا سـلاسـلُ دِرع خِـيـرُهـا[٤] وانـسـكـابُـهـا
مُـنـعَّـمـةٌ كـالـشَّـريَـةِ[٥] الـفَـردِ حـادَهـا نِـجـاءُ[٦] الـثُّـرَيَّـا هَـطـلُـهـا وذِهـابُـهـا
فـأصـبـح رأسـي كـالـصُّـخَـيـرة أَشـرفـتْ عـلـيـهـا عُـقـابَ ثـم طـارت عُـقـابُـهَـا

[الطويل]

أخبار من حلقت رؤوسهم:

ونظير هذا الخبر أخبار مَن حُلِقتْ جُمَّتُه فرثاها، وليس من هذا الباب، ولكن يُذكر الشيء بمثله:

أَخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: أَخبرني عبد الرحمٰن عن عمه قال:

شَرِب طُخَيمٌ الأسديّ بالحِيرة، فأخذه العبَّاس بن مَعبَد المُرِّيّ، وكان على شُرَط يوسف بن عمر، فحلَق رأسَه؛ فقال:

وبِـالـحـيـرةِ الـبَـيـضـاء شَـيـخٌ مُـسـلَّـطٌ إذا حـلَـف الأيـمـانَ بـالـلَّـه بَـرّتِ

---

(١) حجناء: فرس معاوية البكائي.
(٢) مِدرى: ما يعمل من حديد أو خشب يشبه سن من أسنان المشط يسرج به الشعر ويستعمل بديلاً عن المشط.
(٣) تَرِفٌ: تبرق وتتلألأ.
(٤) الخِير: الهيئة والشكل.
(٥) الشَّريَّة: شجرة الحنظل شبهت الفم بها لحسنها لأنها جعدة.
(٦) نِجاء: جمع نجو، وهو السحاب الذي أهطل ماؤه.

لـقـد حـلَـقـوا مـنَّـا غُـدافـاً[١] كـأنـهـا عـنـاقـيـدُ كَـرمٍ أيـنـعـتْ فـاسـبـطَـرَّت[٢]
يَـظـلّ الـعـذارى حـيـن تُـحـلَـقُ لِـمَّـتـي عـلـى عَـجَـلٍ يَـلـقُـطـنَـهـا حـيـن جُـزّت
[الطويل]

أخبرني محمد عن عبد الرحمٰن عن عمه عن بعض بني كِلاب قال:

أُخِذَ فتًى منَّا مع بعض فَتياتِ الحيّ، فحُلِق رأسُه فقال:

يـا لِـمَّـتـي[٣] ولـقـد خُـلـقـتِ جَـمـيـلـةً وكـرُمـتِ حـيـن أصـابـكِ الـجَـلَـمـانِ[٤]
أمـسـتْ تَـروق الـنـاظـريـن وأصـبـحـتْ قَـصـصـاً[٥] تـكـون فـواصـلَ الـمَـرجـانِ
[الكامل]

شعره في أخيه ثور:

أخبرني وَكيع قال: حدّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأعلى قال: حدثنا أَبو مُحلِّم قال:

كان ليزيد بن الطثريّة أخٌ يقال له ثَور أَكبرُ منه، فكان يزيد يُغير على ماله ويُتلفه، فيتحمّله ثَور لمحبته إياه. فقال يزيد في ذلك:

نُـغـيـرُ عـلـى ثَـورٍ وثـورٌ يَـسُـرُّنـا وثـورٌ عـلـيـنـا فـي الـحـيـاة صَـبـورُ
وذلـك دَأبِـي مـا حَـيِـيـتُ ومـا مـشـى لـثـورٍ عـلـى عَـفـرِ الـتـراب بـعـيـرُ
[الطويل]

مقتل يزيد وما رثاه به الشعراء:

وقُتل يزيد بن الطثريّة في خلافة بني العباس، قتلتْه بنو حَنيفة.

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أبو سعيد السُّكريّ عن محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابي عن المُفضَّل بن سَلَمة عن أبي عُبيدة وابن الكلبيّ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن حَمَّاد بن إِسحاق عن أبيه عن أَبي الجَرَّاح العُقَيليّ قال:

أغارت بنو حَنيفة على طائفة من بني عُقيل ومعهم رجلٌ من بني قُشير جارٌ لهم؛

---

(١) الغُداف: جمعها غُدفان، النّسر الكثير الريش أو هو الغراب.
(٢) اسبطرَّت: طالت.
(٣) اللِمَّة: هي الشعر المجاوز شحمة الأذن.
(٤) الجَلَمَانِ: مفردها الجَلَم: آلة كالمقصّ لجزّ الشّعر والصوف.
(٥) القصص: القصاصة ما قص من الشعر.

فقُتل القُشيريّ ورجلٌ من بني عُقيل واطّردت إبلٌ من العُقيليين؛ فأتى الصريخُ عُقيلاً فلحقوا القومَ فقاتلوهم فقتلوا من بني حَنيفةَ رجلاً وعقَروا أفراساً ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا، فلبِثوا سنة. ثم إن عُقيلاً انحدرتْ منتجعةً[١] من بلادها إلى بلاد بني تَميم، فذُكِر لحنيفةَ وهم بالكوكبةِ[٢] والقيضاف[٣]، فغزتهم حَنيفةُ، وحَذِر العُقَيليّون وأتتهم النُّذُرُ من نُمير فانكشفوا فلم يقدِروا عليهم؛ فبلغ ذلك من بني عُقيل وتلهَّفوا على بني حنيفة، فجمعوا جمعاً ليَغزُوا حنيفة، ثم تشاوروا. فقال بعضهم: لا تغزوا قوماً في منازلهم ودُورهم فيتحصَّنوا دونكم ويمتنعوا منكم، ولا نأمن أن يفضحوكم، فأقاموا بالعقيق. وجاءت حنيفةُ غازيةً كَعباً لا تتعدَّاها حتى وقعت بالفلَج، فتطاير الناسُ، ورأسُ حَنيفة يومئذٍ المُندلِفُ، وجاء صَريخ كَعب إلى أبي لطيفة بنِ مُسلم العقَيليّ وهو بالعقيق أميرٌ عليها؛ فضاق بالرسول ذَرعاً وأتاه هولٌ شديد، فأرسل في عُقَيل يستمدّها؛ فأتته ربيعةُ بن عُقيل وقُشير بن كعب والجَريشُ بن كعب وأَفناءُ[٤] خَفاجةَ، وجاش[٥] إليه الناس؛ فقال: إني قد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجيء ونعلمَ ما تُشير به. قال أَبو الجرّاح: فأصبح صُبح ثالثةٍ على فرس له يَهتِف: أعزّ اللَّه نصرَكم وأمتعَنا بكم! إنصرِفوا راشدين فلم يكن بأسٌ؛ فانصرف الناسُ؛ وصار في بني عمِّه ورَهطِه دِينةً. وإنما فعل ذلك لتكون له السُّمعةُ والذِّكر. فكان فيمن سار معه القُحَيف بن خُمَير ويزيد بن الطثريّة الشاعران؛ فساروا حتى واجهوا القومَ، فواقعوهم فقتلوا المُندلِف، رَمَوه في عينه، وسَبَوْا وأسَروا ومثَّلوا بهم وقطعوا أيدي اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليمامة وصنعوا ما أرادوا. ولم يُقتل ممن كان مع أَبي لَطيفةَ غيرُ يزيدَ بن الطثريّة، نَشِب ثوبُه في جِذْلٍ[٦] من عُشَرَةٍ[٧] فانقلب، وخبَطه القومُ فقُتل. فقال القُحَيف يرثيه:

أَلَا تَبكي سَراةُ بني قُشيرٍ ... على صِنديدِها وعلى فَتاهَا

(١) منتجعة: طالبة الكلأ والمرعى.
(٢) الكوكبة: قلعة مطلَّة على طبريَّة.
(٣) القيضاف: آكام صِغار يسيل الماء من بينها.
(٤) أفناء: أنحاء.
(٥) جاش: سار ليلاً.
(٦) الجِذل: أصل الشجرة.
(٧) عُشَرَة: شجرة كبيرة وضخمة صمغها حلو وورقها عريض.

فإن يُقتَل يزيدُ فقد قتَلنا سَراتَهُمُ[١] الكهولَ على لِحاها
أَبا المَكشوحِ بَعدَك مَن يُحامي ومَن يُزجي المَطِيَّ على وَجاها
[الوافر]

وقال القُحَيف أَيضاً يرثيه:

إن تقتُلوا منَّا شهيداً صابرَا فقد تركنا منكمُ مَجازِرَا
عشرين لمَّا يدخُلوا المقابرا قَتلى أُصيبتْ قَعَصاً[٢] نَحائرَا[٣]
نعجاً تَرى أرجُلَها شَواغِرَا[٤]
[الرجز]

وهذه من رواية ابن حبيب وحدَه. وقال القُحَيف أيضاً ولم يَروِها إلَّا ابن حبيب:

يا عينُ بَكِّي هَمَلاً[٥] على هَمَلْ على يزيد ويزيدَ بنِ حَمَلْ
قَتَّال أبطالٍ وجَرَّار حُللْ
[الرجز]

قال: ويزيد بن حَمَل قُشيريّ قُتل يومئذٍ أيضاً. وقالت زينب بنت الطثريّة ترثي أخاها يزيد ـ وعن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ الأبيات لأُمّ يزيد، قال: وهي من الأزد. ويقال: إنها لوحشيَّة الجَرميَّة ـ:

أرى الأثلَ من بطن العقيق مُجاوِري مُقيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ
فتًى قُدَّ قَدَّ السيفِ لا مُتضائلٌ ولا رَهِلٌ لَبَّاتُه وبآدِلُه[٦]
فتًى لا ترى قَدَّ القميص بخَصرِه ولكنما تُوهي القميصَ كواهلُه
إذا نزل الضِّيفانُ كان عَذوَّرا[٧] على الحيّ حتى تَستقلَّ مَراجِلُه[٨]
يَسرُّك مظلوماً ويُرضيك ظالماً وكلُّ الذي حَمَّلتَه فهو حامِلُه
إذا جَدّ عند الجِدّ أرضاك جِدُّه وذو باطلٍ إن شئتَ أَلهاكَ باطلُه

(١) السَرَارة: بلسم جمع، جمع سروات وهي سريّة وهو سري أي ذو الشرف والمروءة.
(٢) القَصَع: ابتلاع جرع الماء. (٣) النحائر: مفردها نحر، وهو الصدر.
(٤) الشواغر: المرفوعات، العاليات.
(٥) همل: يقال هَمَلَتْ عينه أي فاضت بالدموع.
(٦) بادِل: اللحمة بين العنق والترقوة.
(٧) العَذُور: الرجل السيّئ الخلق والقليل الصبر عمّا يريده وما يهتم به.
(٨) المراجل: مفردها مرجل، وهو القِدر.

إذا الـقـومُ أَمُّـوا بـيـتَـه فـهـو عـامِـدٌ لأفـضـلِ مـا أَمُّـوا لـه فـهـو فـاعِـلُـه
مـضـى وورِثـنـاه دَرِيـس[١] مُـفـاضَـةٍ[٢] وأبـيـضَ هِـنـدِيّـاً طـويـلاً حـمـائـلُـهْ
وقد كان يَحمي المَحجِرين[٣] بسيفه ويـبـلـغُ أَقـصـى حَـجـرةِ الـحـيِّ نـائـلُـه
فـتًـى لـيـس لابـن الـعـم كـالـذئـب إن رأى بـصـاحـبـه يـومـاً دمـاً فـهـو آكِـلُـه
سـيـبـكـيـه مـولاه إذا مـا تـرفَّـعـت عـن الـسـاق عـنـد الـرَّوع يـومـاً ذَلاذِلُـه[٤]

[الطويل]

الذُّلذُل: هُدْب الثياب.

وقد أخبرنا الحرميّ عن الزبير عن عمر بن إبراهيم السعديّ عن عباس بن عبد الصمد قال:

قال هشام بن عبد الملك للعُجَير السلُوليّ: أصدقتَ فيما قلتَ في ابن عمك؟ قال: نعم يا أَمير المؤمنين، ألا إنّي قلتُ:

فـتًـى قُـدّ قَـدّ الـسـيـفِ لا مـتـضـائـلٌ ولا رَهِـلٌ لَـبَّـاتُـه وأَبـاجِـلُـه[٥]

[الطويل]

فذكر هذا البيت وحده ونسبه إلى العُجَير السلُوليّ من الأبيات المنسوبة إلى أخت يزيد بن الطثريّة أو إلى أمه وأتى بأبياتٍ أخَر ليست منها، وسيُذكر ذلك في أخبار العُجَير مشروحاً إن شاء اللَّه تعالى.

ومما يُغنّى فيه من شعر يزيد بن الطثريّة قولُه:

صـوت

بـنـفـسـيَ مَـن لا بـدّ أنّـيَ هـاجِـرُهْ ومـن أنـا فـي الـمـيـسـور والـعُـسْـرِ ذاكِـرُهْ
ومـن قـد رمـاه الـنـاسُ بـي فـاتَّـقـاهـمُ بـبـغـضـيَ إلّا مـا تُـجـنُّ ضـمـائـرُهْ

عروضُه من الطويل. غنى في هذين البيتين عبد اللَّه بن العباس الرَّبيعيّ لحناً من خفيف الثقيل بالبنصر. وغنَّت فيه عَريبُ وفي أبيات أضافتها إليها لحناً من خفيف

(١) دريس: الشيء الخلق يسمى دريساً كالدروع وغيرها.
(٢) المفاضة: الدرع الواسعة.
(٣) المحجر: ما يكون في حجر القوم أي ما يمنعه القوم.
(٤) الذلاذل: مفردها ذلذل، أسافل القميص الطويل.
(٥) الأباجل: مفردها أبجل، وهو عِرق غليظ بارز في الرجل.

الثقيل الأول آخَرَ. وغنَّت عُلَيَّةُ بنت المهديّ فيها خفيفَ رَمَلٍ. وذكر الهِشاميّ أن لإبراهيم فيها لحناً ماخُورِيّاً. والأبياتُ المُضافةُ:

بنفسيَ من لا أخبِرُ الناسَ باسمه ... وإن حَمَلَتْ حِقداً عليّ عشائرُهْ
بأهلي ومالي من جلَبتُ له الأذى ... ومَن ذكره منّي قريبٌ أسامرُه
ومَن لو جرت شَحناءُ بيني وبينه ... وحاوَرَني لم أدرِ كيف أُحاوِرُه

[الطويل]

صوت

من المائة المختارة

شأتْكَ المنازلُ بالأبرَقِ ... دوارسَ كالعين في المُهرَقِ
لآلِ جَميلةَ قد أَخلَقتْ ... ومهما يَطُل عهدُه يُخلِق
فإن يقُلِ الناسُ لي عاشِقٌ ... فأين الذي هو لم يَعشَق
ولم يَبكِ نُوْياً على عَبرةٍ ... بداء الصبابة والمَعلَق

[المتقارب]

شأتْك: بعُدتْ عنك. والشأو: البعد. يقال: جرى الفرسُ شَأواً، يريد طَلَقاً. والمُهرَق: الصحيفة، والجمع المَهارق. يريد أنّ الدار قد بَقِيتْ منها طرائقُ كالصّحف وما فيها.

الشعر للأحوص: والغناءُ لجميلة، ولحنُها المختار خفيفُ رملٍ بالوسطى عن إسحاق. وفيه لعَطَرَّد ثقيلٌ أولُ بالخنصر في مجرى الوسطى. وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ عن حَبَش. وفيه رمل يقال: إنه لفريدة، ويقال: إنه لمالك. وقيل: إن الثقيلَ الأول لابن عائشة. وذكر عمرو بن بانة أن خفيف الرمل لعَطَرَّد أيضاً.

ذكر جميلة وأخبارها

هي جميلة مولاةُ بني سُلَيم ثم مولاةُ بطن منهم يقال لهم بنو بَهز، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخَزرج، وكانت تنزِل فيهم، فغلَب عليها ولاءُ زوجها، فقيل: إنها مولاة للأنصار، تَنزِل بالسُّنح وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصِّدّيق؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زِياد الأنصاري الأمَويّ السَّعيدي. وذكر عبد العزيز بن عِمران أنها مولاةٌ للحجَّاج بن عِلاط السُّلَميّ. وهي أصل من أصول الغناء، وعنها أخذ معبدٌ وابن عائشة وحَبابةُ وسَلَّامة وعقيلة العَقيقية والشَّماسِيَّتان خُلَيدة ورُبَيحة. وفيها يقول عبد الرحمٰن بن أَرْطاة:

صـــوت

إنّ الـــدَّلال وحـــســـنَ الـــغـــنـــاء ... وَســـطَ بـــيـــوت بـــنـــي الـــخَـــزرجِ
وتـــلـــكـــم جـــمـــيـــلـــةُ زيـــنُ الـــنـــســـاء ... إذا هـــي تَـــزدان لـــلـــمَـــخـــرَج
إذا جـــثـــتَـــهـــا بـــذَلـــتْ وُدَّهـــا ... بـــوجـــه مُـــنـــيـــرٍ لـــهـــا أَبـــلْ

[المتقارب]

الشعر لعبد الرحمٰن بن أَرطاة. والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أول مطلق في مجرى الوسطى، ويقال: فيه للدَّلال وجَميلة لحنانِ.

كانت أعلم خلق اللَّه بالغناء:

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه عن أبي جعفر القُرَشيّ عن المُحرزيّ قال:

كانت جميلة أعلمَ خلق اللَّه بالغناء؛ وكان معبد يقول: أصلُ الغناء جَميلة وفرعُه نحن، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغنّين.

كيف تعلمت الغناء:

قال إِسحاق: وحدثني أَيُّوب بن عَباية قال: حدثني رجل من الأنصار قال:

سُئِلت جميلة: أنّى لكِ هذا الغناء؟ قالت: واللَّه ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنّ أَبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنتُ أسمعه يغنّي ويضرب بالعود فلا أفهمه، فأخذتُ تلك النَّغَمات فبنيتُ عليها غِنائي، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء، فعلِمتُ وألقيتُ، فسمعني مَوالِياتي[١] يوماً وأنا أغني سرّاً ففهمنَني ودخلنَ عليّ وقُلنَ: قد علِمنا فما تَكتُمينا. فأقسمنَ عليّ، فرفعتُ صوتي وغنَّيتهنّ بشعر زُهَير بن أبي سُلمى:

وما ذكرتُكِ إلّا هِجتِ لي طَرَباً إنّ المحبَّ ببعض الأمر معذورُ
ليس المحبّ بمن إن شَطَّ غيَّره هجرُ الحبيب وفي الهِجران تغييرُ

صوت

نام الخليّ فنومُ العين تَعذِيرُ[٢] مما أذَكرتُ وهمُّ النفس مذكورُ
ذكرتُ سَلمى وما ذِكري براجِعها ودونها سَبسَبٌ[٣] يَهوي به المُورُ[٤]

[البسيط]

ـ الشعر لزُهير. والغناء في هذين البيتين لجميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حَبَش ـ فحينئذٍ ظهَر أمري وشاع ذكري، فقصَدني الناسُ وجلستُ للتعليم؛ فكان الجواري يتكاوسنني[٥]، فربما انصرف أكثرهنّ ولم يأخذنَ شيئاً سوى ما سمِعنني أُطارِحُ لغيرهنّ، ولقد كَسبتُ لمَوالِيَّ ما لم يخطر لهنّ ببال، وأهلُ ذلك كانوا وكنتُ.

إجماع الناس على تقدمها في الغناء:

وحدثني أبو خليفة قال: حدثني ابن سَلَّام قال: حدثني مَسلمة بن محمد بن مَسلمة الثَّقفيّ قال:

كانت جميلةُ ممن لا يُشَكُّ في فضيلتها في الغناء، ولم يَدَّعِ أحدٌ مقارَبتَها في ذلك، وكلُّ مدنيّ ومكيّ يشهد لها بالفضل.

قال إسحاق: وحدثني هشام بن المُرِّيّة المدنيّ قال: حدثني جرير المدنيّ ـ قال

(١) مواليات: خادماتي.
(٢) تعذير: هو الضرب دون الحد، وأراد بها الشاعر أن النوم قليل ودون المستوى المطلوب.
(٣) سبسب: الأرض المستوية البعيدة.
(٤) المور: ما نسل من صوف الشاة.
(٥) يتكاوسنني: يتجمعن ويتزاحمن حولي.

إسحاق: وكانا جميعاً مغنيَّيَين حاذقين شيخين جليلين عالمين ظريفين، وكانا قد أسنَّا[١]، فأمَّا هشام فبلغ الثمانين، وأما جرير فلا أدري ـ قال جرير:

وفَد ابن سُريج والغريض وسَعيد بن مِسجَح ومُسلِم بن مُحرِز المدينة لبعض من وَفدوا عليه، فأجمع رأيُهم على النزول على جميلة مولاةِ بَهزٍ، فنزلوا عليها. فخرجوا يوماً إلى العَقيق متنزِّهين، فوردوا على مَعبَد وابن عائشة فجلسوا إليهما فتحدّثوا ساعةً؛ ثم سأل معبدٌ ابنَ سُريج وأصحابَه أن يَعرِضوا عليهم بعضَ ما ألَّفوا. فقال ابن عائشة: إنّ للقوم أعمالاً كثيرةً حسنةً ولك أيضاً يا أَبا عَبَّاد، ولكن قد اجتمع علماء مكة، وأنا وأنت من أهل المدينة، فليعمل كلُّ واحد منَّا صوتاً ساعتَه ثم يغنِّ به. قال معبد: يا ابنَ عائشة، قد أعجبتْك نفسُك حتى بلَّغتْك هذه المرتبةَ! قال ابن عائشة: أوَ غضِبتَ يا أَبا عَبَّاد! إني لم أقل هذا وأنا أريد أن أتنقَّصك فإنك لأنت المُفادُ منه. قال معبدٌ: أما إذ قد اختلفنا وأصحابُنا المَكِّيُّون سكوتٌ فلنجعل بيننا حَكَماً. قال ابن عائشة: إنّ أصحابنا شركاءُ في الحكومة. قال ابن سُرَيج: على شَريطةٍ؛ قال: على أن يكون ما نُغنّي به من الشعر ما حُكِّمت فيه امرأةٌ. قال ابن عائشة ومَعبَد: رَضينا، وهي أمّ جُندَب. فأجمع رأيُهم على الاجتماع في منزل جَميلة من غدٍ. فلما حضروا قال ابن عائشة: ما تَرى يا أبا عبَّاد؟ قال: أرى أن يبتدئ أصحابُنا أو أحدُهم. قال ابن سُرَيج: بل أنتما أَولى. قالا: لم نكن لنفعلَ. فأقبل ابنَ سُرَيج على سعيد بن مِسجَح فسأله أن يبتدئ فأبى. فأَجمع رأيُ المكيِّين على أن يبتدئ ابنُ سُرَيج. فغنى ابن سريج:

صـــوت

ذهبتَ من الهِجران في غير مَذهبِ ... ولم يَكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ
خليليّ مُرّا بي على أمّ جُندَب ... أقَضِّ لُباناتٍ[٢] الفؤاد المُعذَّب
فإنَّكما إن تُنظِرانيَ ساعةً ... من الدهر تنفعَني لدى أمّ جُندَب
ألم تَرَياني كلَّما جئتُ طارقاً ... وجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّب

[الطويل]

ـ الشعر لامرئ القيس. ولابن سُريج فيه لحنان ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى، وخفيفُ رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى جميعاً عن إسحاق ـ.

---

(١) أسنا: رفع.
(٢) لبانات: مفردها لُبانة، وهي الحاجة من غير فاقة.

وغنى مَعبد:

صوت

فَـلـلَّـهِ عـيـنـاً مَـن رأى مـن تَـفـرُّقٍ ... أشَـتَّ وأَنـأى مـن فِـراق الـمُـحـصَّـبِ[١]
عَـلَـونَ[٢] بـأَنـطـاكـيّـةٍ فـوق عِـقـمَـةٍ[٣] ... كـجِـرمَـةِ[٤] نـخـلٍ أَو كـجـنَّـة يَـثـرِبِ[٥]
فـريـقـانِ مـنـهـم سـالـكٌ بـطـنَ[٦] نَـخـلـةٍ ... وآخَـرُ مـنـهـم جـازعٌ[٧] نَـجـدَ كـبـكَـبِ[٨]
فـعـيـنـاكَ غَـربـا[٩] جَدولٍ فـي مُـفـاضَـةٍ[١٠] ... كـمَـرِّ خَـلـيـجٍ[١١] فـي سَـنـيـحٍ[١٢] مُـثـقَّـبِ

[الطويل]

وغنى ابن مِسجَح:

صوت

وقـالـت فـإن يُـبـخَـل عـلـيـكَ ويُـعـتـلَـلْ ... يَـسـؤْكَ وإن يُـكـشَـف غـرامُـك تَـدرَبِ
وإنـك لـم يَـفـخَـر عـلـيـك كـفـاخِـرٍ ... ضـعـيـفٍ ولـم يَـغـلِـبـك مـثـلُ مُـغـلَّـبِ
وإنـك لـم تَـقـطَـع لُـبـانـةَ عـاشـقٍ ... بـمـثـل بُـكـور أو رَواحٍ مُـؤوّبِ[١٣]
بـأَدمـاءَ[١٤] حُـرجُـوجٍ[١٥] كـأنّ قُـتُـودَهـا[١٦] ... على أبلَقِ[١٧] الكَشحَين[١٨] ليس بمُغرب[١٩]

[الطويل]

يـغـرِّد بـالأسـحـارِ فـي كـلّ سُـدفـةٍ[٢٠] ... تَـغـرُّدَ مَـيَّـاحِ[٢١] الـنَّـدامـى الـمُـطـرِّبِ[٢٢]

[الطويل]

---

(١) المحصّب: موضع يرمى به الجمرات بمكة.
(٢) عَلَون: الإبل الحقود.
(٣) عِقَمَة: نوع من الوشي.
(٤) جِرَمة: ما جرم من البسر.
(٥) يثرب: مدينة النبي ﷺ هكذا كانت تعرف قبل الإسلام.
(٦) بطن مكَّة: موضع يبعد سير ليلة من مكة.
(٧) جازع: جزع قطع، وجازع تعني قاطع.
(٨) كبكب: جبل بعرفات يقع خلف ظهر الإمام إذا وقف للصلاة.
(٩) غرب: الدلو الكبيرة.
(١٠) مُفاضَّة: الأرض الرحِبَة الواسعة.
(١١) الخليج: الخيط يتناثر منه اللؤلؤ.
(١٢) السنيح: اللؤلؤ.
(١٣) مؤوب: متكرر.
(١٤) أدماء: الناقة البلقاء.
(١٥) حرجوج: جسيمة طويلة.
(١٦) قتود: مفردها قتد، وهو أداة الرحل.
(١٧) أبلق: أبيض، يقال: ناقة بلقاء أي بيضاء.
(١٨) الكشحين: مفردها كشح، أي الخاصرتين.
(١٩) مُغرب: أبيض الأشفار والوجه.
(٢٠) سُدفة: جزء من الليل.
(٢١) ميَّاح: متبختر في مشيته.
(٢٢) المطرِّب: المحرَّك بالحِداء.

وغنى ابنُ عائشة:

صـوت

وقد أَغتدي والطيرُ في وُكُناتِها[١] وماءُ الندى يَجري على كل مِذنَبِ[٢]
بمنجردٍ قَيدِ الأوابدِ[٣] لاحَه طِرادُ الهوادي[٤] كلَّ شَأْوٍ[٥] مُغرِّب[٦]
إِذا ما جرى شَأْوَينِ وابتلَّ عِطفُه تقول هَزيزُ الرّيح مرّتْ بأَثأَب[٧]
له أَيطلا ظَبيٍ وساقا نَعامةٍ وصَهوةُ[٨] عَيرٍ قائم فوقَ مَرقَب

[الطويل]

وغنى ابن مُحرِز:

صوت

فلِلسَّوطِ أُلهوبٌ[٩] وللساق دِرَّةٌ وللزَّجرِ منه وَقع أَخرَجَ[١٠] مُهذِبِ[١١]
فأَدرك لم يَجهد ولم يُبلِ شَدَّه يمرُّ كخُذروفِ[١٢] الوَليد[١٣] المُثقَّب[١٤]
تذُبُّ به طَوراً وطَوراً تُمِرُّه كذَبِّ البشير بالرِّداء المُهدّب[١٥]
إِذا ما ضربتُ الدَّفَّ[١٦] أو صُلتُ صَولةً تَرَقَّبُ مني غيرَ أَدنى تَرَقّب[١٧]

[الطويل]

---

(١) الوُكَنات: مفردها وكنة، عشّ الطائر.
(٢) مِذنب: الجدول يسير عن الروضة بمائها إلى غيرها.
(٣) الأوابد: الوحوش. (٤) الهوادي: الراجعين إلى الحق.
(٥) الشأو: السبق.
(٦) مُغرِّب: الآتي من الغرب وقصد بها البعد المكاني.
(٧) أثأب: شجر يصدر حفيفاً عظيماً وشدة صوت عند هبوب الريح.
(٨) صهوة: ما أسهل من ناحيتي سواة الفَرَسَ أو مقعد الفارس منه.
(٩) أُلهوب: سرعة العدو وشدّته مما يثير اللهب وهو الغبار المنبعث كالدخان المرتفع من النار.
(١٠) أخرجَ: ذكر النعام الذي اختلف ريشه في لونه.
(١١) مُهذِب: الشديد سرعة العدو.
(١٢) خذروف: الدوارة يدورها الصبي في يديه بخيط فيسمع له دوي.
(١٣) الوليد: الغلام الحدث.
(١٤) المثقَّب: المثقوب الذي به ثقوب كثيرة.
(١٥) المهدَّب: الثوب ذو الهدب أي الخمل من الثوب.
(١٦) الدَّف: الجنب من كل شيء. (١٧) ترقَّب: تلحظ بمؤخر عينها.

وغنى الغريض:

صوت

أخا ثقةٍ لا يَلعَنُ الحيُّ شخصَه ... صبوراً على العِلَّات غيرَ مُسبَّبِ[١]
رأينا شِياهاً[٢] يَرتَعينَ خَميلةً[٣] ... كمَشي العذارى في المُلاء المُجوَّب[٤]
وما أنت أَم ما ذِكرُها رَبَعيَّةً ... تَحُلّ بإيرٍ[٥] أَو بأكناف شُربُب[٦]
أطعتُ الوُشاةَ والمُشاةَ بصُرمِها ... فقد أنهجتْ[٧] حِبالُها للتقضُّب[٨]

[الطويل]

فقالت جميلةُ: كلُّكم مُّحسنٌ وكلُّكم مُجيد في معناه ومذهبه. قال ابن عائشة: ليس هذا بمُقنِع دون التفضيل. فقالت: أمَّا أنت يا أَبا يحيى فتُضحِك الثَّكلى بحُسن صوتك ومشاكلتِه للنفوس. وأما أنت يا أبا عَبَّاد فنَسيجُ وَحدِك بجودة تأليفك وحسن نَظمك مع عذوبة غِنائك. وأما أنت يا أبا عثمان فلك أوّلية هذا الأمر وفضيلتُه. وأَما أنت يا أبا جعفر فمع الخُلفاء تصلُح. وأما أنت يا أبا الخطَّاب فلو قدّمتُ أحداً على نفسي لقدّمتُك. وأما أنت يا مَولى العبَلاتِ فلو ابتدأتَ لقدّمتُك عليهم. ثم سألوها جميعاً أن تغنِّيهم لحناً كما غنَّوا؛ فغنَّتهم بيتاً لامرئ القيس وأربعةَ أبيات لعَلقمة وهي:

خَليليّ مُرَّا بي على أُمِّ جُندَبِ ... أقَضِّ لُبناتِ الفؤاد المُعذَّبِ
ليالِيَ لا تَبلى نصيحةُ بَينِنا ... ليالِيَ حَلُّوا بالسِّتارِ فغُرَّبِ
مُبتَّلةٌ[٩] كأنّ أَنضاءَ حَلبِها ... على شادنٍ[١٠] من صاحةٍ مُتربَّب[١١]

---

(١) مسبَّب: غير مشتوم.
(٢) شياه: مفردها شاة، ما يكون من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعَّام وحمر الوحش.
(٣) خميلة: شجر كثير ملتَّف قد صار له كالخمل في الثوب.
(٤) المجوَّب: المصنوع له جياب.
(٥) الإيرِ: جبل لبني غطفان غربيّ جبلي طيئ.
(٦) شربب: الغمليُّ من النبات، وهو واد في ديار بني ربيعة في ديار اليمامة.
(٧) أنهج: خَلِفَ وبَلِيَ، صار قديماً.
(٨) التقضُّب: التقطع.
(٩) المُبتَّلة: المكتنزة اللحم الضامرة الخاصرة.
(١٠) شادن: العاتق من الجوادي.
(١١) متربِّب: الربَّب الماء الكثير ومتربِّب محتوي على الماء الكثير.

مَـحـالٌ[١] كـأَجـواز[٢] الـجَـراد ولـؤلـؤٌ مـن القـلَعِيِّ[٣] والكبِيسِ[٤] المُلوَّب[٥]
إِذا أَلَـجـم الـواشـون لـلـشـرّ بـيـنـنـا تـبـلَّـغ رَسٌّ[٦] الـحـبّ غـيـرُ الـمُـكـذِّب

[الطويل]

فكلُّهم أقرُّوا لها وفضَّلوها. فقالت لهم: أَلَا أحدِثكم بحديث يتمُّ به حسنُ غِنائكم وتَمامُ اختياركم؟ قالوا: بلى واللَّه. قال الغريض: قد واللَّه فهمتُه يا سيِّدتي. قالت: لعنك اللَّه يا مخنَّث! ما أجودَ فهمَك وأحسنَ وجهَك! وما يُلام فيك أبو يحيى إِذ عرفتَه؛ فهاته حدثنا. قال: يا سيِّدتي وسيِّدةَ مَن حضر، واللَّه لا نطقتُ بحرف منه وأنت حاضرةٌ، ولكِ الفضلِ والعُتبى[٧]. قالت: نازع امرؤ القيس عَلقمةَ بنَ عَبدَةَ الفحلَ الشعرَ؛ فقال له: قد حَكَّمتُ بيني وبينك امرأتك أُمَّ جُندَب؛ قال: قد رَضيت. فقالت لهما: قُولَا شعراً على رَوِيٍّ واحد وقافية واحدةٍ صِفا فيه الخيلَ. فقال امرؤ القيس:

خَـلـيـلـيّ مُـرَّا بـي عـلـى أمِّ جُـنـدَبِ أُقَـضِّ لُـبـانـاتِ الـفـؤادِ الـمُـعـذَّبِ

[الطويل]

وقال عَلقمة:

ذهـبـتَ مـن الـهِـجـرانِ فـي غـيـر مَـذهـبِ ولـم يَـكُ حـقّـاً كـلُّ هـذا الـتـجـنُّـبِ

[الطويل]

وأنشداها، فغلَّبتْ عَلقمةَ. فقال لها زوجُها: بأيّ شيء غلَّبتِه؟ قالت: لأنك قلت:

فـلـلـسَّـوطِ أُلُـهـوبٌ ولـلـسـاق دِرَّةٌ ولـلـزَّجـرِ مـنـه وَقـعُ أَهـوجَ مِـنـعَـبِ[٨]

[الطويل]

فجَهَدتَ فرسَك بسَوْطِك، ومَرَيتَه[٩] بساقِك وزَجرك، وأتعبتَه بجَهدك. وقال علقمةُ:

---

(١) محال: نوع من الحُلي يصاغ على شكل فقرات مُتداخلة.
(٢) الأجواز: مفردها جوز، وهو وسط الشيء.
(٣) القلقي: نوع من القلائد المنظومة من اللؤلؤ.
(٤) الكبيس: حلى يصنع مُجوفاً ثم يُحشى بالطيب ويُكبس.
(٥) الملوَّب: المعطَّر بالملاب وهو نوع من الطيب.
(٦) رسّ: الراسخ الثابت. (٧) العتبَى: الرِّضا.
(٨) مِنْعَب: مدَّ رأسه وعنقه أثناء صياحه.
(٩) مرى: يقال مرى الفرس إذا حثه على الجري.

فولّى على آثارهنَّ بحاصِبٍ[١] وغَبيَةِ شُؤبُوبٍ[٢] من الشَّدِّ مُلهِبِ
فأدركهنّ ثانياً من عِنانه يمُرّ كمَرّ الرائح[٣] المُتحلِّبِ[٤]

[الطويل]

فلم يضرب فرسَه بسوط، ولم يَمرِه بساق، ولم يُتعبْه بزَجر. فقال ابن عائشة: جُعِلتُ فِداكِ! أتأذَنينَ أن أُحدِّث؟ قالت: هِيه. قال: إنما تزوّج أُمَّ جُندَب حين هرَب من المُنذِر بن ماء السماء فأتى جَبليْ طيِّئ، وكان مُفَرَّكاً[٥]. فبينا هو معها ذاتَ ليلةٍ إذ قالت له: قُم يا خير الفتيان فقد أصبحتَ، فلم يقم؛ فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجرَ لم يطلُع، فرجع فقال لها: ما حملكِ على ما صنَعتِ؟ فأمسكتْ. وألحّ عليها فقالت: حملني أنك ثقيلُ الصدر، خفيفُ العجيزة، سريعُ الإراقة، بطيءُ الإفاقة. فعرف تصديقَ قولها وسكتَ. فلما أَصبح أَتى علقمةَ وهو في خَيمته وخَلفَه أمّ جُندَب، فتذاكروا الشعر، فقال امرؤ القيس: أنا أشعر منك، وقال عَلقمة مثلَ ذلك، فتحاكما إلى أمّ جُندَب، ففضّلت أمُّ جندب عَلقمةَ على امرئ القيس. فقال لها: بم فَضَّلتِه عليّ؟ قالت: فرسُ ابن عبَدَةَ أجودُ من فرسك. زجرتَ وضربتَ وحرّكت ساقيْك، وابنُ عبدةَ جامدٌ لا مقتدر. فغضب من قولها وطلَّقها، وخلَف عليها عَلقمةُ. فقالت جميلة: ما أحسنَ مجلسَنا لو دام اجتماعُنا! ثم دعتْ بالغداء فأتى بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة. ثم قالت: لولا شَناعةُ مجلسنا لكان الشراب مُعدّاً ولكنّ الليل بيننا. فلم يزالوا يومَهم ذلك بأطيب مجلس وأحسن حديث. فلما جَنّهم الليلُ دعتْ بالشراب ودعت لكل رجلٍ منهم بعود، وأخذتْ هي عُوداً فضربتْ، ثم قالت: اضربوا فضربوا عليها بضربٍ واحدٍ، وغنَّت بشعر امرئ القيس:

أأذكَرتَ نفسكَ ما لن يَعودَا فهاج التذكُّرُ قلباً عميدَا[٦]
تذكَّرتَ هنداً وأترابَها وأَيامَ كنتَ لها مُستقيدا[٧]
ويُعجبك اللَّهوُ والمُسمِعاتُ فأصبحتَ أزمعتَ منها صُدودا
ونادمتُ قَيصرَ في مُلكه فأوجهني[٨] ورَكِبتُ البريدا

[المتقارب]

(١) حاصِب: ريح تحمل التراب الكثير.
(٢) شؤبوب: الدفعة من المطر جمعها شآبيب.
(٣) الرائح: المتفرّق.
(٤) المتحلِّب: المتتابع.
(٥) مفرّكاً: الرجل الذي تبغضه النساء.
(٦) العميد: الذي هدَّه العشق.
(٧) المستقيد: طائعاً ذليلاً.
(٨) أوجهني: شرَّفني ورفع قدري وجعلني وجيهاً.

فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك. ثم قالت: تغنَّوْا جميعاً بلحنٍ واحد؛ فغنَّوها هذا الشعر والصوتَ بعينه كما غنَّته. وعلم القوم ما أَرادت بهذا الشعر؛ فقال ابن عائشة: جُعلتُ فِداكِ! نرجو أَن يدوْم مجلسنا، ويُؤثِرَ أصحابنا المُقامَ بالمدينة فنُواسيَهم من كل ما نَملكه. قال أَبو عَبَّاد: وكيف بذاك! فباتوا بأنعم ليلةٍ وأحسنها. قال إِسحاق: قال أَبي: قال لي يونس: قال أَبو عبَّاد: لا أعرف يوماً وَاحداً منذُ عقَلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيرِه مثلَ ذلك اليوم، ولا أحسَبه يكون بعدُ. قال يونس: ولا أدركنا نحن مثلَ ذلك اليوم ولا بلَغنا. قال إِسحاق: ولا أَنا، ولا أحسب ذلك اليومَ يكون بعدُ.

زارها عبد اللَّه بن جعفر فأشارت إلى من عندها بالانصراف:

وحدثني أَبي قال: حدثنا يونس قال: قال لي أَبو عبَّاد:

أتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ أَني سبَقتُ الناسَ إليها، فإذا مجلسُها غاصٌّ؛ فسألتُها أَن تُعلِّمني شيئاً؛ فقالت لي: إِنّ غيرَك قد سبَقك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَن سواك. فقلتُ: جُعِلتُ فِداكِ! إِلى متى تَفرُغِينَ ممن سبقني! قالت: هو ذاك، الحقُّ يسَعُك ويَسعُهم. فبينا نحن كذلك إِذ أقبل عبدُ اللَّه بن جعفر ـ وإِنه لأول يوم رأيتُه وآخرُه وكنت صغيراً كيِّساً، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح ـ فقامت وقام الناس، فتلقَّته وقبَّلتْ رجليه ويديه، وجلس في صدر المجلس على كَوم لها وتحوَّق أصحابُه حَولَه، وأَشارت إلى من عندها بالانصراف، وتفرّق الناسُ، وغمزتني أَن لا أبرح فأقمتُ. وقالتْ: يا سيِّدي وسيِّدَ آبائي ومَواليَّ، كيف نشِطتَ إلى أَن تنقل قدميك إلى أَمتِك؟ قال: يا جميلة، قد علمتُ ما آلَيتِ على نفسِكِ أَلّا تغني أَحداً إِلا في منزلكِ، وأَحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً مادّاً[1] فسيحاً. قالت: جُعِلتُ فداكَ! فأنا أَصِيرُ إليكَ وأُكفِّر. قال: لا أُكلِّفكِ ذلك، وبلغني أَنك تُغنِّين بيتين لامرئ القيس تُجيدين الغناءَ فيهما، وكان اللَّهُ أَنقذ بهما جماعةً من المسلمين من الموت. قالت: يا سيِّدي نعم! فاندفعتْ تغني فغنَّت بعودها، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ إلى أَن ماتت مثلَ ذلك الغناء؛ فسبَّح عبدُ اللَّه بن جعفر والقوم معه. وهما:

ولـمـا رأَت أَنّ الـشـريـعـةَ[2] هَـمُّـهـا ... وأَنّ الـبـيـاضَ مـن فـرائـصـهـا[3] دامِـي

(١) مادّاً: طويلاً.
(٢) الشريعة: مورد الماء الذي تشرع فيه الإبل والدوابّ.
(٣) الفرائص: مفردها فريصة، وهو اللحم الذي بين الكتف والصدر.

تيـمَّـمـتِ الـعـيـنَ الـتـي عـنـد ضـارِجٍ[١] يَفيءُ عليها الظلُّ عَرمضُها[٢] طامِي[٣]
[الطويل]

حديث عبد اللَّه بن جعفر عن جماعة ضلوا الطريق:

ـ ولابنِ مِسجح في هذا الشعر صوتٌ وهذا أَحسنُهما ـ فلما فرغتْ قالت جميلة: أيْ سيِّدي أَزيدُك؟ قال: حَسبي. فقال بعضُ من كان معه: بأبي جُعلت فداك! وكيف أَنقذ اللَّهُ من المسلمين جماعةً بهذين البيتين؟ قال: نعم، أَقبل قومٌ من أَهل اليمن يريدون النبيَّ ﷺ فضلُّوا الطريق ووقعوا على غيرها ومكثوا ثلاثاً لا يقدِرون على الماء، وجعل الرجلُ منهم يَستذري[٤] بفَيءِ السمُر[٥] والطَّلح[٦] يائساً من الحياة، إِذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له، وأنشد بعضُ القوم هذين البيتين فقال:

ولـمـا رأَت أَن الـشـريـعـةَ هـمُّـهـا وأَن الـبـيـاضَ مـن فـرائـصـهـا دامِـي
تـيـمَّـمـتِ الـعـيـنَ الـتـي عـنـد ضـارِج يَـفـيءُ عـلـيـهـا الـظِّـلُّ عَـرمَـضُـهـا طـامِـي
[الطويل]

فقال الراكب: مَن يقول هذا؟ قال: امرؤُ القيس. قال: واللَّه ما كذَب؛ هذا ضارِجٌ عندكم، وأشار لهم إليه؛ فحبَوْا على الرُّكَب فإِذا ماءٌ عَذبٌ وإِذا عليه العَرمضُ والظلُّ يَفيءُ عليه، فشربوا منه رِيَّهم وحملوا ما اكتفَوْا به حتى بلغوا الماءَ، فأَتوا النبيَّ ﷺ فأخبروه وقالوا: يا رسول اللَّه، أَحيانا اللَّه عزّ وجلّ ببيتين من شعر امرئ القيس، وأنشدوه الشعرَ. فقال البسيط: «**ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها، منسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها، يجيءُ يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار**». فكلٌّ استحسن الحديثَ. ونَهض عبدُ اللَّه بن جعفر ونهض القومُ معه. فما رأَيتُ مجلساً كان أَحسنَ منه.

قال إِسحاق: حدثني بعض أَهل العلم عن ابن عَيَّاش عن الشعبيّ قال:

رأيت دَغفلاً النسَّابة يحدِّث أنه رأَى العباسَ بنَ عبد المطَّلب سأل عمرَ بنَ الخطَّاب عن الشعراء، فقال: امرؤ القيس سابقُهم خسَف لهم عينَ الشعر فافتَقر عن معانٍ عُورٍ أصحَّ بصَراً. قال إِسحاق: معنى خسَف: احتفَر. وهو من كِندةَ من اليمن، وليست لهم فصاحةُ مُضر، ولا شعرُهم بجيِّد. فجعل معانيَ اليمن معانيَ عُوراً وما

(١) ضارج: موضع في بلاد بني عبس.
(٢) العرمض: من شجر العضاة.
(٣) طامي: مرتفع، عالي.
(٤) يستذري: يستظل.
(٥) السَمُر: شجر واحدتها سَمُرة.
(٦) الطّلح: مفردها طلحة، وهي الشجرة العظيمة.

قاله: أصحَّ بصراً أَي أَجودَ شعراً. ومعنى افتَقر: احتفر. والفقيرة: الحفيرة تُحفر للفَسيلة لتُغرس. وكل ما ابتدأتَ حَفرَه فهو فقير. والمعنى أنه قال شعراً جيِّداً وليس هو في معنى شعر مُضَر.

وقال عُمارة بن عُقيل بن بِلال بن جَرير بن الخطَفى:

سمعت أَبي يقول: دخل جدِّي على بعض ملوك بني أمية؛ أَلَا تخبرُني عن الشعراء؟ قال: بلى. قال: مَن أشعرُ الناس؟ قال: ابن العشرين (يعني طَرَفة). قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين، فأُقسِم باللَّه لو أدركتُه لرفعتُ له ذلاذله. قال: فما رأيُك في ابن أَبي سُلمى؟ قال: كان يَبري الشّعرَ. قال: فما رأيُك في ذي الرُّمّة؟ قال: قدَر من طريف الكلام وغَريبِه وحَسنِه على ما لم يقدِر عليه أحد حتى صنَّف الشعرَ.

زيارة معبد ومالك لجميلة:

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال: حدثني أَيّوب بن عَباية عن رجل من الأنصار قال:

زار معبدٌ مالكَ بنَ أبي السَّمح؛ فقال له: هل لك أَن نصير إلى جميلة؟ فمضيا جميعاً فقصداها؛ فأذِنت لهما فدخلا، فأخرجت إليهما رُقعة فيها أَبيات، فقالت لمعبد: بعث بهذه الرقعة إليّ فلان أُغنّي فيها. فقال مَعبد: فابتدئي؛ فابتدأت جميلةُ فغنَّت:

صـوت

إِنـمـا الـذَّلـفـاءُ هـمِّـي ... فـلـيـدَعـنـي مـن يَـلـومُ

فغنى معبد:

أحـسـنُ الـنـاسِ جـمـيـعـاً ... حـيـن تـمـشـي وتـقـومُ

فغنَّت جميلة:

حـبّـب الـذَّلـفـاءَ[1] عـنـدي ... مَـنـطِـقٌ مـنـهـا رَخـيـمٌ[2]

(١) الذلفاء: صغيرة الأنف.

(٢) رخيم: لين وسهل.

فغنى معبد:

أَصِلُ الحبلَ لترضى وهي للحبل صَرُومُ[1]

فغنَّت جميلة:

حبّها في القلب داءٌ مستكنٌّ لا يَريمُ

[مجزوء الرمل]

طريقةً واحدة ـ الشّعر للأحوص. وذكر ابن النطاح أنه للبختريّ العِباديّ. والغناء لمَعبد، وله فيه لحنانِ خفيفُ ثقيلٍ أول بالسبَّابة في مجرى البِنصَر عن ابن المكيّ، وثقيل أَول بالوسطى عن عمرو. وذكر أَحمدُ بن سَعيد المالكيّ أَن له فيه خفيف ثقيلٍ آخرَ. وذكر حمَّاد بن إِسحاق أن فيه لمالكٍ وجميلةَ لحنين ـ وقالت لمَعبد ولمالك: يغني كلُّ واحد منكما لحناً مما عمله. فغنَّاها مَعبد بشعر قاله فيها الأحوصُ يصفها به، وكان مُعجباً بها، وكانت هي له مُكرِمة، وهو قوله:

شَأَتكَ المنازلُ بالأبرَقِ دوارسُ كالعين في المُهرَقِ

لآلِ جَميلةَ قد أَخلقتْ ومهما يَطُلْ عهدُه يُخلِق

فإِن يقل الناسُ لي عاشقٌ فأين الذي هو لم يَعشَق

ولم يَبكِ نُؤياً على عَبرةٍ بداء الصبابة والمَعلَق

[المتقارب]

ـ في هذه الأبيات ثقيلٌ أولُ بالخنصر في مجرى الوسطى، ذكر إسحاق أنه لمطرَّد، وذكر ابن المكيّ أنه لجميلة. وفيها خفيفُ رملٍ بالوسطى في مجراها، ذكر إِسحاق أَنه لعطَرَّد أيضاً وعمرو، وذكر الهشاميّ أَنّ الثقيل الأول لابن عائشة. وذكر حَبَش أَنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمَعبد وأن خفيفَ الرَّمَل لمالك ـ.

قال معبد: فسُرَّت جميلةُ بما غنَّيتُها به وتبسَّمت وقالت: حَسبُك يا أَبا عَبَّاد! ولم تَكنِني قبلها ولا بعدها. ثم قالت لمالك: يا أَخا طيِّئ هاتِ ما عندك وجنِّبنا مثلَ قول عَبدِ بن قَطَن؛ فاندفع وغنى بلحنٍ لها، وقد تغنى به أيضاً معبدٌ لها. واللحنُ:

أَلا مَن لقلبٍ لا يَملُّ فيَذهَلُ أَفِق فالتعزِّي عن بُثينةَ أَجملُ

فما هكذا أحببتُ مَن كان قبلها ولا هكذا فيما مضى كنت تفعل

(١) صروم: قاطعة.

فـإن الـتـي أَحـبـبـتَ قـد حـيـلَ دونـهـا فـكـن حـازمـاً والـحـازم الـمـتـحـوِّل

[الطويل]

ـ لحنُ جميلة هكذا ثقيلٌ أولُ بالبنصر. وفيه أَلحان عِدّةٌ مع أَبيات أخَرَ من القصيدة، وهي لجميل ـ فقالت جميلة: أحسنتَ واللَّه في غنائك وفي الأداء عنّي. أَمَّا قوله: «شَأَتْك» فأراد بَعُدتْ عنك. والشأْوُ: البعد، يقال: جرى الفرس شَأْواً أو شأوين أي طَلَقاً أو طَلقين. والمُهرَق: الصحيفة بما فيها من الكتاب، والجمع مَهارِق؛ قال ذو الرمّة:

كـمُـسـتـعِـيـرٍ[1] فـي رسـم دارٍ كـأنّـهـا بوَعساءَ[2] تَنضوها الجماهيرُ[3] مُهرَقُ

[الطويل]

الذلفاء التي شبب بها الأحوص.

والعين أَن تتعيَّن الإِداوة أو القِربةُ التي تُخرَز ويَسيل الماء عن عيون الخَرز. فشبَّه ما بقي من الدار بتعيُّن القربة وطرائق خروقها التي ينزل منها الماء شيئاً بعد شيء. فأما الذَّلفاء التي ذُكرت فيها فهي التي فُتن بها أَهلُ المدينة. وقال بعض من كانت عنده بعد ما طلّقها:

لا بـارَك الـلَّـهُ فـي دار عـدَدتُ بـهـا طـلاقَ ذَلـفـاءَ مـن دارٍ ومـن بـلـدِ

فـلا يـقـولَـن ثـلاثـاً قـائـلٌ أَبـداً إِنـي وجـدتُ ثـلاثـاً أَنـكـد الـعـددِ

[البسيط]

فكان إِذا عَدّ شيئاً يقول: واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة.

حديث بثينة لها عن عفة جميل:

وقالت جميلة: حدّثتني بُثينة ـ وكانت صَدُوقةَ اللسان جميلةَ الوجه حسنةَ البيان عفيفةَ البطن والفرج ـ قالت: واللَّه ما أرادني جميلٌ رحمةُ اللَّه عليه بريبةٍ قطّ ولا حَدَّثت أنا نفسي بذلك منه. وإِنّ الحيّ انتجعوا موضعاً، وإِني لفي هَودج لي أَسيرُ إِذا أَنا بهاتفٍ يُنشِد أبياتاً، فلم أَتمالك، أَن رميتُ بنفسي وأهل الحيّ ينظرون، فبقيت أطلب المُنشِدَ فلم أَقف عليه، فناديتُ: أَيها الهاتف بشعر جميل ما وراءَك منه؟ وأَنا أحسَبه قد قضى نَحبَه ومضى لسبيله، فلم يُجيبني مُجيب؛ فناديت ثلاثاً، وفي كل ذلك

(١) مُستعبر: حزن وجرت عبرته.

(٢) وعساء: رابية من رمل ليّنة تنبت أحرار البقول.

(٣) الجماهير: مفردها جمهور، وهو الرمل الكثير المتراكم.

لا يردُّ عليّ أحدٌ شيئاً. فقال صَواحِباتي: أصابكِ يا بُثينة طائفٌ من الشيطان؟ فقلت: كَلَّا! لقد سمعتُ قائلاً يقول! قُلنَ: نحن معكِ ولم نسمَع! فرجعتُ فركبت مطيَّتي وأنا حَيرى والهةُ[١] العقل كاسفةُ[٢] البال، ثم سرْنا. فلما كان في الليل إذا ذلك الهاتفُ يَهتِف بذلك الشعر بعينه، فرميتُ بنفسي وسعيتُ إلى الصوت، فلما قَرُبت منه انقطع؛ فقلت: أَيها الهاتف، ارحَمْ حَيرتي وسكِّن عَبرتي بخبر هذه الأبيات؛ فإن لها شأناً! فلم يردّ عليّ شيئاً. فرجعتُ إلى رَحلي فركبت وسِرتُ وأنا ذاهبةُ العقل؛ وفي كل ذلك لا يُخبرني صَواحِباتي أنهنّ سمِعنَ شيئاً. فلما كانت الليلةُ القابلةُ نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين، فإذا الهاتف يهتِف بي ويقول: يا بُثينة، أقبلي إليّ أُنبِئك عما تريدين. فأقبلتُ نحوَ الصوت، فإذا شيخٌ كأنه من رجال الحيّ، فسألتُه عن اسمه وبيته. فقال: دَعِي هذا وخُذي فيما هو أهمُّ عليكِ. فقلت له: وإن هذا لَمِمَّا يَهُمُّني. قال: اقنَعي بما قلتُ لكِ. قلت له: أنت المنشدُ الأبيات؟ قال: نعم. قلتُ: فما خبرُ جميل؟ قال: نعم فارقتُه وقد قضى نَحبَه وصار إلى حُفرته رحمة اللَّه عليه. فصرَختُ صَرخةً آذنتُ[٣] منها الحيَّ، وسقطتُ لوجهي فأُغمِي عليّ، فكأنّ صوتي لم يسمَعه أحد، وبقيتُ سائرَ ليلتي، ثم أَفقتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي، ورفعتُ صوتي بالعَويل والبكاء ورجعتُ إلى مكاني. فقال لي أَهلي: ما خبرُكِ وما شأنُكِ؟ فقصصتُ عليهم القصَّة. فقالوا: يَرحَم اللَّه جميلاً. واجتمع نساءُ الحيّ وأنشدتُهنّ الأبياتَ فأسعدنَني بالبكاء، فأقَمنَ كذلك لا يفارقنني ثلاثاً، وتحزَّن الرجالُ أَيضاً وبكَوْا ورثَوه وقالوا كلُّهم: يَرحمُه اللَّه، فإنه كان عفيفاً صَدُوقاً! فلم أكتحلْ بعده بإثمِد ولا فرَقتُ رأسي بمَخيط ولا مُشط ولا دَهنتُه إلا من صُداع خِفتُ على بصَري منه ولا لبِستُ خِماراً مصبوغاً ولا إزاراً ولا أزال أَبكيه إلى الممات. قالت جميلة: فأنشدتْني الشعرَ كلَّه وهذا الغناء بعضُه، وهو:

ألا مَن لقلبٍ لا يَملُّ فيَذهَلُ أَفِق فالتعزِّي عن بُثينةَ أجملُ

[الطويل]

مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه:

قال ابن سَلَّام حدثني جرير قال:

---

(١) والهة: ذهاب العقل حزناً وحيرة.

(٢) كاسِفَة: كاسفة الوجه أي عابسة، وكاسفة البال أي محجوبته.

(٣) آذنت: أسمعت.

زار ابنُ سُرَيج جميلةَ ليسمعَ منها ويأخذَ عنها. فلما قدِم عليها أنزلته وأَكرمته وسألته عن أخبار مكة فأخبرها. وبلغ معبداً الخبرُ. وكانت تُطارِحه وتسأله عن أَخبار مكة فيخبرها. وكانت عندها جاريةٌ مُحسِنةٌ لبِقةٌ ظريفةٌ، فابتدأت تُطارِحها. فقال ابن سُرَيج: سبحانَ اللَّه! نحن كنَّا أحقَّ بالابتداء. قالت جميلة: كلُّ إنسانٍ في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمّر عليه. فقال ابنُ سُرَيج: صدقتِ جُعلت فداءكِ! وما أَدري أيُّهما أحسنُ أدبُكِ أم غناؤكِ! فقالت له: كُفَّ يا عُبيد، فإنّ النبيّ ﷺ قال: « **احثّوا في وجوه المَدّاحين التراب** ». فسكت ابنُ سُرَيج. وطارحت الجاريةَ بشعر حاتم الطائي:

أتعرفُ آثار الديار توهُّما ... كخطِّك في رَقٍّ كتاباً مُنمنمَا
أذاعت به الأرواح[١] بعد أَنيسها ... شهوراً وأَياماً وحَولاً[٢] مجرَّما[٣]
فأصبحنَ قد غَيَّرنَ ظاهرَ تُربِه ... وغيَّرتِ الأنواءُ[٤] ما كان مَعلَما
وغيَّرها طولُ التقادُم والبِلى ... فما أعرف الأطلالَ إلا توهُّما

[الطويل]

قال: فحُدِّثت أَنه حضر ذلك المجلسَ جماعةٌ من حُذّاق أَهل الغناء، فكلُّهم قال مَزاميرُ داود! قال ابنُ سُرَيج لها: أفأُسمِعُكِ صوتاً لي في هذا الشعر؟ قالت: هاته؛ فغنى:

ديار التي قامت تُريكَ وقد عَفت ... وأَقوت من الزُّوَّار كفّاً ومِعصَما
تَهادى عليها حَليُها ذاتَ بهجة ... وكَشحاً كطيِّ السابريَّة[٥] أَهضما
فبانت لِطيَّاتٍ لها وتبدَّلت ... به بَدَلاً مرَّت به الطير أَشؤما
وعاذلتانِ هَبّتا بعد هَجعةٍ ... تَلومانِ مِتلافاً مُفيداً ملوَّما

[الطويل]

قالت جميلةُ: أحسنتَ يا عُبيد، وقد غفرنا لك زَلَّتَك لحسن غنائك. قال مَعبد: جُعلت فداءَكِ! أفلا أُسمِعُكِ أَنا أَيضاً لحناً عملتُه في هذا الشعر؟ قالت: هاتِ وإِنّي لأعلم أنك تُحسِن. فاندفع فغنى:

فقلتُ وقد طال العتاب عليهما ... وأَوعَدتناني أَن تَبينا وتَصرِمَا

---

(١) الأرواح: جمع ريح.
(٢) حول: سنة.
(٣) مجرَّم: مقطَّع.
(٤) الأنواء؛ مفردها نوء، وهو النهوض بجهد ومشقة.
(٥) السابرية: ثوب رقيق جيد.

ألا لا تَـلـومـانـي عـلـى مـا تَـقـدَّمـا كفى بصُروف الدهر للمرء مُحكِما
تَـلـومـانِ لـمـا غَـوّر الـنـجـمُ ضَـلَّـةً فتًى لا يرى الإنفاقَ في الحقِّ مَغرَما
[الطويل]

قالت جميلةُ: ما عدوتَ الظنَّ بك ولا تجاوزتَ الطريقةَ التي أنت عليها. قال مالكٌ: أفلا أغنِّيكِ أَنا أَيضاً؟ قالت: ما علمتُكَ إِلَّا تُجيد الغناء وتُحسِن، فهات. فاندفع فغنَّى في هذا الشعر:

يضيء لنا البيتُ الظليلُ خَصاصُه[1] إِذا هي ليلاً حاولتْ أَن تبسَّمَا
إِذا انقلبتْ فوقَ الحشِيَّة[2] مَرّةً تَرنَّمَ وَسواسُ الحُليِّ ترنُّما
ونَحراً كفاثَورِ[3] اللُّجَينِ[4] يَزينه توقُّدُ ياقوتٍ وشَذْرٍ[5] منظَّمَا
كجَمرِ الغضى هَبَّتْ به بعدَ هجعةٍ من الليل أَرواح[6] الصَّبا فتنسَّما
[الطويل]

فقالت: جميلٌ ما قلتَ وحَسَنٌ ما نظمتَ، وإِنّ صوتك يا مالكُ لمِمَّا يَزيد العقل قوّةً والنفسَ طِيباً والطبيعة سُهولة، وما أحسب أن مجلسَنا هذا إلّا سيكون عَلَماً وفي آخر الزمان متواصَفاً؛ والخبرُ ليس كالمشاهدة، والواصف ليس كالمعاين وخاصّة في الغناء.

زارها ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص فغنتهم:

وحدثني الحسن بن عُتبة اللَّهبيّ قال: حدثني من رأى ابنَ أبي عَتيق وابنَ أَبي ربيعة والأحوص بنَ محمد الأنصاريّ وقد أتَوا منزلَ جميلة فاستأذنوا عليها فأذِنتْ لهم، فلما جلسوا سألت عمر وأحفت[7]؛ فقال لها: إِني قصدتُكِ من مكة للسلام عليكِ. فقالت له: أهلُ الفضل أَنتَ. قال: وقد أحببتُ أَن تُفرِّغي لنا نفسَكِ اليومَ وتُخلي لنا مجلسَكِ؛ قالت: أَفعل. قال لها الأحوص: أُحبُّ أَلا تغني إِلّا ما أسألكِ. قالت: ليس المجلس لكَ، والقوم شركاؤكَ فيه. قال: أجل. قال عمر: إِن تُرِدْ أَن

(١) الخِصاص: كل خلل وخرق في باب ومنخل وبرقع وغيره.
(٢) الحَشيَّة: الفراش المحشو. (٣) الفأثور: الخوان من فضة.
(٤) اللجين: الفضَّة.
(٥) شذر: قطع من الذهب واللؤلؤ الصغار أو الخرز يفصل به بين الجواهر في النظم مفردها شذرة.
(٦) أرواح: مفردها ريح.
(٧) أحفت: بالغت في إكرامه، وأظهرت السرور والفرح لقدومه.

تفعل ذلك بك يكن. قال الأحوص: كلَّا! قال عمر: فإني أَرى أَن نجعل الخيارَ إليها. قال ابنُ أبي عَتيق: وفّقك اللَّه. فدعتْ بالعود وغنَّت:

تَمشي الهُوَينى إذا مشت فُضُلاً ... مَشي النزيفِ[١] المخمور في الصُّعُدِ[٢]
تظلُّ من زَورِ[٣] بيت جارتِها ... واضعةً كفَّها على الكبد
يا من لقلبٍ متيَّمٍ سدِمٍ[٤] ... عانٍ رهينٍ مكلَّمٍ[٥] كَمِدِ[٦]
أزُجرُه وهو غيرُ مُزدجِرٍ ... عنها وطَرفي مكحَّلُ السَّهَدِ

[المنسرح]

فلقد سُمِعتْ للبيت زَلزلةٌ وللدار هَمهمةٌ. فقال عمر: للَّه دَرُّكِ يا جَميلة! ماذا أُعطيتِ! أنت أولُ الغناء وآخره! ثم سكتتْ ساعة وأخذوا في الحديث، ثم أخذت العودَ وغنَّت:

شَطَّتْ سُعادُ وأَمسى البينُ قد أَفِدا ... وأَورثوكَ سَقاماً يَصدَع الكبدَا
لا أستطيع لها هَجراً ولا تِرَةً[٧] ... ولا تزال أَحاديثي بها جُدُدَا

[البسيط]

ـ الغناء فيه لِسياطٍ خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق. ولم يذكر حبش لحن جميلة. وذكر إبراهيمُ أَن فيه لحناً لحَكَم الوادي. وذكر الهِشاميّ وابن خُرداذبه أنه من أَلحان عمر بن عبد العزيز بن مَروان في سُعاد وأن طريقتَه من الثقيل الثاني بالوسطى. وذكر إبراهيم أن لابن جامع فيه أَيضاً صَنعةً ـ.

فاستخفَّ القومَ أَجمعين، وصفَّقوا بأيديهم وفحَصوا بأرجلهم وحرَّكوا رؤوسَهم، وقالوا: نحن فِداؤُكِ من السوء ووِقاؤُكِ من المكروه، ما أحسنَ ما غنَّيتِ وأَجملَ ما قلتِ! وأُحضِر الغداءُ فتغدى القومُ بأَنواع من الأطعمة الحارّة والباردة ومن الفاكهة الرَّطبةِ واليابسة، ثم دعتْ بأنواعٍ من الأشربة. فقال عمر: لا أشرب، وقال ابن أَبي عَتيق مثلَ ذلك؛ فقال الأحوص: لكنني أَشرب؛ وما جزاءُ جميلة أن يُمتَنع من شرابها!

---

(١) النزيف: المحموم والسكران.
(٢) الصعد: الطرقات وأراد بها الأماكن المرتفعة.
(٣) زَوْرٍ: مصدر من فعل زار كالزيارة.
(٤) سَدِم: شديد العشق والهيام مهموم حزين.
(٥) مُكَلَّم: مجروح. (٦) كَمَد: الحزن الشديد.
(٧) تِرَة: أترى عَمِل أعمالاً متواترة بين كل عملين فترة والتِرَة هي الوصل.

قال عمر: ليس ذلك كما ظننتَه. قالت جميلة: من شاء أَن يَحملني بنفسه ويَخلِط روحي بروحه شركناه، ومن أبى ذلك عذرناه، ولم يمنعْه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنس بمحادثته. قال ابن أَبي عَتيق: ما يحسُن بنا إلا مساعدتُكِ. قال عمرُ: لا أَكون أخسَّكم، إفعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً. فشرب القوم أجمعون. فغنَّت صوتاً بشعر لعُمَر:

ولقد قالت لجاراتٍ لها ... كالمَها يلعبنَ في حُجرَتِهَا
خُذنَ عنّي الظِّلَّ لا يتبعُني ... ومضتْ تَسعى إلى قُبَّتها
لم تُعانِق رجلاً فيما مضى ... طَفلةٌ غَيداءُ[1] في حُلَّتها
لم يَطِش قَطُّ لها سَهمٌ ومَن ... تَرمِه لا يَنجُ من رَميتِها

[الرمل]

ـ لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت. وذكر الهِشاميّ أنّ فيه لابن المكيّ رَمَلاً بالبنصر. وذكر عليّ بن يحيى أنّ فيه لابن سُرَيج رَمَلاً بالوسطى ـ فصاح عمر: وَيلاه! ويلاه! ثلاثاً ثم عمَد إلى جَيب قميصه فشقَّه إلى أسفلِه فصار قباءً[2]، ثم آب إليه عقلُه فندِم واعتذر وقال: لم أملكْ من نفسي شيئاً. قال القوم: قد أصابنا كالذي أصابَك وأُغمي علينا، غير أنَّا فارقناك في تخريق الثياب. فدعت جميلةُ بثيابٍ فخلَعتها على عمرَ، فقبِلها ولبسها، وانصرف القوم إلى منازلهم. وكان عمر نازلاً على ابن أَبي عَتيق، فوجّه عمر إلى جميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أَثواب كانت معه، فقبِلتها جميلةُ. وانصرف عمرُ إلى مكة جَذلانَ مَسروراً.

حجت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات:

قال إِسحاقُ: وحدثني أَبي عن سِياط وابنُ جامع عن يونس قالا: حَجَّتْ جميلةُ، وأخبرني إِسماعيلُ بن يونس قال: حدثنا عمرُ بن شَبَّة قال: حدثنا إِسحاق بن إِبراهيم قال: حدثني أَبي عن سِياطٍ وابنُ جامع عن يونُسَ الكاتبِ، وأَخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا أَحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال: حدثنا الزبير بن بَكَّار قال: حدثني عمي مُصعب قالوا: جميعاً:

إِنّ جميلة حجَّت ـ وقد جمعتُ رواياتهم لتقارُبِها، وأحسب الخبر كلَّه مصنوعاً وذلك بيِّنٌ فيه ـ فخرج معها من المغنِّين مشيِّعين حتى وافوْا مكةَ ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذّاقِ بالغناء هِيتٌ وطُوَيسٌ والدَّلال وبَردُ الفؤاد ونَومةُ الضُّحى

(١) غيداء: المتثنِّية ليناً. (٢) قباء: جمع أقبية، نوع من الثياب.

وفِندٌ ورَحمةُ وهِبةُ اللَّه ـ هؤلاء مشايخُ وكلُّهم طيِّب الغناء ـ ومَعبَدٌ ومالكٌ وابنُ عائشة ونافِعُ بنُ طُنبورَةَ وبُدَيحٌ المَليح ونافعُ الخير، ومن المغنِّيات الفرهِةُ وعَزَّةُ المَيلاء وحَبابةُ وسلَّامة وخُلَيْدة وعُقيلة والشمَّاسية وفَرعةُ وبُلبُلة ولَذّة العيش وسُعيدة والزَّرقاء، ومن غير المغنِّين ابن أَبي عَتيق والأحوص وكثيِّر عَزّة ونُصيب وجماعةٌ من الأشراف، وكذلك من النساء من مَواليها وغيرِهنّ. وأما سِياطٌ فذكر أَنه حَجّ معها من القِيانِ مشيِّعاتٍ لها ومعظِّماتٍ لقَدرها ولحقَها زُهاءُ خمسين قَينةً، وجّه بهنّ مَواليهنّ معها فأعطَوهنّ النفقاتِ وحَملوهنّ على الإِبل في الهوادج والقِبابِ. وقيل، فيما قال أَهل المدينة: إِنهم ما رأَوا مثل ذلك الجمع سَفراً طِيباً وحُسناً ومَلاحةً. قالوا: ولما قاربُوا مكةَ تلقَّاهم سَعيدُ بن مِسجح وابنُ سُريج والغريض وابنُ مُحرِز والهُذَليُّون وجماعةٌ من المغنِّين من أَهل مكة وقِيانٌ كثيرٌ لم يُسمَّين لنا، ومن غير المغنين عمرُ بن أَبي ربيعة والحارث بن خالدٍ المخزوميّ والعَرجيّ وجماعةٌ من الأشراف. فدخلتْ جميلةُ مكةَ وما بالحجاز مُغنٍّ حاذقٌ ولا مغنِّيةٌ إِلا وهو معها وجماعةٌ من الأشراف ممن سمَّينا وغيرهم من الرجال والنساء. وخرج أَبناء أهلِ مكةَ من الرجال والنساء ينظرون إلى جَمعِها وحُسنِ هيئتهم. فلما قضتْ حجّها سأَلها المكيون أن تجعل لهم مجلساً. فقالت: للغناءِ أم للحديثِ؟ قالوا: لهما جميعاً. قالت: ما كنت لأخلِطَ جِدّاً بهَزل، وأبت أن تجلس للغناء. فقال عمرُ بن أَبي ربيعة: أقسمتُ على من كان في قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إِلا خرج معها إلى المدينة، فإني خارج. فعزَم القومُ الذين سمَّيناهم كلّهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممن نشِط، فخرجتْ في جَمع أكثرَ من جمعها بالمدينة. فلما قَدِمتِ المدينةَ تلقَّاها أهلُها وأشرافُهم من الرجال والنساء، فدخلتْ أحسن مما خرجت به منها، وخرج الرجالُ والنساء من بيوتهم فوقفوا على أَبواب دُورِهم ينظرون إلى جمعها وإِلى القادمين معها. فلما دخلتْ منزلها وتفرّق الجمع إلى منازلهم ونزل أهلُ مكة على أقاربهم وإِخوانهم أتاها الناس مسلِّمين، وما استنكف من ذلك كبيرٌ ولا صغير. فلما مضى لمَقدَمِها عشرة أَيام جلستْ للغناء؛ فقالت لعمرَ بنِ أَبي ربيعة: إِني جالسةٌ لك ولأصحابك، وإِذا شئتَ فعِدِ الناسَ لذلك اليوم، فغصَّتِ الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء. فابتدأت جميلةُ فغنَّت صوتاً بشعر عمر:

هيهاتَ من أَمَةِ الوهَّابِ منزلُنا ... إِذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَن
واحتلَّ أَهلُكِ أَجياداً[1] فليس لنا ... إِلا التذكُّر أَو حظٌّ من الحَزَن

(١) أجياد: موضع بمكة يلي الصفا.

لـو أنـهـا أَبـصـرت بـالـجِـزع عَـبـرتَـه وقـد تَـغـرّد قُـمـريٌّ[1] عـلـى فَـنـن
إِذاً رأت غـيـرَ مـا ظَـنَّـتْ بـصـاحـبـهـا وأَيـقـنـت أَن عَـكّـاً لـيـس مـن وَطـنـي
مـا أَنـسَ لا أَنـسَ يـومَ الـخَـيـفِ مـوقـفَـهـا ومَـوقِـفـي وكِـلانـا ثَـمّ ذو شَـجـن
وقـولَـهـا لـلـثـرَيَّـا وهـي بـاكـيـةٌ والـدمعُ مـنـهـا عـلـى الـخـدّيـن ذو سُـنـن
بـالـلَّـه قُـولـي لـه فـي غـيـر مَـعـتَـبَـةٍ مـاذا أردتَ بـطـول الـمُـكـثِ فـي الـيـمـن
إِن كـنـتَ حـاولـتَ دنـيـا أو نـعِـمـتَ بـهـا فـمـا أَصـبـتَ بـتـركِ الـحـجّ مـن ثَـمـن

[البسيط]

غنى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر:

فكلُّهم استحسن الغناءَ، وضَجّ القوم من حُسن ما سمعوا. ويقال: إنهم ما سمعوا غناءً قطّ أَحسن من غنائها ذلك الصوتَ في ذلك اليوم. ودَمعت عينُ عمر حتى جرى الدمعُ على ثيابه ولحيته. وإِنه ما رُئيَ عمرُ كذلك في مَحفِل غيرِه قَطُّ. ثم أقبلتْ على ابن سُرَيج فقالت: هاتِ؛ فاندفع يغني ورفع صوتَه بشعر عمر:

أَلـيـسـت بـالَّـتـي قـالـت لَـمـولاةٍ لـهـا ظُـهُـرَا
أَشـيـري بـالـسـلام لـه إِذا هـو نـحـوَنـا نـظَـرا
وقُـولـي فـي مُـلاطـفـةٍ لـزيـنـبَ نَـوِّلـي عُـمَـرا
وهـذا سِـحـرُكَ الـنِّـسـوا نَ قـد خـبَّـرنَـنـي الـخـبـرا

[مجزوء الوافر]

غناء ابن مسجح:

فسُمع من ابن سُرَيج في هذا اللحن من الحُسن ما يقال إِنه ما سُمع مثلُه. ثم قالت لسعيد بن مِسجح: هاتِ يا أَبا عثمان؛ فاندفع فغنّى:

قـد قـلـتُ قـبـل الـبَـيـنِ لـمَّـا خَـشـيـتُـه لـتُـعـقِـب وُدّاً أَو لـتـعـلـم مـا عـنـدِي
لـكِ الـخـيـرُ هـل مـن مَـصـدرٍ تَـصـدُريـنـه يُـريـح كـمـا سَـهَّـلـتِ لـي سُـبُـلَ الـورِد
فـلـمَّـا شـكـوتُ الـحـبَّ صـدّت كـأنـمـا شَـكـوتُ الـذي أَلـقـى إِلـى حـجَـرٍ صَـلـد
تـولَّـت فـأَبـدت غُـلَّـةً دون نَـقـعِـهـا كـمـا أَرصـدتْ مـن بُـخـلِـهـا إِذ بـدا وَجـدي

[الطويل]

---

(١) قُمريّ: ضرب من الحمام جمعها قُماري وقُمْر.

غناء معبد:

فاستُحسِن ذلك منه وبرع فيه. ثم قالت: يا مَعبد هاتِ؛ فغنى:

أحـاربُ مَـن حـاربـتَ مـن ذي عَـداوةٍ ... وأَحبِس مـاليس إن غـرِمت فـأَعـقِـل[١]
وإنـي أُخـوكَ الـدائـمُ الـعـهـدِ لـم أَحُـلْ ... إن ابـزاك[٢] خَـصـمٌ أو نـبـا بـكَ مـنـزل
سـتـقـطَـع فـي الـدنـيـا إذا مـا قـطـعـتـني ... يـمـيـنَـك فـانـظـرْ أَيَّ كـفٍّ تَـبـدَّلُ

[الطويل]

غناء ابن محرز:

قالت جميلة: أحسنتَ يا مَعبد اختيار الشعر والغناء ـ هذا الشعر لمَعْن بن أَوس ـ ثم قالت: هات يا ابن مُحرِز؛ فإني لم أؤخِّرْك لخَساسةٍ بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة، ولكنني رأيتُك تحبّ من الأمور كلِّها أوسطَها وأعدلها، فجعلتُك حيث تحبُّ واسطةً بين المكيِّين والمدنيِّين. فغنى:

وقـفـتُ بـرَبـع قـد تـحـمَّـل أهـلُـه ... فـأَذْرَيـتُ دمـعـاً يـسـبِـق الـطَّـرفَ هـامـلـه
بـسـائـلـة الـرَّوحـاء[٣] أَو بَـطـن مَـشـغـرٍ[٤] ... لـهـا الـضـاحـكـاتُ الـرابـيـاتُ سـواهِـلُـه
هـو الـمـوتُ إلا أن لـلـمـوتِ مـدّةً ... مـتـى يَـلـقَ يـومـاً فـارِغـاً فـهـو شـاغـلُـه

[الطويل]

غناء الغريض:

فقالت جميلة: يا أَبا الخَطَّاب، كيف بدا لك في ثلاثةٍ وأنت لا ترى ذلك؟ قال: أحببتُ أن أواسيَ مَعبداً. قال معبدٌ: واللَّه ما عَدوت ما أردت. ثم قالت للغريض: هاتِ يا مَولى العبَلاتِ فاندفع يغني:

فـوا نَـدَمـي عـلـى الـشـبـابِ ووا نَـدَمْ ... نَـدِمـتُ وبـانَ الـيـوم مـنّـي بـغـيـرِ ذَمّ
وإذ إخـوتـي حَـولـي وإذ أَنـا شـائـخٌ ... وإذ لا أُجـيـبُ الـعـاذلاتِ مـن الـصَّـمـم
أرادتْ عـراراً بـالـهَـوانِ ومـن يُـرِد ... عـراراً لـعَـمـري بـالـهـوانِ فـقـد ظَـلَـم

[الطويل]

---

(١) أَعقِل: يقال عقل عن فلان إذا غرم ما لَزِمه من ديَّة.
(٢) أبزاك: قهرك وغلبك.
(٣) الروحاء: بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.
(٤) مثغر: ماء لجهينة.

قالت جميلة: أَحسن عمرو بن شَأْس ولم تُحسن إِذ أفسدتَ غناءَك بالتعريض. واللَّه ما وضعناك إِلا موضعَك ولا نقَصنا من حظِّك! فبماذا أَهنَّاكَ! ثم أَقبلتْ على الجماعة فقالت: يا هؤلاء، اصدُقوه وعرِّفوه نفسَه ليَقنع بمكانه. فأقبل القومُ عليه وقالوا له: قد أخطأتَ إِن كنت عَرَّضتَ. فقال: قد كان ذلك، ولستُ بعائدٍ وقام إِلى جميلة فقبَّل طرَف ثوبها واعتذر فقبِلت عذرَه وقالت له: لا تعُد. ثم أقبلت على ابن عائشة فقالت: يا أَبا جعفر هاتِ؛ فتغنّى بشعر النابغة:

سقى الغيثُ قبراً بين بُصرى وجاسِم ... عليه من الوَسمِيّ جَودٌ ووابِلُ
وأَنبتَ حَوذاناً[1] وعَوفاً[2] مُنوِّراً ... سأُتبِعُه من خيرِ ما قال قائل
بكى حارثُ الجَولانِ[3] من هُلكِ ربِّه ... فحَورانُ منه خاشعٌ مُتضائل
وما كان بَيني لو لقِيتُك سالماً ... وبين الغِنى إِلا ليال قلائل

[الطويل]

غناء نافع وبديح:

قالت جميلةُ: حسَنٌ ما قلتَ يا أَبا جعفر. ثم أقبلت على نافع وبُدَيح فقالت: أُحبُّ أَن تغنِّياني صوتاً واحداً؛ فغنَّيا جميعاً بصوتٍ واحد ولحنٍ واحد:

أَلا يا مَن يلوم على التصابي ... أَفِقْ شيئاً لتسمعْ من جوابِي
بَكَرتَ تَلومُني في الحبِّ جَهلاً ... وما في حبِّ مثلي من مَعابِ
أليس من السعادةِ غيرَ شَكٍّ ... هَوى متواصلين على اقتراب
كريمٌ نال وُدّاً في عَفافٍ ... وسترٍ من مُنعَّمةٍ كَعاب[4]

[الوافر]

غناء الهذليين الثلاثة:

فقالت جميلة: هواكما واللَّه واحد وغناؤكما واحد، وأنتما نُحتُّما من بقية الكرم وواحدِ الشرف: عبد اللَّه بن جعفر بنِ أَبي طالب. ثم أَقبلتْ على الهذليِّين الثلاثة فقالت: غنُّوا صوتاً واحداً؛ فاندفعوا فغنَّوْا بشعر عنترة العبسيّ:

حُيِّيتَ من طَللٍ تَقادم عهدُه ... أَقوى وأَقفر بعد أُمِّ الهَيثَمِ

---

(١) حوذان: نبت يرتفع قدر ذراع، له زهرة حمراء اللون في وسطها صفرة.
(٢) عوف: نبات له ريح طيب. (٣) الجولان: هضبة من نواحي حوران بدمشق.
(٤) كعاب: نِهاد.

كـيـف الـمَـزارُ وقـد تـربّـع أَهـلُـهـا بـعُـنـيـزتَـيـن[١] وأَهـلُـنـا بـالـغـيـلـم[٢]
إِن كـنـتِ أَزمـعـتِ الـفِـراق فـإِنـمـا زُمّـت رِكـابُـكـم بـلَـيـلٍ مُـظـلـم
شَـرِبـتْ بـمـاءِ الـدُّحـرُضَـيـنِ[٣] فـأَصـبـحـتْ زَوراءَ تَـنـفِـر عـن حِـيـاضِ الـدَّيـلـم[٤]

[الكامل]

غناء نافع بن طنبورة:

قالت: ما رأيتُ شيئاً أشبه بغنائكم من اتّفاق أَرواحكم. ثم أقبلت على نافع بن طُنبورة فقالت: هاتِ يا نَقشَ الغَضار ويا حَسن اللسان؛ فاندفع يغنّي:

يـا طُـولَ لـيـلـي وبـتُّ لـم أَنـم وِسـادِيَ الـهَـمُّ مُـبـطِـنٌ سَـقَـمِـي
أَنْ قـمـتُ يـومـاً عـلـى الـبَـلاطِ فَـأَبـصـرتُ رَقـاشـاً[٥] ولـيـت لـم أَقُـم

[المنسرح]

غناء مالك بن أبي السمح:

فقالت جميلة: حسَنٌ واللَّه ـ.

ولابن سُرَيج في هذا اللحن أَربعةُ أَبياتٍ في صَوت ـ ثم قالت: يا مالكُ هاتِ؛ فإني لم أؤخِّرك لأنك في طبقة آخرِهم، ولكنّي أردتُ أَن أختِمَ بك يومَنا تبرُّكاً بك وكي يكون أَولُ مجلسنا كآخره ووسَطُه كطرَفِهِ، وإِنك عندي ومَعبداً لفي طريقة واحدة ومذهبٍ واحد، لا يدفع ذلك إِلا ظالمٌ ولا ينكره إِلا عاضِل. الحقَّ أَقول، فمن شاء فليُنكر؛ فسكتَ القوم كلُّهم إِقراراً لما قالت. واندفع يغني:

عـدوٌّ لـمـن عـادت وسِـلـمٌ لـسَـلـمِـهـا ومـن قـرَّبـت سَـلـمـى أحـبَّ وقَـرَّبَـا
هَـبـيـنـي امـرأً إِمَّـا بـريـئـاً ظـلـمـتِـه وإِمَّـا مُـسـيـئـاً تـاب بـعـدُ وأَعـتـبـا
أَقـول الـتـمـاسَ الـعُـذر لـمَّـا ظـلَـمـتـنـي وحـمَّـلـتـنـي ذنـبـاً ومـا كـنـتُ مُـذنِـبـا
لـيَـهـنِـئـك إِشـمـاتُ الـعـدوّ بـهَـجـرِنـا وقَـطـعُـك حـبـلَ الـوصـل حـتـى تـقـضَّـبـا

[الطويل]

---

(١) عنيزتين: هضبة سوداء ببطن فلج.
(٢) الغيلم: موضع في ديار بني عبس.
(٣) الدُحرضين: ماآن.
(٤) الدَّيلم: مجتمع النمل والقِردان عند أعقاد الحِياض وأعطان الإبل.
(٥) رقاش: نقوش، مفردها رقش.

اليوم الثاني من أيام المدينة وغناء طويس:

قالت جميلة: ليت صوتَك يا مالك قد دام لنا ودمنا له. وقطعت المجلسَ وانصرف عامة الناس وبقي خواصُّهم. فلما كان اليوم الثاني حضر القومُ جميعاً. فقالت لطُويس: هاتِ يا أَبا عَبد النعيم. قال: فأَنكر ما فعلتْ جميلةُ في اليوم الأول؛ لأن طُويساً لم يكن يرضى بذلك. فأخبرني ابنُ جامع أَن جميلةَ صنَّفتهم طويساً وأَصحابَه وابنَ سُرَيج وأَصحابَه، ثم أقرعتْ بينهم، فخرجت القرعةُ الأولى لابن سُرَيج وأَصحابِه والثانيةُ لطُويس وأَصحابِه. فابتدأ طويسٌ فغنّى:

قد طال ليلي وعاد لي طَرَبي ... من حبِّ خَودٍ كريمةِ الحسَبِ
غَرّاءَ مثلِ الهلال آنسةٍ ... أَو مثلِ تِمثالِ صُورة الذهب
صادت فؤادي بجِيد مُغزِلةٍ ... تَرعى رِياضاً ملتفَّةَ العُشُب

[المنسرح]

غناء الدلال:

فقالت جميلة: حسنٌ واللَّه يا أَبا عبد النعيم. ثم قالت للدّلال: هات يا أَبا يَزيد؛ فاندفع فغنّى:

قد كنت آمُلُ فيكُم أملاً ... والمرء ليس بمدرَكٍ أمَلُهْ
حتى بَدا لي منكُم خُلُفٌ ... فزَجرتُ قلبي فارعَوى جَهَلُهْ
ليس الفتى بمخلَّدٍ أَبداً ... حَيّاً وليس بفائتٍ أجلُهْ
حَيِّ البَغوم[1] ومَن بعَقوتها[2] ... وقَفا العَمودِ وإِن خَلا أَهَلُهْ

[الكامل]

غناء برد الفؤاد ونومة الضحى:

قالت: حسن واللَّه يا أبا يزيد. ثم قالت لهِيتٍ: إِنَّا نُجِلُّك اليوم لكِبَر سِنِّك ورِقَّة عَظمِك. قال: أجل يا ماما. ثم قالت لبَرْدِ الفؤاد ونَومةِ الضُّحى: هاتيَا جميعاً لحناً واحداً فغنَّيا:

إِني تذكَّرتُ فلا تَلحَني ... لؤلؤةً مكنونةً تَنطِقُ
مسكنُها طَيبةُ لم يَغذُها ... بؤسٌ ولا والٍ بها يَخرُق

(١) البغوم: صاحت إلى ولدها بأقصى ما يكون من صوتها.
(٢) العقوة: ساحة الدار.

قـد قـلـت والـعِـيـسُ سِـراعٌ بـنـا تُـرقِـل[١] إِرقـالاً ومـا تُـعـنِـق[٢]
يـا صـاحـبـي شَـوقِـي أَرى قـاتِـلـي ومُـوردِي مـنـهـا[٣] جـوًى يُـقـلِـق
[السريع]

غناء فند ورحمة وهبة اللَّه:

قالت جميلة: أحسنتُما. ثم قالت لفِند ورَحمة وهبة اللَّه: هاتُوا جميعاً صوتاً واحداً فإنكم متَّفقون في الأصوات والألحان؛ فاندفعوا فغَنَّوا:

أشـاقـكَ مـن نـحـو الـعَـقـيـق بُـروقُ لـوامـعُ تَـخـفـى تـارة وتَـشـوقُ
ومـا لِـيَ لا أَهـوى جـواري بـربـر ورُوحـي إلـى أَرواحِـهـن تَـتـوق
لـهـنّ جـمـالٌ فـائـقٌ ومَـلاحـةٌ ودَلٌّ عـلـى الـنـسـاء يَـفـوق
[السريع]

وكان بَربرٌ حاضراً، فقال: جواريّ واللَّه على ما وَصفتم، فمن شاء أقرّ ومن شاء نكر.

غناء جميلة:

فقالت جميلة: صدَق. ثم غنَّت جميلة بشعر الأعشى ـ ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها ـ:

بـانـت سُـعـادُ وأَمـسـى حـبـلُـهـا انـقـطـعـا واحـتـلَّـتِ الـغَـور[٤] فـالـجـدَّيـنِ فـالـفَـرَعـا
واسـتـنـكـرتْـنـي ومـا كـان الـذيـن نَـكِـرَتْ مـن الـحـوادث إِلا الـشَّـيـبَ والـصَّـلَـعَـا
تـقـول بِـنـتـي وقـد قَـرَّبـتُ مـرتـحـلاً يـا ربِ جَـنِّـب أبـى الأوصـابَ والـوَجَـعـا
وكـان شـيءٌ إِلـى شـيء فـغـيَّـره دهـرٌ مُـلِـحٌّ عـلـى تـفـريـق مـا جَـمـعـا
[البسيط]

فلم يُسمَع شيءٌ أحسنُ من ابتدائها بالأمس وخَتمِها في اليوم الثاني. وقطعت المجلسَ فانصرف القومُ وأقام آخرون. فلما كان اليومُ الثالث اجتمع الناسُ، فضربتْ سِتارة وأجلست الجواريَ كلَّهن فضرَبنَ وضرَبتْ فضرَبنَ على خمسين وتراً فتزلزلتِ الدارُ؛ ثم غنَّت على عُودها وهنَ يضرِبنَ على ضربها بهذا الشعر:

فـإِن خَـفِـيَـتْ كـانـت لـعـيـنـك قُـرّةً وإِن تَـبـدُ يـومـاً لـم يَـعـمِّـمـك عـارُهَـا

(١) تُرقِل: تسير بسرعة. (٢) تُعنِقُ: تسير بانبساط.
(٣) جوى: هوى باطن، وشدَّة الوجد. (٤) الغور: العقد من كل شيء.

من الخِفراتِ[١] البِيضِ لم تَرَ غِلظةً ... وفي الحسَبِ الضخم الرَّفيعه نجارُها
فما رَوضةٌ بالحَزْنِ طيِّبةُ الثرى ... يَمُجُّ النَّدا جثجاثُها[٢] وعَرارُها[٣]
بأطيبَ من فيها إذا جئتَ طارقاً ... وقد أوقِدتْ بالمَندَل[٤] الرَّطب نارُهَا
[الطويل]

غناء عزة الميلاء:

فدمَعت أعينُ كثير منهم حتى بَلّ ثوبَه وتنفَّس الصُّعَداءَ وقال: بنفسي أنتِ يا جميلةُ! ثم قالت للجواري: اكفُفنَ فكفَفنَ؛ وقالت: يا عزّ غني؛ فغنَّت بشعر لعمرَ:

تذكَّرتَ هنداً وأَعصارَها[٥] ... ولم تَقضِ نفسُك أوطارَهَا
تذكَّرتِ النفسُ ما قد مضى ... وهاجتْ على العينِ عُوَّارَها[٦]
لتمنحَ رامةَ منَّا الهوى ... وتَرعى لرامةَ أسرارَها
إذا لم نَزُلها حِذارَ العِدا ... حسَدنا على الزَّورِ زُوَّارَها
[المتقارب]

غناء حبابة وسلامة:

فقالت جميلة: يا عَزّ، إنكِ لباقيةٌ على الدهر، فهنيئاً لكِ حسنَ هذا الصوت مع جَودة هذا الغناء. ثم قالت لحَبابةَ وسَلَّامةَ: هاتِيا لحناً واحداً؛ فغنَّتا:

كفى حَزَناً أني أغيبُ وتَشهدُ ... وما نَلتقي والقلبُ حَرَّانُ مُقصَدُ
ومن عَجبٍ أني إذا الليلُ جَنَني ... أقوم من الشوق الشديد وأقعُد
أَحِنُّ إليكم مثلَ ما حَنّ تائقٌ ... إلى الوِرد عَطشانُ الفؤاد مصرَّد[٧]
ولي كَبِدٌ حَرَّى يعذِّبها الهوى ... ولي جسدٌ يَبلى ولا يتجدَّد
[الطويل]

---

(١) الخِفرات: نخلات محفوظات من الفساد.
(٢) جثجاثها: نباتها.
(٣) عرارها: وادٍ.
(٤) المندل: الخفّ، وأراد أن خفه يكاد يحترق من كثرة ارتياده لها.
(٥) أعصارها: جمع عصر، وهو الوقت الذي كان يلتقيها فيه.
(٦) عوَّارها: مرض يعتري العين من القِذى والرمد فيوجعها.
(٧) مصرَّد: سقي أقل من الرَّي.

غناء خليدة:

فاستُحسن غناؤهما. ثم أقبلتْ على خُليدة فقالت لها: بنفسي أنت! غنّي؛ فغنَّتْ:

أَلا يـا مَـن يَـلـوم عـلـى الـتـصـابـي ... أَفِـق شـيـئـاً لـتـسـمـع مـن جـوابِـي
بـكـرتَ تَـلـومُـنـي فـي الـحـبّ جَـهـلاً ... ومـا فـي حـبِّ مـثـلـي مـن مَـعـاب
أَلـيـس مـن الـسـعـادة غـيـرَ شَـكٍّ ... هَـوى مُـتـواصـلـيـن عـلـى اقـتـراب
كـريـمٌ نـال وُدّاً فـي عَـفـافٍ ... وسَـتـرٍ مـن مـنـعَّـمـةٍ كَـعـاب

[الوافر]

غناء عقيلة والشماسية:

فاستُحسن منها ما غنَّت، وهو بلَحنها حسنٌ جدّاً. ثم قالت لعُقَيلة والشماسيَّة: هاتِيَا، فغنَّتا:

هجرتِ الحبيبَ اليومَ في غير ما اجترَمْ ... وقطَّعتِ من ذي وُدّك الحبلَ فانصرمْ
أطعتِ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ ... مقالةَ واش يَقرَع السنَّ من نَدَمْ

[الطويل]

غناء فرعة وبلبلة ولذة العيش:

ثم قالت لفَرعة وبُلبُلةَ ولذّةِ العيش: هاتِينَ فغنِّينَ؛ فاندفَعن بصوتٍ واحد:

لـعَـمـري لـئـن كـان الـفـؤادُ مـن الـهـوى ... بـغـى سَـقَـمـاً إِنّـي إِذا لـسَـقـيـمُ
عـلـيّ دِمـاءُ الـبُـدنِ إِن كـان حـبُّـهـا ... عـلـى الـنـأي فـي طـول الـزمـان يَـرِيـم
تُـلِـمُّ مُـلِـمَّـاتٌ فـيُـنـسَـيـن بَـعـدَهـا ... ويُـذكَـر مـنـهـا الـعـهـدُ وهـو قـديـم
فـأُقـسِـمُ مـا صـافـيـتُ بـعـدكِ خُـلَّـةً ... ولا لـكِ عـنـدي فـي الـفـؤاد قَـسـيـم

[الطويل]

غناء سعدة والزرقاء:

قالت: أَحسنتنّ! وهو لعمري حسَنٌ. وقالت لسُعدة والزرقاء: غنِّيا؛ فغنَّتا:

قـد أرسـلـونـي يُـعـزُّونـي فـقـلـتُ لـهـم ... كـيـف الـعـزاءُ وقـد سـارتْ بـهـا الـرُّفَـقُ
إِسـتـهـدَتِ الـرِّيـمَ عـيـنـيـه فـجـادلـهـا ... بـمُـقـلـتـيـه ولـم تُـتـرَك لـه عُـنُـقُ

[البسيط]

فاستُحسِن ذلك. ثم قالت للجماعة فغنَّوا، وانقضى المجلسُ وعاد كلُّ إنسان إلى وطنه. فما رُئي مجلسٌ ولا جامعٌ أحسنُ من اليوم الأول ثم الثاني ثم الثالث.

وحدثتني عمتي ـ وكانت أسنّ من أَبي وعُمِّرتْ بعده ـ قالت: كان السبب في طلب أبيك الغناءَ والمواظبةِ عليه لحناً سمعه لجميلةَ في منزل يونُسَ بنِ محمد الكاتب، فانصرف وهو كئيبٌ حَزين مغمومٌ لم يَطعَم ولم يُقبِل علينا بوجهه كما يفعل. فسألته عن السبب فأمسك، فألححتُ عليه فانتهرني، وكان لي مُكرِماً، فغضبتُ وقمتُ من ذلك المجلس إلى بيت آخر، فتبِعَني وترضَّاني وقال لي: أُحدِّثك ولا كتمانَ منكِ: عشِقتُ صوتاً لامرأة قد ماتت، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركني اللَّهُ منه برحمته. فقالت: أتظُنّ أن اللَّه يُحيي لك ميِّتاً! قال: بل لا أشُكّ. قالت: فما تعليقُك قلبَك بما لا يُعطاه إلا نبيٌّ ولا نبيَّ بعد محمد ﷺ! وأمَّا عشقُك الصوتَ فهو أن تَحذِقه وتُغنِّيه عشرَ مِرارٍ، فتمَلَّه ويذهب عشقُك له! فكأنه ارعوى[1] ورجع إلى نفسه، وقام فقبَّل رأسي ويدي ورجلي وقال لي: فرَّجتِ عني ما كنتُ فيه من الكرب والغمّ، ثم تمثَّل: «حبُّك الشيء يُعمِي ويُصِمّ» ولزِم بيتَ يونُسَ حتى حذَق الصوتَ، ولم يمكث إلا زمناً يسيراً حتى مات يونُس وانضمّ إلى سِياطٍ، وكان من أحذقِ أَهل زمانه بالغناء وأحسنِهم أداءً عمَّن مضى. قالت عمتي: فقالت لإبراهيم: وما الصوتُ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يحسِن أداءَ الغناء:

من البَكراتِ عِراقيَّةٌ	تُسمَّى سُبيعةَ أَطريتُهَا
مَن آلِ بَكرةَ الأكرمين	خَصصتُ بودِّي فأصفيتُها
ومن حبّها زرت أهلَ العراق	وأَسخطتُ أَهلي وأَرضيتُها
أموتُ إذا شَحَطَت دارُها	وأَحيا إذا أَنا لاقيتُها
فأُقسِم لو أَن ما بي بها	وكنتُ الطبيبَ لدوايتُها

[المتقارب]

قالت عمتي: هذا شعرٌ حسنٌ، فكيف به إذا قُطِّع ومُدِّد تمديد الأطرِبة وضُرب عليها بقُضبان الدِّفلى على بطون المِعزى! فما مضت الأيام والليالي حتى سمعت اللحن مؤدًى، فما خَرق مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه؛ ولقد أذكرني بما يُؤثَر من حسن صوت داود وجمال يوسف. فبينا أنا يوماً جالسةٌ إذ طلع عليّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً؛ فقال لي: أَلا أحدِّثك بعجبٍ؟ قلت: وما هو؟ قال: إن لي شريكاً في عشق

(١) ارعوى: الإرعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع عنه وقد ارعوى.

صوت جميلة. قلت: وكيف ذلك؟ قالت: كنت عند سِياطٍ في يومنا هذا وأنا أغنِّيه الصوتَ وقد وقَّفني فيه على شيء لم أكن أحكمتُه عن يونُس، وحضر عند سِياطٍ شيخٌ نبيلٌ فسبَّح على الصوت تسبيحاً طويلاً، فظننتُ أنه فعل ذلك لاستحسانه الصوت. فلما فرغتُ أَنا وسِياطٌ من اللحن قال الشيخ: ما أَعجب أمرَ هذا الشعر وأَحسن ما غُنّي به وأحسن ما قال قائله! فقلت له دون القوم: وما بلغ من العجب به؟ قال: نعم! حَجَّت سُبيعةُ من ولد عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، وكانت من أجمل النساء، فأبصرها عمر بن أبي ربيعة، فلما انحدرت إلى العراق اتَّبعها يُشيِّعها حتى بلغ معها موضعاً يقال له الخورنق. فقالت له: لو بلغتَ إلى أهلي وخطبتني لزوّجوك. فقال لها: ما كنتُ لأخلِطَ تشييعي إِياكِ بخِطبة، ولكن أرجعُ ثم آتيكم خاطباً؛ فرجع ومَرّ بالمدينة فقال فيها:

مـــن الـــبَـــكـــرات عِـــراقـــيَّـــةٌ تـــســـمـــى سُـــبـــيـــعـــةَ أطـــريـــتُـــهَـــا

[المتقارب]

ثم أتى بيتَ جميلة فسألها أن تُغني بهذا الشعر ففعلت. فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجَودة تأليفها، فحسُن موقعُ ذلك منه، فوجَّه إلى بعض مَوالِياتِه ممن كانت تطلُب الغناء أن تأتيَ جميلةَ وتأخذَ الصوت منها؛ فطارحتها إِياه أياماً حتى حذَقَتْ ومَهرتْ به. فلما رأى ذلك عمر قال: رأى أن تَخرُجي إلى سُبَيعة وتغنِّيها هذا الصوتَ وتُبلِّغيها رسالتي؛ قالت: نعم جعلني اللَّه فداكَ. فأتتها فرحَّبتْ بها، وأعلمتها الرسالةَ، فحيَّتْ وأَكرمتْ، ثم غنَّتها فكادت أَن تموت فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر. ثم عادت رسولُ عمر فأعلمتْه ما كانت وقالت له: إِنها خارجة في تلك السنة. فلما كان أَوانُ الحج استأذنتْ سُبيعةُ أباها في الحج، فأبى عليها وقال لها: قد حَججتِ حِجَّةَ الإِسلام. قالت له: تلك الحِجَّةُ هي التي أَسهرتْ ليلي وأطالت نهاري وتوقّتني إلى أن أعود وَأَزور البيتَ وذلك القبرَ؛ وإِن أنت لم تأذَن لي مُتُّ كمَداً وغَمّاً؛ وذلك أن بقائي إِنما كان لحضور الوقت، فإِن يئستُ فالموت لا شكَّ نازلٌ بي. فلما رأى ذلك أبوها رَقّ لها وقال: ليس يَسعُني منعها مع ما أرى بها، فأذِن لها. ووافى عمرُ المدينة ليعرف خبرَها؛ فلما قدِمتْ علم بذلك. وسألها أن تأتيَ منزل جميلة، وقد سبق إليه عمرُ، فأكرمتْها جميلةُ وسُرت بمكانها. فقالت لها سُبيعة: جعلني اللَّه فِداكِ! أَقلقني وأَسهرني صوتُكِ بشعر عمر فيّ، فأَسمعيني إِياه. قالت جميلة: وعَزازةً لوجهِك الجميل! فغنَّتها الصوتَ، فأُغمي عليها ساعة حتى رُشّ على وجهها الماءُ وثاب إليها عقلُها. ثم قالت: أعيدي عليّ، فأعادت الصوتَ مراراً في كل مرّة يُغشى عليها. ثم

خرجت إلى مكة وخرج معها. فلما رجعت مرّت بالمدينة وعمرُ معها، فأتت جميلةَ فقالت لها: أعيدي عليّ الصوتَ ففعلت؛ وأقامت عليها ثلاثاً تسألها أَن تُعيد الصوت. فقالت لها جميلة: إِني أُريد أن أغنِّيكِ صوتاً فاسمعيه. قالت: هاتِيه يا سيِّدتي؛ فغنَّتها:

أبتِ المليحةُ أن تُواصلَني ... وأظنُّ أنـي زائرٌ رَمسِي[1]
لا خيرَ في الدنيا وزِينتِها ... ما لم تُوافِقْ نفسُها نفسي
لا صبرَ لي عنها إِذا حسرت ... كالبدر أو قَرنٍ من الشمس
ورمت فؤادَكَ عند نظرتها ... بملاحةِ الإِيثار والأُنس

[الكامل]

قالت سُبيعة: لولا أنّ الأول شعر عمر لقدّمتُ هذا على كلّ شيء سمعتُه. فقال عمر: فإِنه واللَّه أحسنُ من ذلك، فأما الشعر فلا. قالت جميلةُ: صدقتَ واللَّه. قالت عميت قال لها أَبي: لَعمري إِنّ ذلك على ما قالا.

ولابنُ سُرَيج في هذا الشعر لحنٌ عن جميلة وربما حُكي بزيادةٍ أَو نقصانٍ أَو مثلاً بمثل.

جمعت الناس في دارها وقصت عليهم رؤياها:

أخبرني من يفهم الغناء قال:

بلغني أنّ جميلة قعدت يوماً على كرسيٍّ لها وقالت لآذنتِها: لا تحجُبي عنَّا أحداً اليوم، واقعدي بالباب، فكل من يمرّ بالباب فاعرضِي عليه مجلسي؛ ففعلتْ ذلك حتى غَصَّتِ الدارُ بالناس؛ فقالت جميلةُ: اصعَدوا إلى العَلاليّ؛ فصعِدتْ جماعةٌ حتى امتلأت السطوحُ. فجاءتها بعض جواريها فقالت لها: يا سيِّدتي، إِن تمادى أمرُكِ على ما أرى لم يبقَ في دارِكِ حائطٌ إِلَّا سقط، فأَظهِري ما تريدين. قالت: اجلسي. فلما تعالى النهارُ واشتدّ الحرّ استسقى الناسُ الماءَ فدَعَت لهم بالسَّويق[2]، فشرب من أراد؛ فقالت: أقسمتُ على كل رجل وامرأة دخل منزلي إِلَّا شرب، فلم يبق في سُفْلِ الدار ولا عُلْوِها أحد إِلا شرب، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمَراوح الكبار، وأمرت جواريَها فقُمن على كراسيّ صِغارٍ فيما بين كلِّ عشرةِ نفَرٍ جاريةٌ تروِّح[3]. ثم

(١) رمسي: قبري.
(٢) السويق: شراب يتخذ من الحِنَطة والشعير.
(٣) تُرَوِّح: تحمل مروحة لترطب بها الهواء.

قالت لهم: إني قد رأيتُ في منامي شيئاً أَفزَعني وأَرعبني، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك، وقد خِفتُ أَن يكون قَرُبَ أجلي، وليس ينفعني إِلَّا صالحُ عملي، وقد رأَيتُ أَن أَترك الغناء كراهةَ أن يَلحَقني منه شيء عند ربي. فقال قوم منهم: وفَّقكِ اللَّه وثبَّت عَزمكِ! وقال آخرون: بل لا حَرَجَ عليكِ في الغناء. وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقه وتجربة: قد تكلمت الجماعةُ، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فَرِحون، ولم أعترض عليهم في قومهم ولا شَرِكتُهم في رأيهم، فاستمِعوا الآن لقولي وأنصِتوا ولا تَشغبُوا إلى وقت انقضاء كلامي؛ فمن قبِل قولي فاللَّه موفِّقه، ومن خالفني فلا بأس عليه إِذ كنتُ في طاعة ربي. فسكت القوم جميعاً. فتكلَّم الشيخ فحمِد اللَّه وأَثنى عليه وصلى على محمد النبيّ ﷺ ثم قال: يا معشر أهلِ الحجاز، إِنكم متى تخاذلتم فَشِلتم ووثَب عليكم عدوُّكم وظفِر بكم ولا تُفلِحوا بعدها أَبداً. إِنكم قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرِهم ممن لا يزال يُنكِر عليكم ما هو وارثُه عنكم، لا ينكره عالمكم ولا يدفَعه عابدُكم بشهادة شريفكم ووَضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم. فأكثرُ ما يكون عند عابدكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهدِ في الدنيا؛ لأن الغناء من أَكبر اللذات وأَسَرُّ للنفوس من جميع الشهوات، يُحيي القلبَ ويزيد في العقل ويَسُرّ النفسَ ويَفسَحُ في الرأي ويتيسَّر به العسير وتفتح به الجيوش ويذلَّل به الجبَّارون حتى يمتهنوا أنفسَهم عند استماعه، ويُبرِئُ المَرضى ومن مات قلبُه وعقله وبصره، ويزيد أهلَ الثروة غِنًى وأهلَ الفقر قناعةً ورِضاً باستماعه فيَعزِفون عن طلب الأموال. من تمسَّك به كان عالماً ومن فارقه كان جاهلاً؛ لأنه لا منزلةَ أرفعُ ولا شيءَ أحسن منه؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ وجلّ. وكلام كثيرٌ غيرُ هذا ذهب عن المحدِّث به، فما رَدَّ عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بَشَرٌ، وكلٌّ عاد بالخطإِ على نفسه وأقرّ بالحقّ له. ثم قال لجميلة: أَوَعَيتِ ما قلتُ ووقع من نفسكِ ما ذكرتُ؟ قالت: أجل وأَنا أستغفر اللَّهَ. قال لها: فاختِمي مجلسَنا وفرِّقي جماعتَنا بصوت فقط؛ فغنَّتْ:

أفـي رسـمِ دارٍ دمـعُـك الـمـتـرقـرِقُ ... سَـفـاهـاً! ومـا اسـتـنـطـاقُ مـا لـيس يَـنـطِـق
بـحـيـثُ الـتـقـى جَـمـعٌ وأَقـصـى مُـحـسِّـرٍ ... مَـغـانِـيـه قـد كـادت عـن الـعـهـد تَـخـلُـق
مُـقـامٌ لـنـا بـعـد الـعِـشـاء ومـنـزلٌ ... بـه لـم يـكـدِّره عـلـيـنـا مُـعـوِّق
فـأحـسـنُ شـيء كـان أولُ لـيـلـنـا ... وآخـرُه حـزنٌ إذا نـتـفـرّق

[الطويل]

فقال الشيخ: حسنٌ واللَّهِ! أمثلُ هذا يترك! فيم تتشاهد الرجال! لا واللَّه ولا كرامة لمن

خالف الحقّ. ثم قام وقام الناس معه، وقال: الحمد للَّه الذي لم يفرِّق جماعتَنا على اليأس من الغناء ولا جحودِ فَضيلته، وسلامٌ عليكِ ورحمةُ اللَّه يا جميلة.

وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا:

وقال أَبو عبد اللَّه: جلستْ جميلة يوماً ولبست بُرنُساً طويلاً، وألبست من كان عندها برانسَ دون ذلك، وكان في القوم ابنُ سُرَيج، وكان قبيحَ الصَّلَع قد اتخذ وَفرة[١] شعر يضعها على رأسه، وأحبَّت جميلةُ أن ترى صَلعتَه. فلما بلَغ البرنسُ إلى ابن سُرَيج قال: دبّرْتِ عليّ وربِّ الكعبة! وكشَف صَلعتَه ووضع القلَنسِية على رأسه، وضحك القومُ من قُبح صَلعتِه؛ ثم قامت جميلةُ ورقَصتْ وضربتْ بالعود وعلى رأسها البُرنُس الطويل وعلى عاتقها بُردَةٌ يَمانِيةٌ وعلى القوم أمثالها، وقام ابن سُرَيج يرقُص ومَعبَد والغريض وابن عائشة ومالكٌ وفي يد كل واحد منهم عود يضرِب به على ضرب جميلة ورَقصِها؛ فغنَّت وغنى القومُ على غنائها:

ذهب الشبابُ وليتَه لم يَذهبِ ... وعَلا المفارِقَ وَقعُ شيبٍ مُغربِ[٢]
والغانياتُ يُردن غيرَك صاحباً ... ويَعِدنَكَ الهِجرانَ بعد تقرُّب
إِني أَقولُ مقالةً بتجارِبٍ ... حقّاً ولم يُخبِركَ مثلُ مجرِّب
صافِ الكريمَ وكن لعِرضك صائناً ... وعن اللئيمِ ومِثلِه فتنكَّب[٣]

[الكامل]

ثم دعت بثياب مُصبَّغة ووَفرة شعر مثل وفرة ابن سُرَيج فوضعتْها على رأسها، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبِسوا، ثم ضربت بالعود وتمشَّت وتمشى القوم خَلفَها، وغنَّت وغنَّوا بغنائها بصوت واحد:

يَمشِين مَشيَ قَطا البِطاح تَأَوُّداً ... قُبَّ البطون رواجحَ الأكفالِ[٤]
فيهنّ آنسةُ الحديثِ حَيِيَّةٌ ... ليست بفاحشةٍ ولا مِتفالِ[٥]
وتكون رِيقتُها إِذا نبّهتَها ... كالمسك فوق[٦] سلافة الجِريالِ[٧]

[الكامل]

---

(١) وفرة: الشعر المجتمع على الرأس أو ما سال على الأذنين منه وأراد هنا الشعر المستعار.
(٢) مُغرب: ظهر به الشيب الواضح. (٣) تنكَّب: إبتعد.
(٤) الأكفال: مفردها الكَفَلُ، وهو العَجُز.
(٥) مِتفال: كريهة الرائحة من جراء ترك التطيب والإِدّهان.
(٦) سلافة: الخمر. (٧) الجريال: من أسماء الخمر.

ثم نعرتْ ونعر القوم طرباً، ثم جلستْ وجلسوا وخلعوا ثيابهم ورجعوا إلى زيِّهم، وأذِنت لمن كان ببابها فدخلوا؛ وانصرف المغنُّون وبقي عندها من يُطارحها من الجواري.

وحدثتني عمتي قالت: سمعت سِياطاً يحدّث أباك يوماً بأحاديثِ جميلةَ فقال: بنفسي هي وأمّي! فما كان أحسن وجهَها وخَلقَها وغناءَها! ما خلّفتِ النساءُ مثلها شبيهاً؛ فأعجبني ذلك. ثم قال سياط: جلستْ جميلة يوماً للوِفادة عليها، وجعلت على رؤوس جواريها شعوراً مُسدلَةً كالعناقيد إلى أعجازهنّ، وألبستهنّ أنواع الثياب المصبَّغة ووضعت فوق الشعور التيجانَ، وزيّنتهنّ بأنواع الحليّ، ووجّهت إلى عبد اللَّه بن جعفر تستزيره، وقالت لكاتب أَمْلتْ عليه: «أبي أنت وأمّي! قَدرُك يَجِلّ عن رسالتي وكرَمُك يحتمل زَلَّتي؛ وذنبي لا تُقال عَثرتُه ولا تُغفَر حَوبتُه. فإن صَفحتَ فالصفحُ لكم مَعشرَ أهلِ البيت يُؤثر، والخيرُ والفضلُ كله فيكم مُدَّخر، ونحن العبيد وأنتم المَوالِي. فطوبى لمن كان لكم مُقارِباً وإلى وجوهكم ناظراً! وطُوبى لمن كان لكم مُجاوراً، وبعزِّكم قاهراً، وبضيائكم مبصراً! والويل لمن جهِل قَدرَكم ولم يعرف ما أوجبه اللَّه على هذا الخَلق لكم! فصغيرُكم كبير بل لا صغيرَ فيكم، وكبيركُم جليلٌ بل الجلالةُ التي وَهَبها اللَّه عزّ وجلّ للخلق هي لكم ومقصورةٌ عليكم. وبالكتاب نسألُك وبحقّ الرسول ندعوك إن كنتَ نشيطاً لمجلس هيَّأتُه لك لا يحسُن إلَّا بك ولا يتمّ إلا معك، ولا يصلح أن يُنقَل عن موضعه، ولا يُسلَك به غير طريقه». فلما قرأ عبد اللَّه الكتاب قال: إنَّا لنعرف تعظيمَها لنا وإكرامها لصغيرنا وكبيرنا. وقد علمتُ أنها قد آلتْ أليَّةً ألّا تغني أَحداً إلّا في منزلها. وقال للرسول: واللَّه قد كنتُ على الركوب إلى موضع كذا وكان في عَزمي المرورُ بها. فأمَّا إذا وافق ذلك مُرادها فإني جاعل بعد رجوعي طريقي عليها. فلمَّا صار إلى بابها أدخل بعضَ مَن كان معه إليها وصرف بعضَهم. فنظر إلى ذلك الحسنِ البارع والهيئة البادّة، فأعجبه ووقع من نفسه؛ فقال: يا جميلة! لقد أُوتيتِ خيراً كثيراً، ما أحسنَ ما صنعتِ! فقالت: يا سيِّدي، إنّ الجميل للجميل يصلُح، ولك هيَّأتُ هذا المجلس. فجلس عبد اللَّه بن جعفر وقامتْ على رأسه وقامت الجَواري صَفَّين؛ فأقسم عليها فجلست غيرَ بعيد. ثم قالت: يا سيِّدي، أَلا أُغنِّيك؟ قال: بلى! فغنَّت:

بني شَيبةِ الحمدِ[1] الذي كان وجهُه يُضيء ظلامَ الليلِ كالقمر البدرِ

(١) شيبة الحمد: لقب عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف جد النبي ﷺ.

كُـهـولُـهـم خـيـرُ الـكـهـولِ ونَـسـلُـهـم كـنـسـل الـمـلـوكِ لا يَـبُـورُ ولا يـحـري[١]
أَبـو عُـتـبـةَ الـمُـلـقـي إِلـيـك جـمـالَـه أغـرُّ هِـجـانُ الـلـون مـن نـفـر زُهـر
لِـسـاقـي الـحـجـيـج ثـم لـلـخـيـرِ هـاشـم وعـبـدِ مـنـافٍ ذلـك الـسـيِّـدِ الـغَـمـر[٢]
أَبـوكـم قُـصـيٌّ كـان يُـدعـى مُـجـمِّـعـاً بـه جـمَّـع الـلَّـه الـقـبـائـلَ مـن فِـهـر

[الطويل]

فقال عبد اللَّه: أحسنتِ يا جميلةُ وأحسن حُذافةُ ما قال! باللَّه أَعِيديه عليّ فأعادته، فجاء الصوت أحسنَ من الارتجال. ثم دعت لكل جاريةٍ بعود وأمرتهنّ بالجلوس على كراسيّ صغارٍ قد أعدّتها لهنّ، فضربن وغنت عليهنّ هذا الصوتَ وغنى جواريها على غِنائها. فلما ضربنَ جميعاً قال عبد اللَّه: ما ظننتُ أنّ مثلَ هذا يكون وإنه لممَّا يفتن القلب! ولذلك كَرهه كثيرٌ من الناس لِما علموا فيه. ثم دعا ببَغلته فركبها وانصرف إلى منزل. وقد كانت جميلةُ أعدّت طعاماً كثيراً، وكان أراد المُقام، فقال لأصحابه: تخلَّفوا للغداء، فتغَدَّوا وانصرفوا مسرورين. وهذا الشعر لحُذافة بن غانم بن عُبيد اللَّه بن عُوَيج بن عَدِيّ بن كَعب يمدح به عبد المطَّلب.

قال: وحدثني بعض المكيين قال:

كان العَرجيّ (وهو عبد اللَّه بن عمرو بن عثمان) شاعراً سخيّاً شجاعاً أديباً ظريفاً. ويشبَّه شعرُه بشعر عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدِّما عليه؛ وقد نُسِب كثيرٌ من شعره إلى شعرهما، وكان صاحب صيد. فخرج يوماً متنزّهاً من مكة ومعه جماعةٌ من غِلمانه ومواليه ومعه كِلابُه وفُهوده وصُقوره وبوازيه[٣] نحوَ الطائف إلى مالٍ له بالعَرْج ـ وبهذا الموضع سُمّي العَرجيّ ـ فجرى بينه وبين مولًى لبني أمية كلامٌ، فأمضّه المولى فكفَّ عنه العرجيّ حتى أوى إلى منزله، ثم هجم عليه ومعه غِلمانه فأمرهم أَن يُوثِقوه، ثم أمرهم أَن ينكِحوا امرأتَه وهو يراهم ففعلوا، ثم أخرجه فقتله. فبلغ أميرَ مكة ما فعل فطلَبه، فخرج من منزله وأخرج معه غِلمانَه ومَوالِيَه وآلَة الصيد وتوجّه نحو المدينة وقد رَكِب أفراسَه وأعدّ عُدّتَه. فلم يزل يتصيد ويقصِف في طريقه حتى دخل المدينةَ ليلاً، وأراد المُقام في منزل جميلة، وكانت آلت ألّا تغني بشعره ولا تُدخلَه منزلها لكثرة عَبَثه وسفهه وحَداثة سِنّه. فلما أعلِمت بمكانه ليلاً قالت: طارق! إِن له لشأناً! فاستخبرت خبرَه فقيل لها: إِنه قدِم مُستخفياً، ولم يرَ

(١) يحري: ينقص.
(٢) الغَمر: جمعها غِمار وغمور، وهو الكريم الواسع الخلق.
(٣) البوازي: مفردها بازي، وهو ضرب من الصقور.

بالمدينة موضعاً هو أطيبُ له من منزلك، والأيمانُ تكفَّر، والأشرافُ لا يُرَدُّون. فقالت لرسولها إليه: منزلي منزلُ جَوارٍ، ولا يمكن مثلك الاستخفاءُ فيه، فعليك بالأحوص ـ وكان الأحوص مُجانباً له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة ـ فقال: أَنّى لي بالأحوص مع الذي كان بيننا! قالت: ائتِه عني وقل له: قد غنينا بذلك الشعر؛ فإن أحببتَ أن تظهر وتبقى مودَّتنا لك، فأصلح ما بينك وبين عبد اللَّه، إذ أُصلِح ما بيننا، وأنزِله منزلك. قال لها: ليس هذا بمُقنِعي؛ أَمَّا إذا أَبيت أن أقيم بمنزلك فوَجّهي معي رسولاً إلى الأحوص فإنّ منزله أحبُّ المنازل إليّ بعد منزلك. فوجّهت معه إلى الأحوص بعضَ مَولياتها؛ فأنزله الأحوص وأَكرمه وأحسن جوارَه وستَر أمره. فقال شعراً ووجّه به إلى جميلة:

أَلا قـاتَـلَ الـلَّـه الـهـوى كـيـف أخـلَـقـا ... فـلـم تُـلـفِـه إلّا مَـشـوبـاً مُـمـذَّقـا[1]
ومـا مـن حـبـيـبٍ يـسـتـزيـر حـبـيـبَـه ... يُـعـاتـبـه فـي الـودّ إلا تـفـرَّقـا
أَمَـرَّ وصـالُ الـغـانـيـاتِ فـأصـبـحـت ... مَضاضتُه[2] يشجى بها مَن تَمطَّقا[3]
تـعـلّـق هـذا الـقـلـبُ لـلـحَـيـن مَـعـلَـقـاً ... غـزالاً تـحـلَّـى عِـقـدَ دُرٍّ ويـارَقـا[4]
إذا قـلـتُ مـهـلاً لـلـفـؤاد عـن الـتـي ... دعـتْـك إلـيـهـا الـعـيـنُ أَغـضـى وأطـرقـا
دعـانـا فـلـم نَـسـتـبـقِ حُـبّـاً بـمـا نـرى ... فـمـا مـنـك هـذا الـعـذلُ إلا تـخـرُّقـا
فـقـد سـنّ هـذا الـحـبَّ مَـن كـان قـبـلـنـا ... وقـاد الـصِّـبـا الـمـرءَ الـكـريـمَ فـأعـنـقـا

[الطويل]

فلمَّا قرأت شعرَه رقّتْ له وقالت: كيف لي بإِيلائي ألَّا يدخل منزلي ولا أغنِّيه بشعره؟! فقيل لها: يدخل منزلك وتغنِّين وتكفِّرين عن يمينك. فوجّهتْ إليه أَن صِرْ إلينا والأحوص في تلك الليلة، فجاءاها؛ وعرّفت الأحوص تكفير اليمين؛ فقال لها: وأَنا واللَّه شفيعُه إليكِ؛ ففرِّجي ما به من غَمٍّ فقد فارق من يحبّ ويهوى، فتُؤنسينه وتسُرِّينه وتغنِّينه بشعره. فغنت:

أَلَا قـاتَـلَ الـلَّـهُ الـهـوى كـيـف أخـلـقـا ... فـلـم تُـلـفِـهِ إلّا مـشـوبـاً مُـمـذّقـا

[الطويل]

وحدّثني بعض أَهلنا قال: قال يونس بن محمد:

كان الأحوصُ مُعجَباً بجميلة، ولم يكن يكاد يُفارق منزلها إذا جلستْ. فصار

(١) مذق: خلط وممذوقاً أي مخلوطاً.
(٢) المضاضة: عدم احتمال ألم المصيبة.
(٣) التمطُّق: التذوق والمضغ.
(٤) اليارق: السوار.

إليها يوماً بغلام جميل الوجه يفتن مَن رآه فشغل أَهلَ المجلس، وذهبت اللحونُ عن الجواري وخلَطن في غنائهنّ. فأشارت جميلة إلى الأحوص أَن أَخرِج الغلام؛ فالخللُ قد عمّ مجلسي وأفسد عليّ أمري. فأبى الأحوصُ وتغافل، وكان بالغلام مُعجباً، فآثر لَذّته بالنظر إلى الغلام مع السماع. ونظر الغلام إلى الوجوه الحِسان من الجواري ونظر إليه، وكان مجلساً عامّاً. فلما خافت عاقبةَ المجلس وظهورَ أمره أمرتْ بعض مَن حضر بإخراج الغلام فأُخرِج؛ وغضب الأحوص وخرج مع الغلام ولم يقلْ شيئاً؛ فأحمد أَهلُ المجلس ما كان من جميلة، وقال لها بعضهم: هذا كان الظنَّ بك، أكرمكِ اللَّه! فقالت: إنه واللَّه ما استأذنني في المجيء به ولا علمتُ به حتى رأيته في داري، ولا رأيت له وجهاً قبل ذلك؛ وإنه لَيعِزّ عليّ غضبُ الأحوص، ولكن الحقّ أَولى، وكان ينبغي له أَلّا يُعرِّض نفسه وإِيايَ لما نكرَه مثلَه. فلمَّا تفرَّق أَهلُ المجلس بعثتْ إليه: الذنبُ لك ونحن منه بُرَءاءُ؛ إذ كنت قد عرفت مذهبي، فلِمَ عرّضتَني للذي كان؛ فقد ساءني ذلك وبلغ مني؛ ولكن لم أَجد بُدّاً من الذي رأَيت إِمّا حياءً وإِمَّا تَمحينَ به ما كان منك. قالت: أَفعلُ ذلك سرّاً؛ قال الأحوص: قد رَضِيتُ. فجاءاها ليلاً فأكرمتهما، ولم تُظهر واحدةً من جواريها على ذلك إِلّا عجائزَ من مَواليها. وسألها الأحوص وأقسم عليها أَن تغنِّيه من شعره:

وبالقَفر دارٌ من جميلةَ هيّجتْ ... سوالفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنصِبِ
وكانت إِذا تنأى نوًى أَو تفرّقت ... شِدادُ الهوى لم تدرِ ما قولُ مِشغَب
أُسِيلةُ مجرى الدمعِ خُمصانةُ الحشا ... بَرُودُ الثنايا ذاتُ خَلقٍ مَشرعَبِ[1]
ترى العينُ ما تهوى وفيها زيادةٌ ... من الحسنِ إِذ تبدو ومَلهًى لمُلعِب

[الطويل]

قال يونس: ما لها صوتٌ أحسنُ منه، وابنُ مُحرِزٍ يغنِّيه وعنها أخذه، وأنا أغنِّيه فتُعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النخوة والتِّيه. وقال المحدِّث لي بهذا الحديث عن يونس: إِنّ هذا للأحوص في جميلة. والذي عندي أنه لطُفَيل الغنَوي قاله في ابن زيد الخيل، وهو زيد بن المُهلهِل بن المُختلِس بن عبد رُضاً أحدُ بني نَبهان، ونَبهان لقبٌ له، ولكنه سُودان بن عمرو بن الغَوث بن طيّئ، أغار على بني عامر فأصاب بني كِلاب وبني كَعب، واستحرّ القتلُ في غَنيٍّ بن أعصُر ومالك بن أعصُر؛ وأعصر هو الدخان، ولذلك قيل لهما ابنا دخان، وأخوهما الحارث وهو الطَّفاوةُ وهو مالك بن سعد بن قيس بن عَيلان، وغَطفَان بن سعد عمُّهم. وكانت غنيّ مع بني

(١) المشرعب: الطويل.

عامرٍ في دارهم مواليَ لنمير، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء. ثم إنّ غَنيّاً أغارت على طيِّئ وعليهم سيار بن هريم؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة:

وبالقفر دارٌ من جميلة هيّجت سوالفَ شوقٍ في فؤادك مُنصِبِ

[الطويل]

لحنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطاب لحناً جميلاً:

وحدثني أيّوب بن عَباية قال:

كان عمرو بن أحمر بن العمَرَّد بن عامر بن عبد شمس بن فَرّاص بن مَعن بن مالك بن أعصُر بن قيس بن عَيلان بن مُضر من شعراء الجاهلية المعدودين، وكان ينزل الشام، وقد أدرك الإِسلام وأسلم، وقال في الجاهلية والإِسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم: عمر بن الخطاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجّه أَبو بكر خالداً إلى الشام؛ ولم يأتِ أَبا بكر. وقال في خالد رحمه اللَّه:

إِذا قال سيفُ اللَّه كُرُّوا عليهمُ كَرَرتُ بقلب رابطِ الجأْش صارم

[الطويل]

وقال في عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قصيدة له طويلة جيِّدة:

أدركتُ آل أَبي حَفْص وأُسرتَه وقبل ذاك ودهراً بعده كَلِبَا
قد ترتمي بقوافٍ بيننا دُوَلٌ بين الهناتينِ لا جِدّاً ولا لَعِبَا
اللَّهُ يعلم ما قولِي وقولُهمُ إِذ يركبون جَناناً[1] مُسهَباً وربا[2]

[البسيط]

وقال في عثمان بن عفَّان رضي اللَّه عنه:

حُثّي فليس إلى عثمانَ مُرتَجعٌ إِلا العداء وإِلّا مُكنِعٌ[3] ضررُ
إِخالُها سَمِعت عَزفاً فتحسَبه إِهابةَ القَسر ليلاً حين تنتشر

[البسيط]

وقال في عليّ بن أَبي طالب رضي اللَّه عنه:

مَن مُبلِغٌ مَألُكاً عني أَبا حَسَنٍ فارتَحْ لخَصمٍ هداك اللَّه مظلوم

[البسيط]

---

(١) الجنان: القلب.
(٢) الوَرب: الفاسد.
(٣) المكنع: الحقير.

فلما أَنشدتْ جميلةُ قصيدتَه في عمر بن الخطاب، قالت: واللَّه لأعلمنّ فيها لحناً لا يسمعه أحدٌ أَبداً إِلا بكى. قال إِبراهيم: وصدَقتْ؛ واللَّه ما سمعتُه قَطُّ إِلا أَبكاني؛ لأني أجِد حين أسمعه شيئاً يضغَط قلبي ويَحرِقه فلا أملك عيني، وما رأيتُ أَحداً قطُّ سمعه إِلا كانت هذه حالَه.

صـــوت

من المائة المختارة

يـا دارَ عَـبـلـةَ مـن مَـشـارِقِ مَـأْسَـلِ ... دَرَس الـشـؤونُ وعـهـدُهـا لـم يَـنـجـلِ
فـاسـتـبـدلـتْ عُـفـرَ الـظِّـبـاء كـأنـمـا ... أَبـعـارُهـا فـي الـصـيـف حَـبُّ الـفُـلـفُـل
تـمـشـي الـنَّـعـام بـه خَـلاءً حـولـه ... مَـشـيَ الـنـصـارى حـول بـيـت الـهـيـكـل
إِحـذَر مَـحـلَّ الـسـوءِ لا تَـحـلُـل بـه ... وإِذا نَـبـا بـك مـنـزلٌ فـتَـحـوَّل

[الكامل]

الشعر، فيما ذكر يحيى بن عليّ عن إِسحاق، لعَنترة بن شدَّاد العبسيّ. وما رأَيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة، ولعله من رواية لم تقع إلينا؛ فذكر غير أبي أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خُفاف البُرْجُميّ، إِلا أَنّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشَكّ فيه. والغناء لأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجليّ، ولحنه المختار، على ما ذكره أَبو أَحمد، من الثقيل الأول. وذكر ابن خُرداذبه أنّ لحن أبي دُلَف خفيفُ ثقيل بالوسطى. وذكر إِسحاق أَنّ فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول المطلق في مجرى الوسطى، وأَن فيه لأبي دُلَف لحناً ولم يجنِّه. وذكر حبش أَن فيه لابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى، وأَن لَابن سُرَيج في البيت الثاني ثقيلاً أول، وذكر ابن خرداذبه أن خفيف الثقيل لمالك، وليس ممن يعتمد على قوله. وقد ذكر يونس أَيضاً أَن فيه غناء لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته.

ذكر عنترة ونسبه وبعض أخباره

نسب عنترة:

هو عنترةُ بن شَدّاد، وقيل: ابن عمرو بن شدّاد، وقيل: عنترة بن شدَّاد بن عمرو بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن ربيعة، وقيل: مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطيعة بن عَبس بن بَغيض بن الرَّيث بن غطَفان بن سَعد بن قيس بن عَيلان بن مُضر. وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلحاء؛ وذلك لتشقُّق شَفتيه. وأُمّه أمَةٌ حبشية يقال لها: زَبِيبة، وكان لها ولدٌ عبيدٌ من غير شدّاد، وكانوا إِخوته لأمّه. وقد كان شدّاد نفاه[1] مرّةً ثم اعترف به فأُلحق بنسبه. وكانت العرب تفعل ذلك، تستعبد بني الإِماء، فإِن أنجب اعترفت به وإِلّا بقي عبداً.

حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً:

فأخبرني عليّ بن سليمان النحويّ الأخفش قال: أَخبرنا أَبو سعيد الحسن بن الحسين السكّريّ عن محمد بن حَبيب، قال أَبو سعيد وذكر ذلك أَبو عمرو الشيبانيّ، قالا: كان عنترة قبل أَن يدّعيه أَبوه حرّشت عليه امرأَة أَبيه وقالت: إِنه يُراودني عن نفسي؛ فغضِب من ذلك شدّاد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرِّحاً وضربه بالسيف؛ فوقعت عليه امرأَة أَبيه وكفَّته عنه. فلما رأت ما به من الجِراح بكت ـ وكان اسمها سُميَّة وقيل: سُهيَّة ـ فقال عَنترة:

صـــوت

أَمِـن سُـمـيَّـة دمـعُ الـعـيـن مـذروفُ ... لـو أنّ ذا مـنـكِ قـبـل الـيـوم مـعـروفُ
كـأنّـهـا يـوم صـدّت مـا تـكـلِّـمـنـي ... ظَبيٌ بعُسفان[2] ساجي العين مطروفُ
تـحـلَّـلـتـنـي إِذ أَهـوى الـعـصـا قِـبَـلـي ... كـأنـهـا صَـنـمٌ يُـعـتـادُ مـعـكـوف

(١) نفاه: أي نفى نسبه إليه كولد.
(٢) عسفان: منطقة بين الجحفة ومكة.

العبدُ عبدُكُمُ والمالُ مالُكُم فهل عذابُك عنّي اليوم مصروف
تنسى بلائي إذا ما غارةٌ لَحِقتْ تخرُج منها الطُّوالاتُ السراعيف[1]
يحرُجن منها وقد بُلَّت رَحائلها بالماء تركُضها الشمُّ الغطاريف
قد أطعن الطعنةَ النجلاء عن عُرُضٍ تَصفرُّ كفُّ أَخيها وهو منزوف

[البسيط]

غنى في البيت الأول والثاني عَلَوية، ولحنه من الثقيل الأول مطلق في مجرى البنصر، وقيل: إنه لإبراهيم. وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال: إنه لابن سُرَيج، وهو من منحول ابن المكيّ.

قوله «مذروف»: من ذَرَفت عينُه، يقال: ذَرَفت تَذْرِفُ ذَريفاً وذَرفاً، وهو قَطرٌ يكاد يتصل. وقوله: «لو أَنّ ذا منك قبل اليوم معروف». أَي قد أَنكرتُ هذا الحنوّ والإشفاقَ منك، لأنه لو كان معروفاً قبل ذلك لم نكره. «ساجي العين»: ساكنها. والساجي: الساكن من كل شيء. «مطروف»: أصابت عينَه طرفةٌ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه. «تجللتني»: ألقت نفسها عليّ. و«أهوى»: اعتمد. «صنم يعتاد» أَي يُؤتى مرَّةً بعد مرَّة. و«معكوف»: يُعكفُ عليه. و«السراعيف»: السِّراع، واحدتها سُرعوفة. و«الطُّوالات»: الخيل. والرحائل: السروج. والشمم: ارتفاع في الأنف. و«الغطاريف»: الكرام والسادة أيضاً. والغطرفة: ضرب من السير والمشي يُختال فيه. و«النجلاء»: الواسعة، يقال: سِنانٌ مِنجَلٌ: واسع الطعنة. «عن عُرُض» أَي عن شِقٍّ وحَرف. وقال غيره: أَعترِضه اعتراضاً حين أقتُله.

سبب ادّعاء أبيه إياه:

أَخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حدثني عمي عن ابن الكلبيّ، وأَخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتيبة قال: قال ابن الكلبيّ:

شدَّادٌ جَدُّ عنترةَ غلَب على نسبه، وهو عنترة بن عمرو بن شدّاد؛ وقد سمعتُ من يقول: إن شدّاداً عمه، كان نشأ في حِجره فنُسب إليه دون أَبيه. قال: وإنما ادّعاه أَبوه بعد الكِبَر؛ وذلك لأن أمّه كانت أمّةً سوداء يقال لها زَبِيبة، وكانت العربُ في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أمةٍ استعبدوه. وكان لعنترة إخوةٌ من أُمّه عبيدٌ. وكان سببُ ادّعاء أبي عنترةَ إياه أنّ بعض أَحياء العرب أَغاروا على بني عَبس فأصابوا

(١) السراعيف: مفردها سرعوف، وهو الفرس الطويل.

منهم واستاقوا إبلاً، فتبَعهم العَبسيّون فلحقوهم فقاتلوهم عمَّا معهم وعنترةُ يومئذٍ فيهم؛ فقال له أَبوه: كُرَّ يا عنترةُ. فقال عنترة: العبدُ لا يُحسِنُ الكرّ، إنما يُحسِن الحِلابّ[1] والصرّ[2]. فقال: كرّ وأَنت حرّ، فكرّ وهو يقول:

أَنـا الـهـجـيـنُ عَـنـتـرهْ كـلُّ امـرئ يـحـمـي حِـرَهْ
أسـودَه وأحـمـرَه والـشـعَـراتِ الـمُـشـعَـره
الـواردات مـشـفَـره

[الرجز]

وقاتَل يومئذٍ قتالاً حسناً، فادّعاه أَبوه بعد ذلك وألحق به نسبه.

وحكى غير ابن الكلبيّ أنّ السببَ في هذا أنّ عبساً أَغاروا على طيّئ، فأصابوا نَعَماً، فلما أَرادوا القِسمة قالوا لعنترة: لا نَقِسم لك نصيباً مثل أَنصبائنا لأنك عبد. فلما طال الخَطبُ بينهم كرَّت عليهم طيّئ؛ فاعتزلهم عنترة وقال: دُونَكم القومَ، فإنّكم عَددُهم. واستنقذت طيّئ الإبل. فقال له أَبوه: كرّ يا عنترةُ. فقال: أَوَ يُحسِنُ العبد الكرّ! فقال له أبوه: العبدُ غيرُك، فاعترف به، فكرّ واستنقذ النَّعَم، وجعل يقول:

أَنـا الـهـجـيـنُ[3] عَـنـتـرهْ كـلُّ امـرئ يـحـمـي حِـرَهْ

[الرجز]

الأبياتَ.

قال ابن الكلبيّ: وعنترةُ أَحدُ أَغرِبة العرب، وهم ثلاثة: عنترة وأُمّه زبيبة وخُفاف بن عُمير الشريديّ وأُمّه نُدبة، والسُّلَيك بن عُمير السعديّ وأُمّه السُّلَكةُ، وإليهنّ يُنسبون. وفي ذلك يقول عنترة:

إنّـي امـرؤٌ مـن خـيـر عَـبـسٍ مَـنـصِـبـاً شَـطـري وأَحـمـي سـائـري بـالـمُـنـصُـلِ
وإذا الـكـتـيـبـةُ أحـجـمـتْ وتـلاحـظـت أُلـفِـيـتُ خـيـراً مـن مُـعِـمٍّ مُـخـوِلِ

[الكامل]

يقول: إنّ أَبي من أَكرم عَبْس بشطري، والشطرُ الآخر ينوب عن كرم أُمّي فيه ضَربي بالسيف، فأنا خيرٌ في قومي ممن عمه وخاله منهم وهو لا يُغني غَنائي.

(١) الحلاب: القيام بحلب الأبقار والإبل.
(٢) الصرّ: الشدة من الحرّ والكرب.
(٣) الهجين: العربي الذي ولد من أمَة، أو من أبوه أفضل من أمّه.

وأحسب أَن هذه القصيدة هي التي يُضاف إليها البيتان اللذان يُغنى فيهما، وهذه الأبيات قالها في حرب داحِس والغبراء.

قال أَبو عمرو الشيبانيّ: غزت بنو عبس بني تميم وعليهم قَيس بن زُهير، فانهزمت بنو عَبس وطلبتْهم بنو تميم، فوقف لهم عنترة، ولحِقتهم كَوكبةٌ من الخيل، فحامى عنترةُ عن الناس فلم يُصَب مُدبِرٌ. وكان قيس بن زُهير سيِّدهم، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذٍ، فقال حين رجع: واللَّه ما حمى الناسَ إِلا ابنُ السوداء. وكان قيس أكولاً. فبلغ عنترةَ ما قال؛ فقال يعرّض به قصيدتَه التي يقول فيها:

صـــوت

بَكرتْ تُخوِّفُني الحُتوفَ كأَنَّني ... أَصبحتُ عن عَرَض الحُتوف بمَعزِلِ
فأجبتُها أنّ المنيَّةَ مَنهلٌ ... لا بدّ أن أُسقى بكأس المنهلِ
فاْقنْي حياءكِ لا أبا لكِ واعلمي ... أَني امرؤ سأموت إِن لم أُقتل
إِنّ المنيَّة لو تُمثَّلُ مُثّلتْ ... مِثلي إِذا نزلوا بضَنكِ المنزل
إِني امرؤ من خير عَبسٍ مَنصِباً ... شَطرِي وأحمي سائري بالمُنصُل
وإِذا الكتيبةُ أَحجمتْ وتلاحظتْ ... أُلفِيتُ خيراً من مُعِمٍّ مُخولِ
والخيلُ تعلم والفوارسُ أنني ... فرّقتُ جَمعهمُ بضربةِ فيصل
إِذ لا أُبادر في المَضيق فوارسي ... أَوَ لا أُوَكَّلُ بالرّعيل الأول
إِن يُلحَقوا أَكرُر وإِن يُستَلحموا ... أَشدُد وإِن يُلفَوا بضنكٍ أنزِل
حين النزولُ يكون غايةَ مثلنا ... ويفِرّ كلُّ مُضلَّلٍ مُستوهِل
والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنما ... تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظل
ولقد أبِيتُ على الطَّوى وأظَلُّه ... حتى أنالَ به كريمَ المأكل

[الكامل]

عَروضه من الكامل. غنت في الأربعة الأبيات الأول والبيت الثاني عَرِيبُ خفيفَ رمل بالبنصر من رواية الهشاميّ وابن المعتزّ وأبي العُبينس.

«الحتوف»: ما عرض للإِنسان من المكاره والمتالف. «عن عَرَض»: أَي ما يعرض منها. «بمعزل»: أَي في ناحية معتزلة عن ذلك. و«منهل»: مورد. وقوله: «فاقني حياءك»: أَي احفظيه ولا تضيِّعيه. و«الضَّنك»: الضيق. يقول: إِن المنيَّة لو

خُلِقت مِثالاً لكانت في مثل صورتي. و«المَنصِب»: الأصل. و«المُنصُل»: السيف، ويقال مُنصَل أَيضاً بفتح الصاد. وأحجمت: كَعَّت. و«الكتيبة»: الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر. و«تلاحظت»: نظرتْ مَن يُقدِم على العدوّ. وأَصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمُؤخِر العين. و«الفيصل»: الذي يفصِل بين الناس. وقوله: «لا أبادر في المضيق فوارسي»: أَي لا أَكون أول منهزم ولكني أَكون حاميتهم. و«الرعيل»: القطعة من كل شيء. و«يُستَلحموا»: يُدرَكوا. والمُستَلحَم: المُدْرِك؛ وأنشد الأصمعيّ:

نَجَّى علاجاً وبِشراً كلُّ سَلهبةٍ واستلحم الموتُ أَصحابَ البراذِينِ

[البسيط]

و«ساهمة»: ضامرة متغيّرة، قد كَلَّ فوارسُها لشدّة الحرب وهَولها. وقوله: «لقد أبيت على الطوى وأظله». قال الأصمعيّ: أبيت بالليل على الطوى وأظلّ بالنهار كذلك حتى أنال به كريم المأكل أَي ما لا عيبَ فيه عليّ، ومثله قوله: إنه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقُهما طعاماً ولا شراباً أَي لا أذوق فيهما. والطوى: خَمَصُ البطن، يقال: رجل طَيَّان وطاوِي البطن.

وأَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدّثنا عمر بن شبَّة قال: حدثنا ابن عائشة قال:

أُنشِد النبيُّ ﷺ قولَ عَنترةَ:

ولقد أَبِيتُ على الطَّوى وأظَلُّه حتى أَنالَ به كريمَ المأكلِ

[الكامل]

فقال ﷺ: **«ما وُصِف لي أعرابيٌّ قَطُّ فأحببت أَن أراه إلا عنترةَ»**.

كيف ألحق إِخوته لأمه بنسب قومه:

أَخبرني عليّ بن سليمان قال: حدثنا أَبو سعيد السكريّ عن محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابي وأَبي عُبيدة:

أَن عنترة كانت له إِخوة من أمّه، فأحبّ عنترةُ أَن يدّعيَهم قومُه؛ فأمر أخاً له كان خيرَهم في نفسه يقال له: «حنبل»، فقال له: أَرِ مُهرَكَ من اللبن ثم مُرَّ به عليَّ عشاءً. فإذا قلت لكم: ما شأنُ مُهرِكم مُتخدِّداً[1] مهزولاً ضامراً، فاضرب بطنه بالسيف كأنك تُرِيهم أَنك قد غَضبتَ مما قلتُ. فمرّ عليهم، فقال له يا حنبل، ما شأنُ مهركم

(١) متخدِّد: ضعيف الخدين من شدة الضعف والهزال.

متخدّداً أعجز[١] من اللبن؟ فأهوى أَخوه بالسيف إلى بطن مُهره فضربه فظهر اللبن. فقال في ذلك عَنترةُ:

أبني زبيبةَ ما لِمُهرِكمُ مُتخدِّداً وبطونُكم عُجرُ
أَلكم بإِيغال الوليدِ على أثَر الشِّياه بشدَّةٍ خُبْرُ

[الكامل]

وهي قصيدة. قال: فاستلاطه نفرٌ من قومه ونفاه آخرون. ففي ذلك يقول عنترة:

أَلَا يا دارَ عَبلةَ بالطَّويِّ كرَجعِ الوَشمِ في كفّ الهَدِيِّ[٢]

[الوافر]

وهي طويلة يُعدِّد فيها بلأَه وآثاره عند قومه.

جوابه حين سئل أنت أشجع العرب:

أَخبرني عمي قال: أَخبرني الكُرانِيّ عن النَّضر بن عمرو عن الهَيثم بن عَدي قال: قيل لعنترة: أَنت أَشجعُ العرب وأَشدُّها؟ قال: لا. قيل: فبماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أُقدِمُ إِذا رأيتُ الإِقدام عَزماً، وأُحجِمُ إِذا رأَيتُ الإِحجام حَزماً، ولا أَدخلُ إِلا موضعاً أرى لي منه مَخرَجاً، وكنتُ أَعتمِد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلبُ الشُّجاع فأُثنّي عليه فأَقتله.

أَخبرني حبيب بن نَصر وأَحمد بن عبد العزيز قالا: حدثنا عمر بن شبَّة قال:

قال عمر بن الخطاب للحُطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنا ألفَ فارس حازم. قال: وكيف يكون ذلك؟ قال: كان قيس بن زُهير فينا وكان حازماً فكنا لا نعصيه. وكان فارسنا عنترةَ فكنَّا نحمِل إذا حمل ونُحجِم إذا أحجم. وكان فينا الرَّبيع بن زِياد وكان ذا رأي فكنا نستشيره ولا نُخالفه. وكان فينا عُروة بن الوَرد فكنَّا نأتمّ بشعره، فكنا كما وصفتُ لك. فقال عمر: صدَقتَ.

أَخبرني عليّ بن سليمان قال: حدثنا أَبو سعيد السكريّ قال: قال محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل عن أَبي عبيدة وابن الكلبيّ قالا:

موته واختلاف الروايات في سببه:

أَغار عنترةُ على بني نَبهان من طيّئ فطَرَد[٣] لهم طريدةً وهو شيخ كبير،

(١) أعجز: ممتلئ بالطعام.
(٢) الهديّ: العروس.
(٣) طرد: ساق وجرّ.

فجعل يرتجز وهو يطرُدها ويقول:

آثـارُ ظُـلـمـانٍ[١] بـقـاع[٢] مُـحـرب[٣]

قال: وكان زِرّ بن جابر النَّبهانيّ في فُتُوّة، فرماه وقال: خذها وأَنا ابن سَلمى، فقطع مَطاه؛ فتحاملَ بالرَّمية حتى أَتى أَهلَه؛ فقال وهو مجروح:

وإنّ ابـنَ سَـلـمـى عـنـده فـاعـلـمـوا دَمـي وهـيـهـاتَ لا يُـرجـى ابـن سـلـمـى ولا دَمِـي
يـحـلُّ بـأكـنـاف الـشِّـعـاب ويـنـتـمـي مـكـانَ الـثُّـرَيَّـا لـيـس بـالـمُـتـهَـضَّـم
رمـانـي ولـم يَـدهَـش بـأزرقَ لَـهـذَمٍ عـشـيَّـة حـلُّـوا بـيـن نَـعـفٍ[٤] ومَـخـرِم[٥]

[الطويل]

قال ابن الكلبيّ: وكان الذي قتله يلقّب بالأسد الرهيص[٦]. وأَما أَبو عمرو الشيبانيّ فذكر أنه غزا طيّئاً مع قومه، فانهزمت عَبسٌ، فخرّ عن فرسه ولم يَقدِر من الكِبَر أن يعود فيركب؛ فدخل دَغَلاً، وأبصره رَبيئة[٧] طيّئ فنزل إليه، وهاب أن يأخذه أَسيراً فرماه وقتله.

وذكر أَبو عبيدة أَنه كان قد أسنّ واحتاج وعجز بكبر سِنِّه عن الغارات، وكان له على رجل من غَطفان بَكرٌ، فخرج يتقاضاه إِياه؛ فهاجت عليه ريحٌ من صَيف وهو بين شَرْجٍ وناظرة، فأصابته فقتلتْه.

قال أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلَّام قال:

كان عمرو بن معد يكرب يقول: ما أُبالي مَن لَقيتُ من فُرسان العرب ما لم يلقَني حُرَّاها وهَجيناها. يعني بالحُرَّينِ عامرَ بن الطُّفيل وعُتيبةَ بن الحارث بن شِهاب، وبالعَبدين عنترة والسُّليكَ بن السُّلكة.

هذه أخبار عنترة قد ذكرت فيها ما حضر.

نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمي:

وأما عبد قَيس بن خُفاف البُرجُميّ فإِنّي لم أجد له خبراً أَذكره إِلَّا ما أَخبرني به

(١) ظلمان: مفردها ظليم، وهو ذكر النعام. (٢) القاع: أرض سهلة بين الجبال والآكام.
(٣) مُحرب: شديد الحرب.
(٤) نعف: ما انحدر عن السفح وغلظ. (٥) المخرم: الجبل الذي لا قمة له.
(٦) الرهيص: الذي يرسخ في مكانه لا يبرحه كأنه رهص.
(٧) ربيئة: طليعة أو سرية.

جعفر بن قُدامة قال: قرأت في كتابٍ لأبي عثمان المازنيّ: كان عبد قَيس بن خُفاف البُرجُميّ أَتى حاتم طيّئ في دِماء حمَلها عن قومه فأسلموه فيها وعَجِز عنها، فقال: واللَّه لآتينّ مَن يحمِلها عنّي، وكان شريفاً شاعراً شُجاعاً؛ فقدِم على حاتم وقال له: إنه وقعت بيني وبين قومي دماءٌ فتواكلوها، وإني حملتها في مالي وأهلي، فقدّمتُ مالي وأخَّرتُ أهلي، وكنتُ أوثقَ الناس في نفسي. فإن تحمَّلتُها فكَم من حَقٍّ قَضيتُه وهَمٍّ كفيتُه، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُم يومَك ولم أنس غدك؛ ثم أنشأ يقول:

حملتُ دماءً للبراجِم جَمَّةً ... فجئتُكَ لمَّا أسلمتْني البراجمُ
وقالوا سَفاهاً لِمْ حَملتَ دماءَنا ... فقلتُ لهم يكفي الحَمالةَ حاتم
متى آته فيها يَقُلْ لِيَ مرحباً ... وأَهلاً وسهلاً أخطأتْكَ الأشائم
فيحملها عنّي وإن شئتُ زادني ... زيادةَ مَن حِيزتْ إليه المكارم
يعيش النَّدى ما عاش حاتمُ طيّئٍ ... وإن مات قامت للسخاء مآتم
يُنادينَ مات الجودُ مَعْك فلا نَرى ... مُجيباً له ما حام في الجوِّ حائم
وقال رجال أنهبَ العامَ مالَه ... فقلت لهم إني بذلك عالم
ولكنه يُعطى مِنَ أموال طيّئٍ ... إذا حلَق المالَ الحقوقُ اللوازم
فيُعطي التي فيها الغِنى وكأنه ... لتصغيره تلك العطيَّةَ جارم
بذلك أوصاه عَدِيٌّ وحَشرَجٌ ... وسَعدٌ وعبدُ اللَّه تلك القماقِم

[الطويل]

فقال له حاتم: إني كنتُ لأحِبّ أَن يأتيني مثلُك من قومك، وهذا مِرباعي من الغارة على بني تميم فخذه وافراً، فإن وَفى بالحمالة، وإلا أَكملتُها لك، وهي مائتا بعير سوى نيبِها وفِصالها، مع أنّي لا أحِبّ أن تُؤبِّس[1] قومك بأموالهم. فضحِك أَبو جُبيل وقال: لكم ما أَخذتم منَّا ولنا ما أَخذنا منكم، وأَيّ بعير دفعتَه إليّ وليس ذَنَبُه في يد صاحبه فأنت منه بريء. فأخذها وزاده مائةَ بعير، وانصرف راجعاً إلى قومه. فقال حاتم:

أَتاني البُرجُميّ أَبو جُبيلٍ ... لِهَمٍّ في حَمالتِه طويلِ
فقلت له خُذِ المرباعَ[2] منها ... فإنّي لستُ أرضى بالقليل
على حالٍ ولا عوّدتُ نفسي ... على عِلّاتها عِلَلَ البخيل

(١) تؤبس: تؤنب بشدّة وتوبِّخ.
(٢) المرباع: ما يأخذه السيد من الغنيمة خاصة دون غيره وهو الربع يقتطعه لنفسه.

فـخُـذهـا إِنـهـا مـائـتَـا بـعـيـرٍ سـوى الـنـابِ الـرذيّـة والـفـصـيـل
ولا مَـنٌّ عـلـيـك بـهـا فـإِنّـي رأَيـتُ الـمَـنّ يُـزرِي بـالـجـمـيـل
فـآبَ الـبُـرجُـمـيُّ ومـا عـلـيـه مِـنَ ٱعـبـاء الـحـمـالـة مـن فـتـيـل
يَـجـرُّ الـذَّيـلَ يـنـفُـض مِـذرَوَيـهِ[1] خـفـيـفَ الـظـهـر مـن حـمـلٍ ثـقـيـل

[الوافر]

(١) مذرويه: المذر هو الفساد.

ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره

هو القاسم بن عيسى بن إدريس، أَحد بني عِجل بن لُجَيم بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وائل. ومحلُّه في الشجاعة وعُلُوِّ المحلّ عند الخلفاء وعِظَم الغَناء في المشاهد وحُسنِ الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد من نُظرائه. وذكرُ ذلك أَجمع مما لا معنى له لطوله؛ وفي هذا القدر من أَخباره مَقنَع. وله أَشعارٌ جِيادٌ، وصنعةٌ كثيرة حسنة. فمن جيِّد شعره وله فيه صنعة قولُه:

صــوت

بـنـفـسـي يـا جِـنـانُ وأَنـتِ مـنّـي ... مـحـلُّ الـروح مـن جـسـد الـجَـبـانِ
ولـو أنّـي أقـول مـكـانَ نـفـسـي ... خَـشـيـتُ عـلـيـك بـادرةَ الـزمـان
لإِقـدامـي إِذا مـا الـخـيـلُ حـامـت ... وهـابَ كُـمـاتُـهـا حَـرَّ الـطِّـعـان

[الوافر]

وله فيه لحن. وهذا البيت الأول أخذه من كلام إِبراهيم النظَّام.

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحَرُون قال:

لقي إِبراهيم النظَّام غلاماً حسنَ الوجه، فاستحسنه وأراد كلامه فعارضه، ثم قال له: يا غلام، إِنك لولا ما سَبق من قول الحكماء مما جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم: لا ينبغي لأحدٍ أَن يكبُر عن أَن يسأل، كما أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُر عن أن يقول، لمَا أنبتُ إلى مخاطبتك ولا انشرح صدري لمحادثتك، لكنه سببُ الإِخاء وعَقد المودّة، ومحلُّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان. فقال له الغلام ـ وهو لا يعرفه ـ: لئن قلتَ ذلك أَيها الرجل لقد قال: أستاذنا إِبراهيم النظَّام: الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة؛ وكِياني مالٌ إلى كِيانك بكلِّيتي. ولو كان الذي انطوى عليه عَرَضاً لم أعتَدّ به وُدّاً، ولكنه جوهر جسمي؛ فبقاؤه ببقاء النفس، وعَدَمُه بعدَمها؛ وأَقول كما قال الهذليّ:

فـتَـيـقَّـنـي أن قـد كـلِـفـتُ بـكـم ثـم افـعـلـي مـا شـئـتِ مـن عـلـم
[الكامل]

فقال له النظام: إنما كلّتمك بما سمعتَ وأَنت عندي غلام مُستحسَن؛ ولو علمتُ أنّ محلّك مثلُ محلّ مَعمَرٍ وطَبَقت في الجدَل لَمَا تعرّضتُ لك. قال أَبو الحسن: ومن هذا أخذ أَبو دُلَفَ قولَه:

أُحـبُّـكِ يـا جِـنـانُ وأنـتِ مـنـي مـحـلَّ الـرُّوح مـن جـسـد الـجـبـان
[الوافر]

ومن جيِّد شعره وله فيه صنعة قوله:

صـوت

فـي كـلّ يـوم أَرى بـيـضـاءَ طـالـعـةً كـأنـمـا أُنـبِـتـتْ فـي نـاظـر الـبـصـرِ
لـئـن قـصَـصـتُـكِ بـالـمِـقـارضِ عـن بـصـري لَـمَـا قـطـعـتُـكِ عـن هَـمِّـي وعـن فِـكَـري
[البسيط]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب قال: حدثني أبي قال: سمعت عبد العزيز بن دُلَف بن أَبي دُلَف يقول: حدثتني ظَبية جارية أَبي قالت: إِني لَمَعهُ ليلةً بالسرادِنِ وهو جالسٌ يشرَب معي وعليه ثيابٌ ممسَّكة، إِذ أتاه الصريخ بطروق الشُّراة أطرافَ عسكره؛ فلبس الجَوشَنَ ومضى فقتَل وأَسَر وانصرف إِليّ في آخر الليل وهو يغنّي ـ قالت: والشعر له ـ:

صـوت

لـيـلـتـي بـالـسـرادنِ كُـلِّـلـتْ بـالـمـحـاسـن
وجَـوارٍ أوانـسٍ كـالـظِّـبـاءِ الـشَّـوادن
بُـدِّلـتْ بـالـمُـمـسَّـكـا تِ ادِّراعَ الـجَـواشِـن
[مجزوء الخفيف]

الشعر لأبي دُلَف. والغناء له رملٌ بالسبَّابة في مجرى البنصر.

وقال أحمد بن أَبي طاهر: كان أَبو دُلف القاسم بن عيسى في جملة مَن كان مع الإِفشِين خَيذَر بن كاوُوس لمَّا خرج لمحاربة بابَك، ثم تنكَّر له؛ فوجّه يوماً بمن جاء به ليقتله. وبلَغ المعتصمَ الخبرُ، فبعث إليه بأحمد بن أَبي دُواد وقال له: أدرِكْه، وما أراك تلحَقه، فاحتلْ في خَلاصه منه كيف شئتَ. قال ابنُ أَبي دُواد: فمضيتُ رَكضاً

حتى وافيتُه، فإذا أَبو دُلف واقفٌ بين يديه وقد أَخَذ بيديه غلامان له تركيَّان، فرميتُ بنفسي على البِساط، وكنت إذا جئته دعا لي بمُصلّى، فقال لي: سبحانَ اللَّه! ما حملك على هذا؟ قلت: أنت أجلستني هذا المجلسَ. ثم كلّمتُه في القاسم وسألته فيه وخضعتُ له، فجعل لا يزداد إِلَّا غِلظةً. فلما رأيتُ ذلك قلت: هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرِّفق به فلم ينفع، وليس إِلا أخذُه بالرَّهبة والصِّدق؛ فقمتُ فقلت: كم تُراك قدَرتَ! تقتُل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد، وتُخالف أمره في قائد بعد قائد! قد حملتُ إليك هذه الرسالة عن أمير المؤمنين، فهاتِ الجوابَ! قال: فذلّ حتى لصِق بالأرض وبان لي الاضطرابُ فيه. فلما رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أَبي دُلَف وأخذت بيده، وقلت له: قد أخذتُه بأمر أَمير المؤمنين. فقال: لا تفعل يا أَبا عبد اللَّه. فقلت: قد فعلتُ. وأخرجت القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المعتصمَ. فلما بَصُر بي قال: بك يا أبا عبد اللَّه وَرِيَتْ زِنادي، ثم ردّ عليّ خبري مع الإِفشِين حَدساً بظنّه ما أخطأ فيه حرفاً؛ ثم سألني عما ذكره لي وهو كما قال، فأخبرتُه أنه لم يخطئ حرفاً.

قال عليّ بن محمد حدثني جَدّي قال:

كان أحمد بن أَبي دواد يُنكر أمرَ الغناء إِنكاراً شديداً. فأعلمه المعتصم أن صديقه أَبا دُلَف يغني؛ فقال: ما أَراه مع عقله يفعل ذلك. فستر أحمدَ بن أَبي دُواد في موضع وأحضر أبا دُلَف وأمره أَن يغني، ففعل ذلك وأطال؛ ثم أخرج أحمد بن أبي دُواد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ في وجهه. فلما رآه أحمد قال له: سَوءةً لهذا من فِعل! بعد هذه السِّنّ وهذا المحلّ تضع نفسك كما أَرى! فخجِل أَبو دُلف وتشوّر[1]، وقال: إِنهم أكرهوني على ذلك. فقال: هَبهُم أكرهوك على الغناء أفأكرهوك على الإِحسان والإِصابة!

سمع المعتصم غناءه عند الواثق فمدحه:

قال عليّ: وحدثني جَدّي: أَنّ سبب مُنادمته للمعصتم أَنه كان نديماً للواثق، وكان أبو دُلَف قد وُصِف للمعتصم فأحب أن يسمعه، وسأل الواثقَ عنه؛ فقال: يا أَمير المؤمنين، أَنا على الفَصْد غداً وهم عندي. فقال له المعتصم: أحِبّ أَلَّا تُخفي عليّ شيئاً من خبركم. وفُصِد[2] الواثق، فأتاه أَبو دُلَف وأَتته رسل الخليفة بالهدايا، وأَعلمهم الواثق حضورَ أَبي دُلَفَ عنده؛ فلم يلبث أَن أقبل الخدَمُ يقولون: قد جاء

(١) تشوَّر: فعل معه فعلاً يُستحيا منه.
(٢) فُصِدَ: شُقَّ عِرْقه.

الخليفة. فقام الواثق وكلّ مَن عنده حتى تَلقَّوه حين برَز من الدِّهليز إلى الصَّحن؛ فجاء حتى جلس، وأمَر بنُدماء الواثق فرُدُّوا إلى مجالسهم. قال حَمدون: وخَنَستُ عن مجلسي الذي كنتُ فيه لحداثتي؛ فنظر المعتصم إلى مكاني خالياً، فسأل عن صاحبه فسُمِّيتُ له، فأمر بإحضاري فرجعت إلى مكاني، وأمر بأن يُؤتى برطلٍ من شرابه فأُتى به؛ فأقبل على أبي دُلف فقال له: يا قاسم، غَنِّ أمير المؤمنين صوتاً؛ فما حَصِر ولا تثاقلَ وقال: أُغني أَمير المؤمنين صوتاً بعينه أَو ما اخترته؟ قال: بل غنِّ صنعتَك في شعر جرير:

بـانَ الـخـلـيـطُ بـرامَـتَـيـنِ فـودَّعـوا

فغنَّاه إِياه. فقال المعتصم: أحسن! أحسن! ثلاثاً، شرب الرَّطل، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى والى بين سبعة أَرطال، ثم دعا بحمار فركِبه، وأمر أَبا دُلف أَن ينصرف معه، وأمرني بالانصراف معهما، فخرجتُ أَسعى مع رِكابه، فثُبِّت في نُدمائه من ذلك اليوم، وأمر لأبي دُلف بعشرين أَلف دينار.

نسبة الصوت الذي غنَّاه أَبو دلف

صـوت

بـان الـخـلـيـطُ بـرامـتَـيـنِ فـودّعـوا أَوَ كُـلَّـمـا اعـتـزمـوا لـبـيـنٍ تَـجـزَعُ

كـيـف الـعـزاءُ ولـم أجِـد مـذ غِـبـتُـمُ قـلـبـاً يَـقـرُّ ولا شـرابـاً يَـنـقَـعُ

[الكامل]

عَروضه من الكامل. الشعر لجرير، والغناء لأبي دُلف ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو بن بانة.

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أَبيه قال:

كان جعفر بن أَبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرديَّة يستخف مُطيعَ بن إِياس، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلةٌ حسنة. فذكر له مُطيع بن إِياس حمَّاداً الراوية، وكان مطَّرحاً مَجفُوّاً في أيّامهم. فقال له: دَعني، فإنّ دولتي كانت في بني أُميَّة وما لي عند هؤلاء خير. فأبى مُطيع إِلا الذهاب به إليه. فاستعار سواداً وسيفاً؛ ثم أَتاه فدخل على جعفر فسلّم عليه وجلس. فقال له جعفر: أَنشِدني. فقال: لمن أَيها الأمير؟ قال: لجرير. قال حماد: فسلخ اللَّه شعرَه أجمع من قلبي إِلَّا قولَه:

بـانَ الـخـلـيـطُ بـرامـتـيـن فـودّعـوا

فاندفعتُ أنشِده إياه حتى بلغتُ إلى قوله:

وتـقـول بَـوزَعُ قـد دَبَـبـتَ عـلـى الـعـصـا هَـلَّا هَـزِئـتِ بـغـيـرنـا يـا بَـوزَعُ

[الكامل]

قال حمَّاد فقال لي جعفر: أعِد هذا البيت فأعدتُه؛ فقال: إيش هو بَوزع؟ قلتُ: اسم امرأة. قال: امرأةٌ اسمها بَوزع! هو بريءٌ من اللَّه ورسوله ومن العباس بن عبد المطَّلب إن كانت بَوزع إلا غولاً من الغِيلان! تركتَني واللَّه يا هذا لا أَنام الليل من فزع بَوزع! يا غِلمان، قَفاه. قال: فصُفِعتُ واللَّه حتى لم أدرِ أين أَنا. ثم قال: جُرُّوا برجله، فجرُّوا برجلي حتى أخرجتُ من بين يديه وقد تَخرَّق السوادُ وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً مما جرى من ذلك. وكان أغلظ من ذلك عليّ غرامتي السوادَ والسيف. فلما انصرف إليّ مُطيع جعل يتوجَّع لي. فقلت له: ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً وأَنّ حظِّي قد مضى مع من مضى من بني أمية!

رجع الحديث إلى أخبار أَبي دُلف.

وكان أَبو دُلف جواداً ممدَّحاً؛ وفيه يقول عليّ بن جَبَلة:

إنـمـا الـدُّنـيـا أَبـو دُلَـفٍ بـيـن مَـغـزاهُ ومُـحـتـضَـرهْ

وإذا وَلّـى أَبـو دُلـفٍ وَلَّـتِ الـدُّنـيـا عـلـى أَثَـرِهْ

وهي من جيِّد شعره وحَسَن مدائحه. وفيها يقول:

ذادَ وِردَ الـغَـيّ عـن صَـدَرِه وارعـوى والـلَّـهـوُ مـن وَطَـرِهْ

نَـدَمـي أَنّ الـشـبـابَ مـضـى لـم أبـلِّـغـهُ مَـدى أَشـرِه

حَـسَـرتْ عـنّـي بَـشـاشـتُـه وذوى الـمـحـمـودُ مـن ثَـمـرِه

ودَم أَهـدرتُ مـن رشـإٍ لـم يُـرِد عَـقـلاً عـلـى هَـدَرِه

فـأتـت دون الـصِّـبـا هَـنَـةٌ قـلـبـتْ فُـوقِـي[1] عـلـى وتَـرِه

دَعْ جَـدا قَـحـطـانَ أَو مُـضَـرٍ فـي يَـمـانِـيـهِ وفـي مُـضـرِه

وامـتـدِحْ مـن وائـلٍ رجـلاً عُـصُـرُ الآفـاقِ مـن عُـصُـرِه

الـمـنـايـا فـي مَـقـانِـبِـهِ[2] والـعـطـايـا فـي ذَرا حُـجَـرِه

(١) الفوق: موضع الوتر من السهم. (٢) المقانب: الوحوش الضارية.

مَـلِـكٌ تـنـدى أَنـامِـلُـه كـانـبـلاج الـنَّـوْء عـن مَـطَـرِه
مـسـتـهـلٌّ عـن مَـواهـبِـه كـابـتـسـام الـرّوض عـن زَهَـره
جَـبَـلٌ عـزّتْ مَـنـاكِـبُـه أمِـنـتْ عَـدنـانُ فـي نَـفَـرِه
إنـمـا الـدُّنـيـا أَبـو دُلَـفٍ بـيـن مَـغـزاهُ ومُـحـتـضَـرِه
فـإذا ولَّـى أَبـو دُلَـفٍ ولَّـتِ الـدنـيـا عـلـى أَثَـرِه
كـلُّ مَـن فـي الأرض مـن عَـرَبٍ بـيـن بـادِيـه إلـى حـضَـرِه
مـسـتـعـيـرٌ مـنـه مَـكـرُمـةً يـكـتـسـيـهـا يـومَ مُـفـتـخَـرِه

[المديد]

وهذان البيتان هما اللذان أحفظا المأمونَ على عليّ بن جَبَلة حتى سلّ لسانه من قَفاه، وقولُه في أَبي دُلَف أَيضاً:

أَنـت الـذي تُـنـزل الأيَّـامَ مـنـزلـهـا وتـنـقُـلُ الـدهـرَ مـن حـال إلـى حـالِ
ومـا مـددتَ مـدى طَـرْفٍ إلـى أحـدٍ إلا قـضـيـتَ بـأرزاقٍ وآجـالِ

[البسيط]

وسنذكر ذلك في موضعه من أَخبار عليّ بن جبلة إِن شاء اللَّه تعالى؛ إِذ كان القصد هاهنا أمرَ أَبي دُلَف.

أَخبرني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال:

كنَّا عند أبي العباس المبرّد يوماً وعنده فَتى من ولد أَبي البَختري وهْب بن وهب القاضي أمردُ حسنُ الوجه، وفتًى من ولد أَبي دُلف العِجليّ شبيه به في الجمال. فقال المبرّد لابن أَبي البختريّ: أعرف لجدّك قصَّةً ظريفة من الكرم حسنةً لم يُسبَق إليها. قال: وما هي؟ قال: دُعِي رجلٌ من أَهل الأدب إلى بعض المواضع، فسقَوه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه؛ فقال فيهم:

نَـبـيـذانِ فـي مـجـلـسٍ واحـدٍ لإيـثـار مُـثـرٍ عـلـى مُـقـتِـرِ
فـلـو كـان فـعـلُـك ذا فـي الـطـعـام لَـزِمـتَ قـيـاسَـك فـي الـمُـسـكِـر
ولـو كـنـتَ تـطـلـب شـأوَ الـكـرام صـنـعـتَ صـنـيـعَ أَبـي الـبَـخـتـري
تـتـبَّـعَ إِخـوانَـه فـي الـبـلاد فـأغـنـى الـمُـقِـلَّ عـن الـمُـكـثِـر

[المتقارب]

فبلغت الأبياتُ أَبا البختريّ فبعث إليه بثلاثمائة دينار. قال ابن عمَّار: فقلت: قد فعل جَدُّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أَحسنُ من هذا. قال: وما فعل؟ قلت: بلغه

أَنّ رجلاً افتقر بعد ثروة، فقالت له امرأته: افترِض في الجند؛ فقال:

إِليكِ عنّي فقد كَلَّفتِني شَطَطاً ... حَمْلَ السلاحِ وقيل الدارعين قِفِ
تمشي المنايا إلى غيري فأكرَهُها ... فكيف أمشي إليها عارِيَ الكتِف
حَسِبتِ أَنّ نفادَ المال غيّرني ... وأَنّ رُوحيَ في جَنبَي أَبي دُلَف

[البسيط]

فأحضره أَبو دُلف ثم قال له: كم أمّلتِ امرأتَك أَن يكون رزقُك؟ قال: مائة دينار. قال: وكم أمّلتَ أَن تعيش؟ قال: عشرين سنة. قال: فذلك لك عليّ على ما أمّلت امرأتُك في مالنا دون مال السلطان؛ وأمر بإعطائه إِياه. قال: فرأيتُ وجهَ ابن أَبي دلف يتهلَّل، وانكسر ابن أَبي البختريّ انكساراً شديداً.

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد المبرّد قال: أَخبرني عليّ بن القاسم قال:

قال عليّ بن جَبَلة: زرتُ أَبا دُلف بالجَبَل، فكان يُظهر من إِكرامي وبِرّي والتحفّي بي أمراً مُفرِطاً، حتى تأخّرتُ عنه حيناً حياءً. فبعث إِليّ مَعقِلَ بن عيسى، فقال: يقول لك الأمير: قد انقطعتَ عنّي، وأحسبك استقللتَ بِرّي بك، فلا يُغضبنك ذلك، فسأزيد فيه حتى ترضى. فقلت: واللَّه ما قطعني إِلّا إِفراطه في البِرّ، وكتبت إليه:

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كفر نعمةٍ ... وهل يُرتجى نَيلُ الزيادة بالكفرِ
ولكنني لمَّا أتيتُك زائراً ... فأفرطتَ في برّي عجزتُ عن الشكر
فَمِ الآنَ لا آتيك إِلا مُسلِّماً ... أزورُك في الشهرينِ يوماً أَو الشهر
فإِن زدتني بِرّاً تزايدتُ جفوةً ... ولم تلقَني طولَ الحياةِ إِلى الحشر

[الطويل]

فلمَّا قرأها مَعقِل استحسنها جِدّاً وقال: أحسنتَ واللَّه! أمَا إِنّ الأمير لتُعجِبه هذه المعاني. فلما أوصلها إِلى أَبي دُلف قال: قاتله اللَّه! ما أشعره وأدقَّ معانيَه! فأعجبتْه فأجابني لوقته ـ وكان حسنَ البديهة حاضرَ الجواب ـ:

أَلا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسَطتُه ... وآنسته قبل الضِّيافة بالبِشرِ
أتاني يرجِّيني فما حال دونه ... ودون القرى والعُرفِ من نائلي سِتري
وجدتُ له فضلاً عليَّ بقَصدِه ... إِليَّ وبِرّاً زاد فيه على بِرّي
فزوّدته مالاً يَقِلّ بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدوم على الدهر

[الطويل]

قال: وبعث إِليّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إِليّ بألف دينار؛ فقلت حينئذٍ:

إِنـــمـــا الـــدنـــيـــا أَبـــو دُلَـــفٍ

الأبيات.

أَخبرني عليّ بن سليمان قال: أَخبرنا المبرّد قال: أخبرني إِبراهيم بن خَلَف قال:

بينا أَبو دُلَف يسير مع مَعقِل، وهما إِذ ذاك بالعراق، إذ مَرَّا بقَصر، فأشرفتْ منه جاريتان؛ فقالت إِحداهما للأخرى: هذا أبو دُلف الذي يقول فيه الشاعر:

إِنـــمـــا الـــدنـــيـــا أَبـــو دُلَـــفٍ

فقالت الأخرى: أَوَ هذا! قد واللَّه كنتُ أُحبّ أَن أَراه منذ سمعتُ ما قيل فيه. فالتفت أَبو دُلف إلى مَعقِل فقال: ما أنصفنا عليَّ بن جَبَلة ولا وفيناه حقّه، وإِن ذلك لمن كبير همّي. قال: وكان أعطاه ألفَ دينار.

صـــوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

أَمَّـا الـقَـطـاةُ[١] فـإِنّـي سـوف أنـعـتُـهـا نـعـتـاً يُـوافـق مـنـهـا بـعـضَ مـا فـيـهَـا
سَكَّاءُ[٢] مخطوبةٌ[٣] في رِيشها طَرَقٌ[٤] صُـهـبٌ قَـوادِمُـهـا كُـدْرٌ خَـوافِـيـهَـا

[البسيط]

عروضه من البسيط. والشعر مختلف في قائله، ينسب إلى أَوس بن غَلفاءَ الهُجَيميّ وإلى مُزاحِم العُقيليّ وإلى العبَّاس بن يزيد بن الأسود الكِنديّ وإلى العُجير السَّلوليّ وإلى عمرو بن عُقيل بن الحجَّاج الهُجيميّ وهو أصح الأقوال؛ رواه ثعلب عن أَبي نَصر عن الأصمعيّ. وعلى أنّ في هذه الروايات أَبياتاً ليست مما يُغنى فيه وأَبياتاً ليست في الرواية. وقد رُوِي أيضاً أَنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبياتَ فقال كل واحد منهم بعضاً. وأَخبارُ ذلك وما يُحتاج إليه في شرح غريبه يُذكر بعد

(١) القطاة: العَجُز، وما بين الوركين ومقعد الرديف من الدَّابة.
(٢) السكك: صفة في الأذن وهي صغرها ولصوقها بالرأس.
(٣) مخطوبة: مصفرَّة وفيها خطوط خضر.
(٤) طرق: متلاصقة بعضها فوق بعض كأن الأعلى يلبس الأسفل.

هذا. والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى. وفي ذين البيتين مع أَبيات أُخَر من القصيدة اشتراكٌ كثيرٌ بين المغنِّين يتقدّم بعض الأبيات فيه بعضاً ويتأخّر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيره. والأبياتُ تُكتب هاهنا ثم تُنسَب صنعةُ كلِّ صانع في شيء منها إليه؛ وهي بعد البيتين الأوّلين، إِذ كانا قد مضيا واستُغني عن إِعادتهما:

لـمَّـا تـبـدَّى لـهـا طـارت وقـد عـلـمـتْ ... أنْ قـد أظـل وأنّ الـحـيَّ غـاشـيـهَـا
تَـشـتـق فـي حـيـث لـم تُـبـعِـد مُـصـعِّـدةً ... ولـم تُـصـوِّبْ إلـى أدنـى مَـهـاويـهـا
تَـنـتـاشُ صـفـراءَ مـطـروقـاً بـقـيَّـتُـهـا ... قـد كـاد يـأزِي عـن الـدُّعـمـوصِ[1] آزِيـهـا
مـا هـاج عـيـنَـك أمْ قـد كـاد يُـبـكـيـهـا ... مـن رَسـمِ دارٍ كـسَـحـقِ[2] الـبُـردِ بـاقـيـهـا
فـلا غـنـيـمـةَ تُـوفِـي بـالـذي وَعَـدتْ ... ولا فـؤادُك حـتـى الـمـوتِ نـاسِـيـهـا

[البسيط]

لنشيطٍ مولى عبد اللَّه بن جعفر خفيفُ ثقيلٍ بإِطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إِسحاق في «أمَّا القطاة» والذي بعده، و«تنتاش صفراء» خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو. ولإِبراهيم الموصليّ في «لما تبدّى لها» و«أمّا القطاة» خفيف رمل عن الهشاميّ. ولعمر الواديّ في «أمَّا القطاة» ثقيلٌ بالوسطى. ولابن جامع في «لما تبدّى لها» وبعده «أمَّا القطاة» خفيفُ رمل ولسِياط في الأول والثاني وبعدهما «تشتق في حيث لم تبعد» خفيفُ ثقيل بالبنصر، ومن الناس من ينسُب لحنَه إلى عمر الواديّ وينسب لحن عمر إليه. ولعلوّيه في «أمّا القطاة» والذي بعده رملٌ هو من صدور أغانيه ومُقدَّمها. فجميع ما وجدتُه في هذه الأبيات من الصنعة أحدَ عشرَ لحناً.

تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة:

فأمَّا خبر هذا الشعر، فإِن ابن الكلبيّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجير السَّلوليّ وأَوس بن غَلفاء الهُجَيميّ ومُزاحِماً العقَيليّ والعباس بن يزيد بن الأسود الكِنديّ وحُمَيدَ بن ثَور الهلاليّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادّعى كل واحد منهم أنه أشعر من صاحبه. ومرّ بهم سِرْبُ قطاً؛ فقال أَحدهم: تعالَوا حتى نَصفَ القَطا ثم نتحاكم إلى من نتراضى به، فأيُّنا كان أَحسن وصفاً لها غلَب أصحابَه؛ فتراهنوا على ذلك. فقال أَوس بن غَلفاء الأبيات المذكورة وهي «أَمّا القطاة».

(١) الدُّعموص: دودة سوداء تكون في الغدران إذا نشَّت.
(٢) سحق: الخرق البالي.

وقال حُميد أَبياتاً وصف ناقتَه فيها، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال:

كما انصلتت[١] كَدراءُ تسقي فِراخَها ... بشَمظة[٢] رِفهاً والمياهُ شُعوبُ
غدت لم تُباعِدْ في السماء ودونَها ... إذا ما علتْ أُهوِيَّةٌ وصَبُوب
قريبةُ سَبعٍ إن تَواترنَ مَرَّةً ... ضَرَبن فصفَّت أرؤس وجُنوب
فجاءت وما جاء القطا ثم قَلّصتْ ... بمفحَصِها[٣] والوارداتُ تَنوب
وجاءت ومَسقاها الذي وردتْ به ... إلى الصدر مشدودُ العِصام[٤] كَتِيبُ[٥]
تُبادر أَطفالاً مساكينَ دونها ... فَلا لا تَخطَّاه العيونُ رَغيب[٦]
وصَفنَ لها مُزناً[٧] بأرض تَنوفةٍ[٨] ... فما هي إلا نَهلةٌ[٩] وتؤوب

[الطويل]

وقال العباس بن يزيد بن الأسود ـ هكذا ذكر ابن الكلبيّ، وغيره يرويها لبعض بني مُرّة ـ:

حَذّاءُ مُدبِرةً سَكّاءُ مقبلةً ... للماء في النحر منها نَوطةٌ عَجَبُ
تسقي أُزَيغِبَ تُرويه مُجاجتها[١٠] ... وذاك من ظَمأةٍ من ظِمئها شَرَب
مُنْهَرِت الشِّدقِ لم تَنبُتْ قَوادِمُه ... في حاجب العين من تسبيده[١١] زَبَب[١٢]
تدعو القَطا بقصير الخطو ليس له ... قُدّام مَنحَرِها رِيشٌ ولا زَغَب
تدعو القَطا وبه تُدعى إذا انتسبتْ ... يا صِدقَها حين تدعوه وتنتسب

[البسيط]

وقال مُزاحِم العُقيليّ:

أَذْلكَ أم كُدرِيَّةٌ هاج وِردَها ... من القيظ يومٌ واقِدٌ وسَمومُ
غدت كَنواة القَسب[١٣] لا مُضمحِلَّةٌ ... وناةٌ[١٤] ولا عَجلى الفُتور سؤومُ

---

(١) انصلتت: أسرعت في المسير.
(٢) شمظة: ورود الإبل كل يوم أو حين تشاء.
(٣) المفحص: مجثم القطاة.
(٤) العصام: حبل تُشدُّ به القربة.
(٥) كتيب: مخروز.
(٦) رغيب: رحب.
(٧) المُزن: السحاب الأبيض المحمَّل بالماء.
(٨) تنوفة: قَفرة.
(٩) نَهلةٌ: تشرب أول الشرب.
(١٠) مجاجتها: ريقها.
(١١) التسبيد: أول ظهور ريش الفرخ من الطير.
(١٢) الزبب: كثرة زغب الطير.
(١٣) القسب: نوع من التمر يابس حلو.
(١٤) وناة: بطيئة في قيامها وقعودها.

تُواشِكُ رَجعَ المَنكِبين وترتمي ... إلى كَلكَل[١]، للهادياتِ[٢] قَدوم
فما انخفضتْ حتى رأتْ ما يسرُّها ... وَفيْءُ الضُّحى قد مال فهو ذميم
أَباطِح وانتصَّتْ على حيث تستقي ... بها شَرَكٌ للوارداتِ مُقيم
سقتها سيولُ المُدجِناتِ[٣] فأصبحت ... عَلاجِيمَ[٤] تَجري مرّةً وتدوم
فلما استقتْ من بارد الماء وانجلى ... عن النفس منها لوحةٌ وهموم
دعتْ باسمها حين استقتْ فاستقلّها ... قَوادِمُ حُجنٌ[٥] رِيشُهنّ مليم[٦]
بجَوزٍ كحُقِّ الهاجريّة[٧] زانَه ... بأطراف عودِ الفارسيِّ وُشُوم

ـ يعني حُقّ الطيب. شبّه حوصلتها به. والوشوم يعني الشِّيَة التي في صدرها ـ:

لتسقيَ زُغباً بالتَّنوفةِ لم يكن ... خِلافَ مُوَلَّاها لهنّ حميمُ
تَرائكَ بالأرضِ الفَلاة ومن يَدَعْ ... بمنزلها الأولادَ فهو مُليم
إذا استقبلتْها الريحُ طَمَّتْ رفيقةً ... وهُنَّ بمهوًى كالكُراتِ جُثُوم
يُراطِنّ وَقصاءَ القَفا وَحشةَ الشَّوى ... بدعوى القطا لحنٌ لهنّ قديمُ
فبِتنَ قريراتِ العيونِ وقد جرى ... عليهن شِربٌ فاستقَين مُنِيم
صَبيبُ سِقاءٍ نِيطَ قد بَرَكت به ... مُعاوِدةٌ سَقيَ الفِراخِ رَؤوم[٨]

[الطويل]

وقال العُجَير ـ فيما روى ابن الكلبيّ، وقد تروى لغيره ـ:

سأَغلِبُ والسماءِ ومَن بناها ... قَطاةَ مُزاحِمٍ ومَنِ انتحاهَا
قَطاة مُزاحمٍ وأَبي المُثنَّى ... على حُوزيَّةٍ صُلبٍ شَواها
غدتْ كالقَطرةِ السَّفواء[٩] تَهوي ... أمام مُجَلجِلٍ[١٠] زَجِلٍ نَفاها
تَكفَّأ كالجُمانةِ لا تُبالي ... أبالمومأةِ أضحت أم سِواها
نبتْ منها العَجيزةُ فاحزأَلَّت[١١] ... ونَتسَ للتقتُّل مَنكِباها

(١) الكَلْكَل: الصدر أو ما بين الترقوتين.
(٢) الهاديات: اللواتي يُهتدى بهنَّ المتقدمات.
(٣) المدجِنات: السحائب الدائمة المطر.
(٤) العلاجيم: مفردها علجوم، وهو الماء الغمر الكثير.
(٥) حجن: عِوَج وميل.
(٦) مليم: كثير العذل.
(٧) الهاجرية: المرأة من الحضر.
(٨) رؤوم: ألوف وعطوف.
(٩) السفواء: السريعة العدو.
(١٠) مجلجل: الذي يتجلجل الرعد فيه.
(١١) احزألَّت: ارتفعت.

كـأنّ كـعـوبـهـا أَطـرافُ نَـبْـلٍ كـسـاهـا الـرَّازقـيَّـة[١] مَـن بَـراهـا
[الوافر]

قال: واحتكموا إلى ليلى الأخيليّة، فحكمت لأوس بن غَلفاء.

وأَخبرني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عمَّار قال: حدثنا يعقوب بن إِسرائيل عن قَعنَب بن مُحرِز الباهليّ قال: حدثني رجل عن أَبي عبيدة قال: أَخبرنا حُمَيد بن ثور والعُجَير السَّلوليّ ومُزاحِم العُقيليّ وأَوس بن غلفاء الهُجيميّ أنهم تحاكموا إلى ليلى الأخيليَّة لمَّا وصفوا القطاة أيُّهم أحسنُ وصفاً لها؛ فقالت:

أَلَا كـلُّ مـا قـال الـرُّواة وأنـشـدوا بـهـا غـيـرَ مـا قـال الـسَّـلـولـيُّ بَـهـرَجُ
[الطويل]

وحكمتْ له. فقال حُميد بن ثور يهجوها:

كـأنَّـكِ وَرَهـاءُ[٢] الـعِـنـانَـيـنِ بـغـلـةٌ رأت حُـصُـنـاً فـعـارضـتْـهـنّ تَـشـحَـجُ
[الطويل]

ووجدت هذه الحكاية عن أَبي عُبيدة مذكورةً عن دَماذ عنه وأنّه سأله عن أبيات العُجَير فأنشده:

تـجـوبُ الـدُّجـى سَـكَّـاءُ مـن دون فَـرخِـهـا بـمَـطـلـى أَرِيـكٍ نَـفـنَـفٌ[٣] وسُـهـوبُ[٤]
فـجـاءت وقَـرنُ الـشـمـسِ بـادٍ كـأنّـه هِـجـانٌ بـصـحـراء الـخُـبَـيـبِ شـبُـوب[٥]
لِـتـسـقـيَ أفـراخـاً لـهـا قـد تـبـلَّـلـتْ حـلاقـيـمُ أسـمـاطُ[٦] لـهـا وقـلـوب
قِـصـارُ الـخُـطـا زُغـبُ الـرؤوسِ كـأنـهـا كُـراتٌ تَـلـظَّـى مـرّةً وتَـلـوب[٧]
[الطويل]

فأمَّا ما ذكرتُ من رواية ثَعلب في الأبيات التي فيها الغناءُ فإنه أنشدها عن أَبي حاتم عن الأصمعيّ أن أَبا الحُضَير أنشده لعمرو بن عُقيل بن الحَجَّاج الهُجَيميّ:

أَمـا الـقـطـاةُ فـإنـي سـوف أنـعـتُـهـا نـعـتـاً يُـوافِـق نـعـتـي بـعـضَ مـا فـيـهَـا
صـفـراءُ مـطـروقـةٌ فـي ريـشِـهـا خَـطـبٌ صُـفـرٌ قـوادمُـهـا سُـودٌ خـوافِـيـهـا
مِـنـقـارُهـا كـنَـواة الـقَـسـبِ قَـلَّـمَـهـا بـمِـبـرَد حـاذقُ الـكـفَّـيـن يَـبـرِيـهـا

(١) الرازقيَّة: ثوب يتخذ من كتان لونه أبيض. (٢) ورهاء: خرقاء.
(٣) نفنف: مفازة. (٤) سهوب: مفردها سهبة، وهي الفلاة.
(٥) مشبوب: الذي تجاوز رجلاه يديه في العدو.
(٦) أسماط: لا رقعة فيها. (٧) تلوب: تعطش.

تمشي كمَشيِ فتاةِ الحيّ مسرعةً حذارَ قومٍ إلى سِترٍ يُواريها
[البسيط]

ـ قال الأصمعيّ: مطروقة يعني أَنّ ريشها بعضه فوق بعض. والخَطَب: لون الرماد، يقال للمشبَّه به أخطب ـ:

تَنتاشُ صفراءَ مطروقاً بقيَّتُها قد كاد يَأْزي عن الدُّعموص آزيها

ـ تنتاش: تتناول بقية من الماء. والمطروق: الماء الذي قد خالطه البول. وقوله: يأزي أَي يَقِلّ عن الدعموص فيخرج منه لقلته. والدعموص: الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص ـ:

تسقي رَذِيَّينِ بالمَوماةِ قُوتُهما في ثُغرةِ النَّحرِ من أَعلى تَراقِيهَا

ـ الرذيّ: الساقط من الضعف. يعني فرخيها ـ:

كأنّ هَيدَبةً من فوق جُؤجِئها أَو جِروُ حَنظلةٍ لم يعدُ راميهَا

ـ جرو الحنظل: صغاره. وقوله: لم يعدُ من العَداء، أَي لم يعد عليها فيكسرها ـ:

تشتقّ من حيث لم تُبعِد مُصعِّدة ولم تُصوِّبْ إلى أَدنى مَهاويهَا
حتى إِذا استأنسا للوقت واحتَضرت تَوَّجا الوَحيَ منها عند غاشِيها

ـ ويروى: حتى إذا استأنسا للصوت. وتوّجسا: تسمَّعا. وَحيها أَي سُرْعة طيرانها. وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما ـ:

تَرَفَّعا عن شؤون غير ذاكيةٍ على لدِيدَيْ أَعالي المَهدِ أُدِحيهَا[1]

ـ الذاكية: الشديدة الحركة. والمهد: أفحوصها. ولديداه: جانباه ـ:

مَدَّا إِليها بأفواهٍ مُزَيّنةٍ صُعْداً ليستنزلا الأرزاقَ مِن فِيهَا
كأنها حين مَدّاها لجْنأتها طَلى بَواطنَها بالوَرسِ[2] طالِيها

ـ جَنأتها أَي جنأت عليهما بصدرها لتَزُقَّهما ـ:

حثلَين رَضَّا رُفاضَ البَيضِ عن زَغَبٍ وُرْقٌ أسافلُها بيضٌ أعالِيهَا

(١) أدحيها: أضعها في موضع البيض الذي يفرخ فيه.
(٢) الورس: نبات كالسمسم، ليس إلا باليمن، يزرع فيبقى عشرين سنة، نافع للكلف طلاء وللبهق شرباً.

ـ حِثلَينِ: دقيقين ضاويين. رَضًّا: كسرا. والرُّفاض: ما ارفضّ وتفرّق ـ:

تَـرَأدا حـيـن قـامـا ثُـمَّـتَ احـتـطـبَـا عـلـى نَـحـائـفَ مُـنـآدٍ مَـحـانـيـهَـا

ـ تَرأدا: تثنّيا. واحتطبا: دَنَوَا. والمنآد: المنعطف. ومَحانيها: حيث انحنت ـ:

تـكـاد مـن لِـيـنـهـا تـنـآد أسـؤْقُـهـا تَـأوُّدَ الـرَّبْـل[1] لـم تَـعـرِمْ نـوامـيـهَـا

ـ تعرم: تشتد. ونواميها: أعاليها ـ:

لا أشـتـكـي نَـوشـةَ[2] الأيَّـام مـن وَرَقـي إلّا إلـى مَـن أرى أن سـوف يُـشـكِـيـهَـا[3]

لـلـدلـهِـم[4] مـأثُـراتٌ قـد عُـدِدن لـه إن الـمـآثِـرَ مـعـدودٌ مَـسـاعِـيـهـا

تَـنـمِـي بـه فـي بـنـي لأيٍ دَعـائـمُـهـا ومـن جُـمـانـة لـم تـخـضَـع سَـوارِيـهـا[5]

بـنـى لـه فـي بـيـوت الـمـجـد والـدُه ولـيـس مَـن لـيـس يَـبـنِـيـهـا كـبـانـيـهـا

[البسيط]

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمد الضُّبَعيّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال: وجدتها بخط محمد بن داود بن الجرَّاح عن إسماعيل بن يونس الشِّيعي شيخنا رحمه اللَّه عن أخيه عن أَبي محلِّم مثل رواية ثعلب وزاد فيها: قال أَبو محلِّم: جُمانة بن جرير بن عبد ثَعلبة بن سَعد بن الهُجَيم، وهم أخوال دِلهِم هذا الممدوح. ودلهم من بني لأْي ثم من بني يزيد بن هِلال بن بَذل بن عَمرو بن الهيثم، وكان أَحدَ الشُّجعان، وهو قتَل الضحَّاك بن قيس الخارجيّ بيده مع مروان بن محمد ليلة كَفَرتُوثا.

صـوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

أَيـهـا الـقـلـبُ لا أَراك تُـفـيـق طـالـمـا قـد تـعـلَـقـتْـك الـعُـلـوقُ[6]

مـن يـكـن مـن هـوى حـبـيـبٍ قـريـبـاً فـأنـا الـنـازحُ الـبـعـيـدُ الـسَّـحـيـق

(١) الرَّبل: نوع من الشجر إذا أدبر فصل الصيف أنبت بأوراق خضراء من غير مطر.
(٢) النَّوش: التناول والطلب.
(٣) يشكيها: يُنصِفُها، ويُزيل ما بها من همٍّ ويمحو سبب شكواها.
(٤) دِلْهِم: مظلم.
(٥) السواري: الذين تسوَّر الخمر في رأسهم سريعاً.
(٦) العلوق: مفردها علق، وهو الهوى والحب.

قُـدِّرَ الـحـبُّ بـيـنـنـا فـالـتـقـيـنـا وكِـلانـا إلـى الـلـقـاءِ مَـشـوق

[الخفيف]

الشعر لعمر بن أَبي ربيعة وقد مضت أَخباره. والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سُريج ثقيل أول بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه أَيضاً لمُخارق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ. وفيه لعَلّويه رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشاميّ. وبابويه رجل من أَهل الكوفة قليل الصنعة، ليس ممن خدم الخلفاء ولا الأكابر، ولا أعلم. له خبراً فأذكُرَه.

صـــوت

من المائة المختارة

مـن لِـقـلـبٍ أَضـحـى بـكـم مُـسـتـهـامَـا خـائـفـاً لـلـوُشـاةِ يُـخـفِـي الـكـلامَـا

إِنّ طَـرْفِـي رسـولُ نـفـسـي ونـفـسـي عـن فـؤادي تـقـرَا عـلـيـك الـسـلامـا

[الخفيف]

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكُرَ خبره. والغناء لرياض جارية أَبي حمَّاد خفيف ثقيل بالوسطى. وكان أَبو حمَّاد هذا أَحد القوَّاد الخُراسانية ومن أَولاد الدُّعاة، وكان يُعاشر إِسحاق ويَبَرّه ويُهاديه، فأخذت رياض عنه غناءً كثيراً؛ وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية؛ وأحبّ إِسحاق أَن ينوِّه باسمها ويرفعَ من شأنها، فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاءً لحقّ مولاها. وليس فيما قلتُه في هذا لأنّ الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممن كان يودّه ويتعصَّب له مثل مُتيَّمَ وأَبي دُلَف وغيرهم. ومن يعلم هذه الصناعة يعرف صحَّة ما قلناه. وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شُهِرت ولا رُوِي لها خبر.

صـــوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

راح صـحـبـي وعـاود الـقـلـبَ داء مـن حـبـيـبٍ طِـلابُـه لـي عَـنـاء

حَـسَـنُ الـرأي والـمـواعـيـدِ لا يُـلـ ـفـى لـشـيء مـمـا يـقـول وفـاء

مَـن تَـعـزَّى عـمـن يـحـبّ فـإنـي لـيـس لـي مـا حَـيـيـتُ عـنـه عـزاء
أُمَّ عـثـمـان قـد قـتـلـتِ قـتـيـلاً عَـمْـدَ عَـيـنٍ قـتـلـتِـه لا خَـطـاء

[الخفيف]

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكره. والغناء لنافع بن طُنبورة، ولحنه المختار خفيفُ ثقيل أول بالسبَّابة في مجرى الوسطى. وفي هذا الشعر لحنٌ لعبد اللَّه بن طاهر ثاني ثقيلٍ من جيِّد صَنعته، وكان نسبه إلى لَمِيسَ جاريته، وله خبر سنذكره في أَخباره إذا انتهينا. وكان نافع بن طُنبورة يُكنى أَبا عبد اللَّه، مُغنٍّ محسنٌ من أَهل المدينة، حسن الوجه نظيف الثوب، يلقَّب نَقشَ الغَضار لحسن وجهه. وجعلتْه جميلة في المرتبة، لمَّا اجتمع المغنُّون إليها، بعد نافع وبُدَيح وقبل مالك بن أَبي السَّمح. وغَنَّاها يومئذٍ:

يـا طُـولَ لـيـلـي وبِـتُّ لـم أنَـمِ وسـادِيَ الـهَـمُّ مُـبـطِـنٌ سَـقَـمِـي
أَنْ قـمـتُ يـومـاً عـلـى الـبَـلاطِ وَ أبـصـرتُ رَقـاشـاً فـلـيـتَ لـم أَقُـمِ

[المنسرح]

فقالت جميلة: أحسنت واللَّه يا نَقش الغَضار ويا حلو اللسان ويا حسنَ البيان! ولم يفارق ابن طُنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا انتجعهم بصنعة فخمَل ذكره.

صـوت

من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

عَـتَـقَ الـفـؤادُ مـن الـصِّـبـا ومـن الـسَّـفـاهـة والـعَـلاقِ
وحـطـطـتُ رحـلـي عـن قَـلُـو صِ الـغـيّ فـي قُـلُـص عِـتـاقِ
ورفـعـت فـضـلَ إزاري الـ ـمَـجـرور عـن قـدمـي وسـاقـي
وكـفَـفـتُ غَـربَ الـنـفـسِ حـتْـ ـتـى مـا تـتـوقُ إلـى مَـتـاق

[مجزوء الكامل]

الشعر لسَعيد بن عبد الرحمٰن بن حَسَّان بن ثابت. والغناء لابن عَبَّاد الكاتب، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل، وقيل: إنه لغيره.

أخبار سعيد بن عبد الرحمٰن

وقد مضى نسبُه في نسب جَدّه حسَّان بن ثابت متقدَّماً. وهو شاعر من شعراء الدولة الأُمويّة، متوسِّطٌ في طبقته ليس معدوداً في الفحول. وقد وفد إلى الخلفاء من بني أُميَّة فمدحهم ووَصلوه. ولم تكن له نباهةُ أَبيه وجدّه.

أَخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال: حدثني أحمد بن الهَيثم بن فِراس قال: حدثني أَبو عمرو الخَصَّاف عن العُتبيّ قال:

خرج سَعيدُ بن عبد الرحمٰن بن حسَّان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك، وسألهم مُعاونتَه، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً. وكان الوليد بن يزيد قد طلّق امرأتَه العثمانية ليتزوّج أختَها، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أَن يزوِّجه. فمرَّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركب؛ فلما رآه وقف؛ فأمر به الوليد فدُعِي إليه؛ فلما جاءه قال: أنت ابن عبدِ الرحمٰن بن حسَّان؟ قال: نعم أيها الأمير. فقال له: ما أقدَمَكَ؟ قال: وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحِبتُهم من أَهله، فلم أَنل منه حُظوةً ولا قبولاً. قال: لكنك تجد عندي ما تُحِبّ، فأقِمْ حتى أعود. فأقام ببابه حتى دخل إلى هشام وخرج من عنده؛ فنزل ودعا بسعيد، فدخل إليه، فأمَر بتغيير هيئته وإِصلاح شأنه؛ ثم قال له: أنشِدني قصيدةً بلغتْني لك فشوّقتْني إليك، وغُنِّيتُ في بعضها، فلم أزل أتمنى لقاءك. فقال: أَيّ قصيدة أَيها الأمير؟ قال قولك:

أبائنةٌ سُعدَى ولم تُوفِ بالعهدِ ... ولم تَشفِ قلباً تيَّمته على عَمْدِ
نعَمْ أَفمُودٍ أنت إِن شَطَّتِ النوى ... بسُعدى وما من فُرقةِ الدهر من رَدّ
كأَنْ قد رأيتَ البينَ لا شيءَ دونه ... فَم الآنَ أعلِنْ ما تُسِرّ من الوجدِ
لعلك منها بعد أن تَشحَطَ النَّوى ... مُلاقٍ كما لاقى ابنُ عَجلانَ من هند
فوَيلُ ابنِ سَلمى خُلَّةً غيرَ أنها ... تُبلِّغ مني وهي مازحةٌ جِدِّي
وتدنو لنا في القول وهي بعيدةٌ ... فما إِن بسَلمى من دُنُوٍّ ولا بُعد
ومهما أكُن جَلداً عليه فإِنّني ... على هَجرِها غيرُ الصَّبورِ ولا الجَلْد

إذا سُمتُ نفسي هجرَها قُطِعت به ... فجانبتُه فيما أُسِرّ وما أُبدي
كأنّي أرى في هجرها، أيَّ ساعةٍ ... هَمَمتُ به، موتي وفي وصلها خُلدي
ومن أجلِها صافَيتُ مَن لا تَرُدُّني ... عليه له قُربى ولا نعمةٌ عندي
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القذى ... يقولون أَقوالاً أمَضُّوا بها جِلدي
وأقصيتُ مَن قد كنتُ أُدني مكانَه ... وأدنيتُ من قد كنتُ أقصيتُه جَهدي
فإن يَكُ أمسى وصلُ سلمى خِلابةً ... فما أنا بالمفتونِ في مثلِها وحدي
فأَصبحَ ما مَنَّتكَ دَيناً مُسوَّفاً ... واه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جَحد
تجود بتقريبِ الذي هو آجلٌ ... من الوعد ممطولٌ وتبخَل بالنَّقد
وقد قلت إذ أهدَت إلينا تحيَّةً ... عليها سلامُ اللَّه من نازح مُهدي
سقى الغيثُ ذاك الغورَ ما سكنت به ... ونجداً إذا صارت نَواها إلى نجد

[الطويل]

قال: فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خَدَّيه حتى فرَغ منها. ثم قال له: لن تحتاج إلى رِفد أحد ولا معونتِه ما بَقيتُ، وأمر له بخمسمائة درهم، وقال: إبعَث بها إلى أهلك وأقم عندي، فلن تعدَم ما تُحبّه ما بَقيت. فلم يزل معه زماناً، ثم استأذنه وانصرف. وفي بعض هذه الأبيات غناءٌ نسبتُه:

صوت

أبائنةٌ سُعدى ولم توفِ بالعهدِ ... ولم تَشفِ قلباً أقصدتْه على عَمْدِ
ومهما أَكن جلداً عليه فإنّني ... على هجرها غيرُ الصَّبور ولا الجَلدِ

[الطويل]

الغناء لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ. ومن هذه القصيدة:

صوت

وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القذى ... يقولون أقوالاً أمَضُّوا بها جِلدي
إذا سُمتُ نفسي هجرَها قُطِعت به ... فجانبتُه فيما أُسِرُّ وما أبدي

[الطويل]

الغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو.

قصته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى:

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال: حدثنا أحمد بن زَهير قال: حدثنا الزبير بن بَكَّار قال: حدثني عمي ومحمد بن الضحَّاك بن عثمان قالا:

وفَد سعيد بن عبد الرحمٰن بن حسَّان على هشام بن عبد الملك وكان حسن الوجه؛ فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فأراده على نفسه، وكان لُوطِيّاً زِندِيقاً؛ فدخل سعيد على هشام مُغضَباً وهو يقول:

إِنه واللَّه لولا أنت لم ... ينجُ مني سالماً عبدُ الصَّمدْ

فقال له هشام: ولماذا؟ قال:

إِنه قد رام مني خُطَّةً ... لم يَرُمها قبله مني أحدْ

فقال: وما هي؟ قال:

رامَ جهلاً بي وجهلاً بأبي ... يُدخِلُ الأفعى إلى خِيسِ[1] الأسَدْ

[الرمل]

قال: فضحِك هشامٌ وقال له: لو فعلتَ به شيئاً لم يُنكر عليك.

أَخبرني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عمَّار قال: حدثني عمر بن شَبَّة قال: أَخبرنا ابن عائشة لا أعلمه إِلا عن أَبيه قال:

سأل سعيد بن عبد الرحمٰن بن حسَّان صديقاً له حاجة ـ وقال هاشم بن محمد في خبره: سأل سعيد بن عبد الرحمٰن أَبا بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم حاجةً ـ يكلِّم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يَقضِها له، ففزِع فيها إلى غيره فقضاها؛ فقال:

سُئلتَ فلم تفعل وأدركتُ حاجتي ... تولّى سواكم حَمدَها واصطناعَها

أَبى لك كَسْبَ الحمد رأيٌ مُقصِّرٌ ... ونفسٌ أضاق اللَّه بالخير باعَها

إِذا ما أَرادته على الخير مرّةً ... عصاها وإِن هَمَّتْ بشرٍّ أطاعها

[الطويل]

قال ابن عمَّار: وقد أَنشدَنا هذه الأبياتَ سليمان بن أَبي شيخ لسعيد بن عبد الرحمٰن ولم يذكر لها خبراً.

---

(١) خيس: مرتع الأسد.

مدح عديّ بن الرِّقاع شعره:

أَخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال: حدثنا محمد بن زكريا الغَلانيّ عن ابن عائشة قال:

قال رجلٌ من الأنصار لعَدِيّ بن الرّقاع: أكتبني شيئاً من شعرك. قال: ومن أَيِّ العرب أَنت؟ قال: أَنا رجل من انصار. قال: ومَن منكم القائل:

إنّ الحَمامَ إلى الحجازِ يَهيجُ لي ... طَرَباً تَرَنُّمهُ إذا يترنّمُ
والبرقُ حين أَشِيمُه مُتيامِناً ... وجنائبُ الأرواحِ حين تَنسَّمُ

[الكامل]

فقال له: سعيد بن عبد الرحمٰن بن حسَّان بن ثابت. فقال: عليكم بصاحبكم فأكتُب شعره، فلستَ تحتاج معه إلى غيره.

وفي أول هذه القصيدة غناءٌ نِسبتُه:

صوت

بَرِحَ الخفاءُ فأيَّ ما بك تَكتُمُ ... والشوقُ يُظهِرُ ما تُسرّ فيُعلَمُ
وحملتَ سُقماً من علائقِ حبِّها ... والحبُّ يَعلَقُه الصحيحُ فيَسقَمُ

الغناء لحَكَم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ، وذكره إبراهيم له ولم يجنِّسه. وفي هذه القصيدة يقول:

علويّةٌ أمستْ ودون وِصالِها ... مضمارُ مصرع وعابِد[1] والقُلزُمُ[2]
خَودٌ تُطيفُ بها نواعمُ كالدُّمى ... مما اصطفى ذو النِّيقةِ[3] المتوسِّم
حُلِّينَ مَرجانَ البحورِ وجوهراً ... كالجمر فيه على النحور يُنظَّم
قالت وماءُ العين يغسِل كحلَها ... عند الفِراق بمستهلٍّ يَسجُم
يا ليتَ أنك يا سعيدُ بأرضِنا ... تُلقي المَراسِيَ ثاوياً وتُخيِّم
فنُصيبَ لذّةَ عيشِنا ورخاءَه ... فنكون أَجواراً فماذا تَنقِم
لا تَرجِعنّ إلى الحجازِ فإنّه ... بلدٌ به عيشُ الكريم مُذَمَّم

(١) عابد: المتنسِّك الزاهد، وعابد إسم لجبل في مصر.
(٢) القلزم: اللئيم، وهو إسم لبلدة شرقي مصر قرب جبل الطور.
(٣) النيقة: التجود والمبالغة.

وهَلُمَّ جاوِرنا فقلت لها اقصِري ... عيشٌ بطَيبةَ ويحَ غيرِك أنعم
أيُفارقُ الوطنُ الحبيبُ لمنزلٍ ... ناءٍ ويُشرى بالحديث الأقدَم
إنّ الحمامَ إلى الحجاز يَهيجُ لي ... طَرَباً تَرَنُّمُه إذا يترنّم
والبرقُ حين أَشِيمُه متيامناً ... وجنائبُ الأرواحِ حين تَنسَّمُ
لو لَحّ ذو قَسَمٍ على أَن لم يكن ... في الناسِ مُشبِهُها لبَرّ المُقسِم
من أجلها تَركي القَرارَ وخَفضَه ... وتجشُّمي ما لم أَكن أَتجشَّم[1]
ولقد كتمتُ غداة بانتْ حاجةً ... في الصدر لم يعلم بها متكلِّم
تَشفي برؤيتها السقيمَ وترتمي ... حَبَّ القلوب، رَمِيُّها لا يَسلَم
رَقراقةٌ في عُنفوان شبابها ... فيها عن الخلُق الدَّنِيِّ تَكرُّم
ضَنَّتْ على مُغرًى بطول سؤالها ... صَبٍّ كما يَسَلُ الغنيَّ المُعدِم

[الكامل]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني أَبو مُسلِم عن الحِرمازيّ قال:

خرج سعيد بن عبد الرحمٰن بن حسَّان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك، فأتى عَنبسةَ بن سَعيد بن العاصي، وكان أَبوه صديقاً لأبيه، فسأله أَن يرفع أمرَه إلى الخليفة؛ فوعده أَن يفعل؛ فلم يمكث إِلَّا يسيراً حتى طرقه لِصٌّ فسرَق متاعَه وكلَّ شيء كان معه؛ فأتى عنبسةَ فتنجَّزه ما وعده؛ فاعتلَّ عليه ودافَعه؛ فرجع سعيد من عنده فارتجل وقال:

أعَنبَسُ قد كنت لا تَعتزي[2] ... إلى عِدَةٍ منك كانت ضَلَالا
وعدتَ عِداتٍ لَوع انجزتَها ... إذاً لحُمِدتَ ولم تُرْزَ مالا
وما كان ضَرَّكَ لو قد شفعتَ ... فأعطى الخليفةُ عفواً نَوالا
وقد يُنجِزُ الحرُّ موعودَه ... ويفعل ما كان بالأمسِ قالا
فيا ليتني والمُنى كاسمِها ... وقد يصرِف الدهرُ حالاً فحالا
قعدتُ ولم ألتمس ما وعدتَ ... ويا ليت وعدَك كان اعتلالا
وكانت نَعَمْ منك مخزونةً ... وقلت مِنَ أوّل يومٍ أَلا لا

(١) أتجشَّم: أتحمل الأثقال والأعباء.
(٢) تعتزي: عزاه إلى فلان أي نسبه إليه، وتعتزي أي تنتسب.

أرى كـذِبَ الـقـولِ مـن شـرِّ مـا يُـعَـدّ إذا الـنـاسُ عَـدُّوا الـخِـصـالا
فـأبـقـيـتَ لـي عـنـكَ مـنـدوحـةً ونـفـسـاً عَـزُوفـاً تُـقِـلّ الـسـؤالا
فـإن عـدتُ أرجـوكُـمُ بـعـدَهـا فـبُـدِّلـتُ بـعـد الـعـلاء الـسَّـفـالا
أأرجـوك مـن بـعـد مـا قـد عَـزَفْـتَ لَـعَـمـري لـقـد جـئـتُ شـيـئـاً عُـضـالا
[المتقارب]

نسخت من كتاب عمرو بن أَبي عمرو الشَّيبانيّ يأثُرُه عن أَبيه قال:

لقي الوليد لما حج:

كان سعيد بن عبد الرحمٰن بن حسَّان إذا وفَد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد، فأحسن نُزُلَه وأعطاه وكساه وشفَع له. فلما حجّ الوليد لَقِيه سعيد بن عبد الرحمٰن في أول مَن لقِيه، فسلَّم عليه، فردّ الوليد عليه السلام وحيَّاه وقرّبه وأمر بإنزاله معه وبسَطه، ولم يأنَس بأحد أُنسَه به. وأنشده سعيدٌ قولَه فيه:

يا لَـقَـومِـي لـلـهَـجـرِ بـعـد الـتَّـصـافـي وتَـنـائـى الـجـمـيـع بـعـد ائـتـلافِ
مـا شـجـا الـقـلـبَ بـعـد طـول انـدمـالٍ غـيـرُ هـابٍ[1] كـالـفَـرْخ بـيـن أَثـافـي
ونـعـيـبِ الـغـراب فـي عَـرصـةِ الـدا ر ونُـؤيٍ تَـسـفـي عـلـيـه الـسـوافـي
[الخفيف]

وقد رُوي عن سعيد بن عبد الرحمٰن بن حَسَّان قال: رأى عَلَيّ بنُ عمر أَوضاحاً فقال: ألقِها عنك فقد كَبِرتَ.

صـوت

من المائة المختارة من رواية جَحظة

مـا جـرتْ خَـطـرةٌ عـلـى الـقـلـب مـنّـي فـيـكِ إلّا اسـتـتـرتُ عـن أَصـحـابِـي
مـن دمـوعٍ تـجـري فـإن كـنـتُ وحـدي خـالـيـاً أسـعـدتْ دمـوعـي انـتـحـابـي
إنّ حُـبِّـي إيـاكِ قـد سَـلّ جِـسـمِـي ورمـانـي بـالـشـيـبِ قـبـل الـشـبـاب
إرحَـمـي عـاشـقـاً لـكِ الـيـوم صـبّـاً هـائـمَ الـعـقـل قـد ثَـوى فـي الـتـراب
[الخفيف]

(١) هابٍ: غير هابٍ أي لا يهاب، لا يخاف.

الشعر للسيِّد الحِميريّ، والغناء لمحمد نَعجة خفيفُ رمل أَيضاً. ولم أجد لهذا المغنّي خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره. وقد مضت أَخبار السيّد متقدّماً.

صــوت

من المائة المختارة

أَكــرَعُ الــكــرعــةَ الــرويّــةَ مــنــهــا ثــم أصــحــو ومــا شَــفَــيــتُ غَــلِــيــلــي
كــم أتــى دون عــهــدِ أُمِّ جــمــيــلٍ مــن إِنَــى حــاجــةٍ ولُــبْــثٍ طــويــل
وصــيــاح الــغــراب أن سِــرْ فــأســرِعْ ســوف تــحــظــى بــنــائــلٍ وقَــبــول

[الخفيف]

الشعر للأحوص. والغناء للبُردان خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر.

أخبار البردان

البُردانُ لقب غلَب عليه. ومن الناس من يقول: بُردان من أَهل المدينة، وأخذ الغناء عن معبد وقبلَه عن جميلة وعَزّةَ المَيلاء. وكان مُعدَّلاً مقبولَ الشَّهادة، وكان متولِّيَ السُّوق بالمدينة.

قال هارون بن الزيَّات حدثني أَبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سلَّام قال: هو برْدانُ بضم الباء وتسكين الراء.

أَخبرني محمد بن مَزيَد بن أَبي الأزهر وحُسَين بن يحيى قالا: حدثنا حمَّاد بن إِسحاق عن أبيه، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرداذْبه قال: قال إِسحاق:

كان بُردانُ متولِّيَ السوق بالمدينة. فقدّم إليه رجل خَصْماً يدّعي عليه حقّاً؛ فوجب الحكم عليه فأمر به إلى الحبس. فقال له الرجل: أَنت بغير هذا أعلمُ منك بهذا. فقال: رُدُّوه فرُدّ؛ فقال: لعلك تعني الغناء! إِني واللَّه به لعارف؛ ولو سمعت شيئاً جاء البارحةَ لازددت علماً بأني عارف، ومهما جَهِلتُ فإِني بوجوب الحق عليك عالم؛ إِذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقّه.

رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه أصواتاً:

قال: وحدثني أَبو أَيّوب عن حَمّاد عن أبيه عن ابن جامع عن سياط قال:

رأيت البُردانَ بالمدينة يتولى سوقَها وقد أسنّ؛ فقلت له: يا عمّ، إِني رويت لك صوتاً صنعتَه، وأحببتُ أَن تصحِّحه لي. فضحِك. ثم قال: نعم يا بُنيّ وحبّاً وكرامة. لعله:

كـــم أتـــى دون عـــهـــد أمّ جـــمـــيـــل

فقلت: نعم. قال: مِل بنا إلى هاهنا؛ فمال بي إلى دار في السُّوق، ثم قال: غنِّه، فقلت: بل تُتمّ إِحسانَك يا عمّ وتغنِّيني به فإِنه أطيب لنفسي؛ فإِن سمعته كما أَقول غنَيته وأنا غير متهيِّب، وإِن كان فيه مُستَصلَحٌ استعدته. فضحك ثم قال: أَنت لستَ تريد أَن تصحِّح غِناءك، إِنما تُريد أَن تقول سمعتني وأَنا شيخ وقد انقطعتُ وأَنت

شابّ. فقلت للجماعة: إن رأيتم أَن تسألوه أَن يُشفِّعني فيما طلبتُ منه! فسألوه، فاندفع فغنَّاه فأعاده ثلاث مرَّات؛ فما رأيتُ أحسنَ من غنائه على كِبَر سِنّه ونُقصان صوته. ثم قال: غَنِّه فغنَّيته؛ فطرِب الشيخ حتى بكى، وقال: اذهب يا بُنيّ، فأنت أحسن الناس غناءً، ولئن عِشتَ ليكوننّ لك شأن. قال: وكان بُردانُ خفيفَ الرُّوح طَيِّبَ الحديث مليح النادرة مقبول الشهادة قد لقِي الناسَ، فكان بعد ذلك إذا رآني يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسألني أن أغنِّيه فأَفعل؛ فإذا طابت نفسُه سألته أن يطرَح عليَّ شيئاً من أَغاني القدماء فيفعل إلى أن أخذتُ عنه عِدّة أصوات.

من المائة المختارة

صـــوت

لِـمَـــن الـــدِّيـــارُ بـــحـــائـــلٍ فـــوُعـــالِ ... دَرَســـتْ وغَـــيَّـــرهـــا سِـــنُـــونَ خَـــوالِـــي
دَرَج الـــبـــوارِحُ فـــوقـــهـــا فـــتـــنـــكّـــرَتْ ... بـــعـــد الأنـــيـــس مَـــعـــارِفُ الأطـــلال
دِمَـــنٌ تـــذَعـــذِعـــهـــا الـــريـــاحُ وتـــارةً ... تـــعـــفـــو بـــمُـــرتَـــجِـــزِ الـــسَّـــحـــابِ ثِـــقـــالِ
فـــكـــأنـــمـــا هـــي مـــن تَـــقـــادُمِ عـــهـــدِهـــا ... وَرَقٌ نُـــشِـــرن مـــن الـــكـــتـــاب بَـــوالـــي

[الكامل]

الشعر للأخطل، والغناء لسائب خاثر، ولحنه المختار من الثقيل الأول بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه. وذكر عمرو بن بانة أَنّ في الثاني والرابع من الأبيات للأبجر ثقيلاً أول. وذكر حبش أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أول بالوسطى وأنه أحد السبعة، وأن لإِسحاق فيه ثانيَ ثقيل، وذكر الهشاميّ أنّ لحن إِسحاق خفيف ثقيل.

ذكر الأخطل وأخباره ونسبه

هو غِياثُ بن غَوث بن الصَّلت بن الطَّارِقة، ويقال ابن سَيحان بن عَمرو بن الفدَوكَس بن عمرو بن مالك بن جُشَمَ بنِ بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنم بن تَغلِب. ويكنى أَبا مالك. وقال المدائنيّ: هو غِياث بن غَوث بن سَلَمة بن طارِقة، قال: ويقال لسَلَمة سَلَمةُ اللحَّام. قال: وبعَث النُّعمان بن المُنذِر بأربعةِ أرماح لفُرسان العرب، فأخذ أَبو بَراء عامر بن مالك رُمحاً، وسَلَمةُ بن طارِقة اللحَّام رمحاً وهو جدّ الأخطل، وأَنَسُ بن مُدرِك رمحاً، وعمرو بن مَعدِ يكرِبَ رمحاً.

والأخطل لقبٌ غلبَ عليه. ذكر هارون بن الزيَّات عن ابن النطَّاح عن أَبي عُبيدة أنّ السبب فيه أنه هجا رجلاً من قومه؛ فقال له: يا غلام، إنك لأخطل، فغلبتْ عليه. وذكر يعقوب بن السِّكّيت أَنّ عُتبة بن الزَّعَل بن عبد اللَّه بن عمر بن عمرو بن حبيب بن الهجرس بن تَيم بن سَعد بن جُشَمَ بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنم بن تَغلِب حمَل حَمالةً، فأتى قومَه يسأل فيها؛ فجعل الأخطلُ يتكلَّم وهو يومئذٍ غلام. فقال عُتبة: مَن هذا الغلام الأخطل؟! فلُقِّب به.

قال يعقوب وقال غير أَبي عُبيدة: إنّ كَعب بن جُعَيل كان شاعرَ تَغلِبَ، وكان لا يأتي منهم قوماً إلا أَكرموه وضربوا له قُبَّةً؛ حتى إنه كان تُمَدّ له حبالٌ بين وَتِدَين فتُملأَ له غَنماً. فأَتى في مالك بن جُشَمَ ففعلوا ذلك به؛ فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغنَم وطرَدها؛ فسبَّه عُتبة وردّ الغنم إلى مواضعها؛ فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر إليه؛ فقال: إنّ غلامكم هذا لأخطلُ ـ والأخطل: السفيه ـ فغلَب عليه. ولَجّ الهجاء بينهما؛ فقال الأخطل فيه:

سُمِّيتَ كعباً بشرّ العظام ... وكان أَبوك يُسمَّى الجُعَلْ

وإنّ مَللَّك من وائلٍ ... محلُّ القُراد من است الجمل

[المتقارب]

فقال كعب: قد كنتُ أقول لا يقهَرني إلّا رجل له ذكرٌ ونَبَأ، ولقد أعددتُ هذين البيتين لأن أُهجى بهما منذ كذا وكذا، فغلَب عليهما هذا الغلام.

وقال هارون بن الزيَّات حدثني قَبِيصةُ بن مُعاوية المهلَّبيّ قال: حدثني عيسى بن إِسماعيل قال: حدثني القَحذميّ قال:

وقع بين ابنَيْ جُعَيل وأمِّهما ذَرْءٌ من كلام، فأدخلوا الأخطل بينهم؛ فقال الأخطل:

لَعَمرُك إِنني وابنَيْ جُعَيلٍ وأُمَّهما لإِستارٌ لئيمُ

[الوافر]

فقال ابن جُعَيل: يا غلام، إِنّ هذا لخَطَلٌ من رأيك؛ ولولا أنّ أُمِّي سَميَّةُ أُمِّك لتركتُ أمّك يحدو بها الرُّكبان؛ فسُمِّي الأخطلَ بذلك. وكان اسم أمِّهما وأمّ الأخطل ليلى.

وقال هارون حدثني إِسماعيل بن مُجمِّع عن ابن الكلبيّ عن قوم من تَغلِبَ في قصَّة كعب بن جُعيل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أَبي عُبيدة ممَّن لم يسمِّه، وقال فيها: وكان الأخطل يومئذٍ يُقَرزِم ـ والقرزمة: الابتداء بقول الشعر ـ فقال له أَبوه: أَبِقَرزَمتك تُريد أَن تُقاوم ابن جُعَيل! وضربه. قال: وجاء ابن جُعيل على تَفِئةِ ذلك فقال: مَن صاحبُ الكلام؟ فقال أَبوه: لا تَحفِل به فإِنه غلام أخطل. فقال له كعب:

شاهِدُ هذا الوجه غِبَّ الحُمَّهْ

[الرجز]

فقال الأخطل:

فناك كعبُ بن جُعَيْلٍ أمّهْ

[الرجز]

فقال كعب: ما اسم أمِّك؟ قال: ليلى. قال: أردتَ أَن تُعيذها باسم أُمِّي. قال: لا أعاذها اللَّه إِذاً. وكان اسم أُمِّ الأخطل ليلى، وهي امرأة من إِياد؛ فسُمِّي الأخطلَ يومئذٍ، وقال:

هجا الناسُ ليلى أُمَّ كَعبٍ فمُزِّقتْ فلم يبقَ إِلا نَفنَفٌ أَنا رافعُهْ

[الطويل]

وقال فيه أَيضاً:

هجاني المُنتِنانِ ابنا جُعَيلٍ وأيُّ الناسِ يقتله الهجاءُ

وُلِدتم بعد إِخوتكم من استٍ فهَلَّا جئتُمُ من حيث جاءوا

[الوافر]

فانصرف كعب، ولجّ الهجاء بينهما.

طبقته في الشعراء والخلاف فيه وفي جرير والفرزدق:

وكان نَصرانيّاً من أَهل الجزيرة. ومَحلُّه في الشعر أَكبر من أن يحتاج إلى وصف. وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة، فجعلها ابن سَلَّام أول طبقات الإِسلام. ولم يقع إِجماع على أحدهم أنه أفضل، ولكل واحدٍ منهم طبقةٌ تفضِّله عن الجماعة.

أخبرنا محمد بن العبَّاس اليَزيدي قال: حدثني عمي الفضل قال: حدثني إِسحاق بن إبراهيم عن أبي عُبَيدة قال:

جاء رجلٌ إلى يونس فقال له: مَنْ أَشعرُ الثلاثة؟ قال: الأَخطل. قلنا: من الثلاثة؟ قال: أيّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم. قلنا: عَمَّن تروِي هذا؟ قال: عن عيسى بن عمر وابن أبي إِسحاق الحَضْرَميّ وأبي عمرو بن العلاء وعَنْبَسَة الفيل وميمون الأقرن الذين ماشوا[1] الكلامَ وطرقوه[2]. أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال: قال أبو عُبيدة عن يونس، فذكر مثله وزاد فيه: لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون ولا نحويّون. فقلتُ للرجل: سَلْه وبأيّ شيء فَضَّلوه؟ قال: بأنه كان أكثرهم عددَ طِوالٍ جِيَادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحش وأشدهم تهذيباً للشعر. فقال أبو وَهْب الدقَّاق: أمَا إِنّ حمَّاداً وجنَّاداً كانا لا يفضِّلانه. فقال: وما حمَّاد وجنَّاد! لا نحويَّان ولا بدويَّان ولا يُبصران الكسور ولا يُفصحان، وأنا أحدّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أَدَّوْا إلى أمثالهم ماشوا الكلام وطرَقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تَشِذّ عنهم زنَة كلمة، وألحقوا السليمَ بالسليم والمضاعفَ بالمضاعف والمعتلّ بالمعتلّ والأجوف بالأجوف وبناتِ الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو، فلم تَخفَ عليهم كلمة عربية، وما عِلمُ حمَّاد وجنَّاد!

قال هارون: حدثني القاسم بن يوسف عن الأصمعيّ:

أنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فَيُطيِّرها.

أخبرنا أبو خَليفة الفضل بن الحُبَاب قال: أخبرنا محمد بن سلَّام قال: سمعت سَلَمة بن عيَّاش وذكر أهلَ المجلس جريراً والفرزدقَ والأخطلَ ففضَّله سلمةُ عليهما. قال: وكان إِذا ذُكر الأخطل يقول: ومَنْ مثل الأخطل وله في كل بيت شعرٍ بيتان! ثم يُنشِد قوله:

---

(١) ماشوا الكلام: خلطوه، أي خلطوا حسنه بقبيحه.

(٢) طرقوه: خلطوه ليستخرجوا أحسنه.

ولقد علمت إذا العِشارُ تَروّحتْ هَدَجَ[١] الرِّئال[٢] تكُبُّهنّ شَمَالا
أَنَّا نُعجِّلُ بالعَبيطِ[٣] لضيفِنا قبل العِيال ونضرب الأبطالا[٤]

ثم يقول ولو قال:

ولقد علمت إذا العِشا رُ تروّحت هَدَجَ الرئال
[الكامل]

كان شعراً، وإذا زدتَ فيه تكبهنّ شمالاً، كان أَيضاً شعراً من رَوِيٍّ آخرَ.

أخبرنا أَبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سَلَّام قال: حدثني أَبو يحيى الضبّيّ قال:

كَعبُ بن جُعَيل لَقَّبه الأخطلَ، سمعه يُنشد هجاء فقال: يا غلام إِنك لأخطلُ اللسان؛ فلزمتْه.

سال نوح بن جرير عنه أباه فمدحه:

أَخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثني أحمد بن معاوية قال: حدثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سَعد قال:

كنتُ مع نوح بن جرير في ظلّ شجرة، فقلت له: قبَحك اللَّه وقبح أباك! أمّا أبوك فأفنى عمرَه في مديح عبد ثَقيف (يعني الحَجَّاج). وأمَّا أنت فامتدحتَ قُثَمَ بن العبَّاس فلم تهتد لمناقِبه ومَناقِب آبائه حتى امتدحتَه بقصرٍ بناه. فقال: واللَّه لئن سُؤتَني في هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبي: بينا أنا آكل معه يوماً وفي فيه لقمةٌ وفي يده أخرى، فقلت: يا أبتِ، أنت أشعر أم الأخطل؟ فجرِض[٥] باللُّقمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال: يا بُنيَّ، لقد سَرَرتَني وسُؤتني. فأمَّا سرورُك إِياي فلِتعهُّدِكَ لي مثلَ هذا وسؤالِك عنه. وأما ما سُؤتَني به فلذِكرِكَ رجلاً قد مات. يا بُنيّ أدركتُ الأخطلَ وله نابٌ واحد، ولو أدركتُه وله ناب آخر لأَكَلني به، ولكني أعانتني عليه خَصلتان: كِبَرُ سِنّ، وخُبثُ دِين.

آراء الأئمة والشعراء فيه:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد قال:

(١) الهدج: ركض متقارب (هرولة).
(٢) الرئال: مفردها رِئل، وهو ولد النعام.
(٣) العبيط: اللحم الطري غير الناضج.
(٤) الأبطال: مفردها بطلة، ومعناها السحرة.
(٥) جَرِض: ابتلعه بالجهد على همّ.

سُئلَ حمَّاد الراوية عن الأخطل، فقال: ما تسألوني عن رجلٍ قد حَبَّبَ شعرُه إِليّ النصرانيةَ!

قال إِسحاق: وحدثني أَبو عُبيدة قال: قال أبو عمرو: لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهلية ما قدّمتُ عليه أحداً.

قال إِسحاق: وحدثني الأصمعيّ أن أبا عمرو أنشد بيتَ شعر، فاستجاده وقال: لو كان للأخطل ما زاد.

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت عن الأصمعيّ عن أبي عمرو:

أنّ جريراً سُئل أيّ الثلاثة أشعر؟ فقال: أمّا الفرزدق فتكلَّف منّي ما لا يُطيق. وأما الأخطل فأشدُّنا اجتراءً وأرمانا للفَرائص. وأما أنا فمدينة الشعر.

وقال ابن النطَّاح حدثني الأصمعيّ قال:

إِنما أدرك جريرٌ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطَّم. وكان الأخطل أسَنّ من جرير، وكان جرير يقول: أدركته وله نابٌ واحد، ولو أدركتُ له نابين لأكلني. قال: وكان أبو عمرو يقول: لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهلية ما فضّلتُ عليه أحداً.

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلَّام قال:

قال العَلاء بن جَرير: إِذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيتٌ، والفرزدقُ لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً، وجرير يجيء سابقاً ومُصلِّياً وسُكَّيتاً.

وقال يعقوب بن السكِّيت قال الأصمعيّ:

قيل لجرير: ما تقول في الأخطل؟ قال: كان أشدَّنا اجتراءً بالقليل وأنعتَنا للحُمُر والخمر.

وروى إِسماعيل بن عُبيد اللَّه عن مؤرِّج عن شُعبة عن سِماك بن حَرْب:

أنّ الفرزدق دخل الكوفة، فلقيه ضَوءُ بن اللجلاج، فقال له: مَن أمدحُ أهل الإِسلام؟ فقال له: وما تُريد إلى ذلك؟ قال: تَمارَينا فيه. قال: الأخطل أمدَحُ العرب.

وقال هارون بن الزيَّات: حدثني هارون بن مسلم عن حَفص بن عمر قال:

سَمِعتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أَبا حَفْص، فحدّثه أنه سأل جريراً عن الأخطل فقال: أمدَحُ الناسِ لكريمٍ وأوصَفُه للخمر. قال: وكان أَبو عُبيدة يقول:

شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق. قال أَبو عبيدة: وكان أَبو عمرو يشبِّه الأخطلَ بالنابغة لصحَّة شعره.

وقال ابن النطّاح: حدثني عبد اللَّه بن رُؤبة بن العجاج قال:

كان أَبو عمرو يفضِّل الأخطل.

وقال ابن النطَّاح: حدثني عبد الرحمٰن بن بَرزَخ قال: كان حمَّاد يفضِّل الأخطل على جرير والفرزدق. فقال له الفرزدق: إِنما تفضِّله لأنه فاسق مثلك. فقال: لو فضّلتُه بالفسق لفضّلتُك.

قال ابن النطَّاح: قال لي إِسحاق بن مَرَّار الشَّيبانيّ: الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة. فقلت: يقال إِنه أمدحُهم! فقال: لا واللَّه! ولكن أهجاهم. مَن منهما يُحسِن أَن يقول:

ونحن رفعنا عن سَلولَ رماحَنا وعَمْداً رَغِبنا عن دماء بني نَصرِ

[الطويل]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن موسى عن أَحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال:

قال الأخطل: أشعرُ الناسِ قبيلةً بنو قَيس بن ثَعلبة، وأشعرُ الناسِ بيتاً آلُ أبي سُلمى وأَشعر الناس رجل في قميصي.

أَخبرني الحسن قال: حدثني محمد قال: حدثني الخَرَّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمَّاد ـ هكذا قال؛ وأظنّه عليّ بن مجاهد ـ قال:

قال الأخطل لعبد الملك: يا أَمير المؤمنين، زعم ابنُ المَراغة أنه يبلُغ مِدَحتك في ثلاثة أيام وقد أقمتُ في مِدحتِك:

خَفّ القَطينُ فراحوا منك أَو بَكَرُوا

سنةً فما بلغتُ كلّ ما أردتُ. فقال عبد الملك: فأسمِعنا يا أخطلُ؛ فأنشده إِياها؛ فجعلتُ أرى عبد الملك يتطاول لها؛ ثم قال: وَيحك يا أخطل! أتريد أن أَكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ قال: أكتفي بقول أَمير المؤمنين. وأَمر له بجَفنةٍ كانت بين يديه فمُلِئتْ دراهمَ وألقى عليه خِلَعاً، وخرج به مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أَمير المؤمنين، هذا أَشعر العرب.

وقال ابن الزيَّات حدثني جعفر بن محمد بن عُيَينة بن المِنهال عن هشام عن عَوانةَ قال:

أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثيِّر فيه:

فـمـا تـركـوهـا عَـنـوةً عـن مـودّةٍ ولـكـن بـحَـدِّ الـمَـشـرَفِـيّ اسـتـقـالـهَـا

[الطويل]

فأعجِب به. فقال له الأخطل: ما قلتُ لك واللَّه يا أَمير المؤمنين أحسنُ منه. قال: وما قلتَ؟ قال: قلت:

أهَـلُّـوا مـن الـشـهـر الـحَـرامِ فـأصـبـحـوا مَـوالِـيَ مُـلـكٍ لا طَـرِيـفٍ ولا غَـصْـبِ

[الطويل]

جعلتُه لك حقًّا وجعلك أخذتَه غَصْباً؛ قال: صدَقتَ.

قال: أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال: أخبرنا عمر بن شَبَّة قال: أخبرنا أَبو دُقاقة الشاميّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال:

رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبد الملك؛ فلما انحدر دنوتُ منه فقلت: يا أَبا مالك، مَن أشعرُ العرب؟ قال: هذان الكلبان المتعاقِران من بني تميم. فقلت: فأين أَنت منهما؟ قال: أَنا واللَّاتِ أَشعرُ منهما. قال: فحلَف باللَّاتِ هُزؤاً واستخفافاً بدِينه.

وروى هذا الخبرَ أَبو أَيّوب المَدينيّ عن المدَائنيّ عن عامر بن شهبل الجَرمي أنه سأل الأخطل عن هذا، فذكر نحوَه، وقال: واللَّاتِ والعُزَّى.

نصح له شيباني بألا يهجو جريراً:

أَخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: حدثني عبد اللَّه بن أَبي سعد قال: ذكَر الحِرمازيّ:

أَنّ رجلاً من بني شَيبان جاء إلى الأخطل فقال له: يا أَبا مالك، إِنَّا، وإِن كنَّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتّصال الحرب والعداوة، تجمعنا ربيعةُ، وإِنّ لك عندي نُصْحاً. فقال: هاتِه، فما كَذَبتَ. فقلت: إِنك قد هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأَنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيما أنه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويَسُبّ ربيعةَ سبّاً لا تقدِر على سبّ مُضَرَ بمثله والمُلكُ فيهم والنبوَّة قبله؛ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارَّته ومُهارَّته. فقال: صدقتَ في نُصْحك وعرفتُ مُرادَك وصَلَتْك رَحِمٌ! فوالصَّلِيبِ والقُربان لأتخلّصنّ إلى كُلَيب خاصَةً دون مُضَر بما يَلبَسُهم خِزيُه ويَشمَلُهم عارُه. ثم اعلم أَنّ العالِمَ بالشعر لا يُبالي وحقِّ الصليبِ إِذا مرّ به البيتُ المُعايَر[1] السائر الجيِّد، أمُسلِمٌ قاله أم نَصراني.

(١) المعاير: المتداول بين الناس بالاستعارة.

أَخبرني وَكيع قال: حدثني أَبو أَيّوب المَدينيّ عن أَبي الحسن المدائنيّ قال:

أصبح عبد الملك يوماً في غداةٍ باردةٍ، فتمثّل قولَ الأخطل:

إِذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً ... بغير الماءِ حاول أَن يَطولَا

مشى قرشيَّةً لا شكَّ فيها ... وأَرخى من مآزِره الفُضولَا

[الوافر]

ثم قال: كأنّي أنظر إليه الساعةَ مُجلَّلَ الإِزار مستقبِلاً الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشق؛ ثم بعث رجلاً يطلبه فوجده كما ذكره.

وقال هارون بن الزيَّات حدثني طائع عن الأصمعيّ قال: أَنشد أَبو حَيَّة النُّميريّ يوماً أَبا عمرو:

يا لَمَعَدٍّ ويا للنَّاسِ كلِّهمُ ... ويا لغَائبهم يوماً ومَن شَهِدَا

[البسيط]

كأنه مُعجَبٌ بهذا البيت؛ فجعل أَبو عمرو يقول له: إِنك لَتُعجَبُ بنفسك كأنك الأخطل.

أَخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا الغَلابيّ عن عبد الرحمٰن التَّيميّ عن هشام بن سليمان المخزوميّ:

أن الأخطل قدِم على عبد الملك، فنزل على ابن سرحون كاتبه. فقال عبد الملك: على مَن نزلتَ؟ قال: على فلان. قال: قاتلك اللَّه! ما أعلمكَ بصالح المنازل! فما تريد أَن يُنزِلك؟ قال: دَرْمَكٌ[1] من دَرْمَككم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس[2]. فضحك عبد الملك ثم قال له: وَيلك! وعلى أَيّ شيء اقتتلنا إِلا على هذا! ثم قال: أَلَا تُسلِمُ فنَفرِضَ لك الفَيْء. ونُعطيَك عشرة آلاف؟ قال: فكيف بالخمر؟ قال: وما تصنع بها وإِنّ أَوَّلها لَمُرّ وإِنَّ آخِرَها لَسُكر! فقال: أَمَّا إِذ قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لمَنزلةً ما مُلكُكَ فيها إِلَّا كعُلقة ماء من الفراتِ بالإِصبع. فضحِك ثم قال: أَلا تزور الحَجَّاج؟ فإِنه كتب يستزيرك[3]. فقال: أَطائعٌ أَم كاره؟ قال: بل طائع. قال: ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُربَه على قربك؛ إِنني إِذاً لَكَما قال الشاعر:

كَمُبتاعٍ ليركبَه حماراً ... تَخيَّره من الفرس الكبيرِ

[الوافر]

---

(١) درمك: دقيق الحواريّ.

(٢) بيت رأس: اسم لقرية فيها كروم كثيرة ينسب إليها الخمر.

(٣) يستزيرك: يطلب منك أن تزوره أي يطلب زيارتك.

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأَمره بمدح الحجَّاج؛ فمدحه بقوله:

صَـرَمـتْ[١] حِـبـالَـك زيـنـبٌ ورَعُـومُ[٢] وبَـدَا الـمُـجَـمـجَـمُ[٣] مـنـهـمـا الـمـكـتـومُ

[الكامل]

ووجّه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيِّد شعره.

وقال هارون بن الزيَّات: حدثني محمد بن إِسماعيل عن أَبي غَسَّانَ قال:

ذكروا الفرزدق وجريراً في حَلقة المدائنيّ؛ فقلت لصَباح بن خاقان: أُنشِدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما؟ قال: هاتِ؛ فأنشدتُه:

أَلَـمْ يـأتِـهـا أَنّ الأراقِـمَ فَـلَّـقَـتْ جـمـاجِـمَ قَـيـسٍ بـيـن راذانَ والـحَـضْـر

جَـمـاجِـم قـومٍ لـم يَـعـافـوا ظُـلامـةً ولـم يـعـرِفـوا أَيـن الـوفـاءُ مـن الـغَـدرِ

[الطويل]

قال: فسكت.

قال إِسحاق: وحدثني أَبو عبيدة أَن يونس سُئل عن جرير والفرزدقَ والأخطل: أيهم أَشعر؟ قال: أجمعت العلماء على الأخطل. فقلت لرجل إلى جنبه: سَلْه ومَن هم؟ فقال: مَن شئتَ، إِبن أَبي إِسحاق وأَبو عمرو بن العَلاء وعيسى بن عمرو وعَنبسَة الفِيل وميمون الأقرَن، هؤلاء طرَقوا الكلام وماشوه لا كمن تحكُمون عنه لا بدويِّين ولا نحويِّين. فقلت للرجل: سَلْه: وبأيّ شيء فُضِّل على هؤلاء؟ قال: بأنه كان أَكثرهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جِيادٍ ليس فيها فُحش ولا سَقَط. قال أَبو عُبيدة: فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عَشْراً بهذه الصفة وإِلى جانبها عَشْراً إِن لم تكن مثلَها فليست بدونها؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثاً. قال إِسحاق: فسألت أَبا عُبيدة عن العشر فقال:

عَـفـا واسِـطٌ مـن آل رَضـوى فـنَـبـتَـلُ

وتـأبّـد الـرَّبـعُ مـن سَـلـم بـأحـفـارِ

وخَفّ القَطينُ فراحوا منك وابتكَروا

وكَذَبتْك عينُك أم رأيتَ بواسطٍ

ودَعِ الـمُـعـمَّـر لا تـسـأل بـمَـصـرَعِـه

ولـمـن الـديـارُ بـحـائـلٍ فـوُعـالِ

---

(١) صرمت: قطعت.

(٢) رعوم: معناها النفس الشديد والهزال، وهو اسم لامرأة.

(٣) المجمجم: المكتوم والمخفي في صدره.

قال إسحاق: ولم أحفظ بقيَّة العَشْر. قال: وقصائد جرير:

حيِّ الهِدَملةَ من ذات المَواعِيسِ

وألَا طرقتكَ وأهللي هُجودُ
وأهَوَى أَراكَ برامَتَينِ وُقودا

قال وقال أَبو عُبيدة: الأخطل أشبه بالجاهليَّة وأشدُّهم أسْرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطاً.

وأخبرنا الجوهريّ عن عمر بن شَبَّة عن أَبي عُبيدة مثلَه.

وفي بعض هذه القصائد التي ذُكِرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها.

منها:

صوت

تأبّد الرَّبعُ من سَلمى بأحفارِ وأقفرتْ من سُلَيمى دِمنةُ الدارِ
وقد تَحُلُّ بها سَلمى تُجاذِبُني تَساقُطَ الحَلي حاجاتي وأسراري

[البسيط]

غنَّاه عمر الواديّ هزجاً بالسبَّابة في مجرى الوسطى. وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبد الرحمٰن بن حَسَّان لمَّا هجاه الأخطل وهجا الأنصار، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك.

ومنها:

صوت

خَفّ القَطِينُ[1] فراحوا منك وابتكروا وأزعجتْهم نَوًى في صَرفِها غِيَرُ
كأنَّني شاربٌ يوم استُبِدّ بهم من قَهوةٍ ضُمِّنَتها حِمصُ أو جَدَر[2]
جادتْ بها من ذواتِ القارِ مُترَعةٌ كَلفاءُ يَنحَتُّ عن خُرطومها المَدَر

[البسيط]

غنَّاه إبراهيم خفيفَ ثقيل بالبنصر. ولابن سُرَيج فيه رمل بالوسطى عن عمرو. وفيه رمل آخر يقال: إنه لعلّويه، ويقال: إنه لإبراهيم. وفيه لعَلّويه خفيفُ ثقيلٍ آخر لا يُشَكّ فيه.

---

(١) القطين: الإماء، والخدم، الأتباع.

(٢) جدَر: قرية على مقربة من حمص تنسب إليها الخمر.

سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه:

وقال هارون بن الزيَّات: حدثني ابن النطَّاح عن أَبي عمرو الشَّيبانيّ عن رجل من كَلْب يقال له: مهوش عن أبيه:

أنّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطل عن أشعر الناس؛ قال: الذي كان إذا مدَح رفَع، وإذا هجا وَضع. قال: ومَن هو؟ قال: الأعشى. قال: ثم مَن؟ قال: ابن العشرين (يعني طَرَفة). قال: ثم من؟ قال: أَنا.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: أَخبرنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا أَبو بكر العُلَيميّ قال: حدثنا أَبو قُحافة المُرِّيّ عن أَبيه قال:

دخل الأخطل على بِشْر بن مَروان وعنده الراعي؛ فقال له بِشرٌ: أنت أشعر أم هذا؟ قال: أنا أشعر منه وأكرم. فقال للراعي: ما تقول؟ قال: أمَّا أشعر منّي فعسى، وأمَّا أكرم فإن كان في أمّهاته من ولَدتْ مثلَ الأمير فنعم. فلمَّا خرج الأخطل قال له رجلٌ: أَتقول لخال الأمير أَنا أكرم منك؟ قال: وَيلك! إنّ أَبا نسطوس وضع في رأسي أكُؤساً ثلاثاً، فواللَّه ما أعقِل معها.

استنشده عبد الملك بن مروان فشرب خمراً ثم أنشده:

قال: ودخل الأخطلُ على عبد الملك بن مَروان، فاستنشده؛ فقال: قد يَبِس حَلقي، فمُر مَن يسقيني. فقال: اسقُوه ماء. فقال: شراب الحمار، وهو عندنا كثير. قال فاسقُوه لبناً. قال: عن اللبن فُطِمتُ. قال: فاسقُوه عسلاً. قال: شراب المريض. قال: فتُريد ماذا؟ قال: خمراً يا أَمير المؤمنين. قال: أَوَعَهِدتَني أسقي الخمرَ لا أمَّ لك! لولا حُرمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت! فخرج فلقي فَرَّاشاً لعبد الملك فقال: وَيلك! إنّ أَمير المؤمنين استنشدني وقد صَحِل[1] صوتي، فاسقِني شربةَ خمر فسقاه؛ فقال: اعْدِله بآخر فسقاه آخر. فقال: تركتَهما يعتركان في بطني، إِسقني ثالثاً فسقاه ثالثاً. فقال: تركتني أمشي على واحدة، إِعدِلْ مَيلي برابع فسقاه رابعاً؛ فدخل على عبد الملك فأنشده:

خَفّ القطينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتْهم نَوًى في صرفها غِيَرُ

[البسيط]

فقال عبد الملك: خُذْ بيده يا غلام فأخرِجه، ثم ألقِ عليه من الخِلَع ما يغمُره، وأحسن جائزتَه، وقال: إِنّ لكل قوم شاعراً وإِنّ شاعر بني أُميَّة الأخطل.

(١) صَحِل: بُحص، أو احتدَّ في بحح.

حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق:

أَخبرني أَبو خَليفة إِجازةً عن محمد بن سَلَّام قال: قال أَبانُ بن عثمان حدثني سماك بن حَرْب عن ضَوْء بن اللَّجلاج قال:

دخلتُ حمَّاماً بالكوفة وفيه الأخطل؛ قال: فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بني ذُهْل. قال: أتروِي للفرزدق شيئاً؟ قلت: نعم. قال: ما أشعرَ خليلي! على أنه ما أسرعَ ما رجع في هِبَته. قلت: وما ذاك؟ قال قوله:

أبَني غُدانة[1] إِنَّني حَرَّرتكم ... فوَهبتُكم لعطيَّة بن جِعالِ
لولا عَطيَّة لاجتدعتُ أُنوفَكم ... من بين الأم آنُفٍ وسِبالِ

[الكامل]

وهبهم في الأول ورجع في الآخر. فقلت: لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت. قال: كيف؟ قلتُ: هجوتَ زُفَر بن الحارث ثم خَوّفتَ الخليفةَ منه فقلتَ:

بني أُميَّةَ إِنّي ناصحٌ لكمُ ... فلا يَبيتنّ فيكم آمِناً زُفَرُ
مفترشاً كافتراش اللَّيث كَلكَلَه ... لوقعةٍ كائنٍ فيها له جَزَرُ

[البسيط]

ومدحتَ عِكرِمةَ بن رِبعِيّ فقلتَ:

قد كنتُ أحسَبه قَيناً وأُخبَرُه ... فاليومَ طُيِّرَ عن أَثوابه الشَّرَرُ

قال: لو أردتَ المبالغةَ في هجائه ما زدتَ على هذا. فقال له الأخطل: واللَّه لولا أنك من قوم سبَق لي منهم ما سبَق لهجوتُك هجاءً يدخل معك قبرك. ثم قال:

ما كنتَ هاجِيَ قومٍ بعد مَدحِهِمُ ... ولا تُكدَّرُ نُعمَى ما تَجِبُ

[البسيط]

أُخرُجْ عنّي.

وقال هارون بن الزيَّات حدثني أَحمد بن إِسماعيل الفِهرِيّ عن أَحمد بن عبد العزيز بن عليّ بن ميمون عن مَعْن بن خَلاد عن أَبيه قال:

لمَّا استنزَل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكِلابيّ من قِرقِيسِيا[2]، أقعده معه على

(١) غُدانة: بطن من يربوع.

(٢) قرقيسيا: بلد على الفرات قرب رحبة مالك بن طوق سميت بهذا الاسم نسبة لقرقيسيا بن طهمورث.

سريره؛ فدخل عليه ابن ذي الكَلاع. فلما نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى. فقال له: ما يُبكيك؟ فقال: يا أَمير المؤمنين، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومي في طاعتهم لك وخِلافِه عليك، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض! قال: إِني لم أجلسه معي أَن يكون أكرم عليَّ مِنك؛ ولكنّ لسانه لساني وحديثه يُعجِبُني. فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال: أَمَا واللَّه لأقومَنّ في ذلك مقاماً لم يَقُمه ابن ذي الكَلاع! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك. فلما ملأ عينَه منه قال:

وكأسٍ مثلِ عينِ الدِّيكِ صِرْفٍ تُنسِّي الشاربينَ لها العقولَا
إِذا شَرِب الفتى منها ثلاثاً بغيرِ الماءِ حاول أَن يَطولا
مَشى قُرَشِيَّةً لا شكَّ فيها وأرخى من مآزره الفُضولا

[الوافر]

فقال له عبد الملك: ما أخرج هذا منك يا أبا مالك إِلا خُطَّةٌ في رأسك. قال: أجَلْ واللَّه يا أَمير المؤمنين حين تُجلِس عدوَّ اللَّه هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس:

وقد يَنبُت المَرعى على دِمَنِ الثَّرى وتبقى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

[الطويل]

قال: فقبض عبد الملك رجلَه ثم ضرب بها صدْرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال: أذهب اللَّه حزازاتِ[1] تلك الصدور. فقال: أَنشُدُك اللَّه يا أَمير المؤمنين والعهدَ الذي أَعطيتَني! فكان زُفَرُ يقول: ما أَيقنتُ بالموت قطُّ إِلا تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال.

وقال هارون بن الزيَّات: حدثني هارون بن مُسلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حَنظَلة الشَّيبانيّ قال:

قال الأخطل: فَضَلتُ الشعراءَ في المديح والهجاء والنَّسيب بما لا يُلحَق بي فيه. فأمّا النَّسيب فقولي:

أَلَا يا اسلَمِي يا هندُ هندَ بني بَدْرِ وإِن كان حَيَّانا عِدًى آخِرَ الدَّهر
من الخفِراتِ البِيضِ أمَّا وِشاحُها فيجري وأَمَّا القُلبُ[2] منها فلا يجري
تموت وتحيا بالضجيع وتلتوي بمُطَّرِدِ المَتنَين منبَترِ الخصر

[الطويل]

(١) حزازات: ألم في الصدر من خوف أو حزن أو وجع.
(٢) القلب: ما تضعه المرأة في يدها للزينة، السوار.

وقولي في المديح:

نفسي فداءُ أَميرِ المؤمنين إذا ... أبدى النَّواجِذَ يوماً عارِمٌ ذَكَرُ
الخائضُ الغمرةِ الميمونُ طائرُه ... خليفةُ اللَّه يُستَسقى به المَطرُ

[البسيط]

وقولي في الهجاء:

وكنتُ إذا لَقِيتَ عبيدَ تَيم ... وتيماً قلتَ أَيُّهمُ العبيد
لئيمُ العالَمين يَسودُ تَيماً ... وسيِّدُهم وإِن كَرِهوا مَسُودُ

[الوافر]

قال عبد الخالق: وصدَق لَعمري، لقد فَضَلَهم.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال: حدثني عمر بن شَبَّة عن أحمد بن معاوية عن محمد بن داود قال:

طَلَّق أعرابيٌّ امرأتَه فتزوَّجها الأخطل؛ وكان الأخطل قد طلَّق امرأته قبل ذلك. فبينا هي معه إِذ ذكرتْ زوجَها الأول فتنفَّست؛ فقال الأخطل:

كِلانا على هَمٍّ يبيتُ كأنما ... بجَنبَيهِ من مَسِّ الفِراش قُروحُ
على زوجِها الماضي تنوحُ وإِنني ... على زوجتي الأُخرى كذاك أَنوحُ

[الطويل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: أَخبرنا أحمد بن زُهَير بن حرْب عن خالد بن خِداش:

أنّ الأخطل قال لعبد الملك بن المُهلَّب: ما نازعتْني نفسي قطُّ إلى مدح أحدٍ ما نازعتني إلى مَدحِكم؛ فأَعطِني عطيَّةً تبسُط بها لساني؛ فواللَّه لأُرَدِّيَنَّكم أرديةً لا يذهب صِقالُها إلى يوم القيامة. فقال: أَعلَمُ واللَّه يا أَبا مالك أنك بذلك مليء، ولكني أَخاف أن يبلُغ أَميرَ المؤمنين أَنّي أُسأَلُ في غُرْم وأُعطي الشعراء فأَهلِك ويظنّ ذلك منّي حيلةً. فلما قدِم على إِخوته لامُوه كل اللَّوم فيما فعله. فقال قد خبرتُه بعُذري.

حديث جرير عنه:

أَخبرني أَبو خليفة عن محمد بن سَلَّام قال: قال أَبو الخطَّاب حدّثني نوح بن جرير قال:

قلت لأبي: أنت أشعرُ أم الأخطلُ؟ فنَهَرني وقال: بئس ما قلتَ! وما أَنت وذاك

لا أمَّ لك! فقلت: وما أَنا وغيرَه! قال: لقد أُعِنتُ عليه بكُفرٍ وكِبَر سِنّ، وما رأيتُه إلّا خَشِيتُ أَن يبتلعني.

حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل:

أَخبرني عمي عن الكُرانيّ عن دَماذ عن أَبي عُبيدة قال:

قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل! نصرانيّ كافر يهجو المسلمين! فقال أَبو عمرو: يا لُكَع! لقد كان الأخطل يجيء وعليه جُبَّة خَزٍّ وحِرْزُ خَزٍّ، في عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مَروان بغير إِذن.

وقال هارون: حدثني أَحمد بن إِسماعيل الفِهرِيّ عن أحمد بن عبد اللَّه بن عليّ الدَّوسيّ عن مَعقِل بن فلان عن أَبيه عن أَبي العَسكر قال:

كنَّا بباب مَسلمة بن عبد الملك، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة؛ فقال أَصحابي: حَكِّمناك وتراضَينا بك. فقلت: نعم، هم عندي كأفراسٍ ثلاثةٍ أرسلتهن في رِهانٍ، فأحدُها سابقٌ الدهرَ كلَّه، وأحدُها مُصَلٍّ، وأحدُها يجيء أحياناً سابقَ الريح وأحياناً سُكَّيتاً وأحياناً متخلِّفاً. فأمّا السابق في كل حالاته فالأخطل. وأمَّا المصلِّي في كل حالاته فالفرزدق. وأمّا الذي يسبق الريح أَحياناً ويتخلّف أحياناً فجرير؛ ثم أنشد له:

سَـرى لـهـم لـيـلٌ كـأنّ نـجـومَـه قـنـاديـلُ فـيـهـنّ الـذُّبـالُ الـمُـفَـتَّـلُ

[الطويل]

وقال: أحسن في هذا وسبَق. ثم أنشد:

الـتَّـغـلَـبـيَّـةُ مَـهـرُهـا فَـلْـسـانِ والـتـغـلَـبـيّ جـنـازةُ الـشَّـيـطـانِ

[الكامل]

وقال: تخلّف في هذه. فخرجنا من عنده على هذا.

هو والفرزدق مع الفتى من أهل اليمامة:

وقال هارون بن الزيَّات: حدثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ عن أَبيه:

أنّ الفرزدق والأخطل، بينما هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إِمارة بِشر بن مروان إِذ دخل عليهما فتًى من أَهل اليمامة؛ فقالا له: هل تَروِي لجرير شيئاً؟ فأنشدهما:

لو قد بعثتُ على الفرزدقِ مِيسَمي[1] وعلى البَعيثِ لقد نكحتُ الأخطلَا

[الكامل]

فأقبل الفرزدق فقال: يا أَبا مالك، أتُراه إنْ وسَمَني يتورّكك على كِبَر سِنّك! ففزع الفتى فقام وقال: أَنا عائذٌ باللَّه من شرّكما. فقالا: اجلس لا بأسَ عليك! ونادماه بقيةَ يومهما.

الفرزدق في ضيافته:

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: أَخبرنا عمر بن شَبَّة قال: حدّثنا أَبو يَعلى قال: حدثني عبد السلام بن حَرب قال:

نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرِفه، فجاءه بعشاءٍ ثم قال له: إِنّي نَصرانيّ وأَنت حَنيفٌ، فأيُّ الشرابِ أحبُّ إليك؟ قال: شرابُك. ثم جعل الأخطل لا يُنشِد بيتاً إلا أَتَمَّ الفرزدق القصيدة. فقال الأخطل: لقد نزل بي الليلةَ شَرٌّ، مَن أَنت؟ قال: الفرزدق بن غالب. قال: فسجَد لي وسجدتُ له. فقيل للفرزدق في ذلك، فقال: كَرِهتُ أَن يفضحني. فنادى الأخطلُ: يا بني تَغلِبَ هذا الفرزدق. فجمعوا له إِبلاً كثيرة. فلما أصبح فرّقها ثم شخَص.

كان خبيث الهجاء في عفة:

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال: حدثنا عمر بن شَبَّة قال:

كان مما يُقدَّم به الأخطل أنه كان أَخبثَهم هجاءً في عَفافٍ عن الفحش. وقال الأخطل: ما هجوتُ أحداً قطُّ بما تستحي العذراءُ أَن تُنشِده أَباها.

أَخبرني أَحمد وحبيب بن نصر المُهلَّبيّ قالا: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثني محمد بن عَبَّاد المَوصِليّ قال:

خرج يزيد بن معاوية معه عامَ حَجّ بالأخطل. فاشتاق يزيدُ أهلَه فقال:

بكى كلُّ ذي شَجْوٍ من الشام شاقَهُ تَهامٍ فأنّى يلتقي الشَّجِيَّانِ

[الطويل]

أَجِزْ يا أَخطل؛ فقال:

يغورُ الذي بالشام أَو يُنجِدُ الذي بغَورٍ تِهاماتٍ فيلتقيانِ

[الطويل]

(١) المِيسم: أثر الحسن والجمال، مِيسم وقد وسُمَ فهو وسيم أي جميل.

أَخبرني أَحمد وحبيب قالا: حدثنا عمر بن شَبَّة قال:

قيل لأبي العبَّاس أَمير المؤمنين: إنّ رجلاً شاعراً قد مدَحك، فتسمع شعرَه! قال: وما عسى أَن يقول فيَّ بعد قول ابن النَّصرانيَّة في بني أميَّة:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

[البسيط]

أَخبرني به وَكيع عن حَمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه عن الهَيثَم بن عَدِيّ بمثله.

حادثة له مع أمّه:

قال هارون: وحدثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التَّميميّ عن أَبي بُرْدة الفَزاريّ عن رجل من تَغلِب قال:

لحظ الأخطل شَكوةً[1] لأمِّه فيها لبن وجِراباً فيه تمر وزبيب، وكان جائعاً وكان يُضيّق عليه؛ فقال لها: يا أمَّه، آلُ فلان يزورونكِ ويقضُون حقَّكِ وأَنتِ لا تأتينهم وعندهم عليلٌ، فلو أتيتِهم لكان أجملَ أولى بِك. قالت: جُزِيتَ خيراً يا بُنَيّ! لقد نَبّهتَ على مَكرُمةٍ. وقامت فلبِست ثيابها ومضت إليهم. فمضى الأخطل إلى الشَّكوة ففرَّغ ما فيها والى الجراب فأكل التمر والزبيب كلّه. وجاءت فلحَظت موضعَها فرأته فارغاً، فعلمتْ أنه قد دهاها، وعمَدت إلى خَشَبة لتضربَه بها؛ فهرَب وقال:

ألَمَّ على عِنَبات العجوزِ وشَكوَتها من غِياثٍ لَمَمْ
فظلَّتْ تُنادي ألَا وَيلَها وتَلعَن واللعنُ منها أَمَمْ[2]

[المتقارب]

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت هذه القصة، فحكى أنها كانت مع امرأَةٍ لأبيه لها منه بنون، فكانت تُؤثرهم باللَّبن والتمر والزبيب وتبعَث به يرعى أعنُزاً لها. وسائرُ القصة والشعر متَّفق. وقال في خبره: وهذا أول شعر قاله الأخطل.

أَخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن علّي بن فيروز عن الأصمعيّ عن أمامةَ ورَعُومَ اللتين قال فيهما الأخطل:

صَرَمتْ أمامةُ حبلَها ورَعومُ

ورَعومُ وأمامةُ بنتا سعيد بن إِياس بن هانئ بن قَبيصة، وكان الأخطل نزل عليه

(١) شكوة: قربة من جلد يوضع فيه الشراب من ماء ولبن.
(٢) أمم: قريب، سهل، يسير.

فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جُوَيريتان فخدمتاه. ثم نزل عليه ثانيةً وقد كبِرتا فحُجِبتا عنه؛ فسأل عنهما وقال: فأينَ ابنتاي؟ فأخبِر بكبرهما، فنسَب بها. قال: والرَّعوم هي التي كانت عند قُتيبة بن مُسلِم وكان يقال لها أُمّ الأخماس، تزوّجت في أَخماس[١] البَصرة محمَد بن المهلَّب وعامرَ بن مِسمَع وعَبَّادَ بن الحُصَين وقتيبةَ بن مُسلِم؛ وكان يقال لها الجارُود.

كان حكم بكر بن وائل.

أَخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا الخَزَّاز عن المدائنيّ قال: قال أَبو عبد الملك:

كانت بكر بن وائل إذا تشاجرتْ في شيء رَضِيتْ بالأخطل، وكان يدخل المسجدَ فيَقدَمون إليه. قال: فرأيته بالجزيرة وقد شُكِي إلى القَسّ وقد أخذ بِلحيته وضربه بعصاه وهو يصيء[٢] كما يصيء الفَرْخ. فقلت له: أَين هذا مما كنت فيه بالكوفة؟ فقال: يا ابن أَخي، إذا جاء الدِّين ذَلَلنا.

وقال يعقوب بن السّكيت: زعم غَيلان عن يحيى بن بِلال عن عمر بن عبد اللَّه عن داود بن المُساوِر قال:

دخلتُ إلى الأخطل فسلّمت عليه، فنسَبني فانتسبت، واستنشدته فقال: أنشِدك حبَّة قلبي، ثم أَنشدني:

لَعَمري لقد أَسريتُ لا ليلَ عاجزٍ بسَلهَبةِ[٣] الخَدَّينِ ضاويةِ القُرْبِ[٤]
إِليكَ أَميرَ المؤمنين رَحَلْتُها على الطائرِ الميمون والمنزل الرَّحبِ

[الطويل]

فقلت: مَن أَشعرُ الناس؟ قال: الأعشى. قلت: ثمّ مَن؟ قال: ثم أَنا.

أَخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا ابن مَهرويه عن أَبي أَيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ قال:

إِمتدح الأخطلُ هشاماً فأعطاه خمسمائة درهم، فلم يرضَها وخرج فاشترى بها تُفَّاحاً وفرّقه على الصبيان. فبلغ ذلك هشاماً فقال: قبَّحه اللَّه! ما ضرَّ إِلّا نفسَه.

(١) أخماس: خمسة رجال من البصرة.
(٢) يصيء: يصدر صوتاً كصوت الفراخ من شدة الألم.
(٣) سلهبة: طويلة.
(٤) القرب: الخصر.

تمثل هشام بشطر بيت في ناقة، فأتمه جرير والفرزدق وهو فأخذها:

وقال يعقوب بن السكِّيت حدثني سَلَمة النُّميريّ ـ وتُوُفِّي وله مائةٌ وأربعون سنة ـ أنه حضر هشاماً وله يومئذٍ تسعَ عَشرةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده؛ فأَحضر هشامٌ ناقةً له فقال متمثِّلاً:

أنِيخها ما بَدا لي ثم أَرحَلُها

ثم قال: أيّكم أتمَّ البيتَ كما أُريد فهي له. فقال جرير:

كأنّها نِقنِقٌ[1] يَعدُو بصحَراءِ

[البسيط]

فقال: لم تصنع شيئاً. فقال الفرزدق:

كأنّها كاسِرٌ بالدَّوّ[2] فَتْخاءُ[3]

[البسيط]

فقال: لم تُغنِ شيئاً. فقال الأخطل:

تُرخِي المَشافِرَ واللَّحْيينِ إرخاءَ

[البسيط]

فقال: اركبها لا حملك اللَّه!

هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها:

وقال هارون بن الزيَّات: حدثني الخَرَّاز عن المدائنيّ قال:

هجتِ الأخطلَ جاريةٌ من قومه؛ فقال لأبيها: يا أَبا الدَّلماء، إنّ ابنتك تعرّضتْ لي فاكفُفها. فقال له: هي امرأةٌ مالكةٌ لأمرها. فقال الأخطل:

أَلَا أبلِغْ أَبا الدَّلماءِ عنّي ... بأن سِنانَ شاعركم قصيرُ

فإنْ يَطعُنْ فليس بذي غَناءٍ ... وإن يُطعَنْ فمَطعَنُه يسير

متى ما ألقَه ومعي سِلاحي ... يخِرّ على قفاه فلا يُجِير

[الوافر]

فمشى أَبوها في رجال من قومه إلى الأخطل فكلّموه؛ فقال: أمَّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد.

---

(١) نقنق: ذكر النعام ويسمى ظليماً. (٢) الدُّو: الأرض الفلاة الواسعة.

(٣) فتخاء: الليِّنة الجناح.

وصيته عند موته:

أَخبرنا أَبو خَليفة إِجازةً عن محمد بن سلَّام قال:

لمَّا حضرت الأخطلَ الوفاةُ قيل له: يا أَبا مالك، أَلَا تُوصي؟ فقال:

أُوَصِّي الفرزدق عند المماتِ بأُمِّ جريرٍ وأعيارِهَا
وزار القبورَ أَبو مالك برغم العُداة وأوتارِها

[المتقارب]

أَخبرنا أَبو خليفة إِجازةً عن محمد بن سَلَّام قال: قال لي معاوية بن أَبي عمرو بن العَلاء: أَيُّ البيتين عندك أجودُ، قول جرير:

ألستم خيرَ مَن رَكِب المَطايا وأَندى العالمين بُطُونَ راحِ

[الوافر]

أم قول الأخطل:

شُمسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدَرُوا

[البسيط]

فقلت: بيتُ جرير أحلى وأسيَر، وبيتُ الأخطل أجزَل وأرزَن. فقال: صَدقتَ، وهكذا كانا في أنفسهما عند الخاصَّة والعامّة.

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أبيه عن الحَلَبيّ وجعفر بن سعيد أنّ رجلاً سأل حَمَّاداً الراوية عن الأخطل فقال: وَيحكم! ما أقول في شعر رجلٍ قد واللَّه حَبَّبَ إليّ شعرُه النَّصرانية!

أَخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال: حدثنا أَبو عثمان الأشنانديّ عن أبي عُبيدة قال: كان يونس بن حَبيب وعيسى بن عُمَر أبو عَمرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة.

فضله عمر بن عبد العزيز على جرير:

وقال هارون بن الزيَّات: حدثني أَبو عثمان المازِنيّ عن العُتبيّ عن أَبيه:

أَنّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز: أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ؟ فقال له: أعفِني. قال: لا واللَّه لا أُعفيك. قال: إنّ الأخطل ضيَّق عليه كفرُه القولَ، وإنّ جريراً وسّع عليه إِسلامُه قولَه؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيت فقال له سليمان: فضَّلتَ واللَّه الأخطلَ.

أثنى عليه الفرزدق:

قال هارون: وحدثني أَبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كُلثوم قال:

قال عبد الملك للفرزدق: مَن أشعرُ الناسِ في الإِسلام؟ قال: كفاك بابن النَّصرانية إذا مدَح.

أخبرنا أحمد وحبيب قالا: حدثنا عمر بن شَبَّة قال:

حُدِّثتُ أَنّ الحجَّاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ. فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعي له؛ فلما دخل عليه قال له: يا أخطل، هذا سَبَّك ـ يعني جريراً، وجريرٌ جالسٌ ـ فأقبل عليه جريرٌ فقال: أين تركتَ خنازير أمِّك؟ قال: راعيةً مع أعيار أُمِّك؛ وإِن أتيتنا قَرَيناك منها. فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال: يا أَمير المؤمنين، إِنّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه. قال: صدَق يا أمير المؤمنين، وما اعتذاري من ذلك!

تَعيبُ الخمرَ وهي شرابُ كِسرى ... ويشرَب قومُك العجَبَ العجيبَا

مَنِيُّ العبد عبدِ أَبي سُواج ... أَحَقُّ من المُدامةِ أن تَعيبَا

[الوافر]

فقال عبد الملك: دعوا هذا، وأَنشدني يا جرير، فأنشده ثلاثَ قصائدَ كلُّها في الحجَّاج يمدَحه بها، فأحفِظ عبدُ الملك، وقال له: يا جرير، إِنّ اللَّه لم ينصر الحجَّاج وإِنما نَصر خليفته ودينه. ثم أقبل على الأخطل فقال:

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقاد لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدَروا

[البسيط]

فقال عبد الملك: هذه المُزَمِّرة[1]؛ واللَّه لو وُضِعتْ على زُبَر[2] الحديدِ لأذابتها. ثم أمر له بخِلَع فخُلِعتْ عليه حتى غاب فيها، وجعل يقول: إِنّ لكل قومٍ شاعراً، وإِنّ الأخطل شاعرُ بني أُمَيَّة.

فأمَّا قول الأخطل:

مَنِيُّ العبدِ عبدِ أَبي سُواجٍ

فأخبرني بخبر أَبي سُواجٍ عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبَّاس اليزيدي

(١) المزَمِّرة: المنَفِّرة.

(٢) زُبَر: القطعة الضخمة من الحديد.

قالا: حدثنا أَبو سعيد السُّكَّريّ قال: حدثنا محمد بن حبيب وأَبو غَسَّان دَماذ عن أبي عُبيدة مَعمَر بن المُثنَّى أَنّ أَبا سُواج وهو عَبَّاد بن خَلَف الضَّبِّيّ جاور بني يَربوع، وكانت له فرسٌ يقال لها بَذوة، وكان لِصُرَد بنِ جَمرة اليَربوعيّ فرس يقال لها القَضيب، فتراهنا عشرين بعشرين، فسبقت بَذوةُ فظلمه ابن جَمرةَ حقَّه ومنعَه سَبَقَه، وجعل يفجُر بامرأته. ثم إنّ أَبا سُواج ذهب إلى البَحرَين يمتارُ؛ فلما أَقبل راجعاً، وكان رجلاً شديداً مُعجَباً بنفسه، جعل يقول وهو يَحدو:

يـا لـيـتَ شِـعـري هـل بَـغَـت مـن بَـعـدي

فسمِع قائلاً يقول من خَلفِه:

نَـعَـمْ بـمـكـوِيٍّ قَـفـاهُ جَـعـدِي

[الرجز]

فعاد إلى قوله فأجابه بمثل ذلك. وقَدِم إلى منزله فأقام به مدّةً، فتغاضَبَ صُرَدُ على امرأَة أَبي سُواج وقال: لا أرضى أَو تَقُدِّي من است أبي سُواج سيراً. فأخبرتْ زوجَها بذلك فقام إلى نعجةٍ له فذبحها وقَدّ من باطن أَلْيَتَيها سيراً فدفعه إليها؛ فجعله صُرَدُ بن جَمرة في نعله، فقال لقومه: إِذا أقبلتُ وفيكم أَبو سُواج فسَلُوني من أين أقبلت ففعلوا، فقال: من ذِي بِلِيَّان وأُريد ذا بِلِيَّان، وفي نعلي شِراكان، ومن استِ إِنسان. فقام أَبو سُواج: فطرَح ثوبَه وقال: أنشُدكم اللَّهَ! هل تروْن بأساً؟ ثم أمر أَبو سُواج غلامين له راعيَين أَن يأخذا أَمَةً له فيَراوحاها؛ ودفع إليهما عُسّاً[1] وقال: لئن قطرتْ منكما قطرةٌ في غير العُسِّ لأقتلَنّكما. فباتا يتراوحانِها ويصُبَّان ما جاء منهما في العُسّ، وأمَرهما أن يحلِبا عليه فحلَبا حتى ملأاه؛ ثم قال لامرأته: واللَّه لَتَسقنِّه صُرَدَ أو لأقتلنك: واختبأ وقال: ابعثي إليه حتى يأتيك ففعلتْ. وأتاها لعادتها كما كان يأتيها، فرحّبتْ به واستبطأته ثم قامت إلى العُسّ فناولته إيَّاه. فلما ذاقه رأى طعماً خبيثاً وجعل يَتمَطَّق[2] من اللبن الذي يشرَب وقال: إِني أَرى لبنكم خاثراً، أحسب إِبلَكم رعَتِ السَّعدان. فقالت: إنّ هذا من طُول مُكثه في الإِناء، أقسمتُ عليكَ إِلّا شربتَه. فلما وقع في بطنه وجد الموتَ، فخرج إلى أهله ولا يعلَم أصحابُه بشيء من أمره. فلما جَنّ على أَبي سُواج الليل أتى أهلَه وغِلمانَه فانصرفوا إلى قومه وخلّف الفرسَ وكلبَه في الدار؛ فجعل الكلب ينبَح والفرس يصهِل؛ وذلك ليظنّ القومُ أَنَّه لم يَرتَحِل. فساروا ليلتَهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبُه وفرسُه وعُسُّه. فلما أصبح ركِب

(١) العُسّ: القدح العظيم جمعها عِسَاس.
(٢) يتمطَّق: يتذوق.

فرسَه وأخذ العُسَّ فأتى مجلسَ بني يَربُوع فقال: جزاكم اللَّه من جيرانٍ خيراً! فقد أحسنتم الجِوار، وفعلتم ما كنتم له أهلاً. فقالوا له: يا أَبا سُواج، ما بَدا لك في الانصراف عنَّا؟ قال: إِنّ صُرَدَ بن جَمرة لم يكن فيما بيني وبينه محسناً، وقد قلتُ في ذلك:

إِنّ الـمَـنِـيَّ إِذا سَـرى ... فـي الـعـبـد أصـبـح مُـسـمَـغِـدّاً[1]
أتُـنـالُ سَـلـمـى بـاطـلاً ... وخُـلِـقـتُ يـوم خُـلِـقـتُ جَـلْـدَا
صُـرَدَ بـنَ جَـمـرةَ هـل لَـقِـيـ ... ـتَ رثـيـئـةً لـبـنـاً وعَـصْـدَا

[مجزوء الكامل]

واعلموا أنّ هذا القَدَح قد أحبَل منكم رجلاً وهو صُرَد بن جَمرة. ثم رَمى العُسِ على صخرةٍ فانكسر وركَض فرسَه. وتنادَوا: عليكم الرجلَ، فأعجزهم ولَحِق بقومه. وقال في ذلك عمر بن لَجَأ التَّيميّ:

تُـمـسِّـحُ يـربـوعٌ سِـبـالاً لـئـيـمـةً ... بـهـا مـن مَـنِـيِّ الـعـبـدِ رَطْـبٌ ويـابـسُ

[الطويل]

وإِيَّاه عَنى الأخطلُ بقوله:

ويـشـرَب قـومُـك الـعـجـبَ الـعـجـيـبـا

[الوافر]

حبسه القس ثم أطلقه بشفاعة هاشمي:

أخبر أَبو خَليفةَ قال: حدثنا محمد بن سَلَّام قال: زعم محمد بن حَفْص بن عائشة التَّيميّ عن إِسحاق بن عبد اللَّه بن الحارث بن نَوفَل بن الحارث بن عبد المطَّلب قال:

قَدِمتُ الشامَ وأَنا شابٌّ مع أَبي، فكنت أطوفُ في كنائسها ومساجدها؛ فدخلتُ كنيسةَ دِمشق، وإِذا الأخطلُ فيها محبوس، فجعلتُ أنظر إليه. فسأل عنّي فأُخبِر بنسبي، فقال: يا فتى، إِنك لَرجلٌ شريف، وإِني أسألك حاجةً. فقلت: حاجتُك مقضيَّةٌ. قال: إِنّ القَسّ حبَسني هاهنا فتكلِّمُه لِيُخلِّي عنّي. فأتيتُ القَسّ فانتسبت له، فرحَّب وعظَّم، قلت: إِنّ لي إليك حاجةً. قال: ما حاجتك؟ قلت: الأخطلُ تُخَلِّي عنه. قال: أُعِيذُك باللَّه من هذا مثلُك لا يتكلَّم فيه، فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم! فلم أزل أطلُب إليه حتى مضى معي متَّكئاً على عصاه، فوقف عليه ورفع

(١) المستمغد: المنتفخ المعدة من الشبع وأراد أنه ارتوى من اللبن وشبع.

عصاه وقال: يا عَدُوَّ اللَّه! أتعود تشتُم الناس وتهجوهم وتقذِف المُحصَنات! وهو يقول: لستُ بعائدٍ ولا أفعل، ويَستَخذي له. قال: فقلت له: يا أَبا مالك، الناسُ يَهابونك والخليفةُ يُكرمك وقَدْرُك في الناس قَدرُك، وأنت تخضَع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذي له! قال: فجعل يقول لي: إنه الدِّين! إنه الدِّين!

مر به أسقف فأمر امرأته أن تتمسح به:

أخبرنا اليزيديّ عن عمه عُبيد اللَّه عن ابن حَبيبَ بن الهَيثَم بن عَدِيّ قال:

كانت امرأة الأخطل حاملاً، وكان متمسِّكاً بدِينه. فمرّ به الأُسقُف يوماً. فقال لها: إلحَقيه فتمَسَّحي به؛ فعدَتْ فلم تلحَق إلَّا ذَنَبَ حماره فتمسحتْ به ورجعتْ. فقال لها: هو وذنب حماره سواء.

هنأه هشام بالإسلام فأجابه:

أخبرنا أَبو خليفة قال: حدثنا ابن سَلَّام قال: حدثني يونس قال: قال أَبو الغرّاف:

سمِع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ وهو يقول:

وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تَجِد ذُخراً يكون كصالح الأعمالِ

[الكامل]

فقال: هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام! فقال له: يا أَمير المؤمنين، ما زلتُ مُسلِماً في دِيني.

أخبرني أَبو خليفة قال: حدثنا ابن سَلَّام قال: حدثني يونُس وعبد الملِك وأَبو الغَرّاف، فألَّفتُ ما قالوا، قالوا:

أتى الأخطلُ الكوفةَ، فأتى الغَضبانَ بن القَبَعثرَى الشَّيبانيّ فسأله في حَمالةٍ؛ فقال: إن شئت أعطيتُك ألفين، وإن شئتَ أعطيتُك درهمين. قال: وما بالُ الألفين وما بال الدرهمين؟ قال: إن أعطيتُك ألفين لم يُعطِكها إلّا قليلٌ، وإن أعطيتُك درهمين لم يبقَ في الكوفة بَكرِيٌّ إلا أَعطاك درهمين؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبَصرة فلم يبقَ بكريٌّ بها إلّا أعطاك درهمين، فخفَّتْ عليهم المؤونةُ وكثُر لك النَّيل. فقال: فهذه إذاً. فقال: نَقسِمها لك على أن تَرِد علينا. فكتب بالبصرة إلى سُوَيد بن مَنجُوف السَّدُوسيّ فقدِم البَصرةَ ـ فقال يونس في حديثه ـ: فنزل على آل الصَّلْت بن حُرَيث الحنفيّ؛ فأخبر مَن سمعه يقول: واللَّه لا أزال أفعل ذلك. ثم رجع الحديث الأول: فأتى سويداً

فأخبره بحاجته. فقال: نعم! وأقبل على قومه فقال: هذا أَبو مالكٍ قد أَتاكم يسألكم أَن تجمعوا له، وهو الذي يقول:

إِذا مـا قـلـتُ قـد صـالـحـتُ بَـكـراً أَبـى الـبَـغـضـاءُ والـنَّـسـب الـبـعـيـدُ
وأَيَّـامٌ لـنـا ولَـهُـمْ طِـوالٌ يَـعَـضّ الـهـامَ فـيـهـنّ الـحـديـد
ومُـهـراقُ الـدمـاءِ بـوارِداتٍ تَـبِـيـدُ الـمُـخـزِيـاتُ ولا تَـبـيـد
هُـمـا أخـوانِ يـصـطـلـيـانِ نـاراً رِداءُ الـحـربِ بـيـنـهـمـا جـديـد

[الوافر]

فقالوا: فلا واللَّه لا نُعطيه شيئاً. فقال الأخطلُ:

فـإِن تَـبـخَـلْ سَـدُوسُ بـدِرَهـمَـيـهـا فـإِنّ الـرِّيـحَ طَـيِّـبـةٌ قَـبُـولُ
تَـواكَـلَـنـي[1] بـنـو الـعَـلَّات مـنـهـم وغـالـتْ مـالـكـاً ويـزيـدَ غُـول
صَـرِيـعَـا وائـلٍ هَـلَـكَـا جـمـيـعـاً كـأنّ الأرضَ بـعـدهـمـا مُـحُـول

[الوافر]

وقال في سُوَيد بن مَنجُوف ـ وكان رجلاً ليس بذي منظر ـ:

ومـا جِـذْعُ سَـوءٍ خَـرَّب الـسُّـوسُ أصلَـه لِـمَـا حَـمّـلـتْـه وائـلٌ بـمُـطِـيـقِ

[الطويل]

كان مع مهارته وشعره يسقط أحياناً:

أخبرنا أَبو خَليفة قال: قال محمد بن سَلَّام:

كان الأخطلُ مع مَهارته وشعره يسقُط أَحياناً: كان مدح سِماكاً الأسَديّ، وهو سِماك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد، وبنو عمرو يلقَّبون القُيُونَ، ومسجد سِماك بالكوفة معروف، وكان من أهلها؛ فخرج أَيام عليّ هارباً فلَحِق بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال:

نـعـم الـمُـجِـيـرُ سِـمـاكٌ مـن بـنـي أسَـدٍ بـالـقـاع إِذ قـتـلـت جـيـرانَـهـا مُـضَـرُ
قـد كـنـتُ أحـسَـبـه قَـيـنـاً وأُخـبـرُهُ فـالـيـومَ طُـيِّـر عـن أثـوابـه الـشَّـرَر
إِنّ سـمـاكـاً بـنـى مـجـداً لأُسـرتـه حـتـى الـمـماتِ وفِـعـلُ الـخـيـر يُـبـتـدر

[البسيط]

فقال سِماك: يا أخطلُ، أردتَ مَدحي فهجوتَني، كان الناس يقولون قولاً

(١) تواكل: إتكل على غيره.

فحقَّقتَه. فلما هجا سُوَيداً قال له سُوَيد: واللَّه يا أَبا مالك، ما تُحسِن تهجو ولا تمدح؛ لقد أردتَ مَدحَ الأسَديّ فهجوتَه ـ يعني قوله:

قد كنتُ أحسَبه قيناً وأُنبَؤُه ... فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ
إنّ سماكاً بني مجداً لأُسرته ... حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدرُ

[البسيط]

ـ وأردتَ هجائي فمدحتَني، جعلتَ وائلاً حمَلَتْني أمورَها، وما طَمِعتُ في بني تَغلب فضلاً عن بكر.

أبى الصلاة في مسجد بني رؤاس وهجاهم:

أخبرنا أَبو خليفة عن محمد بن سَلَّام قال: حدثني أَبانُ البَجَليّ قال:

مرّ الأخطل بالكوفة في بني رُؤاس ومؤذِّنُهم يُنادي بالصلاة. فقال له بعض فتيانهم: أَلَا تدخل يا أَبا مالك فتصلِّي؟ فقال:

أُصلِّي حيث تُدركني صَلاتي ... وليس البرُّ عند بني رُؤاسِ

[الوافر]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلَّام قال: حدثني أبو الحُصَين الأمَويّ قال:

بينا الأخطلُ قد خلا بخُمَيرة له في نُزهةٍ مع صاحب له، وطرأ عليهما طارئ لا يعرفانِه ولا يَستخِفَّانِه، فشرِب شرابَهما وَثَقُل عليهما. فقال الأخطل في ذلك:

صوت

وليس القَذى بالعُودِ يسقط في الإنا ... ولا بذُبابٍ خَطبُه أيسرُ الأمرِ
ولكنّ شخصاً لا نُسَرُّ بقُربِه ... رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لا ندري

[الطويل]

ويُروى:

ولكن قَذاها زائرٌ لا نُحِبّه

وهو الجيِّد. الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وقد أخبرنا بهذا الخبر محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال: حدثنا الخليل بن أسد قال: حدثنا العُمَريّ قال: حدثنا الهيثم بن عدِيّ عن ابن عيَّاش قال:

بينا الأخطلُ جالسٌ عند امرأةٍ من قومه، وكان أهلُ البَدْو إذ ذاك يتحدث رجالُهم

إلى النساء لا يروْن بذلك بأساً، وبين يديه باطِيةُ شَرابٍ والمرأةُ تُحدِّثه وهو يشرب، إذ دخل رجلٌ فجلس، فثَقُل على الأخطل وكرِه أن يقول له قُم استحياءً منه. وأطال الرجل الجلوسَ إلى أن أقبل ذُبابٌ فوقع في الباطية في شرابه؛ فقال الرجل: يا أبا مالك، الذُّبابُ في شرابك. فقال:

وليس القَذى بالعود يسقُط في الخمر ... ولا بـذُبـابٍ نَـزعُـه أيـسـرُ الأمـرِ
ولـكـن قَـذاهـا زائـرٌ لا نُـحـبّـه ... رمـتْـنا بـه الـغـيـطـانُ مـن حـيـث لا نَـدري

[الطويل]

قال: فقام الرجل فانصرف.

وأخبرني عمي رحمه اللَّه بهذا الحديث عن الكُرانيّ عن الزِّياديّ عن عليّ بن الحفَّار أخي أبي الحجَّاج:

أنّ الأخطل جاء إلى مَعبَد في قَدْمةٍ قدِمها إلى الشام. فقال له مَعبَد: إنّي أحِبّ محادثتَك. فقال له: وأنا أحِبّ ذلك. وقاما يَتَصبّحانِ الغُدرانَ حتى وقفا على غديرٍ فنزلا وأكلا؛ فتبِعهما أعرابيّ فجلس معهما. وذكر الخبر مثل الذي قبله.

لبى دعوة شاب من أهل الكوفة وشعره في ذلك:

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلَام قال قال أَبان بن عثمان حدثني أَبي قال:

دعا الأخطلَ شابٌّ من شباب أهل الكوفة إلى منزله. فقال له: يا ابن أخي، أنت لا تَحتمِل المؤونةَ وليس عندك مُعتَمَدٌ؛ فلم يزل به حتى انتجعه، فأتى الباب فقال: يا شَقراء، فخرجتْ إليه امرأةٌ، فقال لأُمّه: هذا أبو مالك قد أتاني؛ فباعت غَزْلاً لها واشترت له لحماً ونبيذاً وريحاناً. فدخل خُصّاً لها فأكل معه وشرِب، وقال في ذلك:

وبـيـتٍ كـظـهـر الـفِـيـل جُـلُّ مَـتـاعِـه ... أبـاريـقُـه والـشـاربُ الـمُـتـقَـطِّـرُ[1]
تـرى فـيـه أثـلامَ الأصِـيـصِ[2] كـأنَّـهـا ... إذا قـال فـيـهـا الـشـيـخُ جَـفْـرٌ[3] مُـعـوَّر
لَـعَـمـرُك مـا لاقـيـتُ يـومَ مـعـيـشـةٍ ... مـن الـدهـرِ إلّا يـومُ شـقـراءَ أقـصَـر
حَـوارِيّـةٌ لا يـدخـل الـذَّمُّ بـيـتَـهـا ... مُـطـهَّـرةٌ يـأوِي إلـيـهـا مُـطـهَّـر

[الطويل]

وذكر هارون بن الزيَّات هذا الخبر عن حمَّاد عن أبيه أنه كان نازلاً على عِكرِمة

(١) المتقطر: متقابل الأقطار.
(٢) الأصيص: مِركن أو باطية يُبال فيه.
(٣) جَفر: بئر واسعة.

الفيَّاض وأنه خرج من عنده يوماً، فمرّ بفتيان يشربون ومعهم قَينةٌ يقال لها شقراء. وذكر الخبرَ مثل ما قبله، وزاد فيه: فأقام عندهم أربعة أيَّام. وظنّ عِكرمةُ أنه غضِب فانصرف عنه. فلما أَتاه أَخبره بخبره، فبعث إلى الفتيان بألف درهم وأَعطاه خمسة آلاف، فمضى بها إليهم وقال: إستعينوا بهذه على أَمركم. ولم يزل ينادمهم حتى رَحل.

حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان:

أَخبرني أَبو خليفة عن محمد بن سَلَّام قال: حدثني أَبو يحيى الضَّبّيّ قال:

إجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بِشْر بن مَروان، وكان بِشْرٌ يُغرِي بين الشعراء. فقال للأخطل: احكُمْ بين الفرزدق وجرير. فقال: أَعفِني أَيها الأمير. قال: احكم بينهما، فاستعفاه بجَهده فأبى إلا أَن يقول؛ فقال: هذا حكمٌ مشؤومٌ؛ ثم قال: الفرزدق يَنحِتُ من صَخْر، وجريرٌ يغرِف من بحر. فلم يرضَ بذلك جرير، وكان سببَ الهِجاء بينهما. فقال جرير في حُكومته:

يا ذا الغباوةِ إنّ بِشراً قد قضى ... أَلّا تجوزَ حكومةُ النَّشوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أَهلِها ... إنّ الحكومةَ في بني شَيبان
قتَلوا كُلَيبَكُمُ بِلِقحةِ[1] جارهمْ ... يا خُزْرَ تَغلِبَ لستُم بِهِجان

[الكامل]

فقال الأخطل يردّ على جرير:

ولقد تَناسبتُم إلى أَحسابكم ... وجعلتُم حَكَماً من السُّلطانِ
فإذا كُلَيبٌ لا تُساوي دارِماً ... حتى يُساوى حَزرَمٌ[2] بأَبان[3]
وإذا جعلتَ أَباك في مِيزانهم ... رَجَحوا وشال أَبوك في المِيزان
وإذا وردتَ الماءَ كان لدارمٍ ... عِفْواته وسهولةُ الأعطان

[الكامل]

ثم استطارا في الهجاء.

مناقضة بينه وبين جرير:

أَخبرني أَبو خليفة قال: حدثنا محمد بن سَلَّام قال: حدثنا أَبو الغرّاف قال:

(١) اللقحة: الناقة الحلوب. (٢) حِرزم: جبل صغير في ديار بني أسد.
(٣) أبان: جبل فيه نخل وماء ويعرف باسم الأبيض.

لما قال جرير:

إِذا أَخـذتْ قَـيـسٌ عـلـيـكَ وخِـنـدِفٌ بـأَقـطـارِهـا لـم تَـدرِ مـن أَيـن تَـسـرَحُ

[الطويل]

قال الأخطل: لا أين! سَدّ واللَّه عليَّ الدنيا. فلما أُنشد قولَه:

فـمـا لـك فـي نَـجْـدٍ حَـصـاةٌ تـعُـدُّهـا ومـا لـك مـن غَـورَيْ تِـهـامـةَ أبـطَـحُ

[الطويل]

قال الأخطل: لا أُبالي واللَّه ألَّا يكونَ فَتُحَ لي والصَّليبِ القولُ؛ ثم قال:

ولـكـنْ لـنـا بَـرُّ الـعِـراقِ وبَـحـرُه وحيث تَرى القُرقُور[1] في الماء يَسبَحُ

[الطويل]

أخبرنا أَبو خليفة عن محمد بن سَلَّام قال: حدثني محمد بن الحجَّاج الأسيديّ قال:

خرجتُ إلى الصائفةِ[2] فنزلتُ منزلاً ببني تَغلِبَ فلم أجِد به طعاماً ولا شراباً ولا عَلَفاً لدوابِّي شِرًى[3] ولا قِرًى[4] ولم أجد ظِلّاً؛ فقلت لرجل منهم: ما في داركم هذه مسجد يُستَظَلُّ فيه؟ فقال: ممن أَنت؟ قلت: من بني تميم. قال: ما كنتُ أرى عمك جريراً إِلَّا قد أخبرك حين قال:

فـيـنـا الـمـسـاجـدُ والإِمـامُ ولا تـرى فـي آل تَـغـلِـب مـسـجـداً مـعـمـورَا

[الكامل]

أَخبرني أَبو خليفة قال: أنبأنا محمد بن سَلَّام قال: حدثني شيخ من ضُبَيعة قال:

خرج جريرٌ إلى الشام فنزل منزلاً ببني تَغلِبَ فخرج متلثِّماً عليه ثيابُ سفره، فلقيه رجلٌ لا يعرفه. فقال: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: أمَا سمعتَ ما قلتُ لغاوي بني تميم؟! فأنشده مما قال لجرير. فقال: أمَا سمعتَ ما قال لك غاوي بني تميم؟! فأنشده. ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ في نَقضه حتى كثُر ذلك بينهما. فقال التغلبيّ: من أنت؟ لا حيَّاك اللَّه! واللَّه لكأنك جرير. قال: فأنا جرير. قال: وأنا الأخطل.

دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط في كلامه وأنشده:

أَخبرني عمي قال: أنبأنا الكُرانيّ قال: أنبأنا أَبو عبد الرحمٰن عن المدائنيّ قال:

---

(١) القرقور: السفينة العظيمة.
(٢) الصائفة: الغزو خلال فصل الصيف.
(٣) شِرى: شراء بالثمن.
(٤) قِرى: ضيافة.

دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب، فكلّمه فخلّط في كلامه. فقال له: ما هذا؟ فقال:

إِذا شــرِب الــفــتــى مــنــهــا ثــلاثــاً بــغــيــر الــمــاء حــاول أن يَــطــولَا
مــشــى قُــرَشِــيَّــةً لا عــيــبَ فــيــهــا وأرخــى مــن مــآزره الــفُــضــولا

[الوافر]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدثني يعقوب بن إِسرائيل قال: أَخبرني إِسماعيل بن أَبي محمد اليزيديّ قال: أخبرني أَبو محمد اليزيديّ قال:

خرج الفرزدق يَؤمّ بعض الملوك من بني أُميَّة، فرُفِع له في طريقه بيتٌ أَحمر من أَدَم، فدنا منه وسأل فقيل له: بيت الأخطل. فأتاه فقال: انزل. فلمَّا نزل قام إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إِلا أَنه ضيفٌ؛ فقعدا يتحدثان. فقال له الأخطل: ممن الرجل؟ قال: من بني تميم. قال: فإِنك إِذاً من رَهْط أخي الفرزدق. فقال: تحفَظ من شعره شيئاً؟ قال: نعم كثيراً. فما زالا يتناشدان ويتعجَّب الأخطل من حفظه شعرَ الفرزدق إلى أَن عمِل فيه الشراب، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك: أنتم معشرَ الحَنيفيَّة لا ترون أَن تشربوا من شرابنا. فقال له الفرزدق: خَفِّض قليلاً وهاتِ من شرابك فاسقِنا. فلمَّا عمِلت الرَّاحُ[1] في أَبي فِراس قال: أَنا واللَّه الذي أَقول في جرير فأنشَده. فقام إليه الأخطل فقبَّل رأسه وقال: لا جَزاك اللَّه عنّي خيراً! لِمَ كتمتني نفسَك منذ اليوم! وأخذا في شرابهما وتَناشُدهما، إلى أَن قال له الأخطل: واللَّه إِنك وإِيَّاي لأشعرُ منه ولكنه أُوتي من سَير الشعر ما لم نُؤتَه؛ قلت أَنا بيتاً ما أعلم أَنّ أَحداً قال أَهجى منه، قلت:

قــومٌ إِذا اســتــنــبــح الأضــيــافُ كــلــبَــهُــمُ قــالــوا لأُمِّــهــمُ بُــولــي عــلــى الــنــارِ

[البسيط]

فلم يَروِه إِلَّا حُكماء أَهل الشعر. وقال هو:

والــتــغــلَــبــيّ إِذا تــنــحــنــح لــلــقِــرى حَــكّ اســتَــه وتــمــثَّــلَ الأمــثــالَا

[الكامل]

فلم تبقَ سُقاة ولا أمثالُها إِلا روَوْه. فقَضَيا له أَنّه أسيَرُ شعراً منهما.

أَخبرني إِسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: قال المدائنيّ:

(١) الرَّاح: الخمر.

كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة، فمرّ به عِكرمة الفيَّاض وهو لا يعرفه، فقيل له: هذا رجل شريف قد نزل بنا. فلمَّا أمسى بعث إليه فتعشَّى معه، ثم قال له: أتُصيب من الشراب شيئاً؟ قال: نعم. قال: أيَّه؟ قال: كلَّه إلّا شرابَك. فدعا له بشراب يُوافقه، وإذا عنده قَينتانِ هما خلفَه وبينه وبينهما سِترٌ، وإذا الأخطل أشهب اللِّحية له ضفيرتان؛ فغمز السترَ بقضيبٍ في يده وقال: غنِّياني بأردية الشعر، فغنَّتاه بقول عمرو بن شَأْس:

وبِيضٍ تَطلَّى بالعَبيرِ كأنّما ... يَطَأنَ وإن أَعنقنَ في جُدَدٍ وحَلا
لَهَونا بها يوماً ويوماً بشاربٍ ... إذا قلتَ مغلوباً وجدتَ له عقلا

[الطويل]

فأمَّا السبب في مدح الأخطل عِكرِمةَ بن رِبعيّ الفيَّاض فأخبرنا به أَبو خليفة عن محمد بن سَلَّام قال:

قدِم الأخطل الكوفةَ فأتى حَوشَبَ بن رُوَيم الشَّيبانيّ، فقال: إني تحمَّلتُ حَمالتين لأَحقِن بهما دماء قومي فنَهَره، فأتى سَيَّارَ بن البَزِيعة، فسأله فاعتذر إليه، فأتى عِكرِمةَ الفيَّاض، وكان كاتباً لبِشر بن مَروان، فسأله وأخبره بما رَدّ عليه الرجلان؛ فقال: أمَّا إني لا أنهَرُك ولا أعتذر إليك، ولكني أعطيك إحداهما عيناً والأخرى عَرَضاً. قال: وحدَث أمرٌ بالكوفة فاجتمع له الناس في المسجد، فقيل له: إن أردتَ أن تكافئ عِكرمة يوماً فاليوم. فلبِس جُبَّة خَزٍّ وركب فرساً وتقلّد صليباً من ذهب وأتى باب المسجد ونزل عن فرسه. فلما رآه حَوشَب وسيَّار نَفِسَا عليه ذلك، وقال له عِكرمة: يا أَبا مالك، فجاء فوقف وابتدأ يُنشد قصيدته:

لِمَنِ الدِّيارُ بحائلٍ فوعُالِ

حتى انتهى إلى قوله:

إنّ ابنَ رِبعِيٍّ كَفاني سَيبُه ... ضِغْنَ العدوِّ وغَدرةَ المُحتالِ
أَغلَيتَ حين تواكَلَتني وائلٌ ... إنَّ المكارمَ عند ذاك غَوالِ
ولقد مَنَنتَ على ربيعةَ كلِّها ... وكَفَيتَ كلَّ مُواكِلٍ خَذَّالِ
كابن البَزِيعة أَو كآخَر مثلِه ... أولى لك ابن مُسِيمةِ الأجمالِ
إنّ اللَّئيم إذا سألتَ بَهَرْتَه ... وترى الكريمَ يَراحُ كالمختالِ
وإذا عدلتَ به رجالاً لم تَجِدْ ... فيضَ الفُرات كراشحِ الأوشالِ

[الكامل]

قال: فجعل عِكرمة يبتهج ويقول: هذا واللَّه أحبُّ إِليَّ من حُمْر النَّعَم.

ومما في شعر الأخطل من الأصوات المختارة:

صـــوت

من المائة المختارة

أراعــكَ بــالــخــابــورِ نــوقٌ وأجــمــال ودارٌ عَـفَـتـهـا الـرّيـحُ بـعـدي بـأذيـالِ

ومَـبـنـى قِـبـابِ الـمـالـكـيَّـة حَـولَـنـا وجُـرِدٌ تَـعـادى بـيـن سَـهـلٍ وأَجـبـالِ

[الطويل]

عروضه من الطويل. الشعر للأخطل. والغناء لابن محرز، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإِطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إِسحاق. وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكيّ إلى ابن محرز، وذكر الهشاميّ أنه منحول. وفيه لحُنَين الحِيريّ ثقيلٌ أول عن الهشاميّ.

ذكر سائب خاثر ونسبه

كان سائب خاثر مولى بني لَيْث. وأصلُه من فَيْء كِسرى، واشترى عبدُ اللَّه بن جعفر ولاءَه من مواليه، وقيل: بل اشتراه فأعتقه، وقيل: بل كان على وَلائه لبني لَيث، وإنما انقطع إلى عبد اللَّه بن جعفر فلزمه وعُرِف به. وكان يبيع الطعام بالمدينة. واسم أَبيه الذي أعتقه بنو ليث «يشا».

قال ابن الكَلْبيّ وأَبو غَسَّان وغيرُهما: هو أول من عمِل العُود بالمدينة وغنى به. وقال ابن خُرداذْبه: كان عبد اللَّه بن عامر اشترى إماءً صَنَّاجاتٍ[1] وأتى بهنّ المدينة، فكان لهنّ يومٌ في الجمعة يلعبن فيه، وسمِع الناسُ منهنّ، فأخذ عنهنّ. ثم قدِم رجل فارسيّ يسمَّى بنَشيطٍ، فغنى فأُعجِب عبدُ اللَّه بن جعفر به. فقال له سائب خاثر: أَنا أَصنع لك مثلَ غِناء هذا الفارسيّ بالعربية، ثم غدا على عبد اللَّه بن جعفر وقد صنع:

لِمَنِ الدِّيارُ رسومُها قَفْرُ

قال ابن الكلبيّ: وهو أول صوت غُنّي به في الإسلام من الغناء العربيّ المُتَّقَن الصنعة. قال: ثم اشترى عبد اللَّه بن جعفر نَشيطاً بعد ذلك، فأخذ عن سائب خاثر الغناء العربيّ وأخذ عنه ابن سُرَيج وجميلةُ ومَعبَد وعَزّة المَيلاءُ وغيرُهم.

قتل يوم الحرة:

قال ابن الكلبيّ وحدثني أَبو مِسكين قال:

كان سائب خاثر يُكنى أَبا جعفر، ولم يكن يضرب بالعود إنما كان يَقرَع بقَضيب ويغنّي مرتجِلاً، ولم يزل يغنّي. وقُتل يومَ الحَرّة. ومرّ به بعض القُرَشيِّين وهو قتيل، فضربه برجله وقال: إنّ هاهنا لحنجرةً حسنةً. وكان سائب من ساكني المدينة.

قال ابن الكلبيّ: وكان سائب تاجراً مُوسِراً يبيع الطعامَ، وكان تحته أربعُ نسوة،

(١) الصناجات: الصنج: شيء يتخذ من صفر، يُضرب أحدهما على الآخر، كلمة معرَّبة. والصناجات: هن إماء يلعبن بالصنج.

وكان انقطاعُه إلى عبد اللَّه بن جعفر، وكان مع ذلك يُخالط سَرَواتِ الناس وأشرافَهم لظَرْفه وحلاوته وحسن صوته. وكان قد آلى أَلا يغنّيَ أَحداً سوى عبد اللَّه بن جعفر، إلا أَن يكون خليفةً أَو وليَّ عهد أَو ابنَ خليفة؛ فكان على ذلك إلى أَن قُتِل. قال: وأَخذ معبد عنه غناءً كثيراً فنحَل الناسُ بعضَه إليه، وأهلُ العلم بالغناء يعرفون ذلك. وزعم ابن خُرداذْبه أنّ أمّ محمد بن عمرو الواقدي القاضي المحدِّث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر.

هو أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل:

وقال ابن الكلبيّ: سائب خاثر أول من غنّى بالعربية الغناءَ الثقيل؛ وأول لحنٍ صنعه منه:

لِمَنِ الدّيارُ رسومُها قَفْرُ

قال: فأَلِفتُ هذا الصوتَ الفَرُوح.

قال: وحدثني محمد بن يزيد أَنّ أولَ صوت صنعه في شعر امرئ القيس:

أفاطِمَ مَهْلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

وأنّ معبداً أَخَذ لحنَه فيه فغنّى عليه:

أَمِنْ آل ليلى باللِّوى مُتَرَبَّعُ

أخبرني الحسين بن يحيى عن حُمَّاد عن أَبيه عن ابن الكلبيّ عن لَقيط قال:

وفَد عبد اللَّه بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقَّع له في حوائجه، ثم عرَض عليه حاجةً لسائب خاثر؛ فقال معاوية: مَن سائب خاثر؟ قال: رجلٌ من أَهل المدينة لَيثيٌّ يَروي الشعر. قال: أوَ كُلُّ من روى الشعر أَراد أَن نَصِلَه! قال: إنه حَسَّنه. قال: وإن حَسَّنه! قال: أَفأُدخِله إليك يا أَمير المؤمنين؟ قال: نعم. قال: فألبستُه مُمَصَّرتين[1] إزاراً ورِداءً. فلما دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنّى:

لِمَنِ الديارُ رُسومُها قَفْرُ

فالتفت معاويةُ إلى عبد اللَّه بن جعفر فقال: أَشهَد لقد حسَّنه! فقضى حوائجه وأحسن إليه.

(١) المُمَصَّر: المصبوغ.

نسبة هذا الصوت

لِـمَـنِ الـديـارُ رُسُـومُـهـا قَـفْـرُ لَـعِـبـتْ بـهـا الأرواحُ والـقَـطـرُ
وخَـلَا لـهـا مـن بـعـد ساكـنِـهـا حِـجَـجٌ مَـضَـيـنَ ثَـمـانٍ اوْ عَـشْـرُ
والـزَّعـفـرانُ عـلـى تَـرائِـبـهـا شَـرِقٌ[1] بـه الـلّـبّـاتُ[2] والـنَّـحـرُ

[الكامل]

الشعر يُنسب إلى أَبي بكر بن المِسوَر بن مَخرَمة الزُّهريّ، وإِلى الحارث بن خالد المخزوميّ، وإِلى بعض القرشيِّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب. والغناء لسائب خاثر ثقيلٌ أول بالسبَّابة عن الكَلْبيّ وحَبَش، وذكر أنّ لحن سائب خاثر ثقيلٌ أول بالوسطى، ووافق إِسحاق في ذلك، وذكر أَنّ الثقيل الأول لنشيط. وذكر يونس أن فيه لحناً لمعبد ولم يجنِّسه، وذكر الهشاميّ أَن لحن معبد خفيفُ ثقيل، وأنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل.

أَخبرنا أَحمد بن عُبَيد اللَّه بن عَمَّار وأَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإِسماعيل بن يونس قالوا: حدثنا عمر بن شَبَّة قال: حدثني قَبِيصة بن عمرو قال: حدثنا محمد بن المِنهال عن رجل حدثه، وذكر ذلك أيضاً ابن الكَلْبيّ عن لَقِيط قال:

أَشرف معاويةُ بن أَبي سفيان ليلاً على منزل يزيدَ ابنِه، فسمع صوتاً أعجبه، واستخفّه السماعُ فاستمع قائماً حتى مَلج، ثم دعا بكرسيّ فجلس عليه، واشتهى الاستزادةَ فاستمع بقيَّة ليلته حتى مَلّ. فلما أَصبح غدا عليه يزيدُ. فقال له: يا بُنيّ! من كان جليسَك البارحةَ؟ قال: أَيّ جليس يا أَمير المؤمنين؟ واستَعجَم عليه. قال: عَرِّفني فإِنه لم يخفَ عليّ شيءٌ من أَمرك. قال: سائب خاثر. قال: فأَخثِر له يا بُنيّ من بِرّك وصِلَتك، فما رأَيتُ بمجالسته بأساً.

قال ابن الكَلْبيّ: قدم معاويةُ المدينة في بعض ما كان يقدَم؛ فأمر حاجبَه بالإِذن للناس؛ فخرج الآذِنُ ثم رجع فقال: ما بالباب أَحَدٌ. فقال معاوية: وأَين الناس؟ قال: عند ابن جعفر. فدعا ببغلته فركبها ثم توجَّه إليهم. فلما جلس قال بعض القرشيِّين لسائب خاثر: مُطرَفِي هذا لك ـ وكان من خَزٍّ ـ إِن أَنت اندفعتَ تُغنّي ومشيتَ بين السِّماطَين وأَنت تغنّي. فقام ومشى بين السماطين وغنى:

(١) شرق: امتلأ.
(٢) اللبَّات: مفردها لُبَّة، موضع القلادة من الصدر.

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُّحى وأَسيافُنا يَقطُرنَ من نجدةٍ دَمَا

[الطويل]

فسمِع منه معاويةُ وطَرِب وأَصغى إليه حتى سكَت وهو مُستحسِنٌ لذلك، ثم قام وانصرف إلى منزله. وأخذ سائب خاثر المُطرَفَ.

قتله يوم الحرة وكلام يزيد فيه:

أَخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شَبَّة عن الزُّبيريّ، وأخبرني أَبو بكر بن أَبي شيبة البزَّاز قال: حدثنا أَحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيّ قال:

قُتل سائب خاثر يومَ الحَرّة، وكان خَشِي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدّثهم ويقول: أَنا مُغنٍّ، ومن حالي وقصَّتي كيتَ وكيتَ؛ وقد خدَمتُ أَمير المؤمنين يزيدَ وأَباه قبلَه. قالوا: فغنِّ لنا، فجعل يغني؛ فقام إليه أحدُهم فقال له: أَحسنتَ واللَّه! ثم ضربه بالسيف فقتله. وبلغ يزيدَ خبرُه ومرّ به اسمُه في أَسماء من قُتِل يومئذٍ فلم يعرفه وقال: مَن سائب خاثر هذا؟ فقيل له: هو سائب خاثر المغنّي. فعرَفه فقال: وَيله! ما له ولنا! ألم نُحسِن إليه ونَصِلْه ونَخلِطه بأنفسنا! فما الذي حمله على عداوتنا! لا جَرَمَ أَن بَغيَه صرَعه. وقال المدائنيّ في خبره: فقال: إِنَّا للَّه! أَو بلَغ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقتِه! ما أرى أنه بقي بالمدينة أَحدٌ. ثم قال: قبَحكم اللَّه يا أهل الشام! تَجِدهم صادفوه في حديقة أَو حائط مستتراً منهم فقتلوه.

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال: أنبأنا عمر بن شَبَّة قال: حدثني قَبِيصةُ بن عمرو قال: حدثني حاتم بن قَبيصة قال: حدثني ابن جُعدُبة قال: حدثني مُوَيلِك عن أَبيه قال: قال لي سائب خاثر يومَ الحَرّة: هل سمعتَ شيئاً صنعتُه؟ فغنَّاني صوتاً:

صوت

لِمَن طَلَلٌ بين الكُراعِ[1] إلى القَصرِ يُغيِّب عنا آيَه سَبَلُ القَطرِ

إلى خالداتٍ ما تَرِيمُ وهامِد وأشعث[2] تُرسِيه[3] الوَليدةُ بالفِهرِ[4]

[الطويل]

قال: فسمعتُ عجباً مُعجِباً، ثم ذكر أهله وولده فبكى. فقلت له: وما يمنعك منهم؟ فقال: أَمّا بعدَ شيء سمعتُه ورأيتُه من يزيدَ بنِ معاوية فلا! ثم تقدَّم حتى قُتِل.

---

(١) كراع: ناحية.
(٢) الأشعث: الوتد، الدعيمة.
(٣) أرس: ثبَّت دعائم.
(٤) الفهر: حجر مقدار ما يملأ الكَّف.

صـوت

من المائة المختارة

أَقـفَـر مـن أَهـلِـه مَـصـيـفُ فـبَـطـنُ نَـخَـلـةَ فـالـعَـرِيـفُ
هـل تُـبْـلِـغَـنّـي دِيـارَ قـومـي مَـهـرِّيـةٌ سَـيـرُهـا زَفِـيـف
يـا أمَّ نُـعـمـانَ نَـوِّلِـيـنـا قـد يـنـفَـعُ الـنـائـلُ الـطـفَّـيـف
أَعـمـامُـهـا الـصِّـيـد مـن لُـؤَيٍّ حَـقّـاً وأَخـوالُـهـا ثَـقِـيـف

[المنسرح]

الشعر لأبي فَرعَةَ الكِنانيّ، والغناءُ لجَرادَتَيْ عبد اللَّه بن جُدعان، ولحنُه من خفيف الثقيل. وفيه في الثالث والرابع ثقيلٌ أولُ مطلق.

ذكر جرادتي عبد اللَّه بن جدعان وخبرهما وشيء من أخبار ابن جُدعان

هو عبد اللَّه بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيم بن مُرّة بن كَعب بن لؤيّ بن غالِب.

قال ابن الكلبيّ: كانت لابن جُدعانَ أَمَتانِ تُسمَّيانِ الجَرادتين تتغنَّيان في الجاهليَّة، سمَّاهما بجرادَتَيْ عادٍ. ووهبهما عبدُ اللَّه بن جُدعانَ لأميَّة بن أبي الصَّلت الثقَفيّ، وقد كان امتدحه. وكان ابن جُدعانَ سيِّداً جَواداً، فرأى أُميَّةَ ينظر إليهما وهو عنده فأعطاه إيَّاهما.

وأَخبرني أبو اللَّيث نصرُ بن القاسم الفَرائضيّ قال: حدثنا أَبو بكر بن أَبي شَيبة قال: حدثنا حَفص بن غِياث عن داود عن الشَّعبيّ عن مسروق عن عائشة قالت:

قلتُ: يا رسول اللَّه إن ابن جُدعانَ كان في الجاهلية يَصِلُ الرَّحِم ويُطعِم المسكينَ فهل ذلك نافعُه؟ قال: «لا لم يقل يوماً اغفِر لي خطيئتي يومَ الدِّين».

أخبرني الحَرَميّ بن أَبي العَلاء قال: حدثنا الزبير بن بَكَّار قال: حدثني جعفر بن الحسين قال: حدثني إبراهيم بن أَحمد قال:

قدِم أُميَّة بن أَبي الَّصلت على عبد اللَّه بن جُدعانَ؛ فلما دخل عليه قال له عبد اللَّه: أمرٌ ما أتى بك! فقال أميَّة: كلابٌ غُرماءُ نَبَحَتني ونَهَشتني. فقال له عبدُ اللَّه: قدِمتَ عليّ وأَنا عليلٌ من حقوق لَزِمتْني ونهشتْني، فأنظِرني قليلاً، ما في يدي، وقد ضَمِنتُك قضاءَ دينك ولا أَسأل عن مبلِه. قال: فأقام أميَّة أَياماً، فأتاه فقال:

أأذكُر حاجتي أم قد كَفاني ... حياؤك إن شيمتَك الحَياءُ
وعِلمُك بالأمور وأَنت قَرْمٌ ... لك الحسبُ المهذَّبُ والسَّناء
كريمٌ لا يُغيِّره صباحٌ ... عن الخُلُق السَّنيّ ولا مَساء
تُباري الريحَ مَكرُمةً وجوداً ... إذا ما الكلبُ أَجحره[1] الشتاء

(١) أجحره: جعله يدخل في الجحر.

إذا أَثْـنـى عـلـيـك الـمـرءُ يـومـاً ... كـفـاه مـن تـعَـرُّضـه الـثـنـاء
إِذا خـلّـفـتَ عـبـد الـلَّـه فـاعـلـم ... بـأن الـقـوم لـيـس لـهـم جَـزاء
فـأرضُـك كـلُّ مَـكـرُمـةٍ بـنـاهـا ... بـنـو تَـيـمٍ وأَنـت لـهـم سـمـاء
فـأبـرزَ فـضـلَـه حـقـاً عـلـيـهـم ... كـمـا بـرَزتْ لـنـاظـرهـا الـسـمـاء
فـهـل تَـخـفـى الـسـمـاءُ عـلـى بَـصـيـرٍ ... وهـل بـالـشـمـس طـالـعـةً خَـفـاء

[الوافر]

فلما أَنشده أُميَّةُ هذا الشعرَ كانت عنده قينتانِ فقال: خذ أيّتَهما شئتَ؛ فأخذ إحداهما وانصرف. فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له: لقد لَقِيتَه عَليلاً، فلو رددتَها عليه، فإن الشيخ يحتاج إلى خدمتها، كان ذلك أقربَ لك عنده وأكثر من كل حقّ ضَمِنه لك، فوقع الكلامُ من أميَّة موقِعاً وندِم، ورجع إليه ليردَّها عليه. فلما أَتاه بها قال له ابن جُدعانَ: لعلك إنما رَدَدتَها لأن قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا، فوصف لأميَّةَ ما قال له القوم. فقال أُمَيَّة: واللَّهِ ما أخطأتَ يا أَبا زُهير. فقال عبد اللَّه بن جُدعانَ: فما الذي قلتَ في ذلك؟ فقال أُميَّةُ:

صـوت

عـطـاؤكَ زيـنٌ لامـرئ إن حَـبَـوتَـه ... بـبَـذلٍ ومـا كـلُّ الـعـطـاء يَـزيـنُ
ولـيـس بـشَـيـنٍ لامـرئ بـذلُ وجـهـه ... إلـيـكَ كـمـا بـعـضُ الـسـؤال يَـشـيـنُ

[الطويل]

ـ غنَّت فيه جرادتا عبد اللَّه بن جُدعان ـ فقال عبد اللَّه لأميَّة: خُذِ الأخرى؛ فأخذهما جميعاً وخرج. فلما صار إلى القوم بهما أنشأ يقول ـ وقد أنشدَنا هذه الأبيات أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبَّة وفيها زيادة ـ:

ومـا لِـي لا أحـيّـيـه وعـنـدي ... مـواهِـبُ يَـطَّـلـعِـنَ مـن الـنِّـجـادِ[1]
لأبـيـضَ مـن بـنـي تَـيـم بـن كَـعْـبٍ ... وهـم كـالـمَـشـرَفـيَّـات الـحِـداد
لـكـل قـبـيـلـةٍ هـادٍ ورأسٌ ... وأَنـت الـرأسُ تَـقـدُم كـلَّ هـادي
لـه بـالـخَـيـفِ قـد عـلـمـتْ مَـعَـدٌّ ... وإِن الـبـيـت يُـرَفـع بـالـعـمـاد

(١) النّجاد: ما أشرف من الأرض ومفردها نَجْد.

لـــه داعٍ بـــمـــكـــة مُـــشـــمـــعِـــلٌ وآخـــرُ فـــوق دارتـــه يُـــنـــادي
إلـــى رُدُحٍ[1] مـــن الـــشِّـــيـــزى[2] مِـــلاءٍ لُـــبـــابَ الـــبُـــرّ يُـــلـــبَـــكُ بـــالـــشِّـــهـــاد

[الوافر]

وقال فيه أَيضاً:

ذُكِـــر ابـــنُ جُـــدعـــانٍ بـــخـــيـــ ـرٍ كـــلَّـــمـــا ذُكِـــر الـــكـــرامُ
مـــن لا يَـــخـــون ولا يَـــعُـــقْ ق ولا تُـــغـــيِّـــره الـــلـــئـــام
نَـجْـبُ[3] الـنَّـجـيـبـة والـنـجـيـ ـب لـــه الـــرِّحـــالـــةُ الـــزِّمـــام

[مجزوء الكامل]

أَخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال: حدثنا محمد بن إِسحاق البَغَويّ قال: حدثنا الأثرَم عن أَبي عُبيدة قال:

كان ابنُ جُدعانَ سيِّداً من قريش؛ فوفَد على كسرى فأكل عنده فالُوذَ، فسأل عنه فقيل له: هذا الفالوذُ. قال: وما الفالوذُ؟ قالوا: لُبابُ البرّ يُلبَك مع عسل النحل. قال: ابغُوني غلاماً يصنعه؛ فأتَوه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدِم به مكةَ معه، ثم أمره فصنع له الفالوذَ بمكة، فوضع الموائدَ بالأبطَح إلى باب المسجد، ثم نادى مُنادِيه: أَلا مَن أراد الفالوذَ فليَحضُرْ فحضر الناسُ؛ فكان فيمن حضَر أميَّةُ بن أَبي الصَّلت؛ فقال فيه:

ومـــا لـــي لا أُحـــيِّـــيـــه وعـــنـــدي مـــواهـــبُ يَـــطَّـــلِـــعـــنَ مـــن الـــنِّـــجـــادِ
إِلـــيّ وإِنّـــه لـــلـــنـــاس نِـــهْـــيٌ[4] ولا يَـــعـــتـــلُّ بـــالـــكَـــلِـــم الـــصَّـــوادي[5]

[الوافر]

وذكر باقيَ الأبيات التي مضت متقدِّماً.

حدثنا أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: أَخبرنا يعقوب بن إِسرائيل مولى المنصور قال: حدثني محمد بن عمر الجُرجانيّ ـ وليس بصاحب إِسحاق الموصليّ؛ قال: وهو شيخ لَقِيتُه بجُرجان ـ قال: حدثنا الحسين بن الحسن المَروَزِيّ قال:

سألتُ سفيان بن عُيَينة فقلت: يا أَبا محمد، ما تفسيرُ قول النبيّ ﷺ وعلى آله: «**كان من أَكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إِلٰه إِلا اللَّه وحدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو**

(١) ردح: جمع رداح، وهي الجفنة الكبيرة.
(٢) الشيزى: خشب أسود تصنع منه القصاع.
(٣) النجب: الكرم والسخاء.
(٤) النهي: الغدير.
(٥) الصوادي: العطاش، مفردها صادية.

على كل شيء قدير» وإِما هو ذِكرٌ وليس فيه من الدعاء شيءٌ! فقال لي: أَعَرفتَ حديث مالك بن الحارث: يقول اللَّه جَلّ ثناؤه: «إِذا شَغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أعطي السائلين»؟ قلت: نعم! أَنتَ حدّثتَنيه عن منصور عن مالك بن الحارث. قال: فهذا تفسير ذلك، ثم قال: أَمّا علمتَ ما قال أُميَّةُ بن أَبي الصَّلت حين خرج إلى ابن جُدعانَ يطلب نائلَه وفَضلَه. قلت: لا أدري؟ قال: قال:

أَأذكُـر حـاجـتـي أم قـد كَـفـانـي ... حـيـاؤك إِنّ شـيـمـتَـك الـحـيـاءُ
إِذا أَثـنـى عـلـيـك الـمـرءُ يـومـاً ... كـفـاه مـن تـعـرُّضـه الـثـنـاء

[الوافر]

ثم قال سفيان: فهذا مخلوقٌ يُنسَب إلى الجود فقيل له: يكفينا من مسألتك أن نُثنِيَ عليك ونسكتَ حتى تأتيَ على حاجتنا، فكيف بالخالق!

أَخبرني الحَرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا حُمَيد بن حُميد قال: حدثني جَبَّار بن جابر قال:

دخل أميَّةُ بن أَبي الصَّلت على عبد اللَّه بن جُدعانَ وهو يجود بنفسه؛ فقال له أُميَّةُ: كيف تَجِدُك أَبا زُهير؟ قال: إِني لمُدابِر (أَي ذاهب). فقال أُميَّةُ:

عـلِـمَ ابـنُ جُـدعـانَ بـنِ عـمـرٍ ... و أَنّـه يـومـاً مُـدابِـرْ
ومـسـافـرٌ سـفـراً بـعـيـداً ... لا يـؤوب بـه الـمُـسـافِـر
فـقُـدُورُه بـفِـنـائـه ... لـلـضـيـف مُـتـرَعَـةٌ زَواخِـر
تـبـدو الـكـسـورُ مـن انـضِـرا[1] ... جِ الـغَـلـي فـيـهـا والـكَـراكِـر[2]
فـكـأنـهـنّ بـمـا حَـمِـيـ ... ـنَ ومـا شُـحِـنَّ بـهـا ضَـرائـر
بَـذَّ الـمَـعـاشِـرَ كـلَّـهـا ... بـالـفـضـل قـد عـلِـم الـمَـعـاشِـر
وعـلا عُـلُـوَّ الـشـمـس حـتـ ... ـى مـا يُـفـاخِـرُه مُـفـاخِـر
دانـت لـه أَبـنـاءُ فِـهْـ ... ـرٍ مـن بـنـي كـعـبٍ وعـامـر
أَنـتَ الـجـوادُ ابـنُ الـجـوا ... د بـكـم يُـنـافِـرُ مـن يُـنـافِـر

[مجزوء الكامل]

ترك الخمر قبل موته وذمها بشعر:

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أَبو سَعيد السكّريّ قال: أخبرني

(١) انضراج: انفراج.
(٢) الكركرة: صوت الماء أثناء غليانه.

أَبو عبد الرحمٰن الغَلابيّ عن الواقِدي عن ابن أَبي الزِّناد قال:

ما مات أَحد من كبراء قُرَيش في الجاهليَّة إِلَّا ترك الخمرَ استحياءً، مما فيها من الدَّنَس؛ لقد عابَها ابن جُدعانَ قبل موته فقال:

شَرِبتُ الخمرَ حتى قال قومي ... ألستَ عن السّفاه بمُستفيقِ
وحتى ما أوسَّدُ في مَبِيتٍ ... أنا به سوى التُّربِ السَّحيق
وحتى أَغلق الحانوتُ[1] رَهني ... وآنَستُ الهَوانَ من الصديق

[الوافر]

قال: وكان سببُ تركه الخمرَ أن أميَّةَ بن أَبي الصَّلت شرِب معه فأصبحت عين أميَّة مُخضرَّةً يخاف عليها الذَّهاب. فقال له: ما بال عينِك؟ فسكت. فلما ألحّ عليه قال له: أَنت صاحبُها أصبتَها البارحةَ. فقال: أو بَلَغ منّي الشَّراب الذي أَبلُغ معه من جليسي هذا! لا جَرَمَ لأدِّينِها لك دِيتَين؛ فأعطاه عشرةَ آلاف درهم، وقال: الخمرُ عليّ حرام أَن أذوقها أبداً، وتركها من يومئذٍ.

صوت

من المائة المختارة

قد لَعَمري بِتُّ لَيلي ... كأخي الداءِ الوَجيعِ
ونَجِيُّ الهمّ منّي ... بات أدنى من ضجيعي
كلما أبصرتُ رَبعاً ... خالياً فاضت دموعي
لا تَلُمنا إِن خَشَعنا ... أَو هَمَمنا بالخشوع
إِذ فقدْنا سيِّداً كا ... ن لنا غيرَ مُضِيع

[مجزوء الرمل]

الشعر للأحوص. والغناء لسَلَامةِ القَسّ. ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالوسطى في مَجراها. وقد قيل: إِن الشعر والغناء جميعاً لها، وقد قيل: إِن الغناء لمعبد وإِنها أخذتْه عنه.

(١) الحانوت: الرجل الذي يبيع الخمر، وقيل: هو أيضاً الدكان الذي يباعُ فيه الخمر.

ذكر سلامة القس وخبرها

كانت سَلَّامةُ مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت. وأخذت الغناءَ عن معبد وابن عائشة وجميلةَ ومالك بن أَبي السَّمْحِ وذَويهم فمهَرت. وإِنما سمِّيت سَلَّامةَ القَسِّ لأن رجلاً يُعرف بعبد الرحمٰن بن أَبي عَمَّار الجُشَمِيّ من قُرّاء أَهل مكة، وكان يُلقَّب بالقسّ لعبادته، شُغِف بها وشُهِر، فغلَب عليها لقبُه. واشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان، وعاشت بعده، كانت إِحدى من اتُّهم به الوليدُ من جواري أَبيه حين قال له قتلته: نَنقِمُ عليك أنك تَطَأ جواريَ أَبيك. وقد ذكر ذلك في خبر مقتله.

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد عن أَبيه قال:

كانت حَبابةُ وسَلَّامةُ القَسِّ من قِيان أَهل المدينة، وكانتا حاذقتين ظريفتين ضاربتين؛ وكانت سَلَّامةُ أحسنَهما غناءً، وحَبابةُ أحسنَهما وجهاً، وكانت سَلَّامةُ تقول الشعر، وكانت حَبابة تتعاطاه فلا تُحسِن. وأَخبرني بذلك المَدائنيّ عن جَرير.

وحدثني الزبيريّ قال: حدثني مَن رأى سَلَّامةَ قال:

ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسنَ غناءً من سَلَّامةَ. وعن جميلةَ أخذتِ الغناءَ.

حدثني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار وإِسماعيل بن يُونس قالا: حدثنا أَبو زيد عمر بن شَبَّة قال: حدثني المَدائنيّ قال:

كانت حَبابةُ وسَلَّامةُ قَينتين بالمدينة؛ أَمَّا سَلَّامةُ فكانت لسُهَيل بن عبد الرحمٰن، ولها يقول ابنُ قَيس الرُّقَيَّات:

لقد فتنتْ رَيَّا وسَلَّامةُ القَسَّا ... فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نَفساً

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ ... ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

[الطويل]

وغنَّاه مالكُ بن أبي السَّمح. وفيها يقول ابن قيس الرُّقيَّات:

أُختانِ إِحداهما كالشمس طالعةً في يوم دَجنٍ[1] وأُخرى تُشبه القمرا
[البسيط]

قال: وفُتِن القَسُّ بسلَّامةَ، وفيها يقول:

أهابُكِ أن أقول بذلتُ نفسي ولو أنّي أُطيع القلبَ قالَا
حياءً منكِ حتى سُلّ[2] جسمي وشَقّ عليّ كتماني وطالا
[الوافر]

قال: والقَسّ هو عبد الرحمٰن بن أَبي عمَّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية، وكان منزله بمكة. وكان سببُ افتتانه بها فيما حدّثني خلَّاد الأرقط قال: سمعت من شيوخنا أهل مكة يقولون: كان القسُّ من أَعبَدِ أهل مكّة، وكان يُشَبَّه بعَطاء بن أَبي رَباح، وأنّه سمع غناءَ سَلَّامةِ القسِّ على غير تعمُّد منه لذلك. فبلغ غِناؤه منه كلَّ مبلغ؛ فرآه مولاها فقال له: هل لك أن أخرِجها إليك أو تدخلَ فتسمع! فأبى. فقال مولاها: أنا أُقعِدها في موضع تَسمع غناءَها ولا تراها فأبى؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غِناءها فأعجبه. فقال له: هل لك في أن أُخرجها إليك؟ فأبى. فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه، فتغنَّت فشُغِف بها وشُغِفت به، وعرَف ذلك أهلُ مكة. فقالت له يوماً: أنا واللَّه أُحبُّك. قال: وأنا واللَّه أُحِبك. قالت: وأحبّ أن أضَعَ فمي على فمك. قال: وأنا واللَّه أحِبّ ذاك. قالت: فما يمنعك! فواللَّه إنّ الموضع لخالٍ. قال: إني سمعت اللَّه عزّ وجلَّ يقول: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وأنا أكره أن تكون خُلَّةُ ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة. ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك، وقال من فَوْره فيها:

إنّ التي طَرَقَتْكَ بين ركائبٍ تَمشي بمزْهَرِها وأَنتَ حَرامُ
لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مودّةٍ إنّ الرفيق له عليك ذِمامُ
باتت تعلِّلنا وتحسب أنّنا في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سطع الضياءُ لناظرٍ فإذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذِلُ في السَّفاهة أهلَها فاعجَبْ لِما تأتي به الأيّامُ
فاليومَ أعذِرُهم وأعلم أنما سُبُلُ الضَّلالة والهُدى أقسامُ
[الكامل]

(١) دجن: مظلم. (٢) سُلَّ: هَزُلَ وضَعُفَ.

ومن قوله فيها:

أَلـم تَـرَهـا لا يُـبـعِـد الـلَّـه دارَهـا إِذا رَجَـعـتْ فـي صـوتـهـا كـيـف تـصـنـعُ
تَـمُـدّ نـظـامَ الـقـولِ ثـم تَـرُدّه إلـى صَـلْـصَـلٍ[1] فـي صـوتـهـا يـتـرجّـعُ
[الطويل]

وفيها يقول:

أَلَا قُـلْ لـهـذا الـقـلـبِ هـل أنـت مُـبـصِـرُ وهـل أنـت عـن سـلَّامـةَ الـيـومَ مُـقـصِـرُ
أَلَا لـيـت أنّـي حـيـن صـارتْ بـهـا الـنَّـوى جـلـيـسٌ لـسَـلـمـى كـلـمـا عَـجّ[2] مِـزهَـرُ[3]
[الطويل]

وقال في قصيدةٍ له:

سَـلَّامُ وَيـحـكِ هـل تُـحـيـيـن مَـن مـاتـا أو تُـرجـعـيـنَ عـلـى الـمـحـزون مـا فـاتـا
[البسيط]

وقال أيضاً:

سَـلَّامُ هـل لـي مـنـكـمُ نـاصـرُ أم هـل لـقـلـبـي عـنـكـمُ زاجـرُ
قـد سـمـع الـنـاسُ بـوجـدي بـكـم فـمـنـهـمُ الـلَّائـمُ والـعـاذرُ
[السريع]

في أشعار كثيرة يطول ذكرها.

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أبيه قال: حدّثني الجُمَحيّ قال:

كانت سلَّامة ورَيّا أُختين، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهن غناءً. فاجتمع الأحوَص وابن قَيس الرقيَّات عندهما؛ فقال لهما ابن قيس الرقيَّات: إنّي أريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدُقَ فيها ولا أكذبَ؛ فإن أنتما غنَّيتماني بذلك وإلَّا هجوتكما ولا أقرَبكما. قالتا: فما قلتَ؟ قال: قلتُ:

لـقـد فـتـنـتْ رَيَّـا وسـلَامـةُ الـقَـسَّـا فـلـم تـتـركـا لـلـقَـسِّ عـقـلاً ولا نـفـسَـا
فـتـاتـانِ أمَّـا مـنـهـمـا فـشـبـيـهـةُ الـهـلالِ وأُخـرى مـنـهـمـا تُـشـبـه الـشـمـسـا
تَـكُـنَّـانِ أبـشـاراً رِقـاقـاً وأوجُـهـا عِـتـاقـاً[4] وأطـرافـاً مَـخَـضَّـبـةً مُـلْـسـا
[الطويل]

(١) الصلصلة: ترجيع الصوت، أي ترديده. (٢) عجَّ: صاح ورفع صوته.
(٣) مِزهر: العُود يضرب به. (٤) عتاقاً: حِساناً.

فغنَّته سَلَّامة واستحسنتاه. وقالتا للأحوص: ما قلت يا أَخا الأنصار؟ قال: قلت:

صوت

أسَلامَ هل لمتيَّم تنويلُ ... أم هل صَرَمْتِ وغالَ ودَّكِ غولُ
لا تَصرفي عنّي دلالَكِ إنَّه ... حَسَنٌ لديّ وان بَخِلْتِ جميلُ
أزَعمتِ أنّ صبابتي أُكذوبةٌ ... يوماً وأنَّ زيارتي تعليلُ

[الكامل]

ـ الغناء لسلَّامةِ القسّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ وحمَّاد. وفيه لإبراهيم لحنان، أحدهما خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو، والآخر ثقيل أوله استهلال عن الهشاميّ ـ فغنَّت الأبياتَ. فقال ابن قيس الرُّقيات: يا سلَّامة! أحسنتِ واللَّه! وأظنُّكِ عاشقة لهذا الحَلَقيّ! فقال له الأحوص: ما الذي أخرجكَ إلى هذا؟ قال: حُسنُ غنائها بشعرك، فلولا أنّ لك في قلبها محبَّةً مُفرطةً ما جاءها هكذا حَسناً على هذه البديهة. فقال له الأحوص: على قَدْر حُسن شعري على شعرك هكذا حَسُن الغناءُ به، وما هذا منك إلَّا حسد، ونُبَيّن لك الآن ما حسدتَ عليه. فقالت سلَّامة: لولا أنّ الدخول بينكما يوجب بِغضةً لحكمتُ بينكما حكومة لا يردّها أحدٌ. قال الأحوص: فأنت من ذلك آمنة. قال ابن قيس الرقيَّات: كلَّا! قد أمِنتَ أَن تكون الحكومة عليك، فلذلك سبقت بالأمان لها. قال الأحوص: فرَأْيُك يدلُّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم عليه أَنت؛ وتفرّقا. فلما صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيَّات فقرَع بابه، فأذِن له وسلَّم عليه واعتذر.

ومما قاله الأحوص في سلَّامةِ القسّ وغُنّي به:

صوت

أسَلامُ إنكِ قد ملكتِ فأَسجِحي[1] ... قد يملك الحرُّ الكريم فيُسْجِحُ
مُنّي على عانٍ أطَلْتِ عَناءَه ... في الغُلِّ عندكِ والعُناةُ تُسَرَّحُ
إنّي لأنصَحُكم وأعلَمُ أنَّه ... سِيَّانِ عندكِ من يَغُشّ ويَنصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلامةَ حُبَّها ... قالت أجِدٌّ منك ذا أم تمزَحُ

[الكامل]

(١) أسجحي: مسجح تعني لان، أي ليني.

الشعر للأحوص. والغناء لابن مِسجَح في الأوّل والثاني ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن عمرو. ولدَحمانَ في الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر فيه استهلال. وفيه خفيف ثقيلٍ يقال: إنه لسلَّامةِ القسّ.

أَخبرني الحسين عن حمَّاد عن أبيه قال: قال أَيّوب بن عَباية:

كان عبد الرحمٰن بن عبد اللَّه بن أَبي عَمَّار من بني جُشَم بنِ معاوية، وكان فقيهاً عابداً من عُبَّاد مكة، يسمَّى القسّ لعبادته؛ وكانت سلَّامة بمكة لسُهَيْل، وكان يدخل عليها الشعراء فيُنشدونها وتُنشدهم وتغنّي مَنْ أَحَبّ الغناء؛ ففُتن بها عبد الرحمٰن بن عبد اللَّه بن أَبي عَمَّار القسّ؛ فشاع ذاك وظهر، فسُمِّيت سلَّامةَ القسِّ بذلك.

سألها القس أَن تغنيه بشعر له:

قال إِسحاق: وحدّثني أيوب بن عَباية قال: سألها عبد الرحمٰن بن عبد اللَّه بن أبي عَمَّار القسّ أن تغنيه بشعر مَدَحها به ففعلتْ، وهو:

ما بالُ قلبِكَ لا يزالُ يُهيمُه ... ذِكَرٌ عَواقِبُ غَيِّهنّ سَقامُ
إِنّ التي طرقتك بين ركائبٍ ... تمشي بمزْهَرِها وأنت حَرامُ
لَتَصِيدُ قلبَك أو جزاءَ مَودّةٍ ... إِنّ الرفيقَ له عليكَ ذِمامُ
باتت تعلِّلنا وتحسَب أننا ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إِذا سطَع الصباحُ لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذِلُ في السَّفاهة أهلها ... فاعجَبْ لِما تأتي به الأيامُ
فاليومَ أعذِرهم وأعلَمُ أنما ... سُبُلُ الغَوايةِ والهُدَى أقسامُ

[الكامل]

قال إِسحاق: وحدثني المدائنيّ قال: حدّثني جَرير قال:

لمَّا قدِم يزيد بن عبد الملك مكةَ وأراد شراءَ سَلَّامةِ القسّ وعُرِضتْ عليه، أمرها أن تغنّيه؛ فكان أوّل صوت غنَّته:

إِنّ التي طرقتك بين ركائبٍ ... تمشي بمزْهَرِها وأَنت حرامُ
والبِيضُ تَمشي كالبُدورِ وكالدُّمى ... ونَواعمٌ يَمشين في الأرقامِ[1]

(١) الأرقام: مفردها رُقمة، وهي الروضة أو جانب الوادي.

لَـتَـصِـيـدُ قـلـبَـك أَو جـزاءَ مـودّةٍ إِنّ الـرفـيـق لـه عـلـيـك ذمـام

[الكامل]

فاستحسنه يزيد فاشتراها. فكان أوّل صوت غنَّته لمَّا اشتراها:

أَلا قُلْ لـهـذا الـقـلـبِ هـل أنـت مـبـصـرُ وهـل أنـت عـن سـلَّامـةَ الـيـومَ مُـقْـصِـرُ

أَلَا لـيـتَ أَنّـي حـيـن صـار بـهـا الـنَّـوَى جـلـيـسٌ لـسَـلـمـى حـيـث مـا عـجّ مِـزْهَـرُ

وإِنـي إذا مـا الـمـوتُ زالَ بـنَـفْـسـهـا يُـزالُ بـنـفـسـي قـبـلَـهـا حـيـن تُـقـبَـرُ

إِذا أخـذتْ فـي الـصـوتِ كـاد جـلـيـسُـهـا يـطـيـر إلـيـهـا قـلـبُـه حـيـن يـنـظـرُ

كـأنّ حـمـامـاً راعِـبِـيّـاً[1] مُـؤَدِّيـاً إِذا نـطـقـتْ مـن صـدرهـا يَـتَـغَـشْـمَـر[2]

[الطويل]

فقال لها يزيد: يا حبيبتي، مَن قائلُ هذا الشعر؟ فقصَّت عليه القصة، فرَقَّ له وقال: أحسنَ وأَحسنتِ!

قال إِسحاق: وحدّثني المدائنيّ قال:

لمَّا اشترى يزيدُ بن عبد الملك سلَّامة، وكان الأحوص مُعجَباً بها وبحسن غنائها وبكثرة مجالستها؛ فلما أراد يزيد الرِّحلة، قال أبياتاً وبعث بها إلى سلَّامة. فلما جاءها الشعر غَنَّتْ به يزيدَ وأخبرتْه الخبر، وهو:

صـوت

عـاودَ الـقـلـبَ مـن سَـلامـةَ نَـصـب[3] فـلـعـيـنـيّ مـن جَـوَى الـحُـبِّ غَـرْبُ

ولـقـد قـلـتُ أيـهـا الـقـلـبُ ذو الـشـو قِ، الـذي لا يُـحـبّ حُـبَّـك حِـبُّ

إِنـه قـد دنـا فِـراقُ سُـلَـيْـمـى وغـدا مَـطـلَـبٌ عـن الـوصـل صَـعـبُ

[الخفيف]

غنَّاه ابن مُحرز ثاني ثقيل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إِسحاق. وفيه لابن مِسجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو. وفيه لابن عَبَّاد وعَلويه رَملان. وفيه لدَحمان خفيفُ رَمَلٍ. هذه الحكايات الثلاث عن الهشاميّ. وذكر حَبشٌ أنّ لسلَّامة القسّ فيه ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى.

---

(١) راعبيّاً: ضرب من الحمام، يرعب في صوته أي يرفع صوته بالهديل.

(٢) يتغشمر: صدر صوتاً شديفاً.

(٣) نصب: التعب والداء.

قال إسحاق: وحدثني أَيوب بن عَباية قال: كانت سلَّامة ورَيَّا لرجل واحد، وكانت حَبابة لرجل، وكانت المقدَّمة منهنّ سَلَّامة، حتى صارتا إلى يزيد بن عبد الملك، فكانت حَبابةُ تنظر إلى سَلَّامة بتلك العين الجليلة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها. فلمَّا رأَت أُثرتها عند يزيد ومحبَّةَ يزيد لها استخفَّت بها. فقالت لها سَلَّامةُ: أَيْ أُخَيَّة! نَسِيتِ لي فضلي عليكِ! ويلك! أَين تأديبُ الغناء وأَين حقُّ التعليم! أنسيتِ قولَ جميلة يوماً وهي تُطارحنا وهي تقول لك: خُذي إحكام ما أُطارحكِ من أُختِك سَلَّامةَ، ولن تَزالي بخيرٍ ما بقيتْ لكِ وكان أمرُكما مؤتلفاً! قالت: صَدَقتِ خليلتي! واللَّه لا عدتُ إلى شيء تكرهينه؛ فما عادت لها إلى مكروه. وماتت حَبابةُ وعاشت سَلَّامة بعدها دهراً.

أَخبرني الحرميّ بن أَبي العَلاء قال: حدثنا الزبير بن بكَّار قال: حدثني عمي مُصعَب عن عبد الرحمٰن بن المُغِيرة الحِزاميّ الأكبر قال:

لمَّا قدِم عثمانُ بن حَيّان المُرِّيّ المدينةَ والياً عليها، قال له قومٌ من وجوه الناس: إنّك قد وَلِيتَ على كثرةٍ من الفساد؛ فإن كنتَ تُريد أَن تُصلِح فطهِّرها من الغِناء والزِّنا. فصاح في ذلك وأجَّلَ أهلَها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة. وكان ابن أَبي عَتيق غائباً، وكان من أَهل الفضل والعَفاف والصلاح. فلما كان آخرُ ليلة من الأجل قَدِم فقال: لا أدخُل منزلي حتى أدخلَ على سلَّامة القسّ. فدخل عليها فقال: ما دخلتُ منزلي حتى جئتُكم أسَلِّم عليكم. قالوا: ما أغفلَكَ عن أمرنا! وأَخبروه الخبر. فقال: اصبِروا عليّ الليلةَ. فقالوا: نخاف أَلَّا يُمكِنَك شيءٌ ونُنكَظَ[1]. قال: إن خفتم شيئاً فاخرُجوا في السَّحَر. ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حَيَّان فأذِن له، فسلّم عليه وذكر له غَيبتَه وأنه جاءه ليقضي حَقَّه، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزِّنا، وقال: أرجو أَلّا تكون عَمِلتَ عملاً هو خيرٌ لك من ذلك. قال عثمان: قد فعلتُ ذلك وأشار به عليّ أصحابُك. فقال: قد أصبتَ، ولكن ما تقول ـ أمتع اللَّه بك ـ في امرأَةٍ كانت هذه صناعتَها وكانت تُكرَه على ذلك ثم تركتْه وأقبلتْ على الصَّلاة والصيام والخير، وأَتى رسولُها إليك تقول: أَتوجّه إليك وأعوذ بك أَن تُخرِجَني من جِوار رسول اللَّه ﷺ ومسجِده؟ قال: فإني أدَعُها لك ولكلامِك. قال ابن أَبي عتيق: لا يَدَعُك الناسُ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها، فإن رأيتَ أَنّ مثلَها ينبغي أَن يُترَكَ تركتها؛ قال: نعم. فجاءه بها وقال لها: اجعلي معك سُبحةً وتخشَّعي ففعلتْ. فلمَّا دخلتْ على عثمان حدّثتْه، وإذا هي من أعلم الناس

(١) نُنْكظ: نُعسِّر.

بالناس وأعجِبَ بها، وحدثتْه عن آبائه وأمورهم ففَكِه لذلك. فقال لها ابن أَبي عتيق: اقرَئي للأمير فقرأتْ له؛ فقال لها: احدِي له ففعلتْ، فكَثُر تعَجُّبه. فقال: كيف لو سَمِعتَها في صِناعتها! فلم يزل يُنزِله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغِناء. فقال لها ابن أَبي عَتيق: غنّي، فغنَّت:

سَدَدنَ خَصاص[١] الخَيمِ لمَّا دَخلنَهُ ... بكلّ لَبانٍ[٢] واضحٍ وجبين

[الطويل]

فغنَّته؛ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال: لا واللَّه ما مِثلُ هذه تخرج! قال ابن أَبي عتيق: لا يَدَعُك الناسُ، يقولون: أقَرَّ سلَّامة وأخرج غيرها. قال: فدَعُوهم جميعاً؛ فتركوهم جميعاً.

أَخبرني الحَرَميّ قال: حدثنا الزُّبير قال: حدثنا عبد اللَّه بن أَبي فَروة قال:

قَدِمتْ رسل يزيدَ بنِ عبد الملك المدينةَ فاشترَوْا سلَّامة المغنِّية من آل رُمَّانةَ بعشرين ألفَ دينار. فلما خرجتْ من مِلك أهلِها طلبوا إِلى الرُّسُل أن يتركوها عندهم أيّاماً ليجهِّزوها بما يُشبهها من حُليٍّ وثيابٍ وطيب وصِبغ. فقالت لهم الرسل: هذا كلُّه معنا لا حاجةَ بنا إلى شيء منه، وأمروها بالرحيل. فخرجتْ حتى نزلت سِقايةَ سليمانَ بنِ عبد الملك وشيَّعها الخَلق من أهل المدينة. فلما بلغوا السِّقاية قالت للرسل: قومٌ كانوا يَغشَوْنَني ويسلِّمون عليّ، ولا بدّ لي من وَداعهم والسلام عليهم، فأُذِن للناس عليها فانقَضُّوا حتى ملأوا رحبةَ القصر ووراءَ ذلك؛ فوقفتْ بينهم ومعها العود، فغنَّتْهم:

فارَقوني وقد علمتُ يقيناً ... ما لِمَنْ ذاقَ مِيتةً من إِيابِ[٣]

إنّ أهلَ الحِصابِ قد تركوني ... مُولَعاً مُوزَعاً بأهل الحِصابِ

أهلُ بيت تَتايعوا[٤] للمنايا ... ما على الدهر بعدهم من عتابِ

سكنوا الجِزْعَ بَيتِ أبي مو ... سى إِلى النخل من صُفيِّ السِّبابِ[٥]

كم بذاك الحجُونِ[٦] من حَيّ صِدْقٍ ... وكُهولٍ أعِفَّةٍ وشَبابِ

[الخفيف]

قال عيسى: وكنتُ في الناس، فلم تزلْ تُردِّد هذا الصوت حتى راحت؛

---

(١) الخِصاص: الثِلام.
(٢) لبان: وسط الصدر، أو ما بين الثديين.
(٣) إياب: عودة ورجوع.
(٤) تتايع: تهافت.
(٥) صفي السّباب: موضع في مكة.
(٦) الحجون: جبل في أعلى مكة، وبه يدفن أهلها.

وانتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها، فما شئتُ أَن أَرى باكياً إِلّا رأيته.

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد عن أَبيه قال:

وجّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القدوم عليه، وكان الغريض معه، فقال له: اخرُجْ معي حتى آخُذ لك جائزة أَمير المؤمنين وتغنِّيه؛ فإِني لا أَحمل إليه شيئاً هو أَحبُّ إليه منك، فخرجا. فلما قدِم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به. فأنشده مدائحَ فاستحسنها، وخرج من عنده؛ فبعثتْ إليه سلَّامة جاريةُ يَزيدَ بلَطَفِ[1]. فأرسل إليها: إِن الغريض عندي قدِمتُ به هديّةً إليك. فلمَّا جاءها الجوابُ اشتاقتْ إلى الغريض وإِلى الاستماع منه. فلمَّا دعاها أَميرُ المؤمنين تمارضت وبعثتْ إِلى الأحوص: إِذا دعاك أَميرُ المؤمنين فاحْتَلْ له في أَن تذكر له الغريض. فلما دعا يزيد الأحوصَ قال له يزيد: وَيحك يا أَحوص! هل سمعتَ شيئاً في طريقك تُطرِفنا به؟ قال: نعم يا أَمير المؤمنين، مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أَعجبني حسنُه وجودةُ شعره؛ فوقفتُ حتى استقصَيْتُ خبرَه، فإِذا هو الغريض، وإِذا هو يغنّي بأحسن صوتٍ وأَشجاه:

أَلا هـاجَ الـتَّـذَكُّـرُ لـي سَـقـامَـا ... ونُـكْـسَ الـداءِ والـوجـعَ الـغَـرَامـا[2]
سَـلَامـةُ إِنـهـا هَـمِّـي ودائـي ... وشَـرُّ الـداءِ مـا بَـطَـن الـعِـظـامـا
فـقـلـتُ لـه ودمـعُ الـعـيـنِ يـجـري ... عـلـى الـخَـدَّيـنِ أَربـعـةً سِـجـامـا[3]
عـلـيـكَ لـهـا الـسـلامُ فـمـن لِـصَـبٍّ ... يـبـيـت الـلـيـلَ يَـهـدي مُـسـتـهـامـا

[الوافر]

قال يزيد: ويَلك يا أَحوص! أَنا ذاك في هوَى خليلتي؛ وما كنتُ أحسَبُ مثل هذا يتَّفق، وإِنّ ذاك لمما يزيد لها في قلبي. فما صنعتَ يا أَحوصُ حين سمعت ذاك؟ قال: سمعتُ ما لم أَسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه، فما صَبَرتُ حتى أخرجتُ الغريضَ معي وأخفيتُ أَمره، وعلمتُ أَنّ أَمير المؤمنين يسألني عما رأيتُ في طريقي. فقال له يزيد: ائتني بالغريض ليلاً وأخفِ أَمره. فرجع الأحوص إِلى منزله وبعث إلى سلَّامة بالخبر. فقالت للرسول: قل له جُزيتَ خيراً، قد انتهى إليَّ كلُّ ما قلتَ، وقد تَلَطَّفتَ وأَحسنتَ. فلمَّا وارى الليلُ أَهله بعث إلى الأحوص أَن عَجِّل المجيءَ إِليَّ مع ضيفك. فجاء الأحوصُ مع الغريض فدخلا عليه. فقال: غنِّي الصوت الذي أَخبرني

(١) لَطف: اليسير من الطعام وغيره.
(٢) الغرام: الولوع، والمُلازم.
(٣) السِجَام: انهمار الدمع من العين كثيراً.

الأحوصُ أَنه يمنعه منك ـ كان الأحوص قد أَخبر الغريضَ الخبرَ؛ وإنما ذلك شعر قاله الأحوص يُريد يحرِّكه به على سلَّامةَ ويحتال للغريض في الدخول عليه ـ فقال: غنِّني الصوتَ الذي أَخبرني الأحوصُ. فلما غنَّاه الغريضُ دمعتْ عينُ يزيدَ ثم قال: وَيحك! هل يمكن أن تصير إلى مجلسي؟ قيل له: هي صالحة. فأرسل إليها فأقبلتْ: فقيل ليزيد: قد جاءت؛ فضرب لها حجابٌ فجلستْ، وأعاد عليه الغريضُ الصوتَ؛ فقالت: أَحسنَ واللَّهِ يا أمير المؤمنين، فاسمعه منّي؛ فأخذتِ العودَ فضربته وغنَّت الصوتَ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحاً وسُروراً، وقال: يا أَحوصُ، إنك لمبارَك! يا غريض غنِّني في ليلتي هذا الصوتَ؛ فلم يزلْ يغنِّيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال، وقال: لا يُصبحِ الغريضُ في شيء من دمشق. فارتحل الغريض من ليلته، وأَقام الأحوص بعده أَياماً ثم لحق به؛ وبعثت سلَّامةُ إليهما بكسوة ولَطَف كثير.

رثت يزيد وناحت عليه حين مات:

أَخبرني أَحمد بن عُبيد اللَّه بن عَمَّار قال: حدثني عليّ بن محمد النَّوفَليّ قال: حدثني رجل من أَهلي من بني نَوفَل قال:

قَدِمتُ في جماعةٍ من قريش على يزيدَ بنِ عبد الملك، فألفَيناه في عِلَّته التي مات فيها بعد وفاة حَبابة، فنزلنا منزلاً لاصقاً بقصر يزيد، فكنَّا إذا أصحبنا بعثْنا بمولًى لنا يأتينا بخبره، وربما أتينا البابَ فسألنا؛ فكان يَثقُل في كلّ يوم. فإنَّا لَفي منزلنا ليلةً إذ سمعنا هَمْساً من بكاء ثم يزيدُ ذلك، ثم سمِعنا صوت سَلَّامة القسّ وهي رافعةٌ صوتَها تنوح وتقول:

لا تَـلُـمـنـا إن خَـشَـعـنـا ... أَو هَـمَـمـنـا بـخُـشـوع
قـد لَـعَـمـري بِـتُّ لـيـلـي ... كـأخـي الـداءِ الـوجـيـع[1]
كـلَّـمـا أبـصـرتُ ربـعـاً ... خـالـيـاً فـاضـت دمـوعـي
قـد خـلا مـن سـيِّـدٍ كـا ... ن لـنـا غـيـرَ مُـضِـيـع

[مجزوء الرمل]

ثم صاحت وا أميرَ المؤمنين! فعلِمنا وفاتَه، فأصبحنا فغدَونا في جنازته.

أَخبرني الحرميّ قال: حدثنا الزبير قال: حدثنا إسماعيل بن أَبي أوَيس عن أَبيه قال:

قال يزيدُ بن عبد الملك ما يُقرُّ عيني ما أُوتيتُ من أمر الخلافة حتى أَشترِي سَلَّامة جاريةَ مُصعَب بن سُهَيل الزُّهريّ وحَبابةَ جاريةَ آل لاحِقٍ المكيَّة؛ فأرسل

(١) الوجيع: شدَّة الوجع.

فاشتُريتا له. فلمَّا اجتمعتا عنده قال: أَنا الآن كما قال الشاعر:

فألقتْ عَصاها واستقرّ بها النَّوى كما قَرَّ عيناً بالإِيابِ المسافرُ

[الطويل]

فلمَّا تُوُفّي يزيد رثتْه سَلَّامةُ فقالت وهي تنوح عليه هذا الشعر:

لا تَلُمنا إن خَشَعنا أَو هَمَمنا بخُشوعِ
إِذ فقدْنا سَيِّداً كا ن لنا غيرَ مُضيع
وهو كالَّليثِ إِذا ما عُدّ أصحابُ الدروع
يَقنِص الأبطالَ ضرباً في مُضِيءٍ ورجوع

[مجزوء الرمل]

أَخبرنا الحسين بن يحيى قال: حدثنا الزبير والمدائنيّ أَن سَلَّامةَ كانت لسُهَيل بن عبد الرحمٰن بن عَوف، فاشتراها يزيدُ بن عبد الملك، وكانت مغنِّيةً حاذقةً جميلةً ظريفةً تقول الشعر، فما رأيتُ خِصالاً أربعاً اجتمعنَ في امرأَةٍ مثلِها: حُسن وجهها وحسن غنائها وحسن شِعرها. قال: والشعر الذي كانت تغنّي به:

لا تَلُمنا إن خَشَعنا أَو هَمَمنا بخُشوعِ
لِلَّذي حَلَّ بنا اليو مَ من الأمر الفظيع

[مجزوء الرمل]

وذكر باقيَ الأبيات مثل ما ذكره غيرُه.

قال إِسحاق: وحدثني الجُمَحيّ قال: حدثنا مَن رأى سَلَّامةَ تندُب يزيدَ بن عبد الملك بمَرثِيَةٍ رثتْه بها، فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك ولا أَشجى؛ ولقد أَبكت العيونَ وأحرقت القلوبَ وأفتنت الأسماعَ، وهي:

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ بالشام في طَرَفِ الكثيبِ
بالشام بين صفائحٍ صُمٍّ تُرَصَّفُ بالجَبُوب[1]
لمَّا سمعتُ أنينَه وبكاءه عند المَغيب
أقبلتُ أطلُبُ طِبَّه والداءُ يُعضِلُ[2] بالطبيب

[مجزوء الرمل]

الشعر لرجل من العرب كان خرج بابن له من الحجاز إلى الشام بسبب امرأةٍ

(١) الجبوب: وجه الأرض أو التراب. (٢) يُعضِل: يُعْسِر.

هَوِيها وخاف أَن يفسُد بحبّها، فلمّا فقَدها مرض بالشام وضَنِي فمات ودُفن بها. كذا ذكر ابن الكلبيّ، وخبره يُكتَب عَقِبَ أخبار سَلَّامة القسّ. والغناء لسلاَّمة ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن حَبَش. وفيه لَحكَم رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إِسحاق. وفيه لحن لابن غَزوان الدِّمشقيّ من كتاب ابن خُرداذْبه غيرُ مجنَّس.

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه قال: حدثني الجُمَحيّ قال:

حدثني مَن حضر الوليدَ بن يزيد وهو يسأل سَلَّامةَ أَن تغنِّيَه شعرَها في يزيد وهي تتنغَّص من ذلك وتدمَع عيناها؛ فأقسم عليها فغنَّته؛ فما سمعتُ شيئاً أحسنَ من ذلك. فقال لها الوليد: رحم اللَّه أَبي وأَطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلَّامة! بِمَ كان أَبي يقدِّم عليكِ حَبابة؟ قالت: لا أدري واللَّه! قال لها: لكنَّني واللَّه أَدري! ذلك بما قسَم اللَّه لها. قالت: يا سيِّدي أَجَل.

أَخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال: حدثني عبد اللَّه بن عبد الملك الهَدادِيّ عن بعض رجاله عن إِسحاق بن إِبراهيم الموصليّ قال:

سمعت نائحةً مدنيَّةً تنوح بهذا الشعر:

قَد لَعَمري بتُّ ليلي ... كأخي الداءِ الوَجيعِ
ونجيُّ الهمّ منّي ... بات أدنى من ضلوعي
كلَّما أبصرتُ رَبعاً ... دارساً فاضتْ دموعي
مُقفِراً من سيِّدٍ كا ... ن لنا غيرَ مُضيعِ

[مجزوء الرمل]

والشعر للأحوص. والنَّوح لمعبد؛ وكان صَنَعَه لسلَّامةَ وناحت به سَلَّامةُ على يزيد. فلما سمعته منها استحسنتُه واشتهيتُه ولَهِجتُ به، فكنتُ أَترنّم به كثيراً. فسمع ذلك منّي أَبي فقال: ما تصنع بهذا؟ قلت: شعرٌ قاله الأحوصُ وصنعَه معبدٌ لسلَّامةَ وناحت به سَلَّامةُ على يزيد. ثم ضرَب الدهرُ؛ فلما مات الرشيد إِذا رسولُ أمِّ جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور. فسِرتُ إليها؛ فبعثتْ إِليّ: إِني قد جمعتُ بناتِ الخلفاء وبنات هاشم لننوح على الرشيد في ليلتنا هذه؛ فقُلِ الساعةَ أَبياتاً رقيقةً واصنَعهن صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بهن. فأردتُ نفسي على أَن أَقولَ شيئاً فما حضَرني وجعلتْ تُرسِل إِليّ تُحُثُّني، فذكرتُ هذا النَّوحَ فأَريتُ أَنّي أصنع شيئاً، ثم قلت: قد حضرني القولُ وقد صنعتُ فيه ما أمرتْ؛ فبعثتْ إِليّ بكُنيزة وقالت: طارِحها حتى تُطارحَنِيه. فأخذتْ كُنيزةُ العود وردَّدته عليها حتى أخذتْه، ثم دخلتْ فطارحتْه أمَّ جعفر؛ فبعثت إِليّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب.

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صـوت

لـقـد فـتـنَـتْ رَيَّـا وسَـلَّامـةُ الـقـسَّـا فـلـم تَـتـرُكـا لـلـقـسّ عـقـلاً ولا نـفـسَـا
فـتـاتـانِ أَمّـا مـنـهـمـا فـشـبـيـهـةُ الـ ـهـلالِ وأخـرى مـنـهـمـا تـشـبـه الـشـمـسَـا

[الطويل]

الشعر لعبد اللَّه بن قَيس الرُّقيات. والغناء لمالك خفيفُ ثقيلٍ أول بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق. وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أول عن الهِشاميّ. وزعم عمرو بن بانة أَن خفيف الثقيل لُحنَين الحِيرِي. وقيل: إنّ الثقيلَ الأول لدَحمان.

ومنها الشعرُ الذي أَولُه:

أَهـابُـكِ أَن أَقـولَ بـذلـتُ نـفـسـي

صـوت

أأثـلـةُ جَـرّ جِـيـرتُـكِ الـزِّيـالا[1] وعـاد ضـمـيـرُ ودِّكُـم خَـبـالَا
فـإنّـي مـسـتـقـيـلُـكِ أَثْـلُ[2] لُـبِّـي ولُـبُّ الـمـرء أفـضـلُ مـا اسـتـقـالا
أهـابُـكِ أَن أَقـولَ بـذلـتُ نـفـسـي ولـو أنّـي أطـيـع الـقـلـبَ قـالا
حـيـاءً مـنـكِ حـتـى سُـلّ جِـسـمـي وشَـقّ عـلـيَّ كِـتـمـانـي وطـالا

[الوافر]

الشعر للقَسّ. والغناء لمَعبد خفيفُ ثقيلٍ أول مطلق في مجرى البنصر. وفيه لمَعبد ثقيلٌ أول بالوسطى، أوله:

أَهـابُـكِ أَن أَقـولَ بـذلـتُ نـفـسـي

أَخبرني الحسن بن عليّ قال: حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال: حدثنا الزبير بن بَكَّار قال: حدثنا بكَّار بن رَباح قال:

كان عبد الرحمٰن بن عبد اللَّه بن أَبي عمَّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية، وقد كانت أصابتْ جَدَّه مِنَّةٌ من صَفوان بنِ أميَّة، وكان ينزل مكة، وكان من عُبَّاد أَهلها،

(١) الزِّيال: زال يزيل زيلاً وتزايل القوم إذا تفرَّقوا فالزِّيال هو الفراق.
(٢) الأثل: التأصيل والتزكية.

فسُمِّي القسَّ من عِبادته. فمرّ ذاتَ يوم بسلَّامةَ وهي تغني فوقف فتسمّع غناءها. فرآه مولاها فدعاه إلى أَن يُدخله إليها فيسمَعَ منها، فأبى عليه. فقال له: فإِني أُقعِدك في مكانٍ تَسمع منها ولا تراها. فقال: أَمَّا هذا فنَعَم. فأدخله دارَه وأجلسه حيث يسمع غناءها؛ ثم أمرها فخرجت إليه. فلمَّا رآها عَلِقت بقلبه فهامَ بها، واشتَهر وشاع خبرُه بالمدينة. قال: وجعل يتردّد إلى منزل مولاها مدّةً طويلة. ثم إنّ مولاها خرج يوماً لبعض شأنه وخَلّفه مقيماً عندها؛ فقالت له: أَنا واللَّه أحِبُّك! فقال لها: وأَنا واللَّه الذي لا إِلٰه إِلّا هو. قالت: وأَنا واللَّه أشتهي أَن أَعانِقَك وأُقبِّلَك! قال: وأَنا واللَّه. قالت: وأَشتهي واللَّه أَن أضاجِعَك وأجعلَ بطني على بطنك وصَدري على صدرك! قال: وأَنا واللَّه. قالت: فما يمنعك من ذلك؟ فواللَّه إِنّ المكان لخال! قال: يمنعني منه قولُ اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] فأكره أَن تَحُولَ مودّتي لك عداوةً يوم القيامة. ثم خرج من عندها وهو يبكي؛ فما عاد إليها بعد ذلك.

وأَخبرنا إِسماعيل بن يونس قال: حدثنا عمر بن شَبَّة عن المدائنيّ قال:

لما مَلَك يزيدُ بن عبد الملك حَبابةَ وسلَّامةَ القسِّ تمثَّل:

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النَّوى كما قَرَّ عيناً بالإِياب المسافرُ

[الطويل]

ثم قال: ما شاء بعدُ من أَمر الدنيا فليَفُتني.

صوت

من المائة المختارة

وإِني لَيُرضيني قليلُ نَوالِكمْ وإِن كنتُ لا أرضى لكم بقليلِ

بحُرمةِ ما قد كان بيني وبينكم من الوصل إِلَّا عُدتُمُ بجميلِ

[الطويل]

الشعر للعبَّاس بن الأحنف. والغناء لسليمان الفَزاريّ. ولحنه المختار من الرَّمَل بالسبَّابة في مجرى البنصر عن إِسحاق. وفيه خفيفُ رملٍ أوله الثاني ثم الأول، ينسب إلى حَكَم الواديّ وإلى سليمانَ أَيضاً. وفيه لحنٌ من الثقيل الأول يقال: إِنه لمُخارِق، وذكر حَبَش أَنّ لحن مُخارِق ثاني ثقيلٌ.

أخبار العباس بن الأحنف ونسبه

نسب العباس بن الأحنف:

هو ـ فيما ذكر ابن النطَّاح ـ العبَّاس بن الأحنف بن الأسوَد بن طَلحة بن جَدَّانَ بن كَلَدَة من بني عَدِيِّ بن حَنِيفة.

وأَخبرني محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال: حدثني القاسم بن إِسماعيل قال: سمعتُ إِبراهيم بن العبَّاس يقول:

العبَّاس بن الأحنف بن الأسوَد بن قُدامةَ بن هِميانَ من بني هَفَّان بن الحارث بن الذُّهل بن الدُّول بن حَنيفة. قال: وكان حاجبُ بن قُدامة عمُّ العبَّاس من رجال الدولة.

قال محمد بن يحيى: وحدثني أَبو عبد اللَّه الكِندِيّ قال: حدثني محمد بن بكر الحَنَفيّ الشاعر قال: حدثني أَبي قال:

سمعت العباس بن الأحنف يذكر أَنّ هَوذةَ بن عليّ الحنفيّ قد ولَده من قِبَل بعض أمّهاته.

وكان العبَّاس شاعراً غَزِلاً ظريفاً مطبوعاً، من شعراء الدولة العبَّاسية، وله مذهبٌ حسنٌ، ولديباجةِ شعره رَونَقٌ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطف. ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء، ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني. وقدّمه أبو العباس المبرّد في كتاب الرَّوضة على نُظرائه، وأطنبَ[1] في وصفه، وقال: رأيتُ جماعةً من الرُّواة للشعر يقدِّمونه. قال: وكان العبَّاس من الظُّرفاء، ولم يكن من الخُلَعاء؛ وكان غَزِلاً ولم يكن فاسقاً؛ وكان ظاهرَ النّعمة مُلوكيّ المَذهب شديدَ التَّترُّف، وذلك بَيِّنٌ في شعره. وكان قصدُه الغزَلَ وشغلُه النسيب، وكان حلواً مقبولاً غَزِلاً غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثيرَ التصرُّف في الغزَل وحدَه، ولم يكن هَجَّاءً ولا مدَّاحاً.

أَخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا أَبو ذَكوان قال:

(١) أطنب: أتى بالبلاغة في الوصف مدحاً كان أو ذمّاً وهنا أتى بالمدح.

سمعتُ إبراهيم بن العبَّاس يصف العبَّاس بن الأَحنف، فقال: كان واللَّه ممن إذا تكلم لم يُحبَّ سامعه أن يسكت، وكان فصيحاً جميلاً ظريفَ اللِّسان، لو شئتَ أَن تقول: كلامُه كله شعرٌ لقلتَ.

حدّثني محمد بن يحيى قال: حدثني عُبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر قال:

رأيت نُسَخاً من شعر العباس بن الأحنف بخراسان، وكان عليها مكتوب: «شعرُ الأمير أَبي الفضل العباس».

أَخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: حدثني صالح بن عبد الوهَّاب:

أَن العبَّاس بن الأحنف كان من عرب خُراسان، ومنشأه ببغداد؛ ولم تزل العلماء تقدِّمه على كثير من المحدَثين، ولا تزال قد تَرى له الشيء البارعَ جِدّاً حتى تُلحِقه بالمحسنين.

أَخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا يَموت بن المُزَرَّع قال:

سمعتُ خالي (يعني الجاحظ) يقول: لولا أن العباس بن الأحنف أحذقُ الناس وأَشعرُهم وأَوسعهم كلاماً وخاطراً ما قدَر أَن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه؛ لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسَّب ولا يتصرَّف؛ وما نعلم شاعراً لَزِم فنّاً واحداً لزومَه فأحسن فيه وأكثر.

حدثني محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن القاسم بن خلَّاد قال: أنشد الحِرمازيّ أَبو عليّ وأنا حاضرٌ للعبَّاس بن الأحنف:

صـــوت

لا جَـزَى الـلَّـهُ دمـعَ عـيـنـيَّ خـيـراً ... وجـزى الـلَّـهُ كـلَّ خـيـرٍ لـسـانـي

نَـمَّ دمـعـي فـلـيـس يـكـتُـم شـيـئـاً ... ورأيـتُ الـلِّـسـان ذا كـتـمـانِ

كـنـتُ مـثـلَ الـكـتـابِ أخـفـاه طَـيٌّ ... فـاسـتـدلُّـوا عـلـيـه بـالـعُـنْـوانِ

[الخفيف]

ـ الغناء لعَريبَ رملٌ ـ ثم قال الحِرمازيّ: هذا واللَّه طِرازٌ يطلب الشعراء مثله فلا يقدِرون عليه.

أَخبرني محمد قال: حدثني حسين بن فَهم قال: سمعت العَطَويّ يقول:

كان العبَّاس بن الأحنف شاعراً مُجيداً غزِلاً، وكان أَبو الهَذَيل العلَّاف يُبغضُه ويلعنه لقوله:

إِذا أَردتُ سُـلُـوّاً كـان نـاصـركـم قـلـبـي، ومـا أَنـا مـن قـلـبـي بـمـنـتـصـرِ
فـأَكـثِـروا أو أَقِـلُّـوا مـن إِسـاءتـكـم فـكـلُّ ذلـك مـحـمـولٌ عـلـى الـقَـدَرِ
[البسيط]

قال: فكان أَبو الهُذَيل يلعنه لهذا ويقول: يعقِد الكفرَ والفجورَ في شِعره.

قال محمد بن يحيى: وأَنشدني محمد بن العباس اليزيديّ شعراً للعباس أظنّه يهجو به أَبا الهُذَيل ـ وما سمعت للعباس هجاءً غيرَه ـ:

يـا مَـن يُـكـذِّبُ أَخـبـارَ الـرسـولِ لـقـد أخـطـأتَ فـي كـلِّ مـا تـأتـي ومـا تَـذَرُ
كَـذَّبـتَ بـالـقَـدَرِ الـجـاري عـلـيـك فـقـد أَتـاك مـنّـي بـمـا لا تَـشـتـهـي الـقـدرُ
[البسيط]

حدثني محمد بن يحيى قال: حدثني محمد بن سعد عن الرّياشيّ قال:

قيل للأصمعيّ ـ أَو قلتُ له ـ ما أَحسنُ ما تحفَظ للمُحَدثين؟ قال: قول العباس بن الأحنف:

صـوت

لـو كـنـتِ عـاتـبـةً لَـسَـكَّـنَ رَوْعَـتـي أَمَـلـي رضـاكِ وزرتُ غـيـرَ مُـراقِـبِ
لـكـن مَـلِـلْـتِ فـلـم تـكـن لِـيَ حـيـلـةٌ صَـدُّ الـمَـلـولِ خـلافُ صـدِّ الـعـاتـبِ
[الكامل]

الغناء للعباس أَخي بَحر رمَلٌ.

معابثته الأصمعي في مجلس الرشيد:

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ ومحمد بن العباس اليزيديّ قالا، واللفظ لهاشم، قال: حدثنا عبد الرحمٰن بن أَخي الأصمعيّ قال:

دخل عمي على الرشيد والعباسُ بن الأحنف عنده؛ فقال العباس للرشيد: دَعني أعبَث بالأصمعيّ. قال له الرشيد: إِنه ليس ممن يحتمل العَبَثَ. فقال: لستُ أعبَثُ به عبثاً يَشُقّ عليه. قال: أَنت أعلم. فلما دخل عمي قال له: يا أَبا سعيد، مَن الذي يقول:

إِذا أحـبـبـتَ أن تـصـنـ ـع شـيـئـاً يُـعـجِـب الـنـاسـا

فصَوِّر هاهُنا فَوْزاً وصَوِّرْ ثَمّ عَبَّاسا
فإنْ لم يَدنوَا حتى ترى رأسَيْهما راسا
فكذِّبها بما قاستْ وكَذِّبْه بما قاسى
[الهزج]

فقال له عمي يعرّض بأنه نبطيٌّ: قاله الذي يقول:

إذا أحببتَ أن تُبصِـ رَ شيئاً يُعجب الخَلقا
فصَوِّرْ هاهنا دورا وصَوّرْ هاهنا فلقا
فإن لم يَدْنُوَا حتى ترى خَلْقَيْهما خَلْقا
فكذِّبها بما لاقتْ وكَذِّبْه بما يَلْقى
[الهزج]

قال: فخجِل العباس، وقال له الرشيد: قد نهيتك فلم تقبَل.

حدثني الحسن بن عليّ قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: أنشدني إبراهيم بن العباس للعباس بن الأحنف:

صوت

قالت ظَلُومُ سَمِيَّةُ الظُّلْمِ مالي رأيتُك ناحلَ الجسمِ
يا مَن رَمى قلبي فأقصَده أنت العليمُ بموضع السَّهْمِ
[الكامل]

فقلت له: إن أبا حاتم السِّجستانيّ حكى عن الأصمعيّ أنه أنشِد للعباس بن الأحنف:

صوت

أتَأذَنون لِصَبٍّ في زيارتكم فعندكم شَهَواتُ السمعِ والبَصَرِ
لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به عَفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظرِ
[البسيط]

فقال الأصمعيّ: ما زال هذا الفتى يُدخِل يده في جِرابه فلا يُخرج شيئاً، حتى أدخلها فأخرج هذا؛ ومَن أدمَنَ طلب شيء ظفِر ببعضه. فقال إبراهيم بن العباس: أنا لا أَدري ما قال الأصمعيّ، ولكن أُنشدُك للعباس ما لا تدع أَنت ولا غيرُك فضلَه، ثم أَنشدني قولَه:

والـلَّـهِ لـو أنّ الـقـلـوبَ كـقـلـبـهـا ... مـا رَقّ لـلـولـدِ الـضـعـيـفِ الـوالـدُ
[الكامل]

وقوله:

لـكـن مَـلِـلْـتِ فـلـم تـكـن لـيَ حـيـلـةٌ ... صَـدُّ الـمَـلـولِ خـلافُ صـدّ الـعـاتـب
[الكامل]

وقوله:

حـتـى إِذا اقـتـحـم الـفـتـى لُـجَـجَ الـهـوى ... جـاءت أمـورٌ لا تُـطـاقُ كِـبـارُ
[الكامل]

ثم قال: هذا واللَّه ما لا يقدِر أحدٌ على أن يقول مثله أبداً.

حدّثني عمي قال: حدّثني ميمون بن هارون قال: كنَّا عند الحسن بن وهب فقال لِبَنانَ: غَنِّيني:

أتَـأْذَنـونَ لِـصَـبٍّ فـي زيـارتـكـم ... فـعـنـدكـم شَـهَـواتُ الـسَّـمْـعِ والـبـصـرِ
لا يُـضْـمِـرُ الـسـوءَ إِن طـال الـجـلـوسُ بـه ... عَـفُّ الـضـمـيـرِ ولـكـن فـاسـقُ الـنـظـرِ
[البسيط]

قال: فضحكتْ ثم قالت: فأيُّ خيرٍ فيه إِن كان كذا أَو أَيّ معنًى! فخجِل الحسن من نادِرتها عليه، وعجبنا من حدّة جوابها وفِطنتها.

حدّثني الصُّوليّ قال: أَخبرنا أَحمد بن إِسماعيل النَّصِيبيني قال: سمعتُ سعيد بن جُنَيْد يقول: ما أَعرف أَحسن من شعر العبَّاس في إِخفاء أَمرِه حيث يقول:

أُريـدُكِ بـالـسـلام فـأَتَّـقِـيـهـم ... فـأَعـمِـدُ بـالـسـلام إِلـى سِـواكِ
وأُكـثِـرُ فـيـهـم ضَـحِـكـي لـيَـخْـفـى ... فـسِـنّـي ضـاحـكٌ والـقـلـبُ بـاكِ
[الوافر]

حدثني الصوليّ قال: حدثني عليُّ بن محمد بن نصر قال: حدثني خالي أَحمد بن حَمدون قال:

كان بين الواثق وبين بعض جواريه شَرٌّ فخرج كسلانَ؛ فلم أزَل أَنا والفتحُ بن خاقانَ نحتال لنشاطه؛ فرآني أضاحك الفتح فقال: قاتل اللَّه ابنَ الأحنفَ حيث يقول:

عَـذْلٌ مـن الـلَّـه أبـكـانـي وأضـحـكـهـا ... فـالـحـمـدُ لـلَّـه عـدلٌ كـلُّ مـا صـنـعَـا
الـيـوم أبـكـي عـلـى قـلـبـي وأنـدُبُـه ... قـلـبٌ ألـحّ عـلـيـه الـحُـبُّ فـانـصـدعَـا
[البسيط]

فقال الفتح: أَنت واللَّه يا أمير المؤمنين في وَضع التَّمَثُّل موضعه أشعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ.

تمثل بشعره في عتاب جارية له:

أَخبرني الصوليّ قال: حدثني أَحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أَبيه قال:

قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جرى بينهما عَتْبٌ: إن كنتَ تَستطيلُ بعزّ الخلافة فأنا أُدلّ بعزّ الحُبّ. أتُراَ لم تَسمع بخليفة عشِق قبلك قطُّ فاستوفى من معشوقه حقَّه؛ ولكنّي لا أرى لي نظيراً في طاعتك. فقال الواثق: للَّه درُّ ابن الأحنف حيث يقول:

أَمَا تَحسَبِيني أَرى العاشقينَ ... بلى، ثم لستُ أرى لي نظيرا
لعلّ الذي بيديه الأمورُ ... سيَجعل في الكُرْه خيراً كثيرا

[المتقارب]

مدح الزبير بن بكار شعره:

حدثني الصوليّ قال: حدثني المُغيرةُ بن محمد المُهَلَّبيّ قال: سمعتُ الزبير يقول: ابن الأحنف أشعرُ الناس في قوله:

تَعْتَلّ بالشُّغل عَنَّا ما تكلِّمنا ... الشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

[البسيط]

ويقول: لا أعلم شيئاً من أمور الدنيا خيرِها وشرّها إلا وهو يصلُح أَن يُتَمَثَّل فيه بهذا النصف الأخير.

حدثني الصوليّ قال: حدثني محمد بن سعد عن حماد بن إسحاق قال: كان أَبي يقول: لقد ظَرُف ابنُ الأحنف في قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنَّوم:

قِفا خَبِّراني أيُّها الرجلانِ ... عن النوم إنّ الهجرَ عنه نَهاني
وكيف يكون النومُ أم كيف طَعْمُه ... صِفا النَّومَ لي إن كنتما تَصِفانِ

[الطويل]

قال: على قلَّة إعجابه بمثل هذه الأشعار.

حدثني الصوليّ قال: حدثني ميمون بن هارون بن مَخلَد قال: حدثنا أَحمد بن إبراهيم قال: رأيتُ سَلَمة بن عاصم ومعه شعر العبَّاس بن الأحنف، فعَجِبتُ منه وقلتُ: مثلُك ـ أعزَّك اللَّه ـ يحمل هذا! فقال: أَلا أحْمِل شعرَ من يقول:

صـوت

أَسـأتُ أَن أحـسـنـتُ ظـنّـي بـكـم والـحَـزْمُ سـوءُ الـظـنّ بـالـنَّـاسِ
يُـقـلـقـنـي الـشـوقُ فـآتـيـكـمُ والـقـلـبُ مـمـلـوءٌ مـن الـيـأس
[السريع]

غنّى هذين البيتين حسين بن مُحرز خفيفَ رملٍ بالوسطى. وأوّلُ الصوت:

يـا فـوزُ يـا مُـنـيـةَ عـبَّـاس واحَـرَبـا مـن قـلـبـك الـقـاسـي
[السريع]

أعجب أعرابي بشعره:

وروى أحمد بن إبراهيم قال: أَتاني أَعرابي فصيحٌ ظريف، فجعلت أكتب عنه أَشياء حساناً؛ ثم قال: أَنشِدني لأصحابكم الحَضَريين. فأنشدتُه للعبَّاس بن الأحنَف:

ذكـرتُـك بـالـتُّـفَّـاح لـمَّـا شَـمِـمْـتَـه وبـالـرَّاح[1] لـمـا قـابـلـتْ أوجُـهَ الـشَّـرْبِ
تـذكَّـرتُ بـالـتـفـاح مـنـك سَـوالـفـاً وبـالـرّاح طـعـمـاً مـن مُـقَـبَّـلَـك الـعَـذْب
[الطويل]

فقال: هذا عندك وأنت تكتب عنّي! لا أُنشِدك حرفاً بعد هذا.

وحدثني الصوليّ قال: حدثني الحسين بن يحيى الكاتب قال: سمعت عبد اللَّه بن العبَّاس بن الفضل يقول: ما أعرف في العراق أحسنَ من قول ابن الأحنف:

سـبـحـانَ ربِ الـعُـلَا مـا كـان أغـفَـلَـنـي عـمَّـا رَمـتْـنـي بـه الأيـامُ والـزمـنُ
مَـن لـم يَـذُقْ فُـرقـةَ الأحـبـابِ ثـم يـرى آثـارَهـم بـعـدهـم لـم يَـدْرِ مـا الـحَـزَنُ
[البسيط]

قال أبو بكر: وقد غنّى عبد اللَّه بن العبَّاس فيه صوتاً خفيفَ رملٍ.

حدثني الصولي قال: حدثنا ميمون بن هارون قال: سمعتُ حسين بن الضحَّاك يقول: لو جاء العبَّاس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعُذِر، وهو قولُه:

لَـعَـمْـرُك مـا يـسـتـريـح الـ ـمُـحِـبُّ حـتـى يَـبـوحَ بـأسـرارِهِ
فـقـد يـكـتُـم الـمـرءُ أسـرارَه فـتـظـهـرُ فـي بـعـض أشـعـارِهِ
[المتقارب]

---

(١) الرَّاح: الخمر.

ثم قال: أَمَّا قولُه في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو:

الحُبُّ أمْلَكُ للفؤاد بقهره ... من أن يُرى للسَّتر فيه نصيب
وإِذا بَدَا سرُّ اللبيبِ فإِنَّه ... لم يَبْدُ إِلَّا والفتى مغلوبُ

[الكامل]

أَخبرني الصوليّ قال: حدثني الغلابيّ قال: حدثني الزُّبير بن بَكَّار قال: قال أَبو العتاهية: ما حسَدْتُ أَحداً إِلا العباسَ بن الأحنف في قوله:

إِذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْهُ ... على قُرْبٍ فذاك هو البعيدُ

[الوافر]

فإِني كنتُ أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره. فقلت له: صدقت، هو يُشبه شعرك.

أَخبرني الصوليّ قال: حدثني أَبو الحسن الأنصاريّ قال: سمعتُ الكِنديّ يقول: العباس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جَزْلٌ في شعره، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ. فكان يُنشد له كثيراً:

صوت

أَلَا تَعجَبون كما أعجبُ ... حبيبٌ يُسيء ولا يُعتِبُ
وأبغي رضاهُ على سُخطِهِ ... فيأبى عليَّ ويستصعِبُ
فيا ليتَ حَظِّي إِذا ما أسأْ ... تَ أَنك ترضى ولا تَغضَبُ

[المتقارب]

أَخبرني الصوليّ قال: حدّثنا محمد بن الفضل قال: حدّثني حماد بن إِسحاق قال:

كان جَدّي إِبراهيم مشغوفاً بشعر العبَّاس، فتغنَّى في كثيرٍ من شعره، فذكر أشعاراً كثيرةً حفِظتُ منها:

صوت

وقد مُلِئتْ ماءَ الشَّبابِ كأنها ... قضيبٌ من الرَّيحان رَيَّانُ أخضرُ
همُ كتموني سَيْرَهم حين أزمعوا ... وقالوا اتَّعَدْنا للرَّواح وبَكَّرُوا

[الطويل]

ذكر الهشاميّ أنّ اللحن في هذين البيتين لعَلّويه، رمل، وفي كتاب ابن المكيّ أنه لابن سُرَيج، وهو غَلطٌ.

كلمة المأمون لما أنشد بيتاً له:

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فَهم قال:

أنشِد المأمون قولَ عبَّاس بن الأحنف:

هـمُ كـتـمـونـي سَـيـرَهـم حـيـن أزمـعـوا وقـالـوا اتَّـعَـدْنـا لـلـرَّواح وبـكَّـروا

[الطويل]

فقال المأمون: سَخِروا بأبي الفضل.

قال: وحفِظْتُ منها:

صـوت

تـمـنَّـى رجـالٌ مـا أحـبُّـوا وإِنـمـا تـمـنَّـيـتُ أن أَشكـو إلـيـكَ وتَـسـمـعـا

أَرَى كـلّ مـعـشـوقـيـن غـيـري وغـيـرهـا قـد اسـتـعـذَبـا طـولَ الـهـوى وتـمـتَّـعـا

[الطويل]

الغناءُ لإبراهيم ثقيلٌ أوَّلُ بالبنصر. وفيه ثقيل أوَّل بالوسطى يُنسب إلى يزيد حوراء وإلى سُلَيم بن سلَّام.

قال: وحفِظتُ منها:

بـكـيـتْ عـيـنـي لأنـواعِ مـن الـحـزن وأوجـاعِ

وأنـي كـل يـوم عـنـ ـدكـم يَـحـظـى بـيَ الـسَّـاعـي

أعـيـشُ الـدَّهـرَ إن عـشـتُ بـقـلـبٍ مـنـكِ مُـرْتـاعِ[1]

وإن حـلّ بـيَ الـبـعـدُ سـيَـنْـعـانـي لـكِ الـنَّـاعـي

[الهزج]

الغناء لإبراهيم الموصليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفي كتاب إبراهيم بن المهديّ الذي رواه الهشاميّ عنه أن لإبراهيم بن المهديّ فيه لحنَين: ثقيلاً أوَّل وماخُوريّاً. وفيه هزَجٌ مُحدَثٌ.

أَخرني الصوليّ قال: حدثنا أصحابُنا عن محمد بن الفضل عن حمَّاد بن إسحاق قال:

---

(١) مُرتاع: اتخذ مرتعاً فهو مرتاع.

ما غنّى جَدّي في شعر أَحد من الشعراء أكثر ممَّا غنَّى في شعر ذي الرُّمّة وعبَّاس بن الأحنف.

أَخبرني الصولي قال: حدثني محمد بن عبد اللَّه التَّميميّ قال:

كنا في مجلس ابن الأعرابيّ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يلزم ابنَ الأعرابيّ، وكان يحبّه ويأنَسُ به، فقال له: ما أَخَّرك عنّي؟ فاعتذر بأشياء ثم قال: كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرَّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنَّاه به، فاستكثر ذلك ابنُ الأعرابيّ واستهاله وعجِب منه، وقال: ما هو؟ قال: غنَّاه بشعر عبَّاس بن الأحنف:

بكت عيني لأنواعِ ... من الحزن وأوجاعِ
وأني كل يوم عنـ ... ـدكم يَحظ بيَ السَّاعي

[الهزج]

فقال ابن الأعرابيّ: أما الغناء فما أَدري ما هو، ولكن هذا واللَّه كلامٌ قريبٌ مليحٌ.

حدثني الصُّوليّ قال: حدثنا محمد بن الهيثم قال: حدثني محمد بن عمرو الرّوميّ قال:

كنَّا عند الواثق فقال: أريد أن أصنَع لحناً في شعرٍ معناه أَنّ الإنسان كائناً من كان لا يقدِر على الاحتراس من عدوّه، فهل تعرفون في هذا شيئاً؟ فأنشَدنا ضروباً من الأشعار؛ فقال: ما جئتُم بشيء مثل قول عبَّاس بن الأحنف:

قلبي إلى ما ضرَّني داعي ... يُكثِر أَسقامي وأَوجاعِي
كيف احتراسي من عدوّي إذا ... كان عدوّي بين أضلاعي
أَسلمني للحبّ أشياعي ... لمَّا سعى بي عندها السَّاعي
لقلّما أَبقى على كلّ ذا ... يُوشك أَن يَنعانِيَ النَّاعي

[السريع]

قال: فعَمِل فيه الواثقُ لحنه الثقيلَ الأول، النشيد بالوسطى.

حدثني الصوليّ قال: حدثني محمد بن موسى أو حُدِّثتُ به عنه عن عليّ بن الجَهم قال:

انصرفتُ ليلةً من عند المتوكل، فلما دخلتُ منزلي جاءني رسولُه يطلُبني، فراعَني ذلك وقلت: بلاءٌ تُتُبِّعتُ به بعد انصرافي، فرجعتُ إليه وَجِلاً، فأُدخِلتُ عليه

وهو في مَرقَده. فلما رآني ضحِك، فأيقنتُ بالسلامة؛ فقال: يا عليّ، أَنا مُذ فارقتُك ساهرٌ؛ خطَر على قلبي هذا الشعرُ الذي يُغنّي فيه أَخي، قولُ الشاعر:

قـلـبـي إلـى مـا ضـرَّنـي داعـي

الأبيات. فحَرَصتُ أَن أَعمَل مثلَ هذا فلَم يَجِئني، أَو أَن أَعمَل مثلَ اللحن فما أمكنني؛ فوجدتُ في نفسي نقصاً، فقلت: يا سيِّدي، كان أَخوك خليفةً يغنّي وأَنت خليفةٌ لا تغنّي؛ فقال: قد واللَّه أهديتَ إلى عيني نوماً، أعطوه أَلفَ دينار، فأخذتُها وانصرفتُ.

وجدتُ في كتاب الشَّاهيني بغير إِسناد:

أنشد أبو الحارث جميز من شعره:

أُنشِد أبو الحارث جُمّيز قول العباس بن الأحنف.

قـلـبـي إلـى مـا ضـرّنـي داعـي

الأبيات. فبكى ثم قال: هذا شعرُ رجلٍ جائعٍ في جارية طبَّاخَةٍ مليحةٍ؛ فقلت له: من أين قلت ذاك؟ قال لأنه بَدَأ فقال:

قـلـبـي إلـى مـا ضـرّنـي داعـي

وكذلك الإِنسان يدعوه قلبُه وشهوتُه إلى ما يضرُّه من الطَّعام والشَّراب فيأكله، فتكثر عِلَلُه وأوجاعُه، وهذا تعريض؛ ثم صرّح فقال:

كـيـف احـتـراسـي مـن عـدوّي إِذا كـان عـدوّي بـيـن أضـلاعـي

وليس للإِنسان عدوٌّ بين أضلاعه إِلا مَعِدتُه، فهي تُتلِف مالَه، وهي سببُ أسقامِه وهي مِفتاح كلّ بلاء عليه، ثم قال:

إِن دام لـي هـجـرُك يـا مـالِـكـي أَوشـك أن يَـنـعـانـيَ الـنَّـاعـي

فعلمتُ أَنّ الطبَّاخةَ كانت صديقتَه، وأَنها هجرتْه ففقَدها وفقد الطَّعامَ، فلو دام ذاك عليه لمات جوعاً ونعاه الناعي.

وحدثني الصوليّ قال: حدثني محمد بن عيسى قال:

جاء عبد اللَّه بن العبَّاس بن الفضل بن الربيع إِلى الحسن بن وهب، وعنده بَنان جاريةُ محمد بن حمَّاد، وهي نائمةٌ سَكرى وهو يبكي عندها. فقال له: ما لَك؟ قال: قد كنتُ نائماً فجاءتني فأنبهتني وقالت: اجلس حتى تشربَ فجلستُ، فواللَّه ما غنَّتْ عشرةَ أصوات حتى نامت وما شربتُ إِلَّا قليلاً، فذكرتُ قولَ أشعر الناس وأظرفهم العبَّاس بن الأحنف:

صـــوت

أبـكـي الـذيـن أذاقـونـي مـودَّتَـهـم حـتـى إذا أيـقـظـونـي لـلـهـوى رقَـدُوا

فأنا أبكي وأنشِد هذا البيت.

وحدثني الصوليّ قال: حدثني القاسم بن إسماعيل قال:

سمعت إبراهيم بن العبَّاس يقول: ما رأيتُ كلاماً مُحدَثاً أجزلَ في رقَّةٍ، ولا أصعبَ في سهولةٍ، ولا أبلَغ في إيجازٍ، من قول العباس بن الأحنف:

تـعـالَـيْ نُـجـدِّد دارسَ[1] الـعـهـد بـيـنـنـا كـلانـا عـلـى طـول الـجـفـاء مَـلُـومُ

[الطويل]

قال الصوليّ: ووجدتُ بخطّ عبد اللَّه بن الحسن: أنشد أبو محمد الحسن بن مَخلَد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس بن الأحنف:

صـــوت

إن قـال لـم يَـفـعَـل وإن سِـيـلَ لـم يَـبـذُل وإن عُـوتِـبَ لـم يُـعـتِـبِ

صـبٌّ بـعِـصـيـانـي ولـو قـال لـي لا تَـشـرَبِ الـبـاردَ لـم أشـرَبِ

إلـيـك أَشـكـو ربِّ مـا حـلّ بـي مـن صـدّ هـذا الـمُـذنِـب الـمُـغـضَـبِ

[السّريع]

ـ غنّى في هذه الأبيات أَحمد بن صَدَقة هزجاً بالوسطى. وفيها لحنٌ آخر لغيره قال الحسن بن مَخلَد: ثم قال لي إبراهيم بن العباس: هذا واللَّه الكلامُ الحسنُ المَعنى، السهلُ المَورِد، القريبُ المتناوَل، المليحُ اللفظ، العذْب المستَمَع.

حدثني الصوليّ قال: حدثني أحمدبن يزيد المهلّبيّ قال:

سمعتُ عليّ بن يحيى يقول: من الشعر المرزوق من المغنيِّن خاصّة شعر العباس بن الأحنف، وخاصّة قوله:

نـامَ مـن أَهـدى لـيَ الأرَقَـا مـسـتـريـحـاً سـامَـنـي قَـلَـقَـا

[المديد]

فإنّه غنّى فيه جماعةٌ من المغنّين، منهم إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق

(١) دارست: حَلِق، وأراد عهدنا القديم.

وغيرهما. قال: وكان يَستحسن هذا الشعر، وأظن استحسانه إياه حَملَه على أَن قال في رَويّه وقافيته:

بـأبـي واللَّـهِ مَـن طـرَقَـا كـابـتـسـام الـبـرق إذ خَـفـقَـا

[المديد]

وعمِل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإِصبع الوسطى. هكذا رواه الصَّوليّ. وأَخبرني جَحظة قال: حدثني حمَّاد بن إِسحاق قال: قال أَبي: هذا الصوت:

نـام مـن أهـدى لـيَ الأرَقَـا

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصَّنعة واشتراك المغنِّين في أَلحانه. وذكر محمد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمدون أَنّه قال ذلك ولم يذكره عن إِسحاق.

نسبة هذين الصوتين منهما

صـوت

نـام مـن أَهـدى لِـيّ الأرَقـا مـسـتـريـحـاً زادنـي قَـلَـقَـا

لـو يَـبـيـتُ الـنـاسُ كـلُّـهـم بـسـهـادي بـيَّـض الـحَـدَقـا

كـان لـي قـلـبٌ أعـيـش بـه فـاصـطـلـى[1] بـالـحـبّ فـاحـتـرقـا

أنـا لـم أُرزَق مـودَّتـكـم إِنـمـا لـلـعـبـد مـا رُزِقـا

[المديد]

لإِسحاق في هذا الشعر خفيفٌ بالوسطي في مجراها. ولأبيه إِبراهيم أَيضاً فيه خفيفُ ثقيل آخرُ. ولابن جامع فيه لحنان: رمَلٌ مُطلَق في مجرى الوسطى في الأول والثالث، وخفيفُ رملٍ مطلَق في مجرى الوسطى أَيضاً في الأبيات كلها. وفيه لسُلَيم هزَجٌ، وفيه لعَلّويه ثقيلٌ أول.

نسبة صوت عليّ بن يحيى

صـوت

بـأبـي واللَّـه مَـن طَـرَقـا كـابـتـسـام الـبـرق إذ خَـفـقَـا

(١) اصطلى: استدفأ.

زادنـــي شـــوقـــاً بـــزَورَتـــه ومـــلا قـــلـــبـــي بـــه حُـــرقـــا
مَـــن لـــقـــلـــبٍ هـــائـــمٍ دَنِـــفٍ كـــلَّـــمـــا ســـلّـــيـــتُـــه قَـــلِـــقـــا
زارنـــي طـــيـــفُ الـــحـــبـــيـــبِ فـــمـــا زاد أَن أَغـــــرى بـــــيَ الأَرَقَـــــا

[المديد]

الشعر لعليّ بن يحيى؛ وذكر الصوليّ أن الغناء له خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى. وذكَر أَبو العُبَيس بن حمدون أَنّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صنعته. وفيه لعَريب ثاني ثقيل بالوسطى أَيضاً.

حدثني الصوليّ قال: سمعتُ عبد اللَّه بن المعتزّ يقول: لو قيل: ما أحسنُ شيء تعرِفه؟ لقلتُ: شعرُ العباس بن الأحنف:

صـــوت

قـد سـحَّـبَ الـنـاسُ أذيـالَ الـظـنـونِ بـنـا وفـرّق الـنـاسُ فـيـنـا قـولَـهـم فِـرَقَـا
فـكـاذِبٌ قـد رمـى بـالـحـبّ غـيـرَكُـم وصـــادقٌ لـــيـــس يَـــدري أنّـــه صـــدّقـــا

[البسيط]

قال: وللمسدود في هذا الشعر لحن. قال: ولم يُغنّ المسدودُ أحسنَ من غنائه في شعر العبَّاس بن الأحنف. هكذا ذكر الصوليّ، ولم يأْت بغير هذا. ولإِسحاق في هذين البيتين ثقيلٌ أولُ بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية. ولابن جامع ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن الهشاميّ. وليزيد حَوراء خفيفُ ثقيل عنه. وللمَسدود رملٌ. ولعبد اللَّه بن العباس الرَّبيعيّ خفيفُ رمَلٍ.

وأَخبرني الصوليّ قال: حدثني محمد بن سعد قال: حدثني حمَّاد بن إِسحاق عن أَبيه قال:

غَضِب الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناس إليه، فتأَخَّرت عن استرضائه، فغَمَّه ذلك، فوجَّهَ إلى أبي يُعلِمُه ويشكوها إليه. فكتب إليه أَبي: لك العزّة والشرف، ولأعدائك الذلّ والرَّغم. استَعمِلْ قولَ العباس بن الأحنف:

تـحـمَّـلْ عـظـيـمَ الـذنـب مـمـن تـحـبّـه وإِن كـنـتَ مـظـلـومـاً فـقُـل أَنـا ظـالـمُ
فـإِنـك إِلَّا تَـغـفِـر الـذنـبَ فـي الـهـوى يُـفـارِقـك مـن تَـهـوى وأنـفُـك راغِـمُ

[الطويل]

فقال: صدقتَ، وبعث إليها فترضَّاها.

دافع مصعب الزبيري عن شعره:

أَخبرني الصوليّ قال: حدثني أَبو بكر بنِ أَبي خَيثمةَ قال:

قيل لمُصعَب الزبيريّ: إن الناس يَستبرِدون شعرَ العباس بن الأحنف. فقال: لقد ظلموه، أليس الذي يقول:

صـوت

قالت ظلومُ سميّةُ الظُّلْم ... ما لي رأيتُك ناحلَ الجسمِ

يا من رمى قَلبي فأقصَدَه ... أَنت العليمُ بموقع السَّهمِ

[الكامل]

الغناء لأبي العُبَيس أو ابنه إِبراهيم، ماخُوريّ.

قال شعراً في البكاء فأجازته أم جعفر:

أَخبرني الصولِيّ قال: حدثنا ميمون بن هارون قال: حدثني أَبو عبد اللَّه الهشاميّ الحسن بن أَحمد قال: حدثنا عمرو بن بانَةَ قال:

كنَّا في دار أُمّ جعفر جماعةً من الشعراء والمغنِّين؛ فخرجتْ جاريةٌ لها وكمُّها مملوء دراهم، فقالت: أَيّكم القائل:

من ذا يُعيرك عينَه تبكي بها ... أرأيت عيناً للبكاء تُعارُ

[الكامل]

فأُومئ إلى العباس بن الأحنف؛ فنَثرت الدراهمَ في حِجره فنفضَها فلقَطَها الفرَّاشون؛ ثم دخلتْ ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرَّاشين على عُنُق كلّ فرَّاش بَدرةٌ فيها دراهم، فمضَوْا بها إلى منزلِ العبَّاس بنِ الأحنف.

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال: حدثني محمدُ بن موسى قال:

أنشِد الرشيدُ قولَ العبَّاسِ بنِ الأحنف:

من ذا يُعيرك عينَه تبكي بها

فقال: مَن لا صَحِبه اللَّه ولا حاطه.

حدثني الصوليُّ قال: حدثني عَونُ بن محمد الكِنديّ قال:

كنَّا مع مَخلَد المَوصِليّ في مجلسٍ وكان معنا عبدُ اللَّه بن ربيعةَ الرَّقِّي؛ فأنشد مَخلد المَوصِليّ قصيدةً له يقولُ فيها:

كـلُّ شـيء أَقـوى عـلـيـه ولـكـنْ لـيـس لـي بـالـفِـراق مـنـك يَـدانِ
[الخفيف]

فجعل يستحسِنه ويردِده، فقال له عبدُ اللَّه: أنتَ الفِداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول:

سـلـبـتْـنـي مـن الـسُّـرور ثِـيـابَـا وكـسَـتـنـي مـن الـهـمـوم ثِـيـابَـا
كـلـمـا أغـلَـقـتْ مـن الـوصـل بـابـا فـتَـحَـتْ لـي إلـى الـمـنـيَّـةِ بـابـا
عـذِّبـيـنـي بـكـلِّ شـيء سـوى الـصـ ـدّ فـمـا ذقـتُ كـالـصـدود عـذابـا
[الخفيف]

قال: فضحك المَوصليّ. والشعرُ للعباس بن الأحنف.

مدح الرياشي شعره:

وأَخبرني الصوليّ قال: حدثني أَبو الحسن الأسديُّ قال:

سمعت الرِّياشيَّ يقولُ، وقد ذُكِر عندَه العباسُ بن الأحنف: واللَّه لو لم يقلْ من الشعر إِلا هذين البيتين لكَفَيا:

صـوت

أُحـرَمُ مـنـكـم بـمـا أقـولُ وقـد نـالَ بـه الـعـاشِـقـونَ مَـن عَـشِـقُـوا
صِـرت كـأنـي ذُبـابـةٌ[1] نُـصِـبـتْ تُـضـيءُ لـلـنـاسِ وهـي تـحـتـرقُ
[المنسرح]

وفي هذين البيتين لحنٌ لعبدِ اللَّه بنِ العبَّاس من الثقيل الثاني بالبِنصر. وفيه لخَزرَج رمل أولُ عن عبد اللَّه بن العبَّاس:

أنـتِ لا تـعـلـمـيـنَ مـا الـهـمُّ والـحُـزْ نُ ولا تـعـلـمـيـن مـا الأَرَقُ

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن يزيد المبرِّد قال: حدثني بعضُ مشايخ الأَزْد عن إِسحاق بن إِبراهيم الموصلّي قال:

كان الرشيد يقدِّم أَبا العتاهية حتى يجوزَ الحدَّ في تقديمه، وكنت أقدِّم العباس بنَ الأحنف؛ فاغتابني بعضُ الناسِ عند الرشيد وعابني عنده، وقال عَقِبَ ذلك: وبحَسبِك يا أَميرَ المؤمنين أنه يُخالِفُك في العباس بن الأحنف على حداثة سنّه

(١) ذُبالة: الفتيل يوضع في القنديل يحترق ليُستضاء بنوره.

وقلَّة حِذقِه وتجريبه، ويقدِّمُه على أَبي العتاهية مع ميْلك إليه. وبلغني الخبرُ فدخلت على الرّشيد؛ فقال لي ابتداءً: أيما أشعرُ عندك: العباسُ بن الأحنف أَو أَبو العتاهية؟ فعلِمتُ الذي يريدُ، فأطرقتُ كأني مُستَثبِتٌ ثم قلت: أَبو العتاهية أشعرُ. قال: أنشِدني لهذا ولهذا؛ قلت: فبأيّهما أبدأ؟ قال: بالعباس. قال: فأنشدتُه أجودَ ما أرويه للعبَّاس، وهو قوله:

أُحرَم مِنكم بما أقولُ وقد ... نال به العاشِقونَ مَن عَشِقوا

[المنسرح]

فقال لي: أَحسَن، فأنشدني لأبي العتاهية، فأنشدتُه أضعفَ ما أقدِرُ عليه، وهو قوله:

كأنَّ عُتَّابَةَ من حُسنها ... دُميَةٌ قَسٌّ فتنتْ قَسَّها

يا ربِّ لو أنسيتَنِيها بما ... في جَنَّةِ الفردوسِ لم أنسَها

إني إذاً مثلُ التي لم تزل ... دائبةً في طحنِها كُدسَها[1]

حتى إذا لم يبق منها سوى ... حَفنةِ بُرٍّ قتلتْ نفسَها

[السريع]

قال: أتعيّره هذا! فأين أنت عن قوله:

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ ما بي ... أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حَقَّا

فتنفَّستُ ثمَّ قلت نعم حُـ ... ـبًّا جرى في العروق عِرقاً فعِرقا

[الخفيف]

ويحك! أتعرف لأحدٍ مثل هذا، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله: «فتنفَّستُ ثم قلت كذا وكذا»! إذهب ويحك فاحفَظها؛ فقلت: نعم يا أَمير المؤمنين، ولو كنت سمِعتُ بها لحفِظتُها. قال إسحاق: وما أشُكّ أني كنت أحفَظَ لها حينئذٍ من أَبي العتاهية، ولكني إنما أنشَدتُ ما أنشدتُ تعصُّباً.

قال محمدُ بنُ يزيد:

وحُدِّثت من غير وجهٍ أَنّ الرشيدَ أَلِف العباسَ بن الأحنف؛ فلما خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها، ثم خرج إلى أَرَمينيَةَ والعباسُ معه ماشياً إلى بغدادَ، فعارَضه في طريقه فأنشده:

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ... ثم القُفولُ فقد جئنا خراسانا

(١) الكُدس: الحب المحصود المجموع.

ما أقدرَ اللَّهَ أَن يُدني على شَحَط سكَّانَ دِجلةَ من سُكَّان جَيحانا
متى الذي كنتُ أرجوه وآمُلُه أَمّا الذي كنتُ أخشاه فقد كانا
عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نظَرتْ وعذَّبتْ بصنوفِ الهجر ألوانا

[البسيط]

ـ في هين البيتين الأخيرين رمَلٌ بالوسطى يُنسَب إلى مخارق وإلى غيره ـ قال: فقال له الرشيد: قد اشتقتَ يا عبَّاس وأذِنتُ لك خاصَّة، وأمر له بثلاثين ألف درهم.

أَخبرني الصوليّ قال: حدثنا محمدُ بن القاسم قال: سمِعتُ مُصْعَباً الزبيريّ يقول:

العباسُ بن الأحنف وعمرو العرّاف ما ابتذلا شعرَهما في رَغبة ولا رَهبة، ولَكن فيما أحبَّاه، فلَزِما فنّاً واحداً لو لَزِمه غيرُهما ممن يُكثر إِكثارَهما لضعُف فيه.

ذكر الأصوات التي تجمع النَّغَم العشر

منها:

صوت

توهَّمتُ بالخَيف رسماً مُحيلا لعزَّةَ تَعرِفُ منه الطُّلولَا
تَبدَّل بالحيّ صوتَ الصَّدى ونوحَ الحمامة تدعو هَدِيلَا

[المتقارب]

عرُوضه من المتقارِب. الخيفُ الذي عناهُ كُثيِّر ليس بخيف مِنًى، بل هو موضع آخر في بلاد ضَمرَة. والطَّلول: جمع طللٍ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الدّيار. والرَّسم: ما لم يكن له شخص وجسم. والصَّدى هاهنا طائر، وفي موضع آخر: العطش. ويزعُم أَهل الجاهليَّة أَن الصَّدى طائر يخرج من رأس المقتول فلا يزال يصيح أَسقوني حتى يُدرَكَ بثأره. قال طَرَفَةُ:

كريم يروِّي نفسَه في حياته ستعلم إِن مِتنا صَدًى أَيُّنا الصَّدِي

[الطويل]

والحمام: القماريّ ونحوها من الطير. والهديل: أَصواتها.

الشعر لكثيِّر والغناء لعُبَيدِ اللَّه بن عبد اللَّه بن طاهر، ونَسَبه إلى جاريته وكَنَى عنها، فذكر أنّ الصَّنعة لبعض من كثرت دُربَتُه بالغناء وعظُم علمُه وأتعب نفسَه حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت، وذكر أَن طريقتَه من الثقيل الأول، وأنه ليس يجوز

أَن يَنسُبَهُ إلى موضع إِصبع مُفردة؛ لأن ابتداءه على المَثنى مُطلقاً، ثم بسبَّابة المَثنى، ثم وُسطى المثنى، ثم بِنْصر المَثنى، ثم خنصر المَثنى، ثم سبَّابة الزِّير، ثم وُسطاه، ثم بِنصره، ثم خِنصره، ثم النَّغمة الحادَّة، وهي العاشرة. وفيه لابن مُحرزٍ ثاني ثقيلٍ مطلَق في مجرى البِنصر. وفيه لابن الهِربِذ رمَلٌ بالوُسطى عن عمرو، وهذا الصوتُ من الثقيل الثاني، وهو الذي ذكر إِسحاق في كتاب النَّغم وعِلَلِها أن لحنَ ابن محرز فيه يَجمع ثمانياً من النغم العَشر، وأَنه لا يعرف صوتاً يجمعها غيرُه، وأنه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أَن يأتيَ في صوتٍ واحدٍ بالنَّغم العشر، بعد تعبٍ طويلٍ ومُعاناةٍ شديدة. وذكَر عُبيد اللَّه أَن صانع هذا الصوت الذي كَنَى عنه فعلَ ذلك وتلطَّف له حتى أَتى بالنغم العشر في هذا متواليةً من أولها إلى آخرها، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرّقةً على غير توالٍ إِلّا أَنها كلّها فيه، وذكر أن ذلك الصوتَ أحسنُ مسموعاً وأحلى. وحَكى ذلك أيضاً عنه يحيى بن عليّ بن يحيى في كتاب النَّغم. وإِذ فرغتُ من حكايةِ ما ذكره وحكاه عُبيد اللَّه في نسبة هذا الصوت فقد ينبغي أَلَّا أُجريَ الأمر فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه. والذي وصفه من جهة النغم العشر متواليةً في صوت واحد محالٌ لا حقيقة له، ولا يُمكن أَحداً بتَّةً أن يفعله. وأَنا أُبيِّن العلَّةَ في ذلك على تقريبٍ، إِذ كان استقصاء شرحها طويلاً. وقد ذكرتُه في رسالة إلى بعض إِخواني في علل النغم، وشرحتُ هناك العلَّة في أن قُسِّم الغناءُ قسمين وجُعِل على مجريَين: الوُسطى والبِنصر دون غيرهما، حتى لا يُدخِل واحدةً منهما على صاحبتها في مجراها قُربُ مخرج الصوت، إِذا كان على الوُسطى منه أو إِذا كان على البنصر وشبهه به. فإِذا أَراد مُريدٌ إِلحاقَ هذا بهذا لم يُمكنه بَتَّةً على وجهٍ ولا سببٍ؛ ولا يُوجد في استطاعة أحد أن يتلو إِحداهما بالأخرى. وإِذا أُتبعت إِحداهما بالأخرى في ناي أَو آلة من آلات الزمر تفصَّلت إِحداهما. من الأخرى. وإِنما قلَّت النغمُ في غِناء الأوائل لأنهم قسَّموها قسمين بين هاتين الإِصبعين، فوجدوهما إِذا دخلت إِحداهما مع الأخرى في طريقتها لم يكن ذلك إِلا بعد أَن يُفصَلَ بينهما بنغم أخرى للسبَّابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافةُ بينهما، ثم لا يكون لذلك الغناءِ ملاحةٌ ولا طِيبٌ للمضادّة في المَجريَين، فتركوه ولم يستعملوه؛ فإن كان صحَّ لعُبيد اللَّه عملٌ في النغم العشر في صوت، فلعلَّه صحَّ له في الصوت الذي ذكر أنه فرَّقها فيه؛ فأما المتوالية ـ على ما ذكره هاهنا ـ فمحالٌ، ولستُ أقدر في هذا الموضع على شرحٍ أَكثرَ من هذا، وهو في الرسالة التي ذكرتُها مشروح.

فهرس المحتويات

نسب جرير وأخباره ٥
نسبه من قبل أبويه: ٥
جرير وطبقته من الشعراء: ٦
فضَّله عبيدة بن هلال على الفرزدق: ٧
حديث الأصمعيّ وغيره عنه: ٩
سمع الراعي شعره فأقرّ بأنه جدير بالسبق: ٩
رثاؤه ابنه: ١٠
حديث الفرزدق عنه: ١١
قصته مع الراعي وابنه جندل: ٢٥
هجا التيم فلم يؤثر فيهم من لؤم أصلهم: ٢٩
حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء: ٢٩
سئل الفرزدق عمن يجاريه في الشعر فلم يعترف إِلا به: ٣٠
موازنة حماد الراوية بينه وبين الفرزدق: ٣١
حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته: ٣٢
جرير وسكينة بنت الحسين: ٣٣
تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق: ٣٣
تفضيل عبيدة بن هلال لجرير على الفرزدق: ٣٦
جرير في ضيافة عبد العزيز بن الوليد: ٣٧
قصته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه: ٣٩
رؤيا أَمه وهي حامل به: ٤١
قال إِنه أشعر الناس لأنه فاخر بأبيه وهو دنيء: ٤١
إِخوته: ٤٢
استعار من أبيه فحلاً يطرقه في إبله: ٤٣
اتعاظه بجنازة مرت عليه: ٤٣

هجا بني الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد في مسجدهم: ٤٤
طلبت جارية له أن يبيعها فعيره الفرزدق ذلك: ٤٥
حديثه مع ذي الرمة وهشام المرئيّ: ٤٦
قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس: ٤٩
فضله بشار على الأخطل وعلى الفرزدق: ٥٠
موازنة بينه وبين الأخطل والفرزدق: ٥٠
مناقضة بينه وبين الفرزدق: ٥١
جرير والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان: ٥٢
نزل ببني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم: ٥٣
جرير والفرزدق في مسجد دمشق: ٥٤
رأى الأحوص في قباء فعرّض به لئلا يعين عليه: ٥٤
أوفده الحجاج على عبد الملك مع ابنه محمد وأوصاه به: ٥٥
مناقضته عمر بن لجأ: ٥٨
الأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان: ٦٠
فضله أبو مهدي على جميع الشعراء: ٦١
هجا بني طهية في قصيدة الراعي: ٦١
كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له: ٦١
هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك: ٦٣
انتصار الفرزدق له على التيمي ثم صلحه مع التيمي: ٦٤
لم يؤثر هجاؤه في التيم للؤمهم: ٦٥
هو وعديّ بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك: ٦٥
ذهب إلى الشام ونزل على نميري فأكرمه: ٦٨
رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه: ٦٩
مدح قوماً عادوه في مرضه: ٧١
نعي الفرزدق إليه فشمت به ثم رثاه: ٧٢
وفـاتـه: ٧٢
من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى ٧٣
نسب جميل وأخباره ٧٤
نسب بثينة عشيقته: ٧٥
كان كثيّر راويته يقدمه على نفسه: ٧٥

كان جميل صادق الصبابة والعشق: ٧٨
أول عشقه بثينة: ٧٩
واعدت بثينة جميلاً أن يلتقيا فمنعها أهلها: ٨١
عاتبته بثينة لشعر قاله فيها: ٨٥
تجسس أَبوها وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة: ٨٥
قابلها مرة بسعي صديق له: ٨٦
أرسل كثيّراً إلى بثينة ليستجدّ منها موعداً: ٨٧
أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها: ٨٨
واعد بثينة وعرف ذلك أهلها فلم تذهب: ٨٩
قصته مع أم منظور: ٩١
زارها مرة متنكراً في زي سائل: ٩٢
واعدته مرة وأحس أهلها فمنعوها: ٩٢
قصته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها: ٩٣
شعره حين زوّجت بثينة نبيهاً: ٩٨
شعره لما أبعده السلطان عن بثينة: ٩٨
حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها: ٩٩
هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشام: ١٠٠
أنشد كثيّر من شعره وقال هو أشعر الناس: ١٠٢
يوم ذي ضال: ١٠٣
شكاه أهلها إلى قومه فلاموه: ١٠٣
نصح أبوه له فردّ عليه ردّاً أبكاه وأبكى الحاضرين: ١٠٥
أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعراً في الفخر: ١٠٧
هدده الحزين الديلي فهجاه: ١٠٨
هجا خوّاتاً العذريّ وبني الأحب: ١١٠
لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضله على نفسه: ١١٣
نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني ١١٥
لقي بثينة ورصده أهلها فهددهم ثم هجرته بثينة: ١١٨
أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره في العتاب: ١١٩
ذهب معه صديق له إلى بثينة فطارده أهلها فرجع: ١١٩

تهاجرا مدة ثم اصطلحا: ١٢٣
نعي جميل وحزن بثينة عليه: ١٢٤
من المائة المختارة من رواية جَحظة عن أَصحابه ١٢٥
ذكر يزيد بن الطثرية وأخباره ونسبه ١٢٦
نسبه ونسب أمه: ١٢٦
كان كثير التحدث إلى النساء: ١٢٦
أحب وحشية ومرض لبعدها: ١٢٩
كتب إلى وحشية شعراً فأجابته: ١٣١
بنو سدرة ويزيد بن الطثرية: ١٣٣
يزيد بن الطثرية وأسماء الجعفرية: ١٣٤
تبعه أعداء له فترك راحلته وفرّ: ١٣٧
هاجى فديكاً الجرميّ لأنه عذب وحشية بالنار ليصدّها عنه: ١٣٨
حاور حسناء عرفته من حديثه: ١٤٠
قصته مع رجل من صداء: ١٤١
نحر ناقة من إِبل أخيه لنسوة فسبه: ١٤٢
أحب امرأة وعلم أن سبعة يحبونها: ١٤٣
أخبار من حلقت رؤوسهم: ١٤٤
شعره في أخيه ثور: ١٤٥
مقتل يزيد وما رثاه به الشعراء: ١٤٥
من المائة المختارة ١٤٩
ذكر جميلة وأخبارها ١٥٠
كانت أعلم خلق اللَّه بالغناء: ١٥٠
كيف تعلمت الغناء: ١٥٠
إِجماع الناس على تقدمها في الغناء: ١٥١
زارها عبد اللَّه بن جعفر فأشارت إلى من عندها بالانصراف: ١٥٨
حديث عبد اللَّه بن جعفر عن جماعة ضلوا الطريق: ١٥٩
زيارة معبد ومالك لجميلة: ١٦٠
حديث بثينة لها عن عفة جميل: ١٦٢
مدحها ابن سريج فردت عليه مدحه: ١٦٣

زارها ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص فغنتهم: ١٦٥
حجت ومعها الشعراء والمغنون والمغنيات: ١٦٧
غنى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر: ١٦٩
غناء ابن مسجح: ١٦٩
غناء معبد: ١٧٠
غناء ابن محرز: ١٧٠
غناء الغريض: ١٧٠
غناء نافع وبديح: ١٧١
غناء الهذليين الثلاثة: ١٧١
غناء نافع بن طنبورة: ١٧٢
غناء مالك بن أبي السمح: ١٧٢
اليوم الثاني من أيام المدينة وغناء طويس: ١٧٣
غناء الدلال: ١٧٣
غناء برد الفؤاد ونومة الضحى: ١٧٣
غناء فند ورحمة وهبة اللّه: ١٧٤
غناء جميلة: ١٧٤
غناء عزة الميلاء: ١٧٥
غناء حبابة وسلامة: ١٧٥
غناء خليدة: ١٧٦
غناء عقيلة والشماسية: ١٧٦
غناء فرعة وبلبلة ولذة العيش: ١٧٦
غناء سعدة والزرقاء: ١٧٦
وصف مجلس لها غنت فيه ورقصت وغنى المغنون ورقصوا: ١٨١
لحنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطاب لحناً جميلاً: . ١٨٦
من المائة المختارة ١٨٧
ذكر عنترة ونسبه وبعض أخباره ١٨٨
نسب عنترة: ١٨٨
حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً: ١٨٨
سبب ادّعاء أبيه إِياه: ١٨٩

كيف ألحق إِخوته لأمه بنسب قومه: ١٩٢
جوابه حين سئل أنت أشجع العرب: ١٩٣
موته واختلاف الروايات في سببه: ١٩٣
نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجمي: ١٩٤
ذكر أبي دلف ونسبه وأخباره ١٩٧
سمع المعتصم غناءه عند الواثق فمدحه: ١٩٩
نسبة الصوت الذي غنَّاه أَبو دلف ٢٠٠
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى ٢٠٤
تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة: ٢٠٥
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى ٢١٠
من المائة المختارة ٢١١
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى ٢١١
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى ٢١٢
أخبار سعيد بن عبد الرحمٰن ٢١٣
قصته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى: ٢١٥
مدح عديّ بن الرِّقاع شعره: ٢١٦
لقي الوليد لما حج: ٢١٨
من المائة المختارة من رواية جَحظة ٢١٨
من المائة المختارة ٢١٩
أخبار البردان ٢٢٠
رآه سياط بالمدينة وأخذ عنه أصواتاً: ٢٢٠
من المائة المختارة ٢٢١
ذكر الأخطل وأخباره ونسبه ٢٢٢
طبقته في الشعراء والخلاف فيه وفي جرير والفرزدق: ٢٢٤
سال نوح بن جرير عنه أباه فمدحه: ٢٢٥
آراء الأئمة والشعراء فيه: ٢٢٥
نصح له شيباني بألا يهجو جريراً: ٢٢٨
سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه: ٢٣٢
استنشده عبد الملك بن مروان فشرب خمراً ثم أنشده: ٢٣٢
حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق: ٢٣٣

حديث جرير عنه: ٢٣٥
حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل: ٢٣٦
هو والفرزدق مع الفتى من أهل اليمامة: ٢٣٦
الفرزدق في ضيافته: ٢٣٧
كان خبيث الهجاء في عفة: ٢٣٧
حادثة له مع أمّه: ٢٣٨
كان حكم بكر بن وائل. ٢٣٩
تمثل هشام بشطر بيت في ناقة، فأتمه جرير والفرزدق وهو فأخذها: ٢٤٠
هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها: ٢٤٠
وصيته عند موته: ٢٤١
فضله عمر بن عبد العزيز على جرير: ٢٤١
أثنى عليه الفرزدق: ٢٤٢
حبسه القس ثم أطلقه بشفاعة هاشمي: ٢٤٤
مر به أسقف فأمر امرأته أن تتمسح به: ٢٤٥
هنأه هشام بالإِسلام فأجابه: ٢٤٥
كان مع مهارته وشعره يسقط أحياناً: ٢٤٦
أبى الصلاة في مسجد بني رؤاس وهجاهم: ٢٤٧
لبى دعوة شاب من أهل الكوفة وشعره في ذلك: ٢٤٨
حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان: ٢٤٩
مناقضة بينه وبين جرير: ٢٤٩
دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط في كلامه وأنشده: ٢٥٠
من المائة المختارة ٢٥٣
ذكر سائب خاثر ونسبه ٢٥٤
قتل يوم الحرة: ٢٥٤
هو أول من غنى بالعربية الغناء الثقيل: ٢٥٥
نسبة هذا الصوت ٢٥٦
قتله يوم الحرة وكلام يزيد فيه: ٢٥٧
من المائة المختارة ٢٥٨
ذكر جرادتي عبد اللَّه بن جدعان

وخبرهما وشيء من أَخبار ابن جُدعان ٢٥٩
ترك الخمر قبل موته وذمها بشعر: ٢٦٢
من المائة المختارة ٢٦٣
ذكر سلامة القس وخبرها ٢٦٤
سألها القس أَن تغنيه بشعر له: ٢٦٨
رثت يزيد وناحت عليه حين مات: ٢٧٣
نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات ٢٧٦
من المائة المختارة ٢٧٧
أخبار العباس بن الأحنف ونسبه ٢٧٨
نسب العباس بن الأحنف: ٢٧٨
معابثته الأصمعي في مجلس الرشيد: ٢٨٠
تمثل بشعره في عتاب جارية له: ٢٨٣
مدح الزبير بن بكار شعره: ٢٨٣
كلمة المأمون لما أنشد بيتاً له: ٢٨٦
أنشد أبو الحارث جميز من شعره: ٢٨٨
نسبة هذين الصوتين منهما ٢٩٠
نسبة صوت عليّ بن يحيى ٢٩٠
دافع مصعب الزبيري عن شعره: ٢٩٢
قال شعراً في البكاء فأجازته أم جعفر: ٢٩٢
مدح الرياشي شعره: ٢٩٣
ذكر الأصوات التي تجمع النَّغَم العشر ٢٩٥